

الكتاب
القديم
١٣١

ألفريد ج. بتار

الكنائس القبطية القديمة

في مصر

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم

نيافة الأبا غريغوريوس



الكنايس القبطية القديمة
في مصر

الألفا كتاب الثانى

الإشراف العام
و. سمير سرحان
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير
لمسحى المطيعى

مدير التحرير
أحمد صليحة

الإشراف الفنى
محمد قطب

الإخراج الفنى
محسنة عطية

اهداءات ١٩٩٩

مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

الكنائس القبطية القديمة في مصر

تأليف

ألفريد . ج . بتلر

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم

نيازة الأنا غريغوريوس

المجلد الثاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣



فهرس

| | |
|---|-----|
| الفصل الأول : عن المذبح القبطى | ٥ |
| الفصل الثانى : أوانى التناول وأثاث المذبح | ٣٣ |
| الفصل الثالث : أثاثات وزخارف مبنى الكنيسة | ٥٥ |
| الفصل الرابع : ملابس رجال الاكليروس الأقباط | ٨١ |
| الفصل الخامس : ملابس رجال الاكليروس الأقباط (تكملة) | ١٣٧ |
| الفصل السادس : اللغة والأدب عند الأقباط | ١٨٧ |
| الفصل السابع : الأسرار السبعة | ٢٠٧ |
| الفصل الثامن : الأسرار السبعة (بقية) | ٢٣٥ |
| الفصل التاسع : طقوس وشعائر كنسية متنوعة | ٢٥٥ |
| الفصل العاشر : سير القديسين | ٢٧٣ |
| ملحق الكتاب | ٣٠١ |

الفصل الاول

عن المذبح القبطي

المذبح - المذبح المتنقل - مستلزمات المذبح - اغطية المذبح

يبدو أن اشتقاق اللفظ القبطي الدال على كلمة المذبح يرتبط ارتباطا وثيقا بكلمة (ما ان ارشو أو شى) القطبة المعتادة . وتعنى « مكان تقديم الذبيحة » وان كانت تخفف من معنى هذا الاشتقاق حقيقة أن الأصل البعيد الذى يعود الى اللغة المصرية القديمة والذى اشتقت منه كلمة (شو أو شى) يعنى تقريبا « وضع » أو « ترك » أكثر من أن يعنى « التضحية أو الذبيحة » . أما من حيث الاستخدام فإن كلمة شو أو شى تحمل فكرة الذبيحة لدى الاقباط وليس الا . وعلى ذلك فأننا نجد أن الكلمة العربية المقابلة وهى « مذبح » قد اشتقت من الفعل « ذبح » وعلى ذلك فإن الفكرة تدل بوضوح على أنه موضع الذبيحة مثلما تدل على ذلك كلمة (ثوسياستيريون) اليونانية وتعنى « مذبح » . أما كلمة مذبح فهى مستخدمة الآن عند النساطرة (١) وغالبا ما يطلق اليونانيون على المذبح اسم : المائدة المقدسة Hagia Trapeza . أما فى اللاتينية فإن الاسم Sancta mensa (المائدة المقدسة) هو الذى يطلق أحيانا على المذبح altare وقد وردت هكذا mensa efficitur . فى خطاب للبابا نيقولاوس الأول ويقول فورتوناتوس ان هذا الاسم يمثل مائدة السيدة المسيح التى استضاف بها تلاميذه » (٢) .

ولكن يبدو أن الاقباط لا يهتمون بمثل هذه الرمزيات ، ولا يتحدثون أبدا عن المذبح بوصفه مائدة ، بالرغم من أنهم يدرجونه تحت اثنين آخرين من المعانى الرمزية ، فهو عندهم يمثل قبر السيد المسيح ، والعرش

(١) G. P. Badger, The Nestorians & their Rituals, vol. i. p. 228, (London, 1852).

(٢) De Ecclesiae Officiis, tom, iii, p. 21.

الالهى . وسنبين فيما يلى الطريقة التى يعبر بها عن هذين الرمزين فى الطقس وزخارف المذبح .

ان كل مذبح فى الكنيسة القبطية له دائما كيانه المستقل ، ويقوم ظاهرا فى وسط المقصورة أو الهيكل . وبالرغم من أن الهيكل الرئيسى والهيكل الجانبية يرتفع كل منها فوق الخوروس بدرجة واحدة ، فإن المذبح لا يرتفع فوق درجات أخرى ولكنه يقوم على مستوى سطح الأرض . ولكننا نجد الاستثناء لهذه القاعدة فى كنائس أديرة الصحراء حيث يرتفع المذبح فوق درجة أو مصطبة أعلى من أرضية الهيكل . أما عادة الصاق المذابح الصغرى بالحائط فى الكنائس الغربية فلا شك فى أنها عادة قديمة . ولكن المذبح العالى يظهر دائما واضحا وقائما حتى يمكن للكاهن والخادم أن يدور حوله . وهذا هو ما تؤكد كلمات الطقس التى تقول « ويدور بالمجمر حول المذبح » . ومرة أخرى تقول : « ويرش حول المذبح الرئيسى فى شكل دائرى » . وكذلك نقرأ أيضا فى الترتيب الطقسى لصاحبه : اجبرت ، العبارة القائلة : « يدور بنفسه حول المذبح » . ونجد أن المذبح قد تحرك . تدرجيا نحو الحائط الشرقى وأصبح مثبتا وملتصقا به . وكان ذلك هو الوضع المعتاد بالرغم من أنه كان ترتيبا ثابتا فى الكنائس الغربية حتى الى ما قبل حركة الاصلاح الدينى . وفى القرن السابع عشر وبعد تحطيم المذابح القديمة ، وضعت مائدة التناول مثبتة فى القسم الشرقى من الكنيسة تحيط بها المقاعد المواجهة للحائط . وكان هذا الترتيب خاضعا لتقاليد التطهرين (*) ولا يزال مرعيا فى كنيسة أو اثنتين مثل كنيسة ديرهيرست Deerhurst بالقرب من توكسبرى Tewksbury وهى كنيسة ساكسونية صغيرة ، وكائندراية لانجلى سالوب Langley salop ، ولم يهتم التطهريون بالعودة الى الممارسات الأولى . وبالطبع فقد ذهبوا بعيدا جدا فى رفض الممارسات والمواكب الاحتفالية والنجور .

والمذبح القبطى عبارة عن كتلة ذات أربعة أبعاد يبنى من القرميد أو الاحجار ، وهو مجوف أحيانا ، ومصمت أحيانا أخرى ، ومغطى بالجص . وهو يقترب من الشكل المكعب وهذا على غير مذابح الكنائس الغربية . وهو لا يبنى من الخشب (١) (على الرغم من أن المذبح العالى بكنيسة أبى

(*) التطهريون Puritans طائفة من طوائف البروتستانت دعت الى تبسيط الطقوس الدينية (المترجم) .

(١) سمعت رجالة يتحدث عن مذبح خشبى على شكل منضدة فى جرجا . وقد يحدث فى بعض الأماكن النائية الاعتماد عن العادات المرعية بسبب الكسل أو الجهل أو اللامبالاة ، ولكن هذه البنية ليست بذات أهمية . انظر : . . .

Arch. Journ. vol. xxiv. p. 123 n.

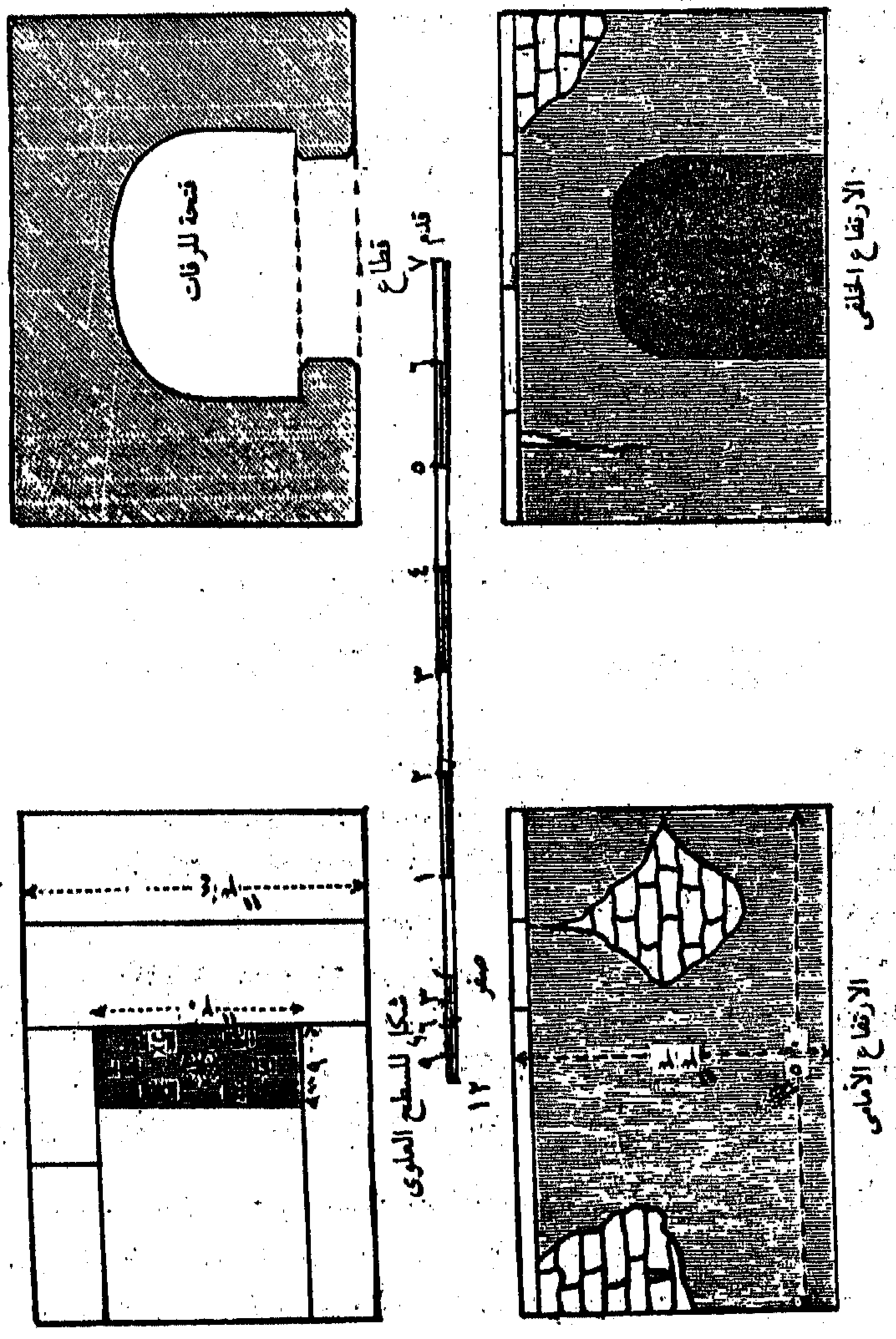
سيفين مغلف بالخشب) وهو أيضا لا يرفع على أعمدة . وكقاعدة عامة فان مبنى قمة مذبح الهيكل الرئيسى لا يختلف عن مبنى الحوائط الجانبية . ولكنه يحتوى على مستطيل له أربع زوايا قائمة ، ويغوص بعمق مقداره بوصة واحدة حيث يوضع لوح المذبح - وهو عبارة عن لوح بسيط من الخشب محفور عليه برسم صليب فى المركز الحروف الأربعة المقدسة التى تؤلف كلمة سانوتيوس أى (يسوع المسيح ابن الله) . وهذا الترتيب الذى ينتصب فيه الكأس والصينية على اللوح فوق قاعدة خشبية ، بينما أقيم المذبح نفسه من الحجر ، يكشف عن انعكاس الوضع تماما عن النموذج اللاتينى لأن التقاليد الرومانية تتطلب أنه حتى عندما يكون الخشب هو المادة التى يصنع منها المذبح ، فلا بد من وضع لوح من الرخام أو الحجر لحمل العناصر المقدسة أثناء التقديس .

وهناك عند الجانب الشرقى فى كل مذبح وعلى مستوى سطح الأرض ، باب صغير مفتوح يكشف عن تجويف أو ثغرة داخلية وسواء كان هذا الباب فى الأصل مغلقا بحجر متحرك أو لوح من الخشب فان ذلك أمر غير مؤكد . على أنه ليس هناك ما يدل على أن هذه الفتحة قد سدت أو أغلقت بباب من الحجر أو ما إليه فى أى كنيسة فى الوقت الحاضر .

أما التجويف فهو بأحجام مختلفة ، ولكنه فى الغالب بنفس أبعاد المذبح تقريبا ، ذلك الذى يتكون فى هذه الحالة من أربعة حوائط وقمة من الحجر . وحيث ان الحجر صلب فان التجويف كبير بما فيه الكفاية للإشارة الى أن استخدامه يختلف عن التجويف المماثل بالمذابح الغربية مثل المذبح الذى يرجع الى القرن السادس ، فى كنيسة انسيرون Enserune وكنيسة جونكيلز Jonculs فى هيرولت Hérault ، لأن مذبحى هاتين الكنيستين لكل منهما فتحة فى الخلف أو الجانب المواجه للشرق وهى مرتفعة وذات أبعاد صغيرة . أما أقرب شبيه معمارى للمذبح القبطى فهو موجود فى كنيسة بارينزو Parenzo بمذبح القديس يوفراسيوس Euphrasius الذى يعود الى القرن السادس (١) .

أما فى الكنيسة اللاتينية فقد كان المذبح عامة عبارة عن بناء صلب ، وكانت القمة على الأقل فى الغصور الأولى تقام وجوبيا من الحجر أو الرخام كشرط للتقديس . أما القمة فقد كانت أيضا كتلة مستقلة تبرز من جميع الجوانب على شكل رف . أما الكنيسة اليونانية فلا تزال حتى اليوم تتمسك بعاداتها فى تحميل قمة المذبح على أربعة أعمدة، وهذه القمة مصنوعة من الحجر . ويذكر جور Goar أن المذبح الاغريقى كان دائما على شكل

شكل رقم ١ : المديح القبطي



منضدة ، مفتوحا من أسفل ومرتكزا على أربعة أعمدة . ولكن يذكر نفس المؤلف (١) أن القاعدة الأرضية صلبة لأغراض التقديس ، ولذلك فهي تتكون إما من كتلة مستقلة من الحجر ، أو من حجارة صغيرة مبنية على شكل صفوف . ولكن يبدو أن الشكل الذي يشبه المنضدة لم يكن شائعا منذ العصور القديمة . ولذلك فإن بولس السلنتياري Paul the Silentiary يقول في وصفه لكنيسة القديسة صوفيا Sophia أن مذبح قسطنطين كان مصنوعا من الذهب والفضة والأخشاب الثمينة ، ومزين بالآلئ والأحجار الكريمة . وكان مرفوعا على درجات ومقاما فوق أعمدة ذهبية ترتكز على قواعد من الذهب . ولم تكن الأخشاب الثمينة تستخدم كنوع من الزخرفة أو الزينة ، أو أنها تعنى ضمنا الموافقة على إقامة مذبح مصنوع بكامله من الخشب لأن ذلك لم يكن قانونيا في أي ركن من أركان العالم المسيحي بعد القرن الرابع . وحتى ذلك التاريخ لا شك أن الخشب كان مادة شائعة في إفريقيا . وعلى ذلك فقد ورد ذكر المنضدة الخشبية في كتابات أثناسيوس وأوبتاتوس Optatus أسقف ميليفيس Milevis حوالي سنة ٣٧٠ للميلاد .

ويذكر أسيمان Asseman (٢) أن مذابح اليعاقبة والموارنة السريان في الشرق ، كانت تقام من الخشب أحيانا ، ومن الحجر أحيانا أخرى . وكذلك كانت المذابح الأولى في بلاد الغال Gaul (*) تقام من الخشب . ولكن المذابح الحجرية استخدمت منذ عصور قديمة ترجع إلى القرن الرابع . وفيما يسبق تلك الفترة كان الحجر هو المادة الوحيدة المعروفة ، وعلى ذلك فإن المذابح الخشبية ممنوعة أيضا لدى النساطرة بموجب القوانين التي تنسب إلى يوحنا بطريركهم السابع والخمسين والذي عاش خلال القرن العاشر . فقد أمر أن المذابح لا بد أن تقام وأن تكون مصنوعة من الحجر في المقار البائية وأوقات السلم (٣) كذلك فإن أحد أحكام قوانين أبو عيسى يقرر أنه عندما يعيش الناس في مدينة خالية من الاضطهاد والخطر فلا يجوز أن يصنع المذبح من الخشب . أما إذا كانوا في مكان يستحيل فيه إقامة المذبح الحجري ، فإن الضرورة تقتضي عمل المذبح من الخشب ، ولكن يحق للأسقف دائما إزالة المذبح إذا استحسن ذلك (٤) .

Euchol. p. 832.

(١)

Bibl. Orient. iii. p. 238.

(٢)

(*) بلاد الغال هو الاسم الشائع خلال العصور الوسطى والمبكرة للبلاد الفرنسية -

(المترجم) .

J.A. Asseman, De Catholicis Patriarchis Chaldaeorum et Nestorianorum commentarius, p. 112 Rome, 1775.

(٣)

Ibid, p. 119, n. e

(٤)

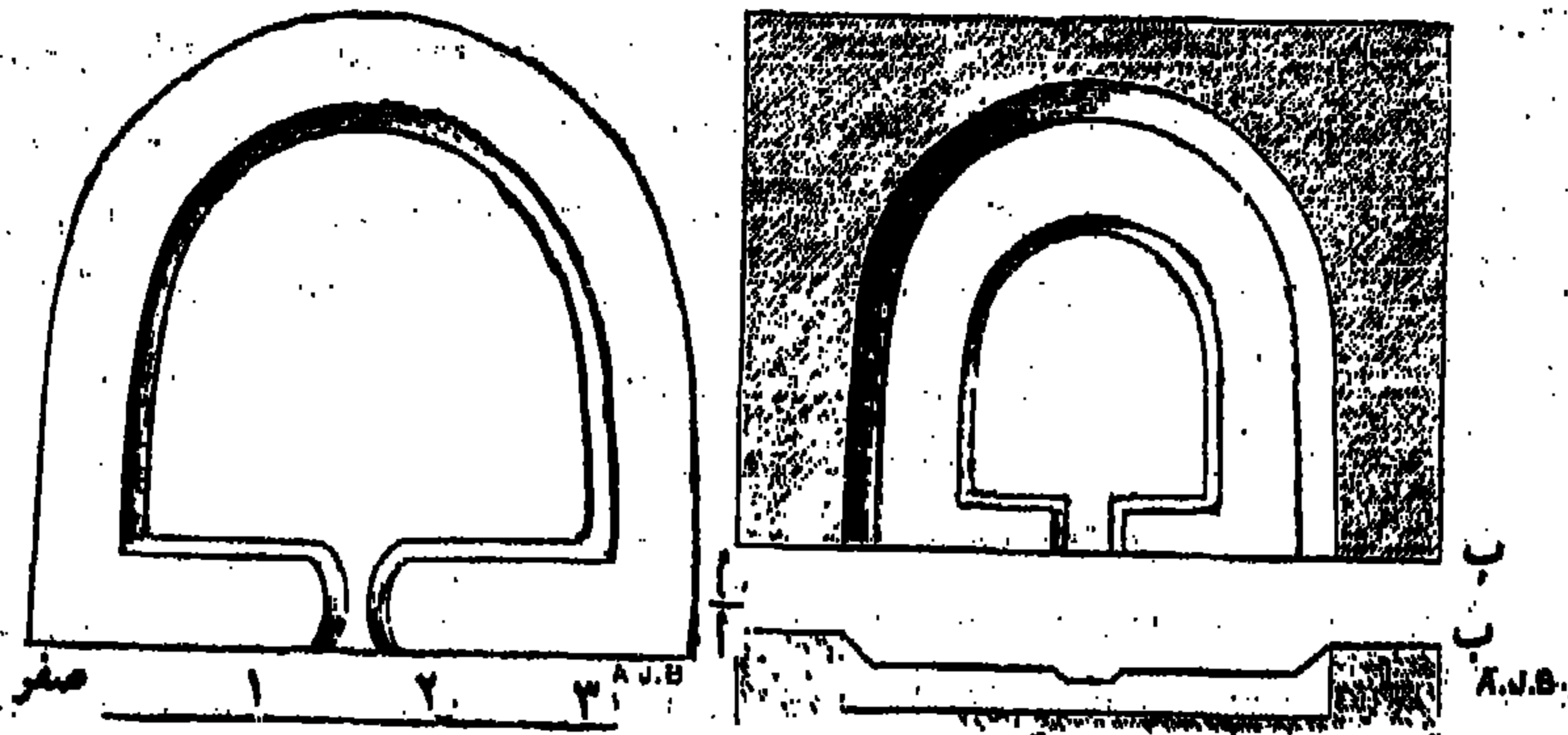
ولابد أن المتأبج الخشبية التي ذكر محنتن وارين^(١) Warren ، (١) أنها كانت تستخدم في الكنائس الأيرلندية المبكرة مثل "كنيسة سانت بريديجت St Bridget" وغيرها - كانت مجرد مضافات في الوقت كان فيه كل بناء الكنيسة يقام من الخشب . وفي التقليد الانجلو ساكسوني كان يمنع صراحة تدشين المذبح الخشبي . وقد ورد في كل من التكريس اليوناني واللاتيني أن قمة المذبح يجب أن تبرز فوق جوانب أو أعمدة المذبح ، ولكن لا يوجد سوى مثال واحد فقط لهذا البروز في مذابح الأقباط . وهنا أيضا نجد أن القمة نادرا ما تتكون من كتلة واحدة . والشائع أن سطح هذه المذابح مثل جوانبها مكون من سطح من الجبس مع لوح المذبح (٢) . وعند استخدام لوح المذبح فإن المذبح يكون مجوفا الى عمق بوصتين تاركا حافة حوله من جميع الجوانب . مع مراعاة ذلك في البناء الحجري حتى تبرز الحافة عند قمة المذبح . وبالرغم من أن هذه الألواح شائعة في أديرة الصحراء إلا أنها نادرة في القاهرة لدرجة أنني لم أشهد سوى أربعة فقط في جميع كنائس القاهرة ، منها ثلاثة في الكنيسة المعلقة والرابع بكنيسة ابي سيفين . ومن هذه الأربعة نجد اثنين على شكل حدود الحصان وواحدا مستديرا ، والرابع مستطيلا وفي وسطه ثقب . ويحتل اللوح الجزء الأكبر من سطح قمة المذبح ولكن ليست كل القمة ، باستثناء اللوح المستطيل الشكل الذي رأيت أنه يتم انزاله بعد فك المذبح . ويوجد ثلاثة ألواح أخرى مستطيلة الشكل يمكن اضافتها الى العدد السابق ذكره وهي الألواح الموجودة على أرضية الحنيات في مغارة كنيسة ابي سرجة . وبالنظر الى موضع اثنين من هذه الحنيات في الحائطين الشمالي والجنوبي بدلا من الشرقي ، نشك فيما اذا كانت هذه الألواح قد صممت للمذابح أو لأغراض أخرى . ولكنني أظن أن مقارنتها مع الحنيات الرومانية ، ومقارنة هذه الأحجار بالأحجار الأخرى التي وصفناها فيما سبق - تؤيد الاعتقاد بأن كافة الألواح في المغارة تشير الى مذابح . أما التصميم فهو يبدو لأول وهلة نادرا وملحوظا لدرجة أنه في حالة وجوده يكون لمجرد التطابق . وفي هذه الحالة فإن عدد ألواح المذبح الرخامية ذات الحواف البارزة والموجودة بالقاهرة - يرتفع الى سبعة ألواح ، وهي نسبة ضئيلة .

(١)

Celtic Church, p. 91.

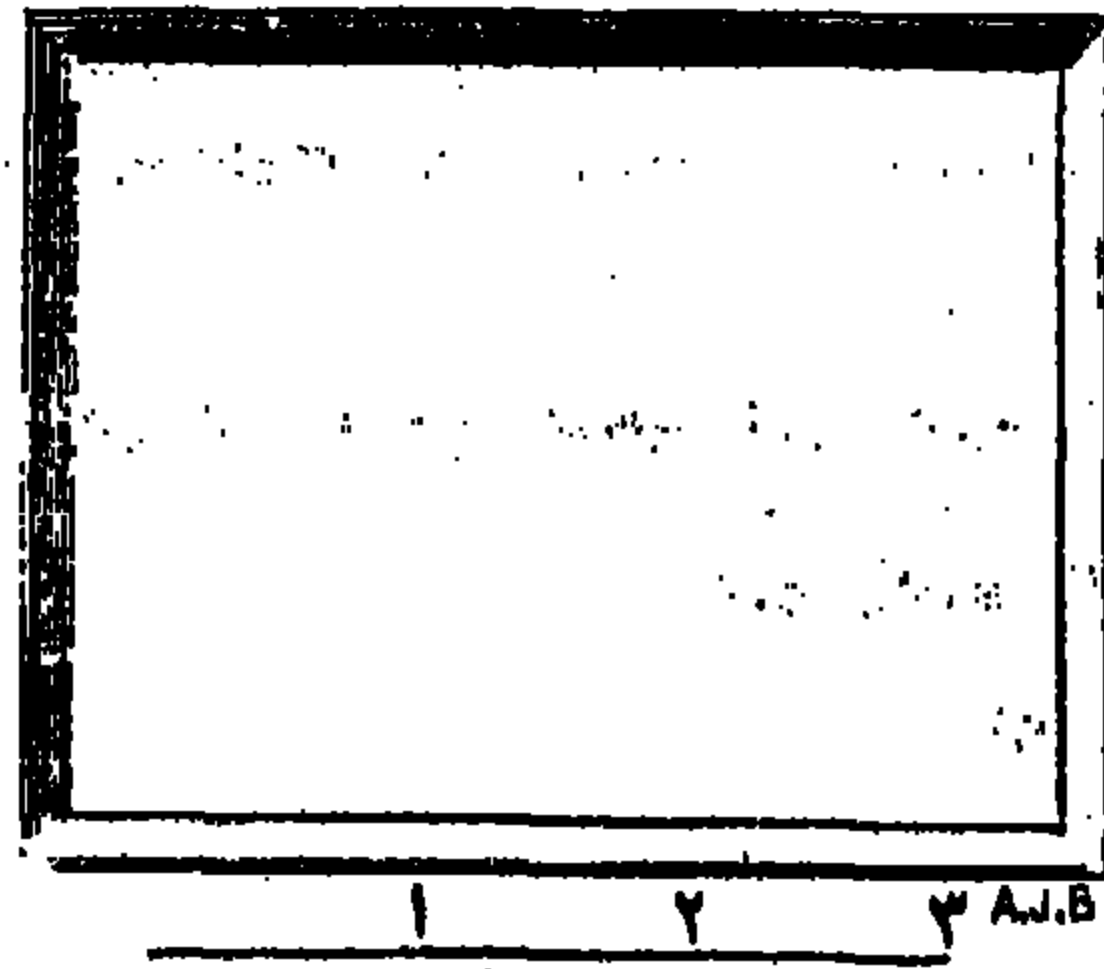
(٢) يطلق عليه بالعربية اسم اللوح - وهناك لوح مشابه نصت على ضرورته فوائين كنيسة أنطاكية التي وضعها البطريرك كزياكوس - انظر : -

Renaudot, Lit. Or. tom. 1. p. 185.



شكل رقم ٢ (أ) : لوح مذبح مصنوع من الرخام
شكل رقم ٢ (ب) : قمة مذبح تبين موضع اللوح الرخامي

ومن جهة أخرى فإن كنائس الأديرة في الصحراء الغربية ، بها مذابح ذات ألواح تنتمي الى النوعية التي قدمناها - وهي في الحقيقة شائعة هناك بقدر ندرتها في كنائس القاهرة ومصر القديمة . وليس من السهل علينا أن نفهم هذا الفارق الملحوظ بين مذابح الأديرة ومذابح العاصمة . كما أننا لا نستطيع أن نعرف السبب في أن النماذج الموجودة بالقاهرة ممثلة في المذابح الثلاثة التي بالكنيسة المغلقة ، ومذابح مغارة كنيسة أبي سرجة ومذبح وحيد بهيكل جانبي صغير بكنيسة أبي سيفين . وبالطبع فإنه حيثما وجدنا قمة المذبح مكونة من لوح رخامي بهذه الطريقة، فإنه يمتنع الاستخدام الشائع للوح المستطيل المصنوع من الخشب المحفور فوقه الرسم الذي يمثل الاسم ، ألا وهو لوح المذبح كما سبق أن أسميناه ، أما أن يكون اللوح الرخامي قد صمم بالعودة الى الطقس القديم الخاص بغسيل المذبح - فهذا ليس محل شك ، لأنه يستدل عليه من وجود الحافة البارزة المرتفعة ، مع الفتحة الموجودة في الجانب الغربي للوح والتي قصد بها



شكل رقم ٣ : لوح مذبح مصنوع من الرخام وفي وسطه ثقب لتغريف الماء

تسريب الماء . وفى نموذج آخر نجد المياه يتم تصريفها عن طريق قناة محفورة فى وسط اللوح . وقد تأيدت هذه الحالة بالتشابه مع الاستخدام الغربى الذى لم ينوه عنه ولكنه واضح . ويوجد فى كنيسة سانتا بودينتيانا Sta Pudentiana فى روما ، لوح مستطيل يبلغ طوله ٤ أقدام و ٦ بوصات ، وعرضه ٤ أقدام وبوصتين ، ويعود تاريخه الى القرن الرابع وهو محاط بأفريز مرتفع ، ومحفور به قناتان احدهما فى الوسط (١) . والألواح غير المثقوبة والمحاطة بأفاريز متقطعة ، شائعة فى أوربا منذ العصور القديمة . ان مذبح كنيسة القديس فيكتور فى مارسيليا الذى يعود الى القرن الخامس ، ولوح مذبح أوريول Auriol الذى يعود الى القرن السادس ، يمكن اعتبارهما ضمن النماذج المبكرة جدا (٢) . وتمتلك جمعية آثار غرب فرنسا لوحا مهما من هذا النوع وجدناه بكنيسة فونوى-سوبيار Vauneuib-sous-Biard (٣) ، ويعود الى القرن السادس ، وهناك نموذج يعود الى القرن السابع محفوظ بمتحف فالونى (٤) . أما مذبح كنيسة القديس أنجلو Angelo فى بيروسيا Perusia والذى بنى فى القرن العاشر ، ومذبح كنيسة فوكلوس Vaucuse الذى يعود الى القرن الحادى عشر ، ومذبح كنيسة تولوز Toulouse الذى يعود الى القرن الثانى عشر ، فانها جميعها تبين كيف كان تصمم ألواح المذابح الذى يتضمن احاطتها بأفاريز ذات حواف بارزة - مستمرا فى الغرب .

والآن فإننا لا نستجد نموذجاً غربياً مشابهاً لألواح المذبح القبطى التى على شكل حدوة الحصان أو النصف دائرية . ويوجد فى متحف فيينا لوح رخامى يعود أصله الى الأسرة الأولى الفرنجية بفرنسا (*) ، أى القرن السادس أو السابع للميلاد . وشكله نصف دائرى وبه ثلاثة منحنيات.

(١) L a Messe, Pl. xlv. On p. 112 M. de Fleury observes : "Les trous qu'on remarque sur la surface doivent provenir d'un autre usage qui n'a rien de commun avec son origine, ou servaient au Lavage de l'autel."

الأتواس من عندى . وأظن أن النماذج القبطية تفى بالفرض .

(٢) La Messe, vol. i, Pl. xlv, xlvii.

(٣) Id. lb. Pl. xlv. p. 147.

(٤) Id. lb. Pl. xlv.

(*) أسس Clovis هذه الأسرة واستمرت تحكم فرنسا من سنة ٤٨١ - ٧٥٢ للميلاد - (المترجم) .

ذات مستويات مختلفة . الذى يقع منها الى الخارج به ستة فصوص ،
والاثنان الاخران نصف دائريين . ولكن الألواح الثلاثة بها خط متقطع يمر
عبر وتر القوس على مثال النموذج القبطى (١) ونرى لوحا آخر نصف
دائرى فى متحف كليرمونت Clermont . ولا أشك فى أن هذا الشكل
الخاص يعود الى الرغبة فى تقليد مائدة العشاء الأخير التى تظهر فى الفن
القبطى أحيانا بنفس هذا الشكل . وإذا نظرنا الى النقش الموجود بكنيسة
أبى سرجة والذى يعود الى القرن الثامن (٢) وجدناه يؤيد هذا الرأى .
وفيه نرى السيد المسيح جالسا مع تلاميذه على مائدة لها تقريبا نفس شكل
لوح المذبح القبطى الذى يشبه حدوة الفرس . وللمائدة حواف بارزة
حولها . وعلاوة على ذلك فإن القصد لا يتضارب مع المظلة التى فوق
المائدة وستائر المذبح التى تلتف حول الأعمدة . أما الفن الغربى فإنه يقدم
لنا النماذج المهجورة والتى تحمل نفس الفكرة . وعلى ذلك فإن المائدة
نصف الدائرية موجودة فى سراديب الدفن بكنيسة سانت كاليكستوس
St. Calixtus ، ورسوم الموزاييك بكنيسة سانت ابوليناريوس
St. Apollinare فى رافنا Ravenna ، وعلى أعمدة المذبح
بكنيسة القديس مرقس وفى الصورة المصغرة المرسومة على الرق فى
كامبردج (٣) وفى الكنيسة القبطية كما هو فى الكنيسة الغربية ، لا توجد
أبعاد محددة للمذبح . ان المذابح الانجلىزية يتراوح طولها ما بين ٨ أقدام ،
١٤ قدما و ٦ بوصات ولكن ارتفاعها دائما ٣ أقدام و ٦ بوصات . أما
المذبح القبطى فهو أصغر حجما . فعلى سبيل المثال نجد أن المذبح الموجود
بهيكل القديس مرقس بالكنيسة المعلقة طوله ٣ أقدام و ١١ بوصة ،
وعرضه ٣ أقدام و ٣ بوصات . أما فى كنيسة أبى سيفين فإن المذبح
الرئيسى طوله ٧ أقدام وبوصة واحدة وعرضه ٤ أقدام و ٣ بوصات .
ويختلف الارتفاع كذلك . وعلى ذلك نجد أن المذبح الرئيسى فى كنيسة
أبى سرجة ارتفاعه قدما ١٠/٤ بوصة ، بينما يبلغ ارتفاع مذبح كنيسة
أبى سيفين ٣ أقدام و ٤ بوصات .

أما الفجوة التى سبق ذكرها بوصفها مفتوحة فى الجانب الشرقى
من المذبح فإن لها جانبا رمزيا حيث انها تعود الى أرواح الشهداء التى
شوهدت تحت المذبح فى سفر الرؤيا (٤) وفى العصور الأولى للكنيسة
وتذكارا لهذه الرؤيا كان من المعتاد دفن أجساد القديسين أو الشهداء تحت

La Messe, vol. i. Pl. III.

(١)

La Messe, Vol. II. p. 164.

(٢)

La Messe, vol. II. p. 174.

(٣)

(٤) سفر الرؤيا - الأصحاح ٦ آية رقم ٩ .

المذبح سواء في قبر أو مغارة تحت أرضية الهيكل أو غير ذلك داخل جسم المذبح . ويوجد مثال واضح لهذا التقليد في الكنيسة البطريركية القديمة بالاسكندرية ، حيث يرقد جسد القديس مرقس الرسول الانجيلي قبل سلب الكنيسة ونقل الجسد المقدس عبر البحر على يد البحارة التابعين للبندقية في أوائل العصور الوسطى . وحتى هذا اليوم فإن المذبح العالي للقديس مرقس في البندقية يضم جسد القديس الانجيلي ، ويحمل النقش القائل « "Sepulcrum Marci" » (قبر مرقس) . وعندما كانت تقام كنيسة في الأوقات والأماكن الأكثر أمنا ، ولم يكن هناك جسد قديس مشهور معد لكي يحتل المذبح ، جرت العادة على وضع بعض من رفات أحد القديسين أو النساك . ولا يوجد دليل على أن هذه الفجوة في المذبح القبطي كانت تغلق طالما أن الرفات قد أودع فيها . وعلى العكس فإنه من المحتمل أن تحفظ هذه الرفات في صندوق ثم توضع تحت المذبح ؛ حيث يسهل نقلها عند الحاجة لشفاء المرضى ، أو حملها أثناء الدورات الاحتفالية ، أو غير ذلك من الأغراض الطقسية ، وفي هذه الأيام نجد أن في كل كنيسة قبطية بعض الرفات المحفوظ في أنبوب ملفوف بالنسيج الحريري الموشى بالقصب والموضوع في خزانة تحت أيقونة القديس الشفيح . وعلينا أن نتذكر أنه يوجد بالكنيسة المعلقة صندوق خشبي لحفظ الرفات يتضمن أربعة من هذه الأنابيب بالإضافة إلى حاجز رخامي في هيكل الجناح الجنوبي . ويوجد في بعض كنائس الأديرة بعض من صناديق حفظ الرفات تتضمن أجسادا كاملة . ولكن هناك بعض الشك في أن تقليد حفظ الرفات في خزائن يعود إلى العصور الوسطى ، وأن مكانها الصحيح هو القبر الموجود تحت المذبح . ويوجد نموذجان أو ثلاثة للمذابح القبطية المقامة تحت الأرض في الفصول السابقة بالجزء الأول من هذا الكتاب ، ولكن من المحتمل أن أوضح نموذج للمغارة يوجد بكنيسة أبي سرجه ، بالرغم من عدم وجود دليل مباشر يبين اعتباره قبرا لأي من الشهداء . ولا يزال هذا الهيكل السفلي حسب ما يذكر التقليد ، هو المكان الذي استراحت فيه العائلة المقدسة ولذلك فهو مكرس بطريقة خاصة بسبب حلول السيد المسيح فيه . أما مبنى المذبح الذي يعلوه بكنيسة أبي سرجه فإنه يقدم تشابها كافيا مع التقليد الغربي . وعلاوة على ذلك فإن الحنية الشرقية في المغارة تحمل شبيها بالقبر الموجود فيه قبر القديس جوديوسوس في نابولي (١) والذي يعود إلى حوالي سنة ٤٦٠ للميلاد . وبعض الحنيات الأخرى التي تعود إلى القرنين الرابع والخامس في روما والتي لا شك أن بعضها كان يستخدم كمذابح . أما التجويفات الأخرى بالمسارة فهي غير مختلفة ،

(١) See : Lo Messe, vol. i. pp. 106-7, and Pl. xxiv; also Roma Sotteranea, vol. III. p. 44.

ولا شك أن التشكيل كله يشبه ذلك الموجود بمغارة القديس جرفيس في روان (١) . وعلى قدر علمى أقول ان الاستخدام الأساسى ان لم يكن الوحيد لتجوييف المذبح بين الاقباط يجرى يوم الجمعة العظيمة عندما تدفن أيقونة الصليب ومعها أغصان الورود ولا يرفع عنها الغطاء الا صباح يوم القيامة . أما فى الكنيسة اللاتينية فان استخدام الرفات لتكريس المذبح والاحتفالات - هذا الخلط ما بين الذبيحة والجنائز - انما يعود بنا الى أقدم الآثار - كما يقول جيروم :

« يقوم البابا الرومانى (الحبر الأعظم) بوضع رفات الشهداء بطرس وبولس باحترام فى جبل أوسا على مثال ذبيحة المسيح التى دفنت فى القبر وهو ما يعبر عنه استخدام المذبح » (٢) .

وكان المكان الذى يوضع فيه الرفات يسمى Sepulcrum أى الضريح أو القبر . أما فى انجلترا فقد كان الضريح يقام أمام أو فى الجانب الغربى من المذبح . والمقصود بذلك تذكير جماعة المصلين الذين فى صحن الكنيسة وليس الكهنة الذين حول المحراب ، بالأرواح التى تحت المذبح . ونجد أن الضريح أو المزار المقام تحت المذبح فى الهيكل الجنوبى بكنيسة جرانثام آبى Grantham Abbey عبارة عن تجوييف طوله ٣ أقدام وبوصتان ، وعرضه قدمان و ٤ بوصات . وكان التجوييف مغلقا دائما بواسطة لوح مختوم محفور فوقه خمسة صلبان ، كما هو مشاهد الآن فى كاتدرائيتى نورويتش Norwich وسانت ديفيد St. David's وهناك تقليد قديم ربما يعود الى القرن الرابع متبع بكنيسة سانت جياكومو سكوسا كافالو San Giacomo Scossacavalo فى روما (٣) حيث يوجد المزار فى وسط قمة المذبح . ويروى أن الضريح فى هيكل أورشليم كان يقع فوق المذبح المقام لذكرى تقديم المسيح ونفس هذا المذبح الذى بكنيسة جياكومو S. Giacomo له ضريح ثان يقع أسفله وبه مدخل مقوس فيما يشبه الترتيب القبطى ، وهناك نماذج أخرى يمثلها مذبح كنيسة اسكويلمز Esquemes فى بلجيكا ، وكنيسة جميع القديسين فى راتيسبون Ratisbonne ، والمذبح الموجود بالجناح الشمالى بكنيسة جيرفولكس آبى Jervaulx Abbey حيث تبلغ أبعاد اللوح المختوم ٦ ١/٢ بوصة عرضا و ٧ ١/٢ بوصة طولا . وبالرغم من

La Messe, vol. ii p. 118.

(١)

Tom ii adv. Vigilant. p. 153 quoted by Gibbon.

(٢)

La Messe, vol. i. Pl. xxiv.

(٣)

أن الضريح الذى تحت المذبح منفصل عن المدفن الا أنه كثيرا ما يستخدم الاسمان بالتبادل . وقد ورد فى كتاب Ecgbert Pontifical (١) أنه عند تكريس المذبح يطلب من الأسقف عمل صليب ويدهن بالميرون فى الوسط وفى الأركان الأربعة للضريح ، حيث ورد الحديث عن لوح الضريح صراحة . ونجد فى كتاب Ordo Romanus وصفا لنفس هذا الترتيب فى العبارة التالية :

«Ponat crisma in confessionem perangulos quattuor in crucem ... tunc ponat tabulam super reliquias»

ويبدو أن الضريح الحقيقى كان معروفا بانجلترا عن طريق الارساليات الرومانية ، وهو تقليد روماني (٢) غير موجود فى الكنائس الساكسونية فيما عدا تلك التى بنيت متأثرة بالنماذج الإيطالية ، بينما هو غير معروف فى أيرلندا . ويصفه ايدمر حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد قائلا انه قد أقيم بكاتدرائية كانتربرى لمجرد تقليد الضريح الموجود أسفل كنيسة القديس بطرس البازيليكية فى روما . وقد دفن بالمذبح العلوى جسد ولفريد أوف يورك ، كما دفن رأس القديس سويدين فى مذبح الرب يسوع ، بينما وضعت فى الضريح رأس القديس فورسيوس . ووضع أيضا قبر القديس دونستان ، وكان يوجد بكاتدرائية كانتربرى وغيرها مدرج سلم يصل ما بين الخوروس ومكان الكهنة فى الهيكل حيث ترتفع الأرضية الحجرية بمقدار أربعة أو خمسة أقدام فوق أرضية الخوروس . وكان يوجد أسفلها الهيكل المبنى تحت الأرض مستقلا بمذبحه وضريحه (٣) وقد ورد الحديث عنه فى الاحتفالات الأسقفية ceremoniale Episcoporum - كما يلى :

« وفى العادة توضع معظم الكنائس رفات القديسين فى أماكن تحت المذبح حتى تظل راقدة فى راحتها » (٤) . . .

وكان الضريح نفسه يسمى أحيانا Confessorium . وقد ذكر دونانج ما يلى :

« وجدت خمس عشرة كنيسة بها أضرحة كبيرة ذات سقوف مقوسة تحملها أعمدة رخامية تسمى Confessoria وترقد فيها أجساد القديسين داخل توابيت من الرخام » . ويقول ريتشارد أسقف هيكسهام

(١) p. 45.

(٢) Hist. Eng. Ch. Arch. p. 47, & c.

(٣) See Rock, Church of our fathers, vol. i, p. 210.

(٤) 1.1b. 1. c. 12.

عن كنيسة القديس وفريده هناك ، انه كان بها حوالى سنة ١١٨٠ للميلاد العديد من الهياكل التابعة ، تحت المذابح العديدة فى كل أنحاء المبنى . ويقدم لنا مستر سكوت Scott نماذج للأضرحة الساكسونية فى بريكسورث ، وفى وينج ، وفى ربتون . والأضرحة القديمة فى يورك ، وفى سانت بول ، وفى وينشستر ، وفى جلوسستر وغيرها . وأضيف أن هناك نموذجا ممتازا لضريح كنيسة القديس اكليمنص فى هاستنجز . أما عن الرفات فقد كان له اعتبار خاص فى العصور الأولى للكنيسة وفى العصور التالية بالرغم من القوة المعجزية التى لعظام الشهداء ، يبدو أنه كان يوجد القليل من هذه البقايا ، مما استدعى تكريس المذبح بدونها . وقد ورد فى مخطوط يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر ومحفوظ حاليا بالمتحف البريطانى فصل يبين أن عادة وضع الرفات داخل المذبح كانت :

« منتشرة الى حد ما . . . حيث وضع عدد قليل من الرفات » .

وهذا التكريس غير الملحوظ هنا دلنى عليه مستر ميدلتون

Middleton

وفيما يشبه فجوة المذبح بالكنيسة القبطية والضريح اللاتينى ، يوجد دائما تحت المذبح اليونانى مكان محفور يسمى ثالاسا أو ثالاسيديون ومعناها : (البحر) . وهنا كانت تقذف مياه غسيل أيدى الكهنة والمياه التى استخدمت فى غسيل الاواني المقدسة ، كما كانت توضع هنا أيضا بقايا الأشياء المقدسة مثل الملابس والأغطية التى تحرق بسبب رثائها . وتعطى تلك الاستخدامات لونا مميزا لاشتقاق الاصطلاح الذى عرضه ليجاريدىوس الذى يقول ان الفكرة تأتى من خدمة البحر البهيجة كما هو واضح فى كلمايوربيديس . ولا أشك فى أن هذا البحر كانت به قناة لنقل مياه الاغتسال ، وهو فى ذلك يشبه الحوض المعروف فى الغرب . وبالإضافة الى ذلك فقد كان الحوض فى الكنائس الانجليزية عبارة عن قناة عند أسفل المذبح فى الجانب الغربى . ويؤيد ذلك كلمات التفسير الطقسى لمؤلفه اجبرت ، التى يتم بناء عليها صب الماء المتبقى بعد رش الكنيسة أثناء التكريس - عند قاعدة المذبح . وهناك أيضا سبب رمزى واضح ، لأنه مادام المذبح يمثل العرش السمائى الذى ورد ذكره فى رؤيا يوحنا اللاهوتى ، فكذلك هذا البحر يمثل البحر الذى قدام العرش . وعلاوة على الاستخدامات التى أوردناها آنفا ، فإن البحر له غرض آخر حيث يستخدم وعاء للملابس التى تقُدس بوضعها تحت المذبح عشية الأعياد . وتوضح فى هذا البحر أيضا كما فى الضريح ، بعض الرفات - وان كان ذلك نادر

"Raro fiat ... propter reliquiarum Paucitatem."
(Lansdowne, 451, fol. 137 a.)

الحدوث ، فقد جرت العادة على حفظ الرفات فى صناديق أو أنابيب منفصلة ، وقد أصبح هذا التقليد هو المعمول به أخيرا فى الكنيستين اللاتينية والقبطية .

ويتحدث أبجر Eivagrius على سبيل المثال (١) عن « مزار فاخر الصنعة من الفضة » كان يستخدم لحفظ الرفات . أما جور Goar فإنه بعد توكيده أن المذبح كان مجرد منصدة تقف فوق أربعة أعمدة ، يذكر أن الرفات الذى كان حسب القانون اليونانى - ضروريا لتكريس الكنيسة - كان يوضع اما فى داخل اللوح أو فى أى مكان بين الأعمدة . ولكنى بينت منذ قليل أن بعض هذا القول خاطئ ، كما أن الفصل الخاص بالتكريس يسمح ببناء المذبح كأحد المعالم المصمتة . وعندما نقرأ عن أن البحر هو الموضع الذى كانت توضع فيه الرفات أحيانا ، وإن كان ذلك نادر الحدوث ، فلا شك أن النتيجة الصائبة هى أنه حيث يقام المذبح المصمت ، كان البحر يحيط به على مثال الفجوة القبطية بحيث يحقق للرفات الحماية والأمان اللذين لا يمكن تحقيقهما تحت المذبح المفتوح والذى يأخذ شكل المنصدة . وقد ورد الحديث عن الشكل المجوف للمذبح اليونانى فى العصور القديمة ، ولذلك كتب أردو Ardon رئيس دير أنيان الذى توفى سنة ٨٢١ للميلاد يقول :

وكان التناول يتم لكل فرد من المذبح المجوف الذى كانت توضع فى تجويفه صناديق مختلفة تضم رفات الآباء (٢) .

وعى المساء كانت هناك عادة مقدسة تتلخص فى أن يدور الخادم حول المذبح المقدس الذى توضع فى تجويفه ملابس الخدمة التى يستردها الخادم مرة أخرى من فوق المائدة المقدسة أو بحر المائدة المقدسة (٣) .

وعلى العكس من ذلك فإن المذابح المحمولة فوق الأعمدة توجد أحيانا فى الكنائس اللاتينية . ونرى مذبحا على أربعة أعمدة فى رسوم الموزاييك بكنيسة القديس أبو لليناريوس فى كلاس بمدينة رافنا . ويشبه ذلك أيضا مذبح القديس روستيكوس فى مينرفا بمدينة هيرولت . ويعود تاريخه الى سنة ٤٥٧ للميلاد (٤) .

أما اللوح المقدس الموجود بمتحف فيينا فهو يستند الى ثلاث دعائم

(١) III t. IIb. II c. 3.

(٢) Thiers, Les principaux autels des Eglises, p. 20. Paris, 1688.

(٣) Id. Ib. p. 33.

(٤) La Messe, vol. I. Pl. xliii.

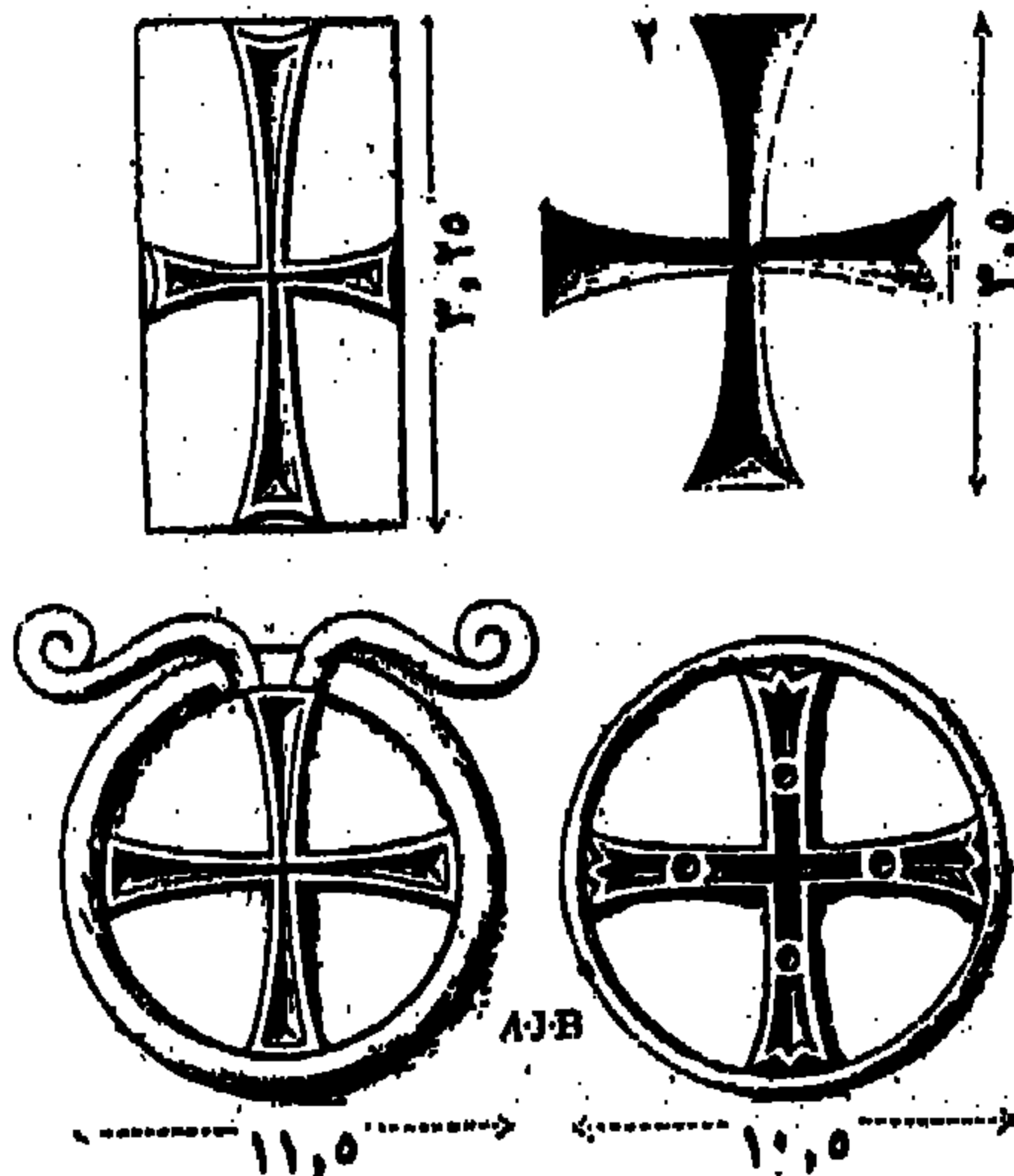
مثل اللوح الموجود بكنيسة القديسين فنسنت وأنا ستاسيوس فى روما .
ونجد عمودا مركزيا واحدا فى مذبح يعود الى القرن السابع بمدينة
كافايلون Cavaillon ويوجد مذبح آخر بكنيسة سيكس فور
Six fours (١) .

ويبدو أنه لا يوجد فى العمارة اليونانية شئ يتصل بالضريح ،
سواء فى وصف كنيسة القديسة صوفيا أو فى أى سجل آخر ، وعلى
قدر علمى فانه لم يرد ذكر لذلك . وهذه الحقيقة ، الى جانب أوجه الشبه
العديدة الموجودة بين الاستخدامين اليوناني والقبطي ، تؤيد الى حد كبير
فكرة أن ترتيب المغارة بكنيسة ابى سرجه ليس الا مصادفة وأنه لا يوجد
ضريح لأحد الشهداء موضوعا تحت المذبح المرتفع . ولابد أن نتذكر أن
النموذج الآخر الموجود فى كنائس القاهرة للهيكل الذى تحت الأرض وهو
هيكل القديس برسوم العريان بكنيسة ابى سيفين - ليس فقط تحت
المذبح المرتفع بل انه أيضا خارج الكنيسة الرئيسية . ونحن نفتقد
المعلومات الخاصة بالنماذج الموجودة فى مصر العليا . أما كنيسة الأنبا
بيشوى بوادى النطرون فان بها فجوة غريبة تكشف عن أسفل العرش
البطريركى الموجود فى المصطبة التى ربما كانت مصممة لحفظ الرفات .

وتبقى نقطة أخرى هى أن المذبح فى المسيحية الغربية كان يتميز
بخمسة صلبان محفورة على اللوح . أحدها فى الوسط بينما الأربعة الأخرى
قد حفرت بشكل صليب فى كل من الأركان الأربعة . وهذه تسمى : صلبان
التكريس لأنها محفورة فى المواضع التى وضع فيها الأسقف علامة الصليب
بالميرون أثناء التكريس . وقد تم احراق كمية من البخور وشمعتين فوق
كل منها . أما فى انجلترا فقد أزيلت معظم ألواح المذابح الأصلية أثناء
ثورة الإصلاح الدينى أو عصر التطهير ، واستخدمت للتبليط أو شواهد
للقبور ، بينما بقى القليل منها فى موضعه مثل اللوح الموجود فوق المذبح
العالى بكنيسة القديس بطرس فى هيرفورد Hereford ، وفى الكنيسة
الصغيرة فى فورثامبتون Forthampton وفى جلوسستر Gloucester
والخوروس الجامعى فى أرونديل Arundel وكنيسة القديسة مريم
المجدلية وميزون ديو Maison Dieu (بيت الله) فى ريبون Ripon .
أما أعظم النماذج فيمثلها اللوح الفخم الموجود فوق المذبح المرتفع فى
توكسبرى أبى Tewkesbury-Abbey (اكتشف وأعيد الى موضعه
بمعرفة مستر ميدلتون) ولكن لسوء الحظ فان الصلبان قد طمست
بسبب إعادة الطلاء . وهناك لوح مستخدم كشاهد قبر يمكن رؤيته فى
الجناح الشمالى بكنيسة القديسة مريم فى وستهام . والأمثلة متعددة فى
أماكن أخرى .

ولا يختلف الطقس اليوناني عن الانجليزى فيما يتعلق بالمواد المستخدمة فيما عدا أن الصليب محفور فوق اللوح فى ثلاثة مواضع بدلا من خمسة ، وأن أحد الصليبان الثلاثة محفور فى الوسط ، وأن الاثنى الآخرين قد حفر كل منهما على أحد جانبي الصليب الأوسط . وهذه الصليبان كبيرة الى حد ما لأن الميرون مصبوب على شكل صليب كما هو الحال فى العماد وبالرغم من أن أركان اللوح غير مميزة الا أن كلا من الأعمدة التى تحمله قد ميزه الأسقف بثلاثة صليبان من الميرون ، ومن المحتمل بالنسبة لكل المواضع التى كرسبت بشكل صليب أن تكون قد حفرت فى الحجر فيما بعد ، ولذلك فائنا نرى فوق المذبح خمسة عشر صليباً مكرساً .

ولا يحمل المذبح القبطى صليباناً محفورة بخلاف تلك الصليبان المحفورة فوق اللوح الخشبي . وحيث لا يوجد هذا اللوح فان القمة الرخامية لا تبين علامة التكريس ، بالرغم من وجود صليب كبير محفور على اثنين من الألواح الثلاثة بالمغارة فى كنيسة أبى سرجة . ولكن يقال ان العادة المصرية تتطابق مع اليونانية وتتضمن تكريس ثلاثة صليبان من الميرون على المذبح باسم الأب والابن والروح القدس على التوالى . أما استخدام الميرون لتكريس المذبح فقد ورد ذكره عند رينودو Renaudot الذى يقول ضمن حديثه عن كنيسة القديس مقاريوس بوادى النطرون :



شكل رقم ٤ : صليبان التكريس

(١) على أعمدة كنيسة العذراء بحارة زويلة . (٢) على أعمدة كنيسة أبى سرجة .

« ويقوم الأسقف أو البطريك شخصيا بوضع الميرون على المذبح
فى شكل رسم أو علامة فوق حائط المذبح » (١) .

وكان ذلك فى عصر الأنبا بنيامين البطريك الثامن والثلاثين أى حوالى
سنة ٦٢٠ للميلاد . وحتى ذلك الحين نجد أن رينودو Renaudot كان
مغرما بتقديم الطقس القبطى على مثال الطقس اللاتينى . وهناك أدلة كثيرة
على صدق شهادته فى هذه الناحية . لأنه بصرف النظر عن أية أدلة فإن
صلبان التكريس كانت توضع على الحوائط والأعمدة كما هو الحال بالنسبة
للطقس اليونانى والغربى . ومن النادر أن يكون الميرون قد استخدم لتكريس
جسم المبنى أو لتكريس أكثر أجزائه قداسة وهو المذبح . ويتحدث الفصل
الخاص بإعادة تكريس المذبح الذى انتهكت قداسته - فى كتاب : الترتيب
الطقسى للبابا غبريال Gabriel's Pontifical - عن خمسة صلبان
يظهر منها صليب فى القمة وصليب على كل من جانبيه ، ولكن المكان
الذى وضعت به الصلبان غير مؤكد . ويوجد كما ذكرنا - صليب فى
الوسط محفور على لوح المذبح ومركب فى تجويف مستطيل وذلك بالنسبة
لكافة تلك المذابح التى ليست لها قمة رخامية . ومن المحتمل أن يكون
الأسقف قد رسم هناك على الأقل صليبا واحدا من الميرون على اللوح
الخشبى . بالرغم من أن ذلك مخالف للترتيب الغربى الذى لا يسمح
باستخدام الميرون على الخشب . أما الحقيقة المتعلقة بأن القبط لم يتورعوا
عن استخدام الميرون على الأسطح الخشبية فإنه يستدل عليها من فصل
آخر فى كتاب : الترتيب الطقسى للبابا غبريال ، وضع له رينودو العنوان :
« تكريس اللوح الخشبى الذى على المذبح » ويليه الكلمات الآتية :

« يكرس اللوح الخشبى كمائدة مقدسة أمام المذبح المقدس دون
الحاجة الى المذبح المرتفع فوق بناء حجرى » .

التى يبدو أنها تشير الى المنضدة والمقصود بها المذبح المتنقل ، بالرغم
من أنه من المحتمل أن تشير الكلمة الى اللوح الخشبى وهو الملحق بالمذبح
الحجرى . وعلى أية حال فإن الفصل يستمر قائلا :

« وفى ذلك الوقت يأخذ الميرون المقدس ويضع بنفسه علامة على
اللوحة الخشبية وعلى الأحجار فى أربعة مواضع » .

بالرغم من أنه هنا أيضا لم تحدد بوضوح المواضع التى تدشن
بالزيت المقدس .

وعلى ذلك فإنه حتى مع استعمال اللوح أحيانا كمذبح متنقل ، فإن
حقيقة أنه منفصل عن البناء الحجرى وسهل الانتقال - تجعل من غير

(١) See : Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 220. (Paris, 1677).

المحتمل أن تقتصر رموز التكريس على هذا الجزء . وعلينا أن نتخيل حينذاك أن الميرون قد صب على قبة أحوائط المذبح نفسه في مواضع لم يحفظ سجل منحوت يدل عليها .

لقد ذكرنا منذ قليل أن الكنيسة القبطية بها ثلاثة مذابح بصفة دائمة بالمقارنة مع المذبح الوحيد المعتمد في الطقس اليوناني ، أما المذابح الجانبية فإنها تستخدم فقط في مناسبات الأعياد الكبرى خاصة عيدي القيامة والميلاد وأحد السعف وعيد تكريم الصليب (١) ففي تلك الأيام كان يقام أكثر من قداس واحد . ويتم التوصل إلى النتيجة دون كسر القوانين القبطية التي تمنع إقامة قداس ثان على نفس المذبح في اليوم الواحد . والمذبح مثل الشخص المتقدم للتناول ، يجب أن يكون صائما . وينطبق نفس الكلام على الملابس والأواني المستخدمة في خدمة القداس .

ولذلك يجب علينا أن نشير إلى العديد من نقاط التشابه بين الطقس القبطي والأرمني ولا نعجب حينما نجد أن الكنيسة الأرمنية تتبع نفس القانون ولذلك فهي تقيم عادة ثلاثة مذابح (٢) مع الاختلاف المتمثل في أن المذابح الجانبية في المبنى المقدس للكنيسة الأرمنية تقع أمام الهيكل أو في مكان آخر ، وليس على خط واحد مع المذبح العالي وخلف حاجز واحد متصل ، كما هو الحال في الترتيب القبطي . وقد جرى وصف الكنيسة الأرمنية في مدينة أورفا بأن لها ثلاثة أقسام أي صحن الكنيسة وجناحان ومذبح عند نهاية كل جناح (٣) . ويقع عرش الأسقف في الركن الشمالي الشرقي للخورس مواجهاً للشرق .

ويبدو أنه مسموح بتعدد المذابح في طقس اليعاقبة السريان ، وفي طقس النساطرة ، وطقس الموارنة . وعلى ذلك فإنه يوجد بمدينة أورفا كنيسة سريانية حديثة بها مصطبة طويلة في الطرف الشرقي وبها مذابح عديدة أمام كل مذبح منها درجة لوقوف الكاهن . أما الكنيسة النسطورية في كوشانس فإن بها ثلاثة مناضد أو مذابح في الصحن ، اثنان منها يطلق عليهما اسما : مذبح الصلوات ومذبح الانجيل على التوالي ، بالإضافة إلى مذبح حجري صغير في الطرف الشرقي . وهنا يثور التساؤل حول ما إذا كان أي من هذين الاسمين فيما عدا الاسم الأخير يعتبر في حقيقة الأمر مذبحاً للتناول من عنده . أما في حلب فإن الكنيسة المارونية توصف بأن

(١) يحذف المؤرخ أبو دقن ، عيد القيامة . ولكن يبدو ذلك خاطئاً . انظر تاريخه الذي ترجمه إلى الإنجليزية السير E. Sadlier . ونشر في لندن سنة ١٦٩٣ ، ص ١٣ .

(٢) Forlescue's Armenian Church, p. 177.

(٣) Christians under the Crescent in Asia, by Rev. E.L. Cutts, London S.P.C.K. (n.d.) p. 83.

لها خمسة مذابح (١) وعرش في مقابل الحائط الشرقي وفي اتجاه الغرب حسب الترتيب الصحيح .

لقد كتبنا هنا ما فيه الكفاية لبيان المغالطة في التعميم الذي أورده .
نيل عن أن « كل كنيسة في الشرق تحتوي على مذبح واحد فقط (٢) » .
ويتخذ نيل موقفا إيجابيا من هذا الموضوع ويضيف « وليس هذا الأمر مختصا بكنيسة القسطنطينية ، لأن هذه القاعدة مطبقة أيضا في إثيوبيا ومصر وسوريا ومالابار ، على يد النساطرة واليعاقبة ، وباختصار - في كل بلاد الشرق » : وعلى الرغم من ذلك فإنه يناقض نفسه ويضيف في الفقرة التالية لذلك الكلام أن نماذج الكنائس المتعددة المذابح موجودة منذ العصور القديمة . وعلى أية حال فإن هذا التساؤل يمثل قاعدة مستقرة . ولذلك فإنه من جهة هذه القاعدة نحتاج إلى التنويه فقط بأن قانون المذابح الثلاثة ليس شائعا بمصر حاليا ، ولكن لا يوجد لدى الأقباط مبنى كنسى واحد مهما كان بناؤه قديما ، إلا ويحمل في بنائه المعالم التي تدل على أنه صمم حسب هذا الترتيب الطقسي . ورغم عدم وجود دليل بالنسبة لبلاد إثيوبيا ، إلا أننا نلاحظ اعتماد الكنيسة الإثيوبية التاريخي والطبيعي على كنيسة الاسكندرية مما يجعل الإنسان يتساءل عما إذا كانت نفس القاعدة مطبقة هناك من عدمه . أما الطقس الأرمني فمن الواضح لنا اعتماده على نفس العادة ، وبالرغم من أنه لم يتضح لنا تماما التماثل بين الطقسين السرياني والنسطوري مع المصري والإثيوبي والأرمني ، إلا أن الحقيقة تكمن في التناقض الكامل مع القانون الذي تحدث عنه نيل . ولا بد من توضيح هذه الحقيقة بالقول بأنه لا توجد كنيسة واحدة في الشرق كله بها مذبح واحد باستثناء الكنائس التي تنتمي إلى كنيسة القسطنطينية ، والكنيسة اليونانية فإنها لا تعرف إلا مذبحا واحدا ، أما بقية الكنائس فتعرف تعدد المذابح .

المذابح المتنقلة (٣)

نادرا ما يستخدم الكهنة الأقباط المذابح المتنقلة ، ليس لوجود اعتراض قانوني عليها، ولكن فقط لأن الضرورة لا تستدعي هذا الاستخدام .

(١) والدليل الذي يقدمه المؤلف غير واضح تماما . Id. lb. pp. 84, 217, 48.

(٢) History of the Holy Eastern Church, Gen. Introd. vol. i. p. 182.

(٣) يخطئ رينودو تماما من ملحوظته الخاصة بالمذبح القبطي فهو يقول في كتابه

(Lit. Or. tom. i. p. 164)

ما يلي : -

« جرت العادة منذ أجيال عديدة على اعتبار الألواح مثل المائدة ويسمى بنشر اللغامة

(فوطا أو مفرش) فوقها بعد تكريسها بمعرفة الأسقف الذي يبارك المذبح شخصيا .

وأخيرا فإن المذبح يغطى بهذه اللغامة التي توضع فوق قمة المذبح وكانت تصنع من نسيج =

ففى العاصمة ومعظم المدن المصرية تنتشر الكنائس ، ويجد الأقباط دائما سبيلهم للتجمع حولها . وعلى ذلك فان سهولة الحضور الى الكنيسة يترتب عليها أن الذين يتمتعون بالصحة الكاملة يستطيعون حضور القداس ، بينما يستطيع المرضى أخذ سر القربان بمعرفة الكاهن الذى يحمله اليهم من الكنيسة . وإلحاح المطبة اليوم تسمح بحفظ الذخيرة المقدسة داخل الكنيسة بالرغم من أن الكاهن يضطر الى إقامة القداس عندما تستلزم الضرورة فى الأماكن التى ليس بها كنائس . وقد وجدت عينة واحدة لمثل هذا المذبح فى التاريخ القبطي ، فعندما أرسل (زاخارياس) ملك النوبة حوالى سنة ٨٥٠ للميلاد ابنه ووريثه جورج الى مصر لاقرار موضوع الجزية ، قام الوفد الملكى بزيارة البطريرك يوساب فى مقر الكرازة المرقسية وكان يحمل اليه بعض الخطابات . ومن هناك مضى لمبايعة الخليفة فى بغداد . وعند عودته الى القاهرة نال هبة كبرى من البطريرك حيث أعطاه مذبحا متنقلا من الخشب ليحمله الى والده . ويقول التقليد إن مثل هذا المذبح لم يكن معروفا من قبل وإن مثل هذا الترخيص حدث بسبب الظروف التى يعيش فيها النوبيون الذين كانوا عبارة عن قبائل بدوية متنقلة تعيش فى الخيام، وكانت حياتهم كلها قتالا وغزوات (١) . ومن المؤكد أن ذلك المذبح كان لوحا مأخوذا من إحدى الكنائس . والحقيقة أن أقباط اليوم يزعمون أن المذبح المتنقل الذى يستخدم فى حالات الضرورة القصوى ليس الا اللوح الخشبي الذى يستخدم فى حالات وبالإضافة الى ذلك فإن اختفاء لوح المذبح كلية من بعض الهياكل الصغيرة فى القاهرة قد يشير الى حقيقة أن اللوح قد حمل الى خارج الكنيسة واستخدم كمذبح . ومن الغريب أن نقول أنه بينما لا تقر القوانين النسطورية استخدام المذابح المتنقلة صراحة، إلا أنها تسمح بتقليد سر الفخارستيا

= موسى بالقصب وهذا الترتيب هو المستخدم فى أفريقيا ويعود اليه كذلك كل من الطقس اليونانى واللاتينى اللذين أخذوا هذا الترتيب عن الطقس الشرقى .

وهذا الإصرار على توافق الطقوس الثلاثة هو الذى أفسد الكثير من معلومات رينودو . « كان طقس الكنيسة اليونانية مشابها للطقس الشرقى فى هذا الصدد » (ص ١٦٦) . وهذا هو أقصى ما وصل اليه فى جميع حالات الشك . ولذلك فهو يقول عن الجزء الأكبر أنه ليس الا مذبحا واحدا فى كنيسة واحدة . وقد توصل الى هذه النتيجة كما يلى : -

ومن جهة أخرى فقد طلبت هذه العادة موجودة فى نفس الوقت فى مصر حيث نراها فى الكنائس القديمة ذات الطابع المميز لقد كان المسيحيون القدماء يقيمون المذابح حسب الترتيب الموروث عن الكنيسة فظل المذبح لديهم حسب هذا الترتيب القديم وهو شكل يماثل الشكل اليونانى من حيث الخط المميز للمذبح وبذلك فالتماثل موجود بين الشكل المصرى واليونانى » .

وواضح لنا أخطار تلك الطريقة .

فوق يدي الشماس مع الحصول على اذن مسبق من الاسقف وذلك في حالات الطوارئ (١) . ويستخدم السريان الواحا مقدسة من الخشب مثل الأقباط . وحيث لا يوجد مذبح أو لوح مقدس فانهم يسمحون بتكريس الافخارستيا على صفحة من الانجيل (٢) .

أما بخصوص طقس الكنيسة اليونانية فلا يوجد مثل هذا الالتباس؛ فقد كان تكريس المذابح المتنقلة أو كما يطلقون عليها اسم *antimensia* - جزءا منتظما من التقليد الخاص بتكريس المذبح الجديد ، فكان اللوح يوضع على المذبح ، وبعد تدشينه يصب فوقه النبيذ . ويرسم فوقه ثلاثة صليبان بالميرون ، ثم يؤتى بالرفات المختلط بالحنوط للحيلولة دون فقدان أى من البقايا ، ويضمن بالميرون ويحفظ في كيس خلف كل قرص . ويتم استكمال تقديس هذا اللوح باقامة القداس وعمل سر الافخارستيا ، وبذلك يصبح اللوح جاهزا للاستخدام ، ويشيع استخدام هذه المذابح لدى اليونانيين بقدر ندرة استخدامها في الكنيسة القبطية .

ويمكن حصر نماذج عديدة للبرهان على عادة استخدام المذابح المتنقلة في المسيحية الغربية . ففي إنجلترا امتدت هذه العادة من العصور الأولى فكان في كل كنيسة كبيرة منضدة أو أكثر من الخشب أو المعدن بحيث يستطيع الكهنة حملها عندما يرغبون في مناوله المرضى أو اقامة القداس في الأماكن النائية حيث لا يوجد المبنى الكنسى . وربما كان أقدم نموذج لهذا النوع هو المذبح المتنقل الذى استخدمه القديس كوثبرت والمحفوظ حاليا - بصرف النظر عن حالته المشوهة - في كاتدرائية دورهام Durham وهو عبارة عن منضدة خشبية صغيرة مغطاة بغلاف من الرصاص يبدو أنه يعود الى تاريخ أحدث ، ويحمل بعض الحروف اليونانية التى يصعب قراءتها .

ملحقات المذبح

توجد فوق كل مذبح مرتفع في كنائس مصر وأحيانا في المذابح الجانبية ، قبة عالية (*) أو مظلة ترتكز على أربعة أعمدة وهذه القبة التى تصنع دائما من الخشب وترتكز أحيانا على أعمدة حجرية ، مزخرفة بالوان زاهية فى الداخل والخارج ومزينة بصورة للسيد المسيح فى وسط القبة، وملائكة فى حالة طيران وأشكال رمزية . وقد أوردنا وصفا كاملا لمثل

(١) J. A. Asseman, De Cathol. seu Pat. Chold. et Nestor. com.

p. 120.

Renaudo, Lit. Or. vol. ii. p. 46.

(٢)

(*) يطلق على هذه القبة أو المظلة فى الطقس القبطى اسم : العرش - (المترجم) .

هذه القبة فى الفصل الخاص بكنيسة أبو سيفين ، ولا يوجد ما يستدعى تكراره هنا (١) .

ولكن يمكن إضافة أن هذا العرش الذى على شكل القبة يرمز الى سماء السموات حيث يجلس السيد المسيح فوق عرشه فى المجد محاطا بالملائكة ، وتشير الأعمدة الأربعة التى تحمله اما الى أربعة أركان المسكونة حسب قول جرمانوس Germanus ، أو تشير الى الانجيليين الأربعة الذين ترسم رموزهم أحيانا فوق القبة . وتتخذ القبة القبطية شكل مظلة صغيرة بدون سقف مدبب وبدون واجهات مثل تلك الموجودة بكنيسة سانت أناستاسيوس فى روما وبدون سقف مسطح كما هو الحال فى نموذجين بكنيسة سانت مارك فى البندقية ، وبدون سقف هرمى كما هو الحال فى نموذج ثالث بكنيسة بوتنزيانا بالقرب من نارنى ، وذلك الموجود بكنيسة سبيريتو سانتو فى رافنا Ravenna (٢) . ولكن من الغريب أنه فى جميع الحالات التى توجد فيها هذه القبة فإن الأعمدة التى تحملها ، بها حروف عربية . ويتضح لنا هذا فى كنيسة أبو سيفين التى بنيت فى العصر العربى ، ولكنه يثير الدهشة أكثر فى كنيسة أبو سرجة حيث أن أعمدة الصحن بتلك الكنيسة يونانية أو رومانية . وتختفى الأعمدة نهائيا فى بعض الحالات ، وتستقر القبة على دعائم متقاطعة مثبتة فى الجوائظ . ولاشك أن التفسير الصحيح لذلك يتمثل فى أنه فى الكنائس القديمة كان المذبح والقبة الخاصة به ينالان الكثير من الزخرفة الفنية والفاخرة أكثر من أى قسم آخر من أقسام الكنيسة . ويبدو أنه من المحتمل فى بعض الحالات عندما كانت تغطى المذبح قبة كاملة ، كانت تنتشر مظلة منفصلة قائمة على أعمدة فى العصور المتأخرة بعد التوقف عن استخدام الستائر . ومن المؤكد أنه من الخطأ استنتاج أن قبة المذبح كانت بدعة دخلت الى الكنيسة القبطية فى العصور الوسطى ، لأنها تمثل تقليدا قديما فى تزيين الكنيسة .

وتتم أربعة قضبان رفيعة بين أعمدة القبة الأربعة ، وهى مزخرفة بنصوص قبطية كما هو ظاهر فى كنيسة أبو سرجة . وكان المقصود بهذه القضبان فى الأصل ، أن تحمل ستائر المذبح ، ذلك أنه قد جرت العادة قديما على أن يحجب المذبح بالستائر . وبالرغم من أنه لم تبق نماذج لمثل

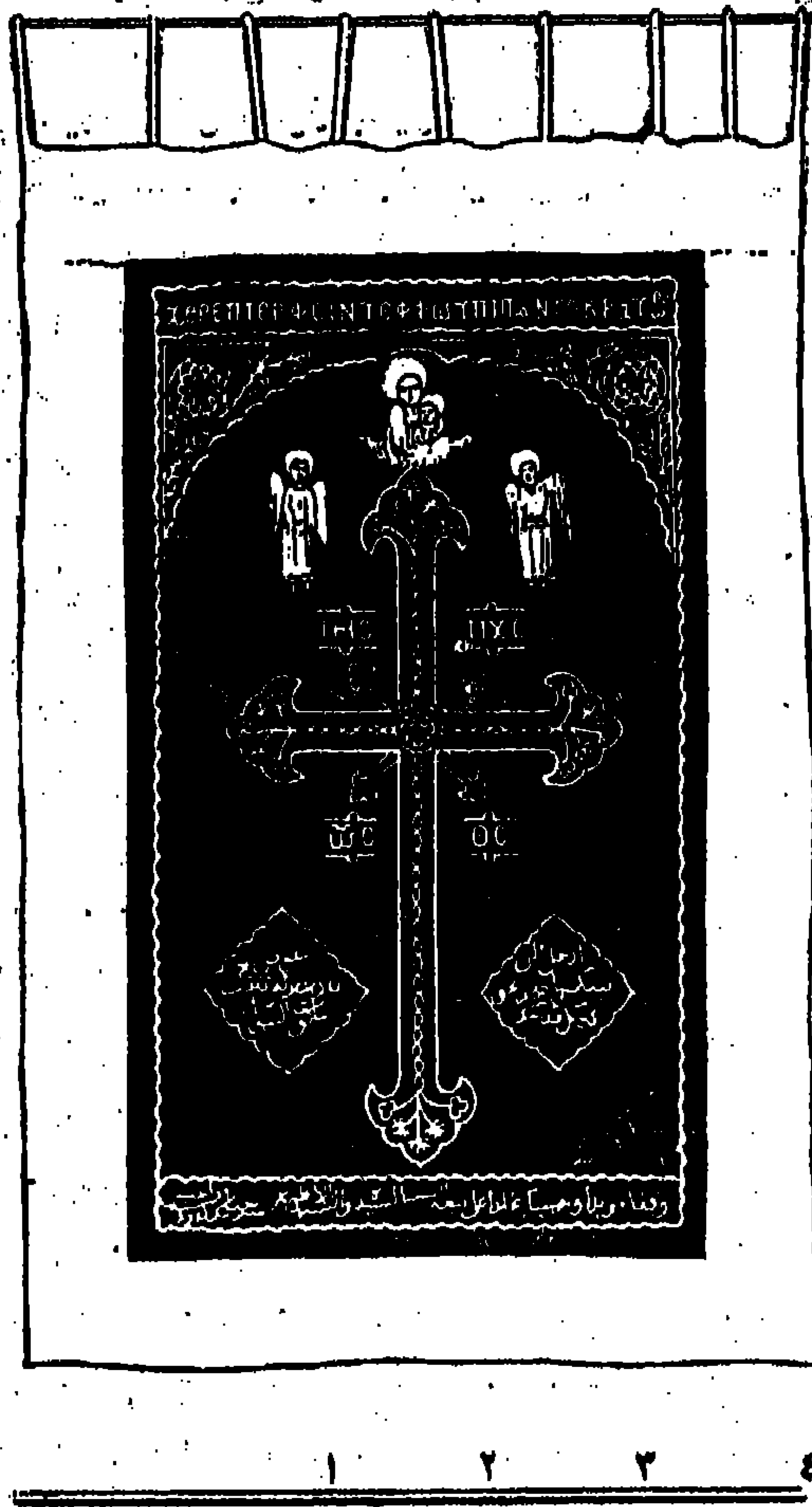
(١) يمكن مقارنة هذا الوصف الذى ورد فى ص ١١٤ من الأصل الانجليزى للجزء الأول - بوصف العرش الموجود فوق المذبح الخاص بالقدیس غريغوريوس الذى بناء جيرهارد أسقف كونستانس - ويقدم م ، دى فلورى قطاعا لسقف هذه القبة بين صورة الانجيليين الأربعة مع رموزهم . انظر : -

La Messe, vol. II. p. 26.

La Messe, Vol. II. Pl. clli, civ, clx, xcviil.

(٣)

هذه الستائر في أى كنيسة قبطية إلا أن القبطيان أنفسهم والحلقات المركبة عليها (كما هو الحال بكنيسة أبو سيفين) والتي ماتزال موجودة ، تدل على أنه حتى في العصور القديمة ، كانت عادة احاطة المذبح بالستائر مرعية . وتمثل العارضة التي تعود الى القرن السابع أو الثامن بكنيسة أبو سرجة والتي كانت الستائر مركبة عليها - نموذجا فريدا لهذا الاستخدام . ويقوم اثنان من هذه الأعمدة بكنيسة أبو سرجة على مسافة قدمين و ٩ بوصات ، ويقوم الاثنان الآخران على مسافة ٣ أقدام و ٣/٤ بوصة ، وذلك بالنسبة لأقرب ركن من المذبح ، وبذلك يتبقى فراغ كاف يتحرك فيه الخدام حول المذبح وداخل الستائر .



شكل رقم ٥ : ستارة حريرية مطرزة بخيوط من الفضة مصنوعة باشغال الابرة ، امام باب الهيكل بالكنيسة المعلقة .

وأقصر مسافة بكنيسة أبو سيفين هي قدمان ، وهي لا تترك
الا فراغا صغيرا جدا للحركة . ولا شك أن ستائر المذبح كانت مطرزة
بخيوط وأشكال ثمينة مصنوعة بأشغال الابرّة أو خيوط الذهب والفضة .
وحتى اليوم مازالت هناك ستارة معلقة أمام باب الهيكل مطرز عليها
أما صليب أحمر أو بعض الأشكال الأخرى .

ويقول بولس السلنتياري في وصفه لكنيسة القديسة صوفيا
العظمى ان هناك برجاً أو قبة فوق المذبح الرئيس ترتفع فوق أربعة أعمدة
مطلية بالفضة يمتد بينها عقود . والجزء الأسفل من هذه القبة ثمانى
الأضلاع بينما يبرز منه الجزء العلوى ليتجمع على شكل مخروط . وقد
وضع فوق المخروط نجم ذهبى فوقه صليب من الذهب مرصع بالجواهر .
وقد انتشرت بين الأعمدة الفضية ستائر غالية . أما الستارة التى أمام
المذبح فقد رسم عليها منظر مطرز بخيوط الذهب للسيد المسيح فى المجد
وهو يعطى البركة ويمسك بكتاب البشائر فى يده اليسرى . ويكفى هذا
الوصف للبرهان على الطقس القديم للكنيسة اليونانية . ولكن يذكر جور
Goar أيضا (١) أن قبة المذبح هي رمز للسماء ويتحدث فى نفس
الموضع عن الستارة التى أمام المذبح المطرزة بمنظر للسيد المسيح . وقد
وجدت هذه الستائر أيضا بين الآثار القديمة فى رسوم الفسيفساء العظيمة
التى تزين قبة كنيسة سانت جورج فى سالونيك (تحوّلت الآن الى مسجد)
وهي تقدم مثالا عظيما لمذبح محاط بالستائر ومغطى بالقبة . ويعود هذا
العمل الى حوالى سنة ٥٠٠ للميلاد . وهناك قبة فضية أخرى تعود الى
أوائل القرن الخامس مقامة فوق المذبح فى كنيسة سانت ديمتريوس
المجاورة وفى أيامنا هذه لم تعد تستخدم مثل هذه الستائر فى الكنيسة
اليونانية كما هو الحال فى الطقس القبطى . أما الغرض الرئيسى منها
فانه بالإضافة الى اصفاء القداسة على منطقة المذبح ، حجب الكاهن أثناء
التقديس . وطبقا لذلك فقد كانت هذه الستائر ثقيل أثناء تلاوة قانون
الايمان ، أما التوقف عن استخدامها فيعود الى حقيقة أن حامل الأيقونات
يمثل حجاباً فى حد ذاته . وإذا لم يكن هناك دليل يؤيد العكس ، فانه
من الطبيعى أن نستنتج أن حامل الأيقونات هو ترتيب يعود الى العصور
الوسطى يتمشى استخدامه مع ضرورة وجود ستائر للمذبح . وعلى ذلك
فان بولس السلنتياري يذكر لنا عن كنيسة أجيا صوفيا أنه كان يوجد
أمام المذبح حاجز ذو ثلاثة أبواب ، وقد حفر فوقه مناظر ملائكة وأنبياء ،
بينما وضع فوق الباب الأوسط رمز جوستينيان Justinian وثيودورا .
والحقيقة أنه حتى خلال هذا العصر القديم ، كان يجرى استخدام الستائر

وحامل الأيقونات معا . ولا تستخدم الكنيسة الأرمنية أو النسطورية أية حواجز أمام المذبح العالي فيما عدا الستارة التي تسحب عبر الهيكل بكامله ويبدو أنها لا تستخدم كحاجز فقط ولكن كحجاب أثناء الصوم الكبير .

أما في الكنيسة الغربية حيث ينتشر الطراز البازيليكي فإن المذبح تغطيه مظلة على شكل قبة ، وتحجبه الستائر كما هو الحال بكنيستي القديس بطرس البازيليكية والقديس بولس غير المحاطة بالحوائط في روما . لقد كانت كنيسة القديس بطرس والمهداة من جريجوري الأكبر ، مصنوعة من الفضة ، وكذلك أيضا المظلة المهداة من هونوريوس الأول لكنيسة سانت بانكراتيوس . ويذكر روك Rock (١) الستائر المعلقة في الجانبين الشمالي والجنوبي من المذبح لابعاد الهواء عن الشموع ولكن ذلك ليس الا بواقى الترتيب القديم الذي صمم أساسا لحجب الكاهن عند القيام بخدمة القداس . حقا ، ان الجزء الضروري من المظلة يتمثل في الستائر كما يدل على ذلك اسمها ، المشتق من كلمة Baldacco الإيطالية التي تقابل كلمة (بغداد) العربية ، كما تقابل damask كلمة دمشق و fustian كلمة (الفسطاط) أي الاسم العربي لمصر القديمة ، وعلى ذلك فان كلمة مظلة Baldacchino تعني النسيج الغالي المصنوع في مصانع بغداد . وهذه الكلمة في شكلها الانجليزي Baldakyn ليست شاذة في السجلات القديمة لكنيستنا الانجليزية ولكن الاسم انتقل بسهولة من الستائر الى المظلة التي فوق المذبح . وقد كانت المظلة أحد المعالم المعروفة في الكنيسة الانجلو ساكسونية القديمة . ويمكن أن نشاهد نموذجا لستارة المذبح في متحف ساوث كنسبنجتون على قرص عاجي من الصناعة الانجلو ساكسونية . أما موضوعه فهو سجود المجوس ، حيث تتجمع الشخصيات تحت عقد رسم فوقه وعلى العارضتين الرأسيتين معالم هيكل اورشليم . ويحيط بهذا العقد قضيب معلق عليه ستائر مقوسة ومسترخية في شكل ثنيات . وهذا القرص يتشابه من بعض الأوجه مع الاطار المنقوش في كنيسة أبو سرجة . وهناك ترتيب مشابه في نقش مرسوم في كتاب روك (٢) منقول عن مخطوط جودمان . وعلاوة على ذلك فان كتاب الترتيب الطقسي لمؤلفه اجبرت يأمر بإسدال الستارة بين الكهنة والشعب عند تكريس المذبح (٣) . ولا ترفع الذبيحة أمام جمهور المصلين في الطقس الساكسوني ، وهي حقيقة يربط مسترج . جيلبرت سكوت

Church of our fathers, vol. i. p. 230.

(١)

Vol. i. p. 194.

(٢)

Ibid. P. 45.

(٣)

بينها وبين استخدام ستائر المذبح . ونستطيع أن ندفع بالحوار خطوة بافتراض أن عدم استخدام ستائر المذبح الشرقية وكذلك الغربية كان قرارا متعجلا مثلما شق تقليد رفع الذبيحة طريقه الى التطبيق . ولم يكن هذا التقليد معروفا في الغرب قبل نهاية القرن الحادى عشر ولم يطبق في إنجلترا قبل القرن الثالث عشر (١) رغم تطبيقه في الشرق قبل ذلك ، الا أنه لم يتوقف استخدام المظلة في هذا البلد حتى نهاية القرن الحادى عشر وبالبضبط في عصر القديس أو سموند الذى كان أسقفا لمدينة ساروم وقاضى قضاة إنجلترا سنة ١٠٧٨ للميلاد . وعلى أية حال فإننا نجد في حالات عديدة أن العمودين اللذين في اتجاه الشرق والقضيب الواصل بينهما ، قد تركت في مكانها . وأقيم فوق هذا القضيب صليب للصلبوت مع وعاء للماء المقدس وصندوق للقربان والخمر وما شابه ذلك . أما الستائر التى كانت معلقة شمال ووسط المذابح التى تنتمى الى العصور الوسطى التى ذكرناها سابقا ، فقد كانت معلقة على قضبان تنفذ في الحائط وأطلق عليها اسم المنخل Riddle وهناك أثر آخر لهذا الاستخدام القديم محفوظ في شكل حجاب الصوم الكبير الذى كان يلف به المذبح منذ عشية الأحد الأول للصوم الكبير حتى يوم خميس العهد أثناء القداس . ولم يكن يستبعد الا أثناء قراءة الانجيل . وفي بعض الكنائس حيث كان قوس القسم الشرقى الخاص بالكهنة ضيقا ، كان حجاب الصوم الكبير يعلق بعرض الكنيسة . أما في الكائدرائيات فقد كان يعلق بين الخوروس وموضع الكهنة . وكان يصنع من الكتان الأبيض وأحيانا من الحرير ويرسم عليه صليب أحمر .

أغطية المذبح

ان الغطاء العادى للمذبح القبطى وهو الستر يتكون من غلاف مشدود من الحرير أو القطن الغامق اللون أو المطرز بنماذج من الزهور المنقذة بأشغال الابر أو الفضة . وهو يصل حتى الأرض ، بحيث يغطي جسم المذبح تماما . وكانت تستخدم أغطية أخرى ثمينة للأعياد الكبرى . وحتى في الاستخدام العادى كان يوضع أحيانا غطاء خارجى فوق الغطاء الأول . أما الشكل الآخر الوحيد الذى شاهده لأكعية المذبح فهو نوع من الستائر الأمامية تبلغ مساحته حوالى ١٨ بوصة مربعة على الجانب الغربى ، وهو مصنوع من مادة غالية الثمن ومطرز بصليب في الوسط

وبين الزخارف في الأركان • ولكن أكثر الأقباط ذكاء ليست لديه أية معلومات بخصوص استخدام هذا الغطاء (*) •

وكان يوجد كنائسنا الانجليزية القديمة أغطية رئيسية الأول يسمى Cerecloth وهو القماش المشمع الذي يلف به الموتى وهو مشدود تماما مثل غطاء المذبح القبطى ولم يكن يرفع سوى مرة واحدة في السنة يوم خميس العهد لغسيل المذبح • ثم غطاء آخر من الكتان الأبيض بحجم اللوح المقدس ولا يتدلى من الجوانب ولكن به اضافة أمامية • أما الغطاء الثالث فهو مصنوع من الكتان النقى ويغطى أعلى المذبح على الجانبين الشمالى والجنوبى وقد طرزت عليه خمسة صليبان •

وكذلك نجد ثلاثة أغطية للمذبح اليونانى يسمى الأول منها بروسساركا Prossarka والثانى ابنديتس Ependytes والثالث ايليتون Eileton وكان يعلق تحت هذه الأغطية الثلاثة عند كل ركن من أركان المذبح شريط ضيق من القماش مرسوم به صورة لأحد الانجيليين الأربعة بأشغال الابرّة ، ولذلك أطلق عليه اسم ايفانجلستيريون Evangeleisterion (١) وكثيرا ما يطلق اصطلاح حامل الانجيل بطريقة خاطئة على الكتاب الذى يتضمن البشائر •

(*) يغطى المذبح القبطى بثلاثة أغطية • الاول يصل الى الأرض من كل الجوانب • والثانى يتدلى حوالى ١٥ سم من كل جانب ، أما الثالث فهو الابروسفارين ويمثل الحجر الذى دحرجه الملاك عن باب قبر السيد المسيح ولذلك فهو عبارة عن لفافة صغيرة المساحة (حوالى ١٨ بوصة مربعة) توضع فوق الغطاءين الآخرين - (المترجم) •

(١) Thiers, Les Principaux Autels de: Eglises, ch. xxi. p. 154.

الفصل الثاني

أواني التناول وأثاث المذبح

- كأس العشاء الرباني - الصينية - القبة - المعلقة - القوس -
- السنتائر - المروحة - الأبريق والحوض - حق الذخيرة - حامل القوارير -
- وعاء الميرون - المذبح - الشمعدانات - علب حفظ الكتاب المقدس -
- حامل الانجيل - المجرمة - اكليل عقد القران *

يستخدم الأقباط في تكريس الافخارستيا خمسة أوان هي :
الكأس ، والصينية ، والقبة ، والمعلقة ، والقوس . ولم أجد بين الكؤوس
الموجودة حاليا كأسا قديمة أو مثيرا للانتباه ، وجميعها مصنوعة من
الفضة ، إلا أن كنيسة الأمير تادرس بها كأس محفوظ في غلاف من الزجاج
البندقي غير المزخرف . وقاعدة عامة نجد أن الجسم المقعر للكأس صغير
ومستقيم الجوانب تقريبا ، أما الساق فهو طويل وينتهي في أسفله
بمقبض مستدير . وتنحدر القاعدة أسفله انحدارا شديدا ، ولكن
القاعدة ذات افريز غير مزخرف وهي مستديرة دائما . وعلى ذلك فإن
شكل الكأس القبطي يختلف عن الكأس الانجليزي في نقطتين : الأولى
أن الجسم المقعر أكثر قربا من المخروط وأقل قربا من نصف الكرة ،
ويشبه تقريبا كأس العشاء الرباني الذي يعود الى عصر الملكة اليزابيث
الأولى . أما المقبض فهو أسفل الساق مباشرة بدلا من أن يقسمه من
المنتصف ، وهو أقل بروزا . وعلاوة على ذلك فإن قاعدة الكأس في انجلترا
قد تغيرت من الشكل الدائري الى الشكل السداسي بعد القرن الرابع
عشر ، طبقا للتعليمات التي نصت على أن يوضع الكأس على جانبه عند
غسله بعد انتهاء القداس ، لأن القاعدة السداسية تحول دون خطر
الدحرجة . ولم تجد في كنائس مصر كأسا له قاعدة ذات أركان بارزة .
ويستخدم النساطرة أحيانا كأسا مقعرا من الفضة .

وقد استخدمت الكؤوس الزجاجية بعدما نهبت أو دمرت الأواني

الشمينة. وعلى ذلك فقد سجلت أحداث سنة ٧٠٠ للميلاد حدوث نهب عظيم للكنائس بحيث استدعى الأمر استخدام الكئوس الزجاجية والصواني الخشبية بدلا من الأواني الفضية والذهبية الضائعة (١) . أما بخصوص الترتيب الغربى فيقول ديوراندوس ان زفرينوس قد تمتنع فى أوائل القرن الثالث باستخدام الكئوس الزجاجية ، ولكن البابا أوربان أوصى باستخدام الكئوس المعدنية ، وحوالى نفس الفترة أى سنة ٢٢٦ للميلاد ، منع مجمع ريمس استخدام الكئوس الزجاجية . وفى انجلترا منع استخدام الكئوس المصنوعة من القرون أو الخشب لأنها مادتان لهما خاصية الامتصاص . وتسمح قوانين ايلفريك باستخدام الكئوس المصنوعة من الذهب والفضة والزجاج والقصدير . وقد استخدمت الكئوس الزجاجية فى الكنيسة الأيرلندية المبكرة وان كان قد منع استخدامها فيما بعد (٢) . وقد منع استخدام القصدير فى القرن الثالث عشر حسب قوانين رئيس الأساقفة ويزرشيد (٣) . ولكن يبدو أن الذهب والفضة كانا يمثلان المعدنين الشائعين لصنع الكأس فى الطقسين الشرقى والغربى كليهما . ويذكر رينودو أنه فى حوالى عام ١٢١٠ للميلاد ، سمع الخليفة الملك العادل عن وجود كنوز عظيمة مدفونة فى بئر بدير القديس مقاريوس فى وادى النطرون ، فأرسل الى هناك من اكتشف وجود كأس وصينية من الفضة حملهما مع أشياء أخرى ، من بينها ستارة حريرية مطرزة كانت على باب الهيكل قدر ثمنها حينذاك بثلاثة آلاف قطعة من الذهب . وتضيف القصة أنه عندما أثبت القبط بالوثائق وسجل التبرعات أن الأواني والستارة كانت عبارة عن هبات مقدمة للكنيسة - تكرم الخليفة بإعادة هذه الأشياء الى الكنيسة . وحملت فى صناديق على ظهور الجمال الى مصر القديمة محاطة بمواكب من الرجال الذين كانوا يرثون ويحملون الشموع المضيئة . وبعد ذلك بأربعين عاما ، عندما خربت الكنيسة المعلقة ، وجد كأس قبطى ، كما كان معتادا بالنسبة لكئوس العصور الوسطى فى الغرب ، فى الضريح . ولم أشاهد أى صليب أو رسما للصليب على قاعدة أى كأس قبطى ، كما كان معتادا بالنسبة لكئوس العصور الوسطى فى الغرب ، رغم أن الكئوس الغربية القديمة لا تحمل شيئا من ذلك . أما النقش الدال على الهبة فهو يحيط بالقاعدة كتقليد عام :

أما الصواني فهي على وجه العموم عبارة عن أطباق مستديرة مسطحة بحافة مرتفعة دائرية وليس بها أى تجويف فى الوسط ولا صور محفورة

Renaudot, Hist. Pat. Alex. p. 193.

(١)

Warren's Lit. & Rit of the Celtic Church. p. 143.

(٢)

Archaeological Journal, vol. iii. p. 193.

(٣)

لأى نوع من أزهار الفيرونيكا مثل الصواني الغربية التى تعود الى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وليس لها سيقان أو قواعد مثل تلك التى تنتمى الى عصر الملكة اليزابيث الأولى وما يليه . والحقيقة أن الكأس والصينية يتشابهان من حيث بساطة التصميم . أما فى الشكل فهما أقرب الى العينات القديمة للأواني المشابهة فى المسيحية الغربية .

أما القبة فإنها تتكون من قوسين من الفضة متعامدين على شكل صليب ويربطهما مسمار برشام . وأثناء الاحتفال بالتناول ، تثبت القبة فوق القربان المقدس فى وسط الصينية . أما اللقافة التى تغطى القبة فإنها تثبت على سطحها الخارجى المقبب . وتستخدم الكنيسة اليونانية أداة مشابهة تسمى النجم أو قيل انها تشبه النجم . ولكنهما عندما توضع فوق القربانة ، يقول الكاهن هذه العبارة :

« فجاء النجم ووقف فوق حيث كان الصبى » (١) .

أما الملعقة (المستير) فهى تستخدم للتناول ، فقد جرت العادة على وضع قلب القربانة فى الخمر ، ثم يقلب الاثنان معا . أما تجويف الملعقة فهو نصف دائرى ، بينما تتكون اليد من شريط معدنى مستقيم من المعدن عليه نقش محفور . ونادرا ما تستخدم الملعقة أيضا فى الطقس الأرمنى (٢) . وتتشابه العادة اليونانية مع القبطية فى ممارسة هذا الترتيب ، حيث تستخدم الملعقة لاختراع القربان أو الجواهر كما يطلق عليها من الخمر وتقديمها الى الشعب المشترك فى التناول . أما رجال الاكليروس والملك عند تنويجه فانهم يتناولون كلا من الجسد والدم منفصلين (*) . ويشيع فى انجلترا ذكر الملائق المقدسة ضمن محتويات الكنائس ، وعلى ذلك فقد ذكر ضمن هدايا كنيسة ريتشارد الثانى فى وندسور سنة ١٣٨٤ ،

(١) يقول رينودو فى كتابه : -

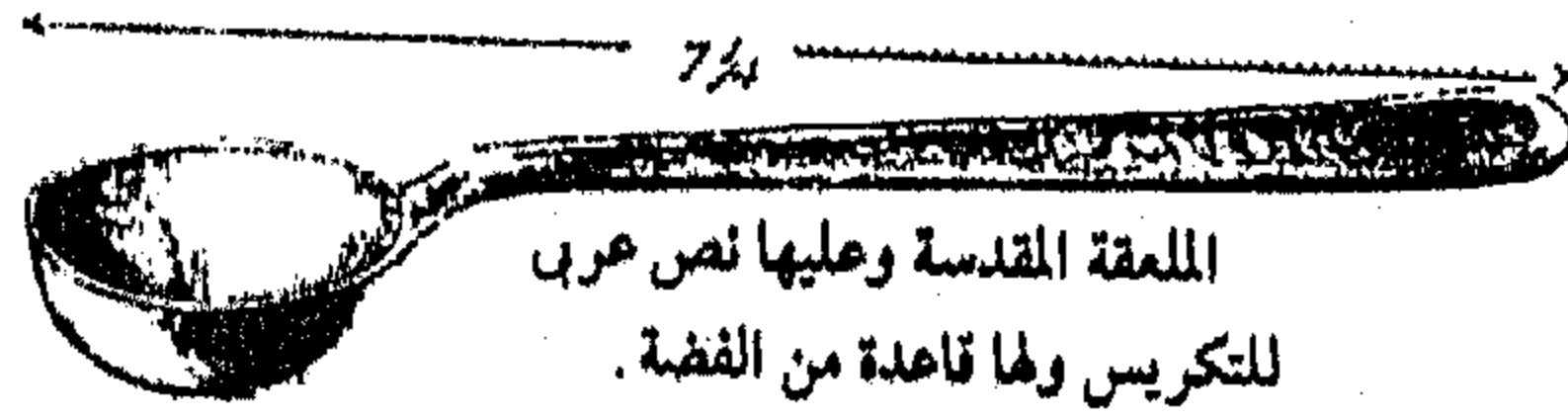
Liturgiarum Orientalium Collectio (Vol. ii. p. 60. 2nd ed. Frankfort, 1847).

ان المسيحيين الشرقيين بما فيهم السريان والمصريين لا يستخدمون النجم ، ولا شك انه مخطئ فيما يتعلق بالمصريين .

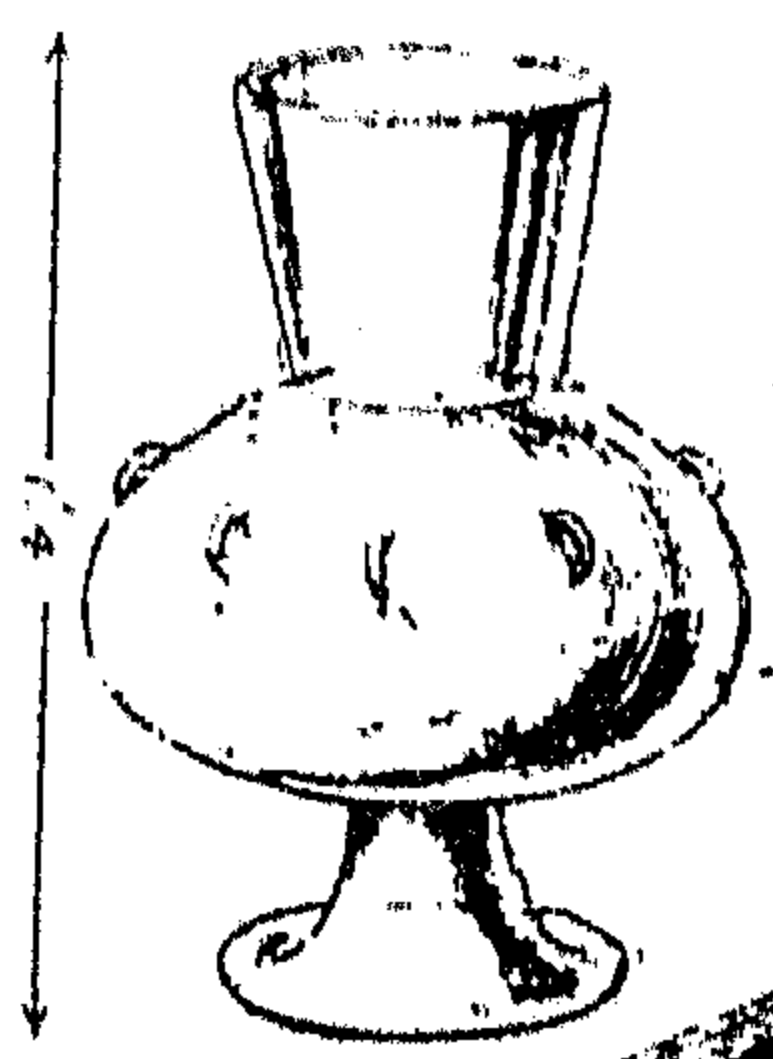
Fortescue's Armenian Church, pp. 177, 18.

(٢)

(*) فى الطقس القبطى ، يأخذ جميع المتقدمين للتناول سواء كانوا من الاكليروس أو الشعب - الجسد والدم منفصلين وذلك حسب الترتيب الذى وضعه السيد المسيح نفسه عند تأسيس السر اذ أخذ الخبز وكسر وأعطى للتلاميذ ، ثم أخذ الكأس وناول منه للتلاميذ - (المترجم) .

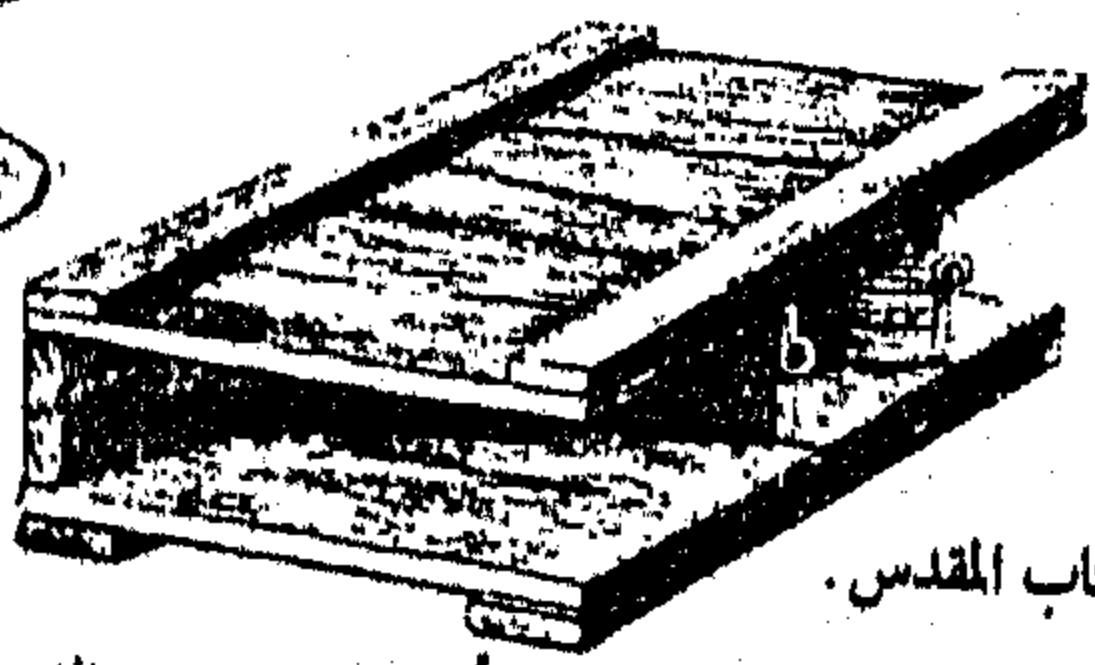
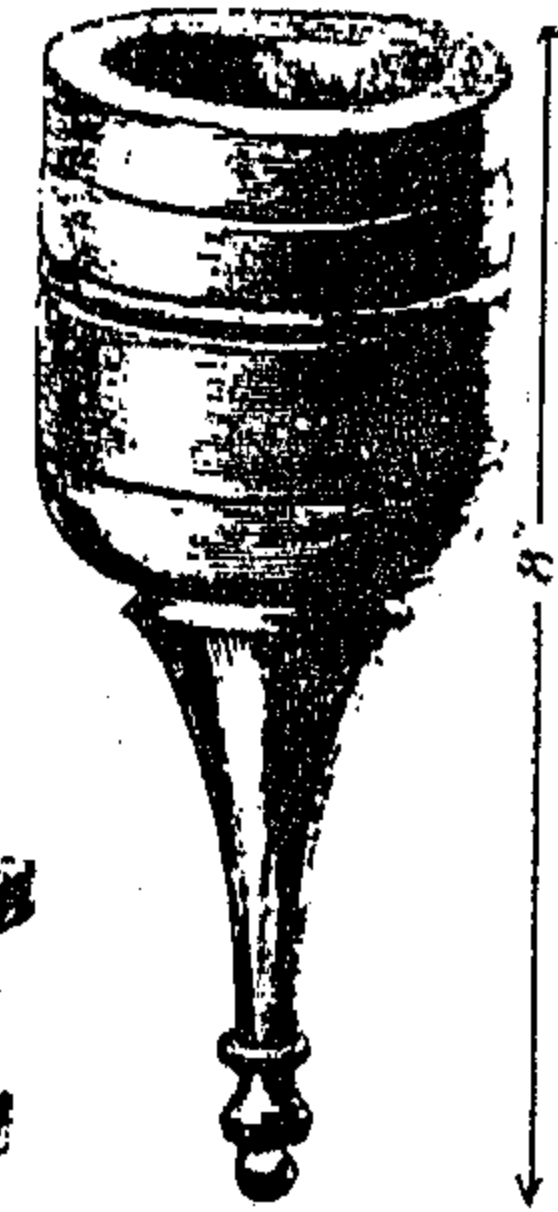


الملعقة المقدسة وعليها نص عربى
للتكريس ولها قاعدة من الفضة.

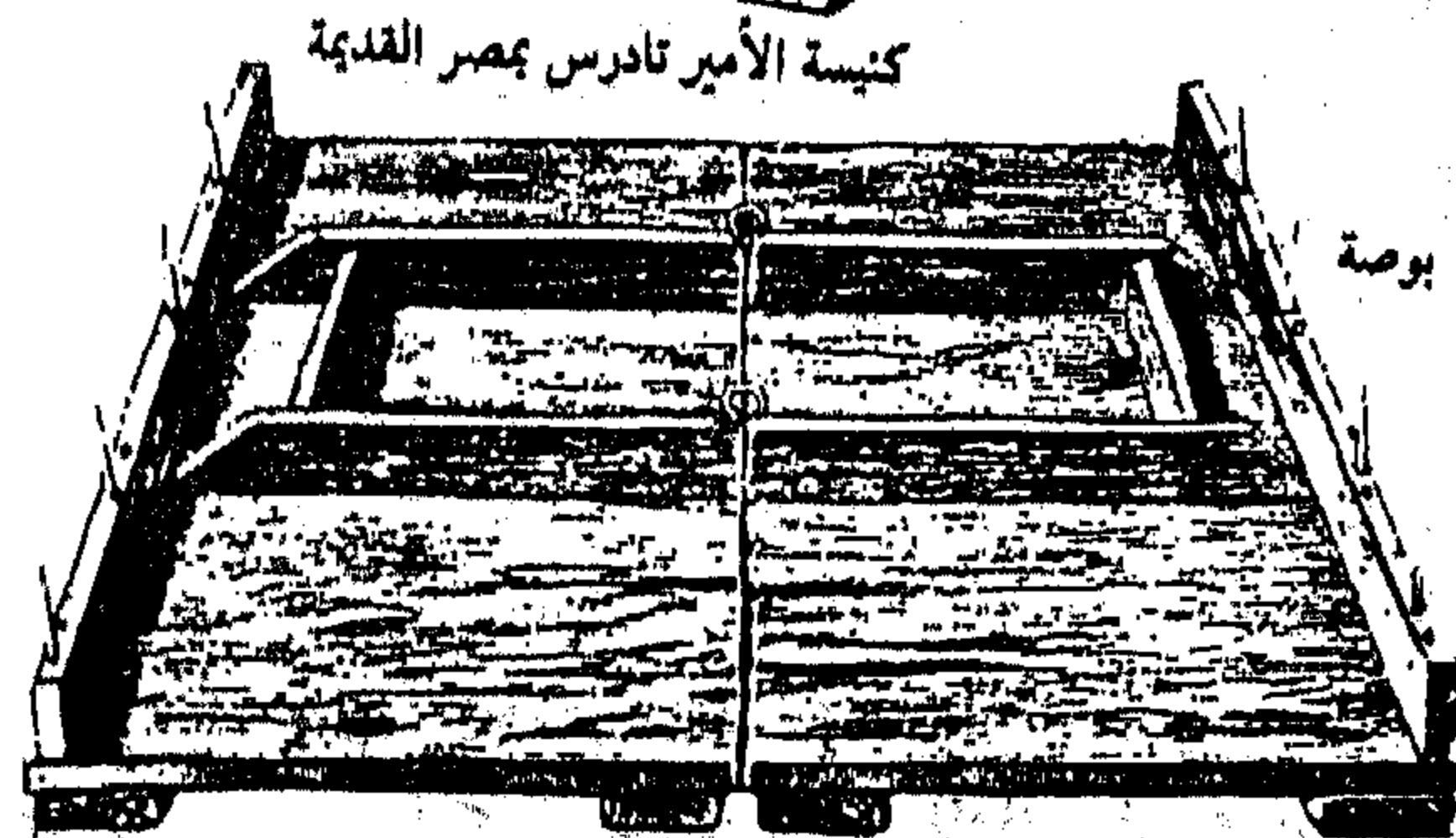


مصباح زجاجى من
الطراز العربى بكنيسة أبى سرجة

كأس خشبى
لحفظ النبيذ.



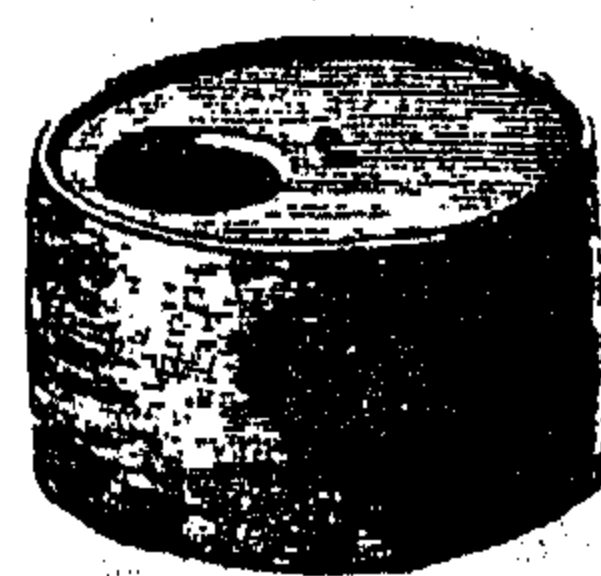
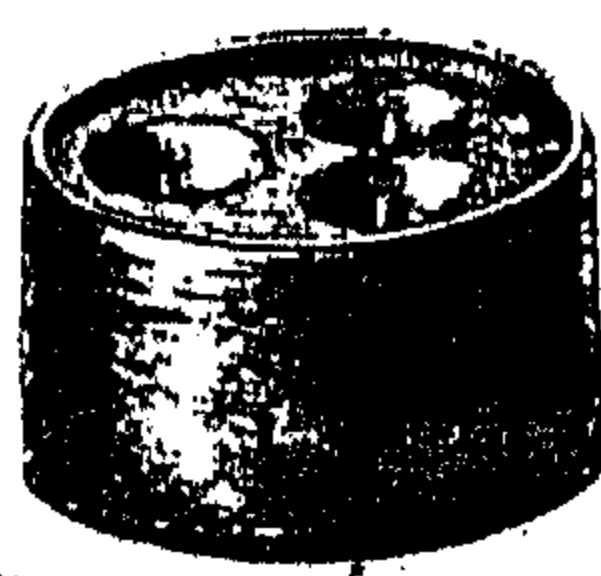
حامل مغلق للكتاب المقدس.



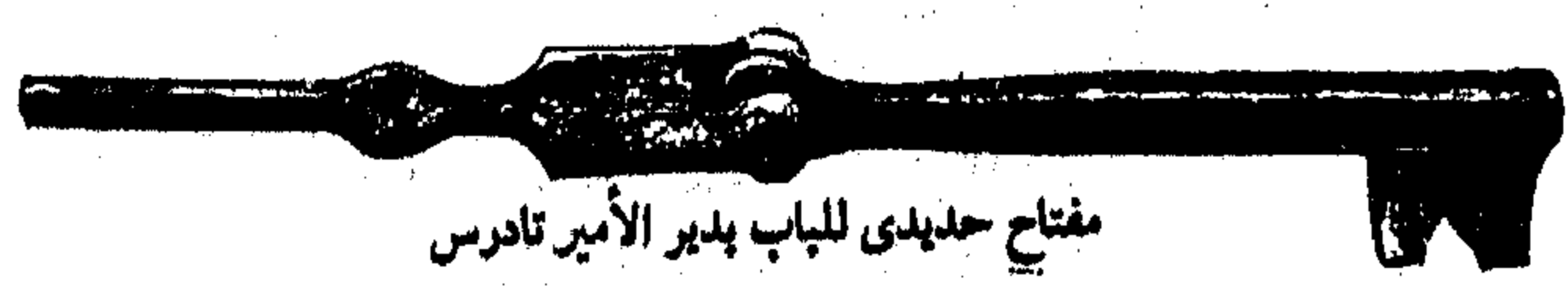
كنيسة الأمير تادرس بمصر القديمة

الحجم حوالى ٢٢×٢٩ بوصة

حامل خشبى للكتاب المقدس وبه فتحات للشموع



وعاء من الخشب لحفظ المبرون له غطاء دوار بكنيسة الأنبا شنودة بمصر القديمة



مفتاح حديدى للباب بدير الأمير تادرس

شكل رقم ٦ - قطع مختلفة من الأثاث الكنسى

كأس ذهبية وصينية وملعقة • ولكن تلك الملاعق كانت تستخدم لمزج الخمر بالماء ، أو كمصفاة لإبعاد الذباب وما شابه ذلك عن الكأس • وقد ورد ضمن الأواني المقدسة الى كنيسة اكسبيتير حوالى سنة ١٠٤٦ للميلاد ما يفيد بأن الكنيسة اللاتينية استخدمت أنبوبة للقيام بدور الملاعقة المستخدمة فى الكنائس الشرقية • أما استخدام الأنبوبة التى بقيت فى كنيسة سانت دنيس فى دير كلونى وغيره من الأديرة فهى موجودة حاليا لدى بابا روما (١) •

وبالإضافة الى الأواني السابقة فإن كل مذبح قبطى مجهز بصندوق خشبى يسمى بالعربية : الكرسي - وهو يختلف عن ذلك المستخدم فى الكنائس اللاتينية من حيث الشكل والغرض • أما عندنا فقد كان الكرسي يستخدم للمحافظة على القبة التى كانت تحتوى على حق القربان المقدس ، وكان يصنع فى الغالب على شكل برج مصنوع من المعادن الثمينة ومزين بالجواهر • أما فى مصر فقد توقفت عادة المحافظة على القبة التى كانت موجودة يوما ما ، ولكنها لم تستمر نظرا للتجمعات القبطية التى تجعل من السهل حضور كاهن لمناولة المريض • وهناك قصة غريبة تقول ان سبب توقف هذه العادة يعود الى أن القبة وجدت فى احدى الليالى وقد شغلتها احدى الحيات • والكرسي القبطى عبارة عن أداة تستخدم دائما فى خدمة القداس • وعند عدم الاستخدام فإنه يترك على المذبح • وهو يتكون من صندوق مكعب الشكل يبلغ ارتفاعه حوالى ثمانى أو تسع بوصات • والجانب العلوى منه ، به فتحة دائرية كبيرة بما يسمح بوضع الكأس • وعند التقديس يوضع الكأس داخل الكرسي ، ويظهر أعلاه عند مستوى السطح العلوى عند اغلاق الصندوق ، وبذلك تستقر الملاعقة فوق سطح الصندوق وحافة الكأس معا • أما الجوانب الأربعة للكرسي فهى مغطاة بصور مقدسة - للسيد المسيح والقديس يوحنا وهما أكثر الصور شيوعا • والآن فإن معظم الكراسى المستخدمة حاليا حديثة وليست لها قيمة فنية ، ولكننى اكتشفت كرسيًا أثريا جميلا فى كنيسة أبى سيفين • وقد أوردنا وصفا شاملا له فى مكان آخر (٢) •

وليس هناك شك فى أن صندوق المذبح القبطى هذا ، هو « المنطقة السرية » التى حيرت كتبة اللاهوت من رينودو الى شيسام (٣) • ويدون لنا رينودو صلاة تسبق القانون الأثيوبى عنوانها : صلاة السر الأعظم

(١) Vide Journa of Archeology, vol. iii. p. 132.

(٢) الجزء الأول من هذا الكتاب - ص ص ١٠٩ - ١١٠ •

(٣) Dict. Christ. Ant. s.v.

«Super arcam sive discum majorem» وهو يظن أن الصندوق نوع من التحف القديمة antimensium . ولكننا سرعان ما نعرف معنى هذا العنوان اذا ما تذكرنا العادة القبطية الخاصة بوضع الكأس والصينية في الصندوق وهو تقليد لا نشك في أن الأحباش قد نقلوه . أما كلمات الصلاة التي تتمشى مع العادة القبطية فانها تعطي الجواب للسؤال الحائر . انهم يدشنون الكأس والصينية والملعة ، كما يقول نيل (١) فكلمات الصلاة هي كما يلي :

« أيها الرب إلهنا الذى أمرت موسى خادماك ونبيك قائلًا : اصنع لى أواني ثمينة وضعها فى الخيمة - على جبل سيناء ، الآن يا الله ضابط الكل مد يدك على هذا الصندوق واملاه بالفضيلة والقوة ونعمة روحك القدوس الذى به يتقدس جسد ودم ابنك الوحيد ربنا » . ويصل نيل نفسه الى استنتاج أن هذا الصندوق يستخدم ببساطة لحفظ السر المقدس . ولكن كلمات الصلاة التي أوردتها - لا تترك شكًا فى أن الصندوق لا يستخدم لحفظ الذبيحة بل لتقديسها ، وحتى اذا كان هذا الاستنتاج مشكوكا فيه فانه يتأيد بالقياس الى الاستخدام القبطى الذى يجهله رينودو ونيل كلاهما . وربما يصدق ما يدعيه نيل من أن الذبيحة فى الكنيسة الأثيوبية تحفظ لفترة ما فى الصندوق ، ولكن ذلك يقع مصادفة ويمسح القصد الأصلي .

ولا يستخدم الأقباط لتقسيم القربانة أداة مثل الرمح المقدس فى البطرس اليونانى .

وهناك قانون خاص فى العبادة القبطية وأعنى به الطبق الصغير أو الحصيرة كما يطلقون عليه ، والذى يستخدم عدد منه فى تناول القربان . وهذا الطبق مستدير الشكل ويبلغ قطره خمس أو ست بوصات ومصنوع من الحرير ومقوى من الجهة الأخرى بمادة سميكة . وقد رسم أو نسج صليب فوق كل طبق ، وأحيانًا ترسم صليبان صغيرة بين فروع الصليب الكبير . والطبق الذى نقدم صورته هنا (شكل رقم ٧) مصنوع من القماش الذهبى اللون وبه تصميمات مطرزة بخيوط الفضة - وهو نموذج قديم من كنيسة القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة (*) . أما الألوان

(١) Eastern Church, Gen. Introd. vol. i. p. 186.

(*) هذا الطبق أو الحصيرة كما وصفه بتر ربا كان مستخدما فى أيامه أما اليوم فتستخدم فوطة صغيرة الحجم من القماش الثمين (قطيفة أو حرير) تسمى (لفافة) ويستخدمها المتقدم الى التناول لكى تحول دون أن يسقط على الأرض أى فتات من القربان المقدس الذى يناوله الكاهن الى فم المتقدم مباشرة لأن هذا القربان قد تحول الى جسد المسيح بطريقة سرية أو غير منظورة أثناء صلوات القداس ولذلك يجب الحرس على ألا يسقط منه أى فتات حتى لا يدوسه الناس - (المترجم) .



شكل رقم ٧ : الحصيرة أو طبق الافغارستيا

المعتادة لهذا القماش فهي الأحمر والبني والأخضر وإن كانت لا توجد قاعدة محددة تحكم اختيار هذه الألوان .

أما الطريقة التي يستخدم بها المتقدمون للتناول هذه الأطباق فائناً سنشرحها في فصل آخر .

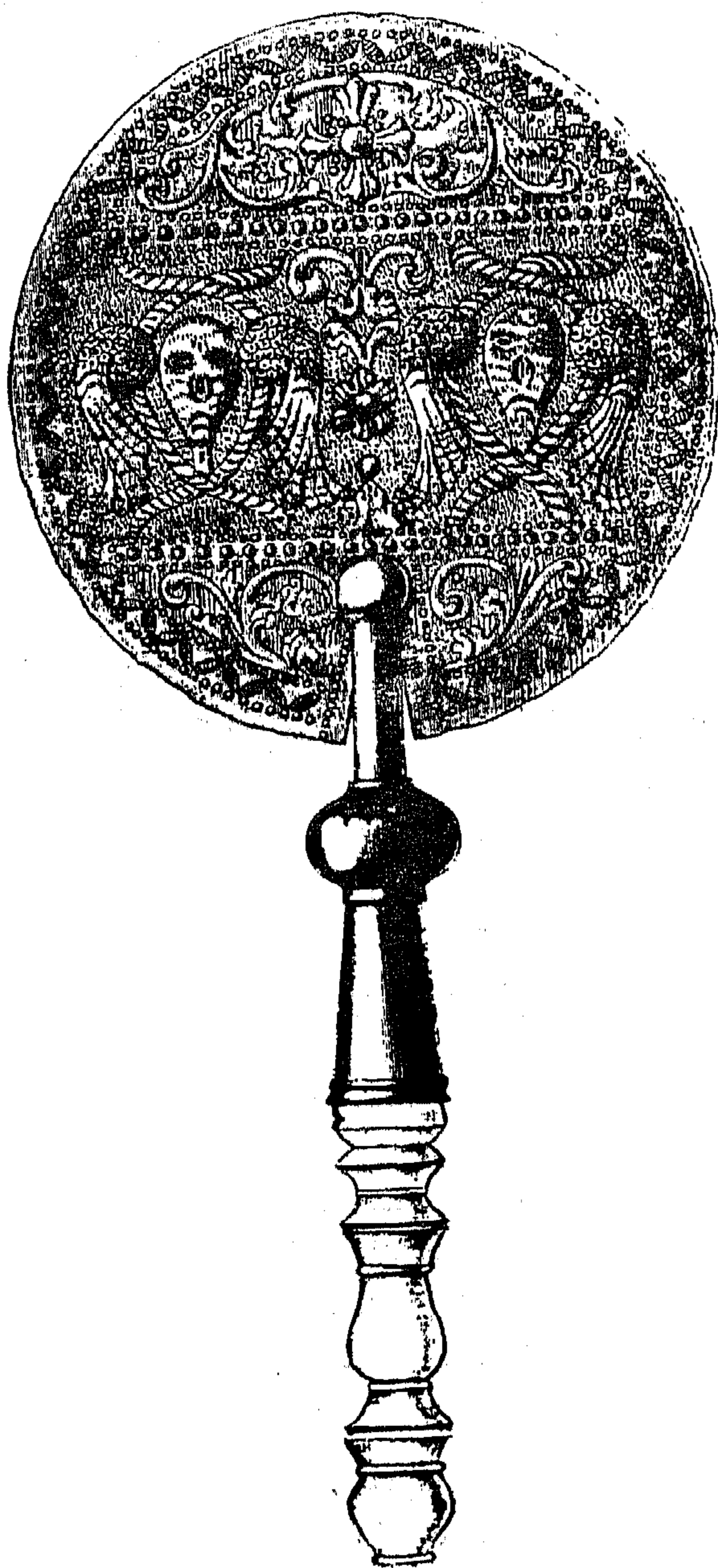
وقبل بدء القداس تغطى العناصر المقدسة بواسطة (ستر) يسمى في اللغة العربية (لفافة) وبالقبطية أبروسفارين .

وهذه اللفافة مصنوعة من الحرير الأبيض أو الملون . وتبلغ مساحتها حوالي ١٨ بوصة مربعة وقد طرز في وسطها صليب وأحياناً توضع أجراس صغيرة في الوسط وفي الأركان ، ويبدو أن هذه اللفافة تشبه ما يطلق عليه في الطقس اليوناني اسم : Diskokalymma (ديسكو كاليما) ، بينما يشبه الطبق أو الحصيرة ستر الكأس لدى اليونانيين . ولكن الأقباط يستخدمون فقط هذين السترين وليس لديهم شيء يشبه آير أو تيفيليه اليوناني .

أما استخدام المروحة فلا شك أنه يرتبط بحرارة الطقس في الشرق، حيث تصبح ضرورية للحياة اليومية، ولذلك فقد أدخلت في خدمة الكنيسة منذ زمن بعيد. ويعود استخدامها لدى الأقباط إلى زمن بعيد جدا. وهناك عبارة في قداس القديس اكليمنض clement - مترجمة من قوانين الرسل - تقول: « يقف اثنان من الشماسية على كل من جانبي المذبح، ويمسك كل منهما بمروحة من الكتان الفاخر أو ريش الطاووس، لطرد الذباب أو الحشرات الطائرة حتى لا تسقط في الكأس. وقد ورد ذكر المراوح الثمينة التي كانت تستخدم خلال عام ٦٢٤ للميلاد (١). وتلك المراوح - كما جرت العادة فيما بعد - كانت مصنوعة من المعدن سواء كان ذهبيا أم فضة. والطرز المعتاد منها هو الذي أوردناه في الرسم (شكل رقم ٨) وهو عبارة عن صفيحة مثبتة داخل إطار من الفضة مركب فيه مقبض خشبي صغير. وهذه الصفيحة محاطة ومقسمة بواسطة خطوط متقطعة وقد رسم فوقها بالحفر البارز وجهان للملائكة السيرافيم. والتصميم كله من الحفر البارز. ويوجد بكنيسة الأمير تادرس أربعة من هذه المراوح ولكن لا أحد يتذكر الغرض منها، ولذلك فهي تستخدم لتزيين الصندوق الفضي الذي يوضع فوقه الكتاب المقدس في الخورس. وعلى ذلك فإن هذا الصندوق موضوع رأسيا فوق حامل على كل ركن من أركانه ثقب لادخال مقبض المروحة.

وتوضع شمعة مضاءة فوق الجزء العلوي وبذلك تبدو المروحة وكأنها تؤدي وظيفة الشمعدان. وربما تكشف هذه الوظيفة عن ادراك الرمزية السرية التي ترتبط بالمروحة في الطقس اليوناني. أما في كنيسة أبو سرجة حيث عانى الطقس أو على الأقل العبادة من بعض الانهيار بالقياس إلى دير الأمير تادرس المهجور، مازالت توجد مراوح مشابهة من الفضة. وهي كما اعتقد، تستخدم في الأعياد الكبرى إذا لم يكن في الاحتفالات العادية باقامة القداس، وقد وجدت على المذبح بكنيسة الأنبا شنودة مروحة على شكل الفأس مصنوعة من الخوص المجدول مثل تلك التي يستخدمها العرب لترطيب وجوههم. أما حقيقة أن تلك المروحة مازالت تستخدم بانتظام أو أثناء فصل القيظ لخدمة المذبح، فإنها تبرهن على أن الاستخدام الصحيح للمروحة لم يذهب طي النسيان تماما.

(١) Gregory the Great's Liber Sacramentarium, ed. H. Menardus, Paris, 1642, p. 319.



شكل رقم ٨ : المروحة والرسوم التي نفدت عليها بالحفر البارز

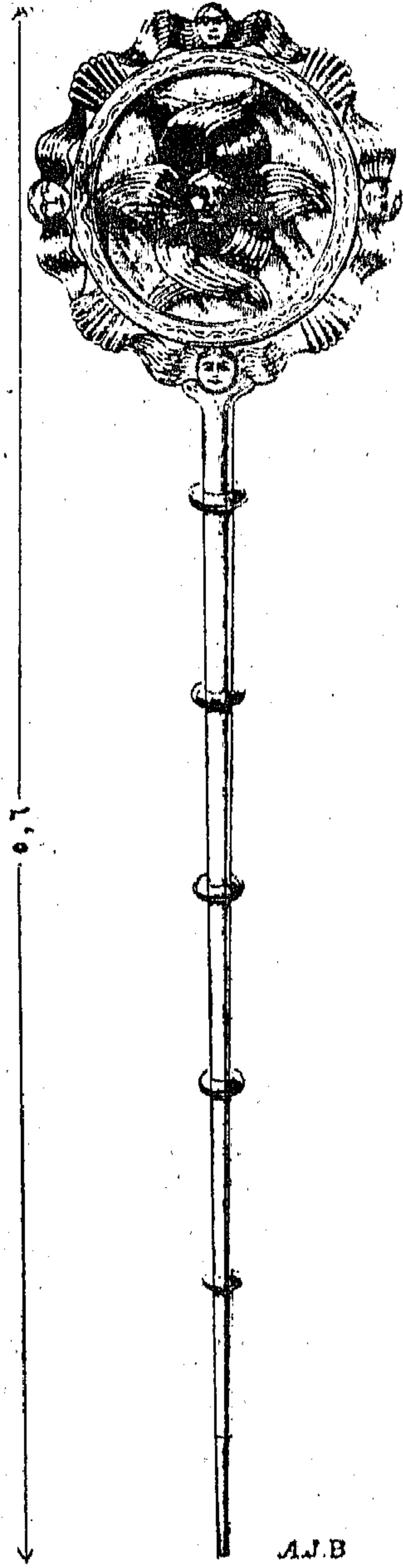
وفى طقس تنصيب بطريرك الاسكندرية ، يتحدث الفصل الخاص بهذا الموضوع عن مرور موكب احتفالى خلال الكنيسة تتقدمه الصليبان والأناجيل والشموع والمراوح أو أشكال الشاروبيم . ويستخدم الشمامسة المراوح عند السريان اليعاقبة ، وربما أيضا فى الطقس القبطى وذلك لتكريس الكاهن عند وضع اليده عليه . ويستخدم الملكانيون المصريون فى هذه الأيام مروحة معدنية ولذلك فأننا نجد فى كنيسة سانت جورج (مارجرجس) المقامة فوق البرج بمصر القديمة - مروحتين قائمتين على المذبح ، وبالإضافة الى ذلك فانهم يستخدمون سترا من الكتان مثل ذلك المستخدم لنفس الغرض لخدمة المذبح بالأديرة القبطية فى الصحراء ويسمى اللفافة . ولكنه حتى مع استخدام الحجاب أو الستر للترويح على العناصر المقدسة ، فانه مازالت المروحة المعدنية الأصلية تستخدم للمواكب الاحتفالية عند الملكانيين كما هو واضح فى الرسم .

ونقرأ باستمرار عن المراوح التى تحمل فى المواكب الاحتفالية حسب الطقس القبطى وأيضا الطقس الأرمنى . وفى كلتا الحالتين لابد أنه كان يوجد نوع خاص من المراوح المخصصة للمواكب الاحتفالية يشبه المروحة الملكانية ، ولكن هذا النوع اختفى عند الأقباط منذ زمن بعيد .

وتبدو المروحة فى الكنيسة اليونانية وقد اهتمت كثيرا عن الغرض الأصيل وأصبحت لها قيمة احتفالية أكثر من قيمتها العملية . والمروحة المبينة فى الرسم الذى قدمه جور Goar - مصنوعة من الخشب ومكونة من صورة صغيرة محفورة للسيرايم ، مركبة على مقبض قصير . وهى أداة يبدو أنها قليلة الاستخدام لمجرد إبعاد الذباب وسائر الحشرات . أما فى الطقس اليونانى فان المروحة تستخدم بعد السلام ولحن الانتصار ، ومرة أخرى قبل الأواشى . وفى كلتا الحالتين يروح الشماس فوق العناصر المقدسة بما يعنى نفحة التأثير المقدس لهذه العناصر . وعلاوة على ذلك فانه فى يوم الجمعة العظيمة وأثناء تقديس الميرون عند حمل صندوق الزيت المقدس فى الموكب الاحتفالى فان هناك سبعة شمامسة يتحركون حوله من كل جانب من جانبيه ويحمل كل منهم مروحة . وعند غياب المراوح الصحيحة فان الطقس اليونانى يسمح باستخدام فوطة أو لفافة للترويح على الصندوق .

ويتضح لنا استمرار نفس هذا الاستخدام بين الأقباط - من مخطوط محفوظ بالفاتيكان (١) يصنف موكب تكريس الميرون ، بأنه

(١) Ordo Consecrationis Chrismatis et olei Catechumenorum,
ex cod. Vat. 44, ed. Tukio, quoted by : Denzinger, Ritus Orientalium,
tom. I, p. 251.



شكل رقم ٩ : مروحة مكفلة بالفضة تستخدم في المواكب الاحتفالية لدى كنيسة الاسكندرية
الملكانية

يتكون من اثني عشر شماسا حاملين المصابيح واثني عشر شماسا حاملين المراوح واثني عشر كاهنا حاملين المجامر ، والأسقف حاملا وعاء الزيت المغطى ببساط الرحمة الأبيض الذي يحملة الشماسية ، ويحيط بالأسقف حشد من رجال الاكليروس يحملون بأيديهم المراوح والصلبان . ويبدو أن الكلمة المستخدمة في هذا النص القبطي وهي المستير ليست الا ترجمة لكلمة مازالت موجودة باللغة اليونانية .

أما الكنيستان المارونية والأرمينية فانهما تستخدمان كلاهما مروحة معدنية مصنوعة من الفضة أو النحاس - لها جسم دائري محاط بعدد من الأجراس الصغيرة . ولا شك أن هذه الأجراس تعنى اثاره الانتباه الى الجزء الخاص من الخدمة والذي يتطلب هذا الاستخدام . وأكرر أن هذه الأجراس تعلق أحيانا بغطاء المذبح القبطي أو البطرشيل أو التونية . وقد أورد مالان في مقدمته للترجمة التي قام بها لقداس القديس غريغوريوس الناطق بالالهيات ، وصفا مسهبا لكيفية استخدام الأرمن للمروحة - نقرأ فيه أن الأسقف يقوم قبل بدء الاحتفال بالدوران حول الكنيسة يتقدمه رجال الاكليروس الذين يحملون المراوح والرايات ، بينما يحمل هو في يده الصليب الذي يبارك به عند نهاية كل صلاة تتلى بصوت مرتفع حتى الوصول الى تسبحة الشاروبيم . وتحدث قطعة أخرى عن الترويح بالمازح على مثال أجنحة ملائكة السيرافيم . ويذكر شاهد عيان روسي رأى هذا الاحتفال أن ضجة أصوات المراوح الفضية كانت بالنسبة له غريبة ولكنها مقبولة . ولاشك أن هذه الضجة كانت تنبعث من الأجراس لأن المروحة التي بدون الأجراس كانت شائعة الاستخدام في العبادة اليونانية .

أما في جورجيا فقد استخدمت المروحة منذ العصور القديمة ، ويبرهن على ذلك رسم قديم بالفريسكو موجود في نكريزي يظهر فيه ملائكة بجوار المذبح وقد أمسك كل منهما بمروحة ذات مقبض طويل ، وقد زين القرص بصورة لملاك السيرافيم ولكن بدون أجراس . وقد وجدت المروحة طريقها الى الكنائس الغربية منذ العصور الأولى (١) ويقدم الكاردينال بونا وصفا لاستخدامها في القرن السادس . وقد وجد رسمان يبدو أنهما لمروحتين وذلك على مذبح يعود الى القرن الثامن موجود بكنيسة القديس بطرس في فرينتللو (٢) . وقد ورد في قائمة محتويات كنيسة سانت ركوير بالقرب من أبيفيل في سنة ٨٣١ للميلاد ذكر « مروحة

(١) See Paper in Archaeological Journal by the late Albert Way. Vol. v.

(٢) La Messe, vol. i, Pl lviii, and p. 171.

فضية لابعاد الذهب عن الذبيحة . وقد ورد فى أمينز سنة ١٢٥٠ للميلاد ذكر « مروحة مصنوعة من الحرير والذهب » . وفى سنة ١٢٥٣ للميلاد كانت كنيسة شايبلا فى باريس تحوز « مروحتين من الحرير الذى يسمى فى هذه الأيام بالموسلين » .

وقد ورد ذكر كلمة ايسموشوار esmuchoires فى قائمة محتويات عن سنة ١٣٧٦ للميلاد . ويوجد فى مكتبة روان كتاب خولاجى يعود الى القرن الثالث عشر به صورتان لأحد الشمامسة وهو يروح بمروحة بجوار المذبح ، أما فى هذا القرن الحالى فان قائمة محتويات كنيسة سالزبورى عن سنة ١٢١٤ للميلاد تذكر مروحتين من الرق ، ومادة أخرى ، ربما كانت الحرير . وفى سنة ١٢٩٨ للميلاد كان بهيكل القديس فيث فى سرداب كنيسة سانت بول مرحلة لطرد الذهب مصنوعة من ريش الطاووس . وحوالى سنة ١٤٠٠ للميلاد أهلى شخص يدعى جون نيوتون مقبض مروحة مصنوعة من الفضة الى كاهن كنيسة يورك . وحتى فى الايبارشيات البعيدة ، كان استخدام ريش الطاووس شائعا وعلى ذلك فقد ورد فى حكايات وكلاء الكنائس فى والكرويك وفى سافولك ، ذكر مراوح من ريش الطاووس .

ونظرا للارتباط بين الكنيسة الأيرلندية والشرق ، فاننا لا نستغرب أن نجد دليلا على استخدام المروحة منذ وقت مبكر يعود الى القرن السادس فى هذه الجزيرة . ويحتوى كتاب كيل على صورة تبين ملائكة تمسك بالمراوح ، وهى تشبه تقريبا المراوح المارونية . ونرى فى نسخة الأناجيل التى تنسب الى تريف (١) . أن الشكل الغريب للرموز الانجيلية المرفقة بها يمسك بمروحة فى احدى اليدين وسكين لتقطيع قربانة العشاء الربانى باليد الأخرى . وينتمى هذا الشكل الى القرن الثامن . وفى مخطوط ايرلندى يعود الى القرن الثامن ترى القديس متى مرسوما وفى يده مروحة (٢) .

وحسب ما أورده روك (٣) نجد أن المروحة كانت تستخدم فى الكنيسة الغربية بعد التقديس وقبل أوشية السلام . أما استيعاب قيمتها الرمزية فقد كان نادرا ولم يحدث الا متأخرا . وتختلف فكرتها هنا عن الفكرة اليونانية المتعلقة بنشر أريج التأثير المقدس - لأنها تعنى نشر النور وشحن

(١) westWood, Miniatures and Ornaments of Anglo Saxon and Irish Mss., pl. xx.

(٢) Warren's Lit. & Rit. of the Celtic Church, p. 144.

(٣) Vol. iii. 8. p. 194.

الخيال . ويبدو أن استعمال المروحة قد زال كلية مع حلول القرن السادس عشر ، لأنه لم يرد لها ذكر في كتاب « الصلوات الأسقفية (ميسى ابيسكوبال) ” Missae Episcopales ” الذى وضع لارشاد العامة حسب أمر مجمع ترنت ، وطبع فى البندقية سنة ١٥٦٧ . واليوم فإن التذكار الوحيد للمروحة المستخدمة فى القداس يتمثل فى ريش الطاووس الذى يحمل أمام بابا روما فى البورات الاجتفالية (١) . ولكن المروحة فى الكنيسة اليونانية ما زالت تحمل بواسطة الشماس عند التكريس رمزا لدوره الطقسى .

أما الابريق والحوض المستخدمان لغسيل الأيدي قبل القداس فهما جزء من أدوات المذبح القبطى ، ولاشك أنهما كانا يصنعان قديما من المعادن الثمينة . أما اليوم فإن الابريق المصنوع من الفخار والصينية التى من القصدير ، يؤدى الغرض فى معظم الأحوال . ويوجد بكنيسة أبى سيفين حوض من البرونز المشغول حسب الصناعة العربية . وبه بعض النتوءات المطلية بالمينا . أما الابريق الذى من نفس الصنعة فيبدو أنه اختفى خلال السنوات الخمس أو الست الأخيرة . ويرتكز الحوض عامة فوق حامل خشبى منخفض فى الجانب الشمالى للمذبح . أما فى الكائدرائية الموجودة بالقاهرة فقد رأيت ابريقا من الفضة يستخدم بطريقة غريبة . ذلك أنه بعد انتهاء القداس يقوم الشماس بصب الماء من الابريق على يدي الكاهن الذى يرش الهيكل أولا ، ثم بقية الكهنة الموجودين ، ثم يصعد فوق دكة فى الخارج وينثر قطرات من الماء على المصلين الذين يتزاحمون وعيونهم تنظر فى شوق لتلقى قطرات الماء . ويمثل ذلك استخدام الماء المقدس . أما فى الكنيسة اللاتينية فقد كان الحوض يسمى اكوامانيل aquamanile وكان يسلم الى الشماس أثناء التقديس كشعار للخدمة مثلما كان يسلم الابريق أو الجرة (أورسيلوس) urceolus الى الشماس . وعلى ذلك فإننا نجد فى كتاب القديس أوسموند (٢) أنه كان يطلب الى الشماس بعد دخول الشعب أن يحضر الحوض ” Pevles cum manutergio ” (بفليس كوم مانيوترجيو) ويقول روك أن الشماس يتسلم ابريقا وحوضا ومنشفة عند التقديس (٣) مع ملاحظة أن الابريق والحوض كانا مصنوعين من المعادن الثمينة . وكان من الممكن أن تشيع أوانى حفظ الذخيرة المقدسة بالكنيسة القبطية لو كان مبدأ الحفظ موجودا بالكنيسة القبطية ولكن نظرا لأن كافة القوانين الكنيسة تستهجن مبدأ الحفظ ، لذلك كان من

Dict. Christ. Antiq. s. v Flabellum.

(١)

C. 93.

(٢)

Vol. ii. Pl. 2. p 34 n.

(٣)

الطبيعى ندرة الأدلة الدالة على استخدام هذه الأوعية (*) وعندهما أورد رينودو قصة قديمة عن القديس فيلوثاؤس بطريرك الاسكندرية الثالث والسنتين بدون قصد العبارة التالية :

(اركوس سيو سيبوريوم كود التارى ايمينيبات)

« arcus seu ciborium quod altari imminebat »

(اركوس سيو سيبورريوم كود التارى ايمينيبات)

وعلى كل حال فان نفس الكاتب يزعم أنه بالرغم من أن الحفظ مباح فى حالات الضرورة القصوى الا أن الذخيرة المقدسة كانت تبقى على المذبح مع وجود الشموع التى تضىء حولها ووقوف أحد الكهنة أمام المذبح لحراستها (١) . وبالرغم من وجود هذا الترتيب الا أنه لم يستدع أبدا استخدام اناء مستقل للحفظ . وفيما بعد وحوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد قدمت شكوى ضد بعض الكهنة مؤداها أنهم كانوا يكسرون القانون بحفظ الذخيرة المقدسة لمدة أسبوع كامل ، حتى يوفروا على أنفسهم إقامة القداسات اليومية المرهقة . والآن فان الذخيرة المقدسة لا تحفظ ، ولا أظن أنه توجد كنيسة قبطية واحدة بها أى نوع من أنواع الأواني المخصصة لحفظ الذخيرة المقدسة الا اذا كان صندوق المذبح الذى سبق أن تحدثت عنه قد استخدم فى العصور القديمة لحفظ الذخيرة المقدسة مثلما هو شائع لدى الاثيوبيين . وعلى كل حال ففي كنيسة أبو سرجة يوجد رسم مثير للاهتمام يمثل القديس اسطفانوس وهو يمسك فوق لفافة بيده اليسرى - آنية مطعمة بالجواهر على شكل صندوق مستدير يشبه التاج ويعلموه صليب . وربما كان هذا الصندوق آنية لحفظ الذخيرة المقدسة وان كان الاحتمال الأكبر أنه علبه للبخور . وهذه الصورة حديثة جدا ، ولم أر شبيها لها بالرغم من احتمال أن تكون نسخة من تصميم تقليدى ، ولم يكن من المعتاد ابقاء الذخيرة المقدسة فوق المذبح فى أى وقت الا اذا نظرنا الى ملحوظة رينودو على أنها تعنى هذه العادة ضمينا . كذلك لانجد عند الأقباط شيئا يشبه حمامة الافخارستيا التى تعلق فوق مذابح الغرب المسيحي .

ولابد أنه كانت توجد بين أثاثات المذبح قديما حوامل للقوارير مصنوعة من الذهب أو الفضة ، أما الآن فلا يوجد سوى الآنية الزجاجية

(*) ينطلق هذا المبدأ من حقيقة الايمان بأن الذخيرة المقدسة التى تحولت اثناء القداس الى جسد ودم حقيقيين للسيد المسيح ، لا يجوز ابقاؤها الى الليل وانما يجب تناولها قبل الغروب لأن السيد المسيح قد أسلم الروح على الصليب قبل غروب الشمس وانزل جسده عن الصليب قبل الغروب اشارة الى اتمام الخلاص . (المترجم)

Lit. or. vol. i, p. 116.

(١)

المعتادة • ولكن مازال هناك استخدام وحيد لدى القبط قد لاحظته مؤخرا
فى العديد من الكنائس - ومن بينها كنيسة مارمينا على سبيل المثال - وان
كان غير شائع ، وهو عبارة عن قارورة من الزجاج مملوءة بالخمر الذى
لم يتقدس بعد ، وقد وضعت فى حامل قوارير خشبى يشبه الدولاب ،
وقد سمر بالمسامير فوق حاجز الهيكل من الجهة الخارجية فى اتجاه
الشمال • ولا يوجد مثل هذا الترتيب فى الكاتدرائية بالقاهرة • كما أن
موضع الحامل لا يرتبط بأى طقس معتاد حاليا • ولانستطيع التخمين بأنه
ليس الا بقايا بعض الممارسات الطقسية المنسية •

ويوجد فوق حجاب الهيكل بكنيسة ست مريم فى دير أبى سيفين
اثنان من هذه الحوامل •

أما استخدام هذه الحوامل فى الغرب والتى يطلق عليها أسماء مثل
amae-amulae-ampulla (= قارورة)
فانه يعود الى زمن قديم جدا • ويوجد حاملان من الفضة يبلغ ارتفاع كل
منهما ٧ بوصات ، يعود تاريخهما الى القرن الخامس أو السادس ، محفوظين
بمتحف Museo Cristiano (= المتحف المسيحى) بالفاتيكان •
ويقال ان البابا جون الثالث قد أمر حوالى سنة ٥٦٠ للميلاد باستخدام
هذا الحوامل ضمن بقية أواني مزارات الشهداء فى روما • وقد ورد ذكرها
فى أوردو رومانوس (الطقس الرومانى) Ordo Romanus • ويتحدث
غريغوريوس الكبير عن حوامل مصنوعة من حجر الجزع (العقيق اليمانى)
أو ربما من الزجاج الذى يشبه حجر الجزع •

وقد استخدمت كلمة امبولا (= قارورة) ampulla أيضا للدلالة
على الاناء الذى استخدمه اللاتين لحفظ الميرون المقدس • ولا يوجد لدى
الأقباط اليوم مثل هذا الاناء ، فهم رغم أنهم يستخدمون الميرون الا أنهم
نسوا قدسيته السابقة وتميزه عن بقية الزيوت المقدسة ، الا أن الميرون
مازال مستخدما هنا وهناك محفوظا فى آنية زجاجية مسدودة بقطعة من
القماش ومتروكة فى ركن مغطى بالتراب • وعلاوة على ذلك فان كنيسة
الأنبا شنودة بها وعاء قديم لحفظ الميرون عبارة عن صندوق خشبى
مستدير به غطاء مستدير • والصندوق صلب ولكن به ثلاثة ثقوب بارزة
الى الخارج يوضع فى كل منها زجاجة للزيت • ولكننى لاحظت أنه حتى
الكاهن نفسه لايعرف أن الغرض الأصلى من الصندوق هو أن يحمل ثلاثة
أنواع الزيت المقدس المستخدم فى عبادات الكنيسة (١) •

(١) انظر الرسم الموجود على ص ٤١ من هذا الجزء من الكتاب (شكل رقم ٦) •

سج أما بخصوص انارة المذبح فيبدو أن أقدم العادات جرت على وضع شمعتين قريبتين من المذبح وليس فوقه . ولا يزال الدليل على ذلك موجودا بكنائس أديرة الصحراء حيث نجد زوجا من الشمعدانات الحجرية التي تحمل الشموع ، قائمين ملامسين للمذبح فى الجانبين الشمالى والجنوبى ، ولكن العادة التي يطبقها الأقباط حاليا تماثل تلك التي تطبقها الكنائس الغربية ، حيث يسمح بوضع شمعتين فقط على المذبح ، بصرف النظر عن تعدد المصابيح والشموع التي تضاء حوله من الخارج . وغالبا ما تصنع الشمعدانات - خاصة تلك الموجودة بالهيكل الجانبية - من الخشب وبها مزاج من الحديد لتركيب الشموع مثل تلك الشمعدانات القديمة الموجودة بقاعة سانت كروس بالقرب من ونشستر ، وبها تصميمات مختلفة من البرونز . وقد كانت الفضة يوما هى المعدن المعتاد استخدامه فى صناعة الشمعدانات . وحتى الآن فما زالت الشمعدانات الفضية مستخدمة فى الكائدرائية ، ومن الغرابة أن نذكر أنه بينما توجد شمعتان فقط فوق المذبح فإن الشمامسة يتحركون حوله أثناء القداس وفى أيديهم الشموع ، بل انهم أيضا يسندون الشموع على المذبح فى بعض الأحيان . وهناك ما يشبه تلك العادة فى الكنائس اللاتينية حسب ما كتبه ايديور السفيلي (١) فى القرن السابع الميلادى . وسنقدم فى موضع آخر قصة المصابيح المختلفة التي وجدت بالكنائس المصرية .

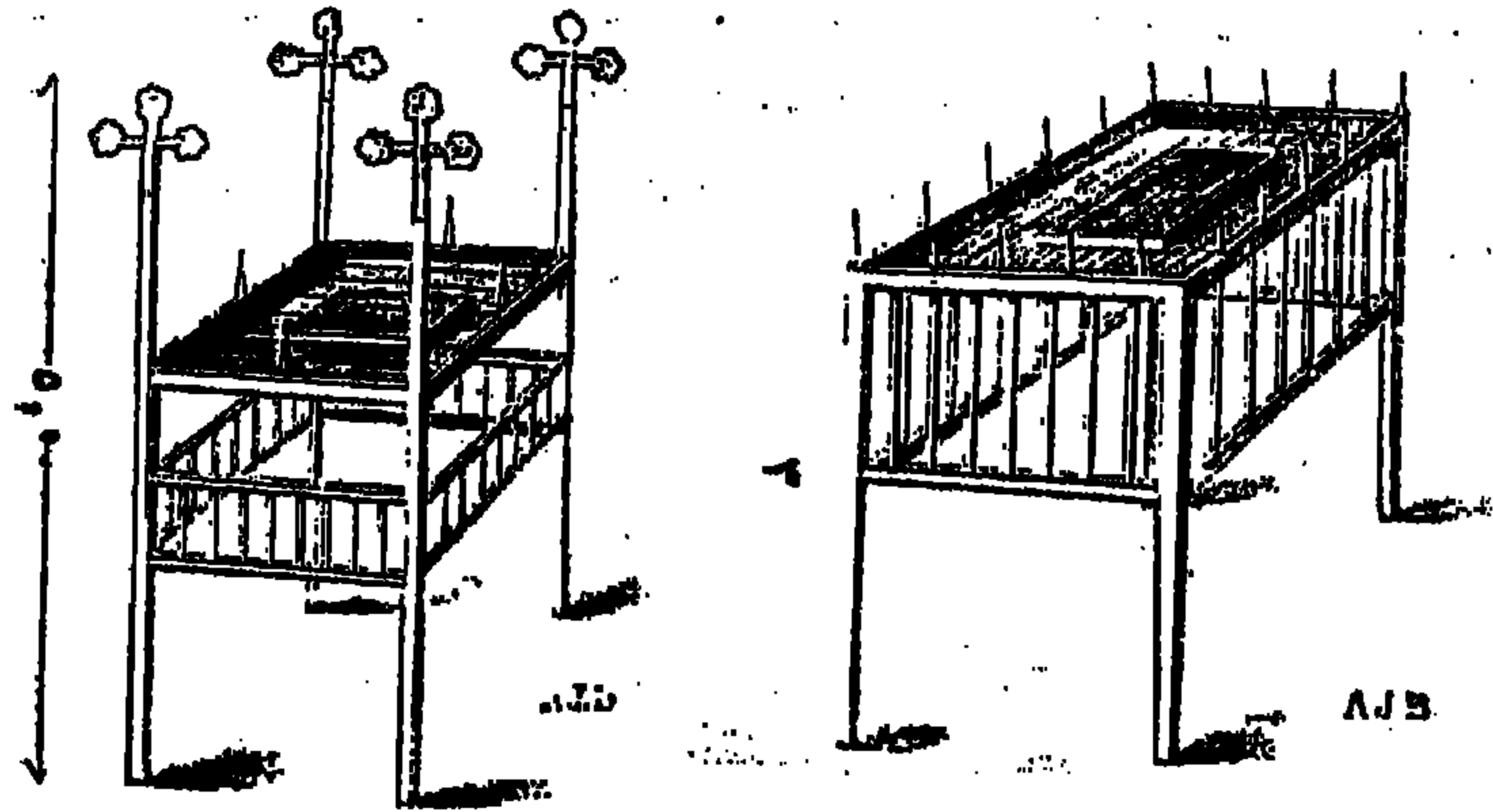
أما صليب الصليبوت فهو غير معروف فى مذابح أو كنائس القبط ، وإن كان يوضع صليب لليد صغير الحجم على جانبه (وليس مرفوعا) للاستخدام أثناء الصلاة . وكان هذا الصليب يصنع قديما من معدن ثمين ويرصع بالجواهر ، إلا أنه يصنع اليوم من قاعدة فضية . أما تصميم هذا الصليب الغريب فنذكره فيما بعد . أما الاستثناء الوحيد لهذا الصليب المستخدم للمذبح فنجده فى الهيكل الجانبى بكنيسة الأنبا شنودة حيث يوجد بها صليب صغير من الخشب مطعم بحشوات من عرق اللؤلؤ .

سج ومن بين أدوات المذبح فى الكنائس القبطية كتاب البشارة الذى يوضع فوق المذبح دائما فى كل الأوقات ، فيما عدا وقت الانجيل . وهذا الكتاب يتكون من مخطوط موضوع فى علبة من الخشب ومغطى من جميع الجهات بغلاف معدنى مغلق تماما ، وبذلك فإن الكتابة الموجودة بداخله مختومة دون أن ينفتح عنها هذا الغلاف . أما هذا الغلاف الخارجى فهو مصنوع من الفضة ، وأحيانا من النحاس ومزين بحروف قبطية بارزة ورسوم لملائكة الشاروبيم وأزهار وصلبان ، وبعضها فائق الجمال ،

مثل تلك البشارة الكبيرة الحجم الموجودة بكنيسة القديسين أباكير ويوحنا وهي التي ترى صورتها في شكل رقم ١٠ . ولكن الحجم العادى أصغر من ذلك بكثير حيث تبلغ مساحتها في العادة ٤ x ٧ بوصات . والمقصود بالغلاف المعدنى هو حفظ النص المقدس فى وقت كانت فيه نسخ الأناجيل نادرة وحتى لا ينفتح هذا الغلاف ، وحيث ان النسخ القديمة تستخدم مع النسخ الجديدة فان النسخ الأكثر قلنا والأرفع قيمة ، هي تلك الموضوعة داخل الغلاف المختوم والمحفوظة كمخلفات مقدسة . ولكن نظرا لأن العلب الموجودة لا تعود الى ما قبل القرن الخامس عشر ، فإنا نشك فيما اذا كانت مازالت تحوى مخطوطات قديمة أو ذات قيمة .



شكل رقم ١٠ : علبه حفظ البشارة



شكل رقم ١١ : اثنان من حوامل الانجيل بهما ثقب استوانية لتركيب الشموع

وقد فتحت علبة أو اثنان فلم تكشفها الا عن ورقة أو رقتين من الانجيل ، وبعض قطع من نسيج الحرير . ولا يفوتنا المعنى المقصود من حفظ الانجيل داخل الغلاف المختوم ، لأنه حتى اليوم وقبل قراءة الانجيل أثناء خدمة القداس يأتى الشماس بالبشارة الفضية من فوق المذبح ويسلمها الى الشماس الذى سيقرا الانجيل لكى يضعها امامه فوق المنجلى وبعد الانتهاء من قراءة الانجيل تعود البشارة الفضية الى مكانها فوق المذبح . ونفس هذا الاستخدام الرمزى للبشارة المختومة يتم فى المعمودية ، وغير ذلك من الاحتفالات التى يستخدم فيها حامل الانجيل . أما الحامل نفسه فهو مجرد لوح مربع أو ثمانى الشكل ، وهو فى بعض الأحيان عبارة عن منضدة لها أربع أرجل ولكن يثبت به فى جميع الأحوال مجرى يسمح بوضع البشارة الفضية التى تقف على طرفها السفلى فى وسط اللوح . وقد ركبت مزالج حديدية حول حامل الانجيل بها شموع مضيئة . وفى بعض الأحيان توضع فى أركان الحامل صلبان معدنية وأحيانا مراوح فضية كما هو الحال بكنيسة الأمير تادرس . وكثيرا ما تستخدم علبة البشارة الفضية من أجل قبلة السلام كما هو الحال فى السلام اللاتينى . وهى أيضا تحمل فى الدورات الاحتفالية مع المجامر والشموع والصلبان - وهى عادة تم التنويه عنها فى عصر افرايم حوالى سنة ٩٨٠ للميلاد ، وأيضا فى نظام القديس مقاريوس حوالى سنة ١١٠٠ للميلاد .

أما التقليد الأرمنى فى هذا الخصوص فربما كان من الضرورى ذكره بوصفه أحد أوجه الشبه بين الممارسات الأرمنية والقبطية . وفى الكنائس الأرمنية يحفظ الانجيل داخل حاز من الفضة مزين بالجواهر أحيانا .

كما يحفظ أحيانا أخرى داخل علبة من الفضة ويوضع على المذبح .
ويستخدم النساطرة أيضا غلافا للإنجيل ، وإن كنت غير متأكد من مادة
هذا الغلاف . وإن كان يبدو أقرب إلى العلبة التي يستخدمها الأيرلنديون
وتسمى *cumhdach* ، أكثر منه إلى العلبة المختومة التي يستخدمها
الأقباط . ويوجد تنويه عنها في صلاة رسامة الأسقف ، حيث يقوم رئيس
الشمامسة بفتح غلاف الإنجيل فوق ظهر ورأس الأسقف ثم يضع الإنجيل
فوق الغلاف بطريقة تجعل الإنجيل في مواجهة من سيقوم بالقراءة (١) .

أما أن علبة البشارة القبطية المختومة لا توجد بين الملكانيين المصريين،
فذلك يبرهن على أنها تقليد تختص به كنيسة الاسكندرية القبطية
الأرثوذكسية . وعلى سبيل المثال فإننا لا نجد بين نفائس كنيسة القديس
نيقولاس *Nicholas* بالقاهرة أي أثر يتعلق بغلاف البشارة القبطي ،
بالرغم من أننا نجد في هذه الكنيسة أغلفة فاخرة عديدة للكتب والأنجيل
والأبصلموديات والخولاجي ، وهي من الذهب والفضة ومرصعة بالأحجار
الكريمة ، ومعلقة بمقابض مرصعة بالجواهر .

وبالرغم من أن البشارة في كنائسنا الغربية ليست محكمة الغلق ،
إلا أننا نقرأ عن نسخة منها « محفوظة بين لوحين سميكين من الذهب
الصلب ومرصعة بالجواهر » (٢) . وهناك نسخة أخرى ذكرها ادويوس
Eddius في كتابه عن : حياة القديس ويلفريد *St. Wilfred* ، كانت
محفوظة في لوحين من الذهب المنقوش ومزينة بالجواهر . وكان في
كاثدرائية سالزبوري سنة ١٢٢٢ علبة لحفظ الكتاب المقدس مصنوعة من
الذهب ومزينة باثنتين وستين قطعة من الأحجار الكريمة ، بينما امتلكت
كاثدرائية كانتربري في سنة ١٣١٥ ما لا يقل عن سبعة كتب في علب
ذهبية والعديد من الكتب في علب فضية . وكان هناك العديد من هذه
العلب في كنائس القديس بولس والقديس بطرس في يورك *York*
وفي لينكولن *Lincoln* وغيرهما من الأماكن (٣) ، ولكن التشابه الشديد
بين العلب القبطية والأيرلندية القديمة يبدو أقرب وأكثر غرابة ، فقد
تعود الأيرلنديون منذ أوائل القرن السادس على استخدام « علب معدنية
من البرونز المنقوش أو الفضة لحفظ نسخ الإنجيل أو غيره من
المخطوطات » (٤) . ومن أفضل هذه النماذج كتاب أرماج *Book of*

Denzinger, Ritus Orientalium, tom ii. p. 271.

(١)

Rock, vol. i. p. 272.

(٢)

Id. lb. p. 297.

(٣)

Warren's Lit. & Rit. of the Celtic Church, p. 21.

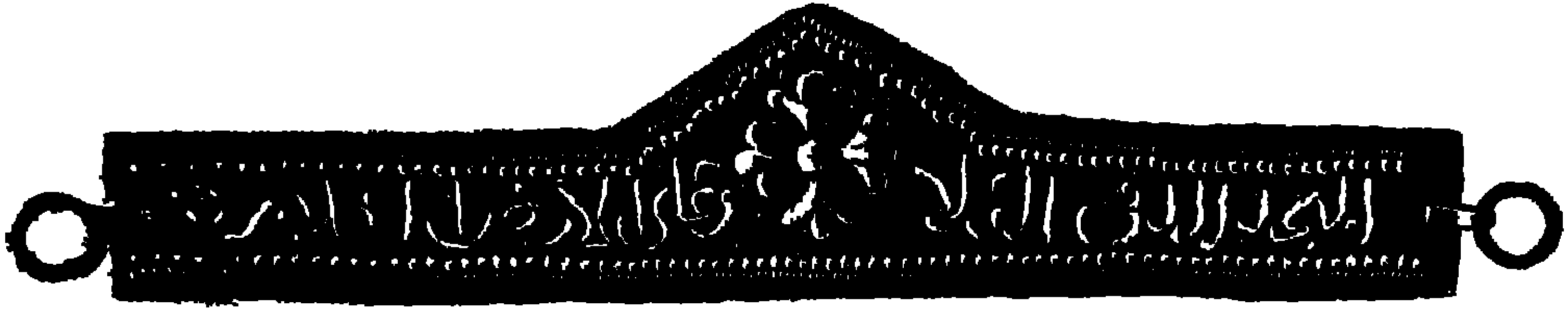
(٤)

Armagh وسفر المزامير الخاص بالقديس كولومبا St. Columba الذى مازال محفوظا فى الأكاديمية الأيرلندية الملكية وكتاب ديماماك ناثى Dimma Mac Nathi وكتاب Miosach ميوساخ الموجودان حاليا بكنيسة القديس كولومبا فى راثفارنهام Rathfarnham (١) . أما كتاب Stowe Missal (ترتيب القداس) فإنه محفوظ فى علبة معدنية مصنوعة فى القرن الحادى عشر لكى يستمر استخدامه لعدة قرون . وتعتبر هذه نقطة أخرى للتشابه بين الكنيسة الأيرلندية وكنائس الشرق ، بالإضافة الى النقاط الأخرى التى ذكرها مستر وارين .

ومن الأشياء الخاصة بالمذبح علبة البخور الفضية بالرغم من أن الباقي من هذه العلب ليست له قيمة فنية . ويوجد بكنيسة القديسة بربرة صندوق بخور صغير مصنوع من الخشب به نقوش بارزة جديدة بالاهتمام . وتوجد بجميع الكنائس ، المجامر المصنوعة من البرونز أو الفضة . علما بأن الفضة تمثل أكثر المعادن شيوعا ، وأن بعض المجامر الفضية مصنوعة بطريقة جميلة مثل تلك التى كانت مستخدمة بكنائس الغرب فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . والحقيقة أن بعضها مصنوع من البرونز بقاعدة بارزة ونقوش حول الحافة ، إلا أن الذهب كان هو المادة الكثيرة الاستخدام فى العصور القديمة . واليوم نجد المجامر التى فى معظم الكنائس ، مصنوعة من الفضة ومزخرفة بنقوش بارزة ، ومركبة بها سلاسل مربوط فيها أجراس صغيرة أحيانا . ويمكن أن نرى نموذجا لها فى صورة القديس اسطفانوس التى سنوردها فى فصل قادم .

وأخيرا نذكر من بين أنواع المذبح الاكليل المستخدم فى عقد القران . وهو تاج من الفضة أو الذهب منقوش عليه نصوص أو صلبان أو غير ذلك من أشكال الزينة المناسبة . وهو يوضع فوق جبهة كل من العريس والعروس أثناء الاحتفال بالزواج فى الكنيسة . والنموذج المرسوم هنا مصنوع من الفضة وعليه عبارة بارزة فى وسطها صليب ، والعبارة مكتوبة باللغة العربية ونصها : المجد لله فى الصلاة وعلى الأرض السلام . وهى مكتوبة بين صفين من النقاط البارزة . أما الأرضية فهى مغطاة بزخارف دقيقة وقد نقش عليها نصان خاصان بالتكريس ومكتوبان بخط صغير عند الطرفين اللذين ربطت فى كل منهما حلقة .

أما هذا الاكليل الذى كان يعتبر عند بداية استخدامه - تقليدا وثنيا ، فإن استخدامه يعود الى زمن بعيد جدا ، ويقال ان الكنيسة كانت تستخدمه فى القرن الرابع . وحسب الطقس اليونانى والقبطى فإنه يتحتم



شكل رقم ١٢ : اكليل عقد القران

تتويج العريس والعروس كليهما • ويتبع نفس هذه العادة ، الأرمن الذين يستخدمون اكليلا من الزهور بدلا من الاكليل المعدني • أما عندنا في إنجلترا فلا يوجد دليل كاف على وجود الاكليل ضمن أثاث المذبح • ويتحدث روك Rock عن اكليل من الجواهر يسمى Paste كانت تلبسه العروس أمام المذبح • وينقل عن بعض نظار الكنائس حكايات تختص بهذا الاكليل عند زواج العذارى في سنة ١٥٤٠ • وقد أمر أحد قوانين مجمع اكستير Exeter الذي عقده سنة ١٢٨٧ بأن يكون لدى كل كنيسة حجاب للزواج (١) • وقد حفظت بعض اكاليل الزواج الدنماركية في متحف ساوث كنسington •

الفصل الثالث

أثاث وزخارف مبنى الكنيسة

المنابر - المنجليات - صناديق حفظ الرفات - المصابيح والأنوار - الأكاليل
بيض النعام - الأجراس - الآلات الموسيقية - الرسوم الجدارية - الصور

ان المنابر المتعددة الأضلاع التى تشبه مثيلاتها فى الغرب ، ليست حديثة الاستخدام فى الكنائس القبطية ، وليست نادرة ، ولكن لها مميزات الخاصة بها . انها تختلف عن النموذج الغربى من حيث استقامة جوانب شرفاتها التى تتناسب مع المكان الدائرى المقامة عليه . ان الشرفة تمتد دائما من الشرق الى الغرب . ونجد أن الشرفة والمنبر كليهما مصنوعان من الرخام الأبيض ، ومزخرفتان بالزهور ، أو مطعمتان بالعاج أو الصدف الفاخر أو الموزاييك الملون . وفى بعض الأحيان نجد درجا من السلالم يصعد الى المنبر ، بينما نجد فى أغلب الحالات أن السلم المتحرك هو الوسيلة الوحيدة للصعود اليه . وأشك فيما اذا كان أى من المنابر الموجودة حاليا يعود الى أبعد من القرن العاشر الميلادى بالرغم من أنه من المحتمل أن يكون المنبران اللذان بكنيسة المعلقة وابى سيفين واللذان تقدم صورتيهما هنا - يعودان الى فترة أبعد من ذلك . ولا بد أن نتذكر دائما أن العرب فى مصر قد استعاروا معظم فنونهم من الأقباط ، وأن الفنون التى طورت مرة ، لها مقاومة آلية لقبول التطوير مما يجعل أى حجة متعلقة بتشابه النماذج ، لا تتخذ دليلا على الانتماء الى نفس الحقبة التاريخية ، ولذلك لا يستطيع الانسان أن يقرر تاريخ الانجازات الفنية القبطية بمقارنتها مع مثيلتها العربية التى لا نستطيع التأكد من تاريخها . ولكن يوجد فى احدى كنائس وادى النطرون منبر خشبى ثمانى الأضلاع، وأظن أن تاريخه يعود الى القرن الثامن .

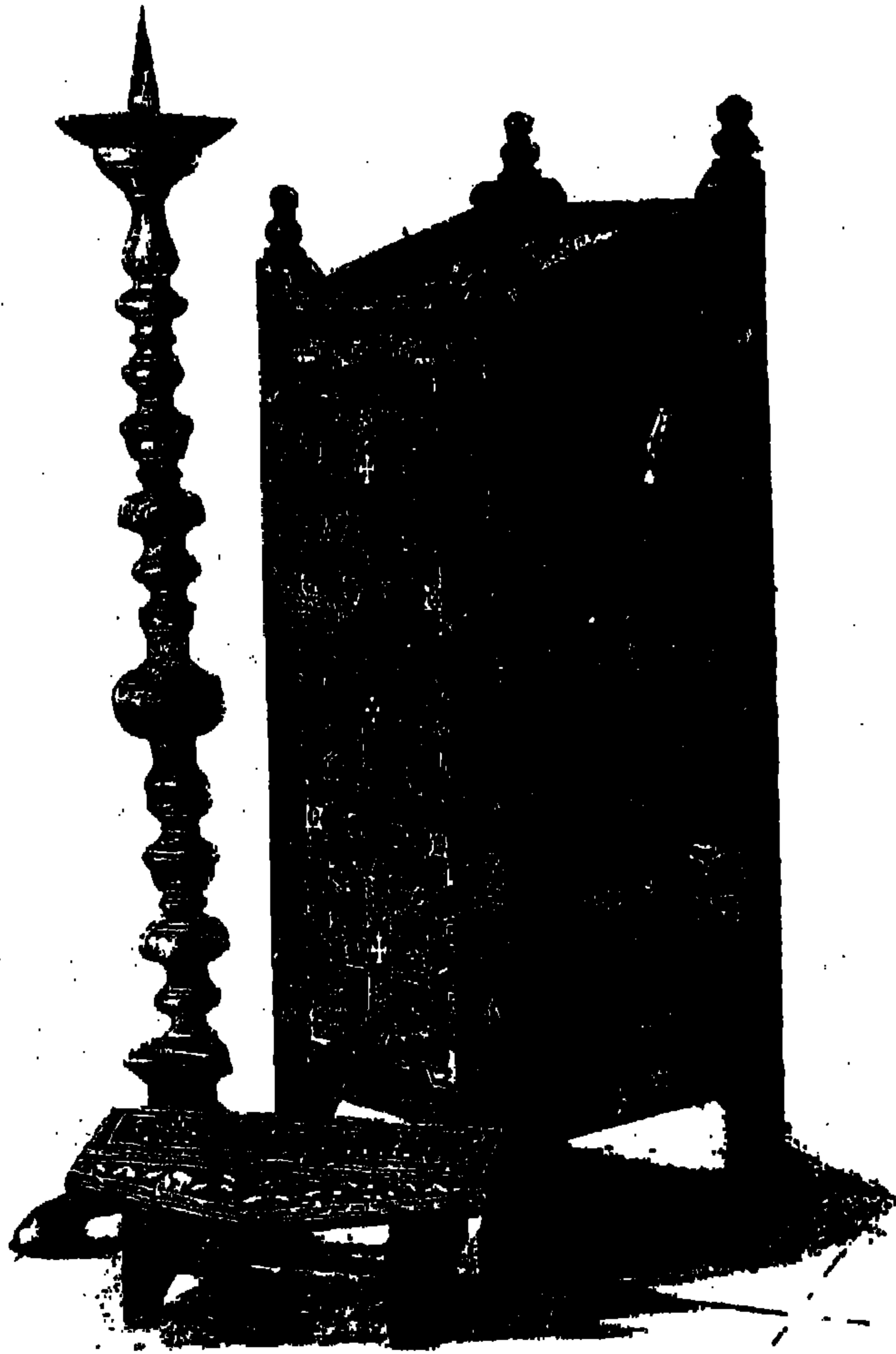
أما فى انجلترا فإن المنابر لم تستعمل قبل القرن الثالث عشر ، وكانت العظة قبل ذلك تلقى أمام صليب الصلبوت ولكن يبدو أن المنبر

لم يكن معروفا تماما فى كنائسنا أو الكنائس القبطية بالشكل الذى كان مألوفاً فى الكنائس اليونانية القديمة أو فى الكنائس البازيليكية اللاتينية القديمة - مثل ذلك الذى كان موجوداً بكنيسة القديسة صوفيا Sophia بالقسطنطينية ، أو الذى ما زال موجوداً بكنيسة سانت أبو للينار St. Apollinare Nuovo فى رافنا Ravenna أو بكنيسة القديس اكليمنض S. Clemente فى روما ، أو بكنيسة تورشيللو Torcello بالقرب من البندقية Venice - تلك المناير التى تتميز بمدرجين منخفضين من السلالم مع مدخل مزدوج وشرفتين قصيرتين بدون المنطقة الدائرية . وذلك هو الشكل المعتاد فى رسوم المناير الموجودة بالمناظر الإيطالية الصغيرة على العاج أو الرق والتى تنتمى الى القرنين العاشر والحادى عشر أما المنبر اللاتينى فانه بوجه عام يقوم فى وسط الصحن . أما المنبر القبطى فهو مثله مثل المناير الموجودة بالكنائس الانجليزىة ، يقام فى الجانب الشمالى من الصحن بالقرب من الخوروس .

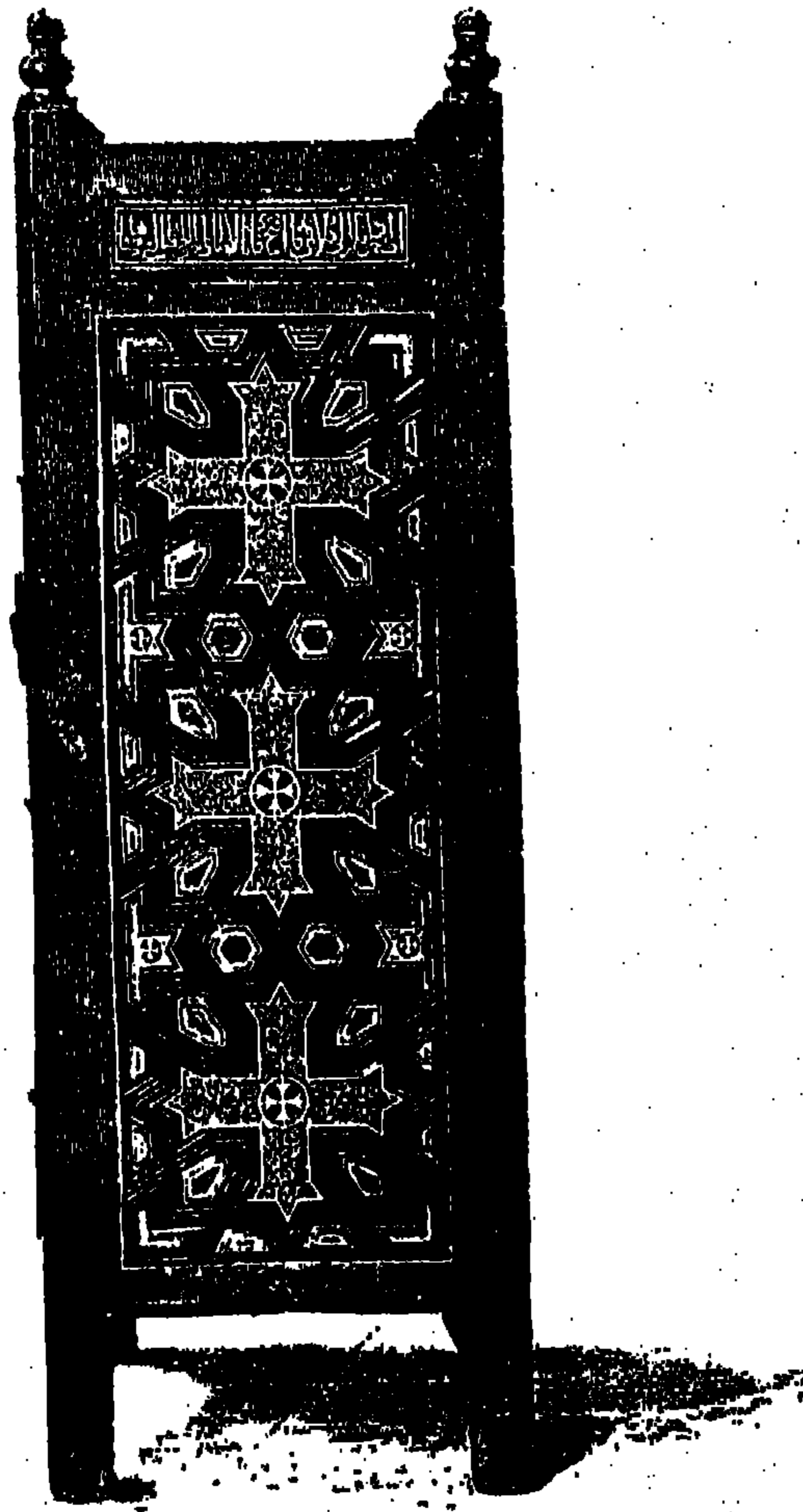
أما المنجلىة المستخدمة عند الأقباط فهى عبارة عن تخته خشبية تبلغ مساحتها حوالى ١٥ بوصة مربعة ، وارتفاعها حوالى ٤ أقدام ومجهزة بحامل منحدر لوضع الكتاب . ويتخذ الجزء السفلى من هذه التخته شكل دولاى لحفظ كتب الخدمة . أما النصف العلوى فهو مفتوح فى بعض الأحيان بحيث يكشف عن الأعمدة القائمة فى الأركان . وتزخرف المنجلىة بتصميمات هندسية ، كما تطعم أحيانا بحشوات من العاج بطريقة تدل على مهارة الصنعة . وأفضل النماذج لهذه المنجلىة تتمثل فى تلك الموجودة حالياً فى الكاتدرائية (المرقسية) بالقاهرة ، ولما كانت هذه المنجلىة فى يوم ما خاصة بالكنيسة المعلقة فربما كان تاريخها يعود الى القرن العاشر أو الحادى عشر ، وهى عمل فنى رائع . أما الإضافات التى من العاج فهى تتميز بالتشطيب الرفيع الأنجاز . أما الصليبان والمربعات المحفورة مع النقوش العربية فهى عبارة عن كتل صلبة من العاج مصممة بطريقة بارزة . أما الرسمان اللذان قدمناهما فهما مأخوذان عن صورتين فوتوغرافيتين . وتوضع المنجلىة دائماً فى الخوروس أمام باب الهيكل . وهذا هو الموضع الذى يحتله المنبر فى كنيسة القديسة صوفيا . وفى العادة توضع منجلتان ، ولكن فى هذه الحالة فإن المنجلىة التى توضع على اليمين تخص الهيكل الجانبى . ويقف القارئ فى مواجهة الشرق ، بينما يتجه بظهره نحو جمهور المصلين .

وأحيانا تستخدم لتغطية المنجلىة أغطية من الحرير أو غيره من الأقمشة الغالية ، ومن أمثلة هذه الأغطية الموجودة بكنيسة الانبا شنودة والذى يغطى الحامل المنحدر ويصل الى منتصف مقدمة الجانب الأمامى أى

الغربي والجانب الأمامي منه مطرز عليه صليب • ويترك على المنجولية دائما كتاب مضاء ، به المزامير المعدة للتلاوة ، وتوضع أطباق العطاء المصنوعة من الخوص أو المعدن ، والآلات الموسيقية المستخدمة في الخدمة مثل الصنوج والمثلثات والأجراس الصغيرة التي تطرق بقضيب معدني على الرف المفتوح تحت الحامل المنحدر أو في الدولاب • ويقف بجوار المنجولية شمعدان متشعب طويل من البرونز المزخرف ، يذكرنا بالعمود الرشيق الذي يقف بجوار المنبر في الكنائس اليونانية واللاتينية ويستخدم كشمعدان لوضع شمعة الفصح أو الحمل • أما المجرمة المستخدمة في الخدمة فانها تعلق بوجه عام في الصفيحة المستديرة تحت وضع الشمعة التي في الشمعدان الخاص بالمنجولية •



شكل رقم ١٣ : المنظر الأمامي للمنجولية المطعمة بالعاج الموجودة بالكاتدرائية بالقاهرة



شكل رقم ١٤ المنظر الخلفي للمنجلية المطعمة بالعاج

وبالرغم من أن تعظيم الرفات ممنوع لدى الكنيسة القبطية (١) ،
 إلا أن الأقباط يعتقدون في قضائنها وسلطانها العظيم ، ولذلك نجد أن
 بكل كنيسة الرفات الخاص بها وهو يخص القديس شفيع هذه الكنيسة .
 ولكنها بدلا من تعريضها للأنظار فإنها محجوبة تماما في صناديق على شكل
 أنابيب مغطاة بالحريز أو ما يشبه ذلك من الأقمشة الغالية الثمن والمطرزة
 بخيوط الذهب . ولا يعرف أحد ماهية الرفات المحفوظ داخلها ، وهل هو

(١) ليس هذا صحيحا - (المترجم)

بعض الأسنان أو العظام أو الشعر أو قصاصات من الثياب • وتحفظ هذه الأنايب داخل دواليب أو خزائن سفلية أمام أيقونة القديس أو الشهيد الذى تخصه ، ونادرا ما توضع داخل صناديق نقالي كما هو الحال بالكنيسة المعلقة • وفى كنيسة حارة الروم يمكن رؤية السيدات جالسات على الأرض وهن يحتضن أنبوب الرفات الذى يتبادلنه فيما بينهن بينما هن يثرثرن فى الأمور الدنيوية بدون اهتمام ، لأنهن يلتمسن قوة الشفاء التى تتمتع بها الرفات بصرف النظر عن مدى خطورة الأمراض التى يعانين منها • وبنفس الطريقة رأيت أحد الكهنة وهو يضع يديه على رأس ولد كان يعانى من الصداغ • أما أنايب الرفات المصنوعة من المعدن أو غيره من الوسائط الثمينة والأضرحة المطلية بالمينا الفاتح والمرصعة بالجواهر التى تنتمى الى فنون العصور الوسطى ، فأننى أظن أنها لو كانت موجودة بالكنائس القبطية فلا بد وأن تكون قد زالت منذ أمد طويل ومعها ذكرياتها • وإذا كان الأقباط يتمسكون بالاعتقاد القديم فى قدرة الرفات على صنع المعجزات الا أنهم لا يعطونها نفس التعظيم التعبدى الوثنى الذى تقدمه كنيسة روما ، ولذلك فأننى أشك فى أنهم أسرفوا فى تبديد قدراتهم الفنية وثروتهم لعمل المزارات التى تحوى الرفات •

أما القناديل والأضواء الخاصة بالكنائس القبطية فهى متعددة وجميلة بحيث تتطلب عرضا مسهبا • وفى البداية - أذكر وأنا فى شديد الأسف والحسرة - القناديل القديمة المصنوعة من الزجاج المثلج بالتصميمات الرائعة من المينا ومجموعات الكتابة العربية المنقوشة بأجمل الألوان ، وأيضا تلك التى تنتمى الى أعمال فناني القرن الثالث عشر والتى كانت معلقة يوما ما أمام الهيكل فى العديد من الكنائس القبطية ولكنها اختفت الآن كلية ولم يتبق منها الا عينة واحدة أو اثنتان يمكن مشاهدتهما فى المتحف البريطانى ومتحف ساوث كنسجتون Kensington ولكل قنديل ثلاثة مقابض لكى يعلق بها وهى تشكل اطارا يدخل فيه وعاء الزيت • أما تأثير النور الذى يشع فيه فقد كان ينتشر نائرا كافة ألوان المينا فى بهاء عظيم • وما زال شكل نفس هذا القنديل المصنوع من الزجاج غير المزخرف ، موجودا فى كنيسة أو كنيسة كما هو الحال بكنيسة أبى سرجة حيث يخفونه ولا يستخدمونه سوى مرة واحدة فى السنة فى يوم الجمعة العظيمة (١) • كما يوجد قنديل آخر بكنيسة سم مريم فى دير أبى سيفين • وقد زينت كنائس أديرة الصحراء والعديد من المساجد القديمة فى القاهرة ، بهذه القناديل الفخمة ، ولكن قبل الحرب

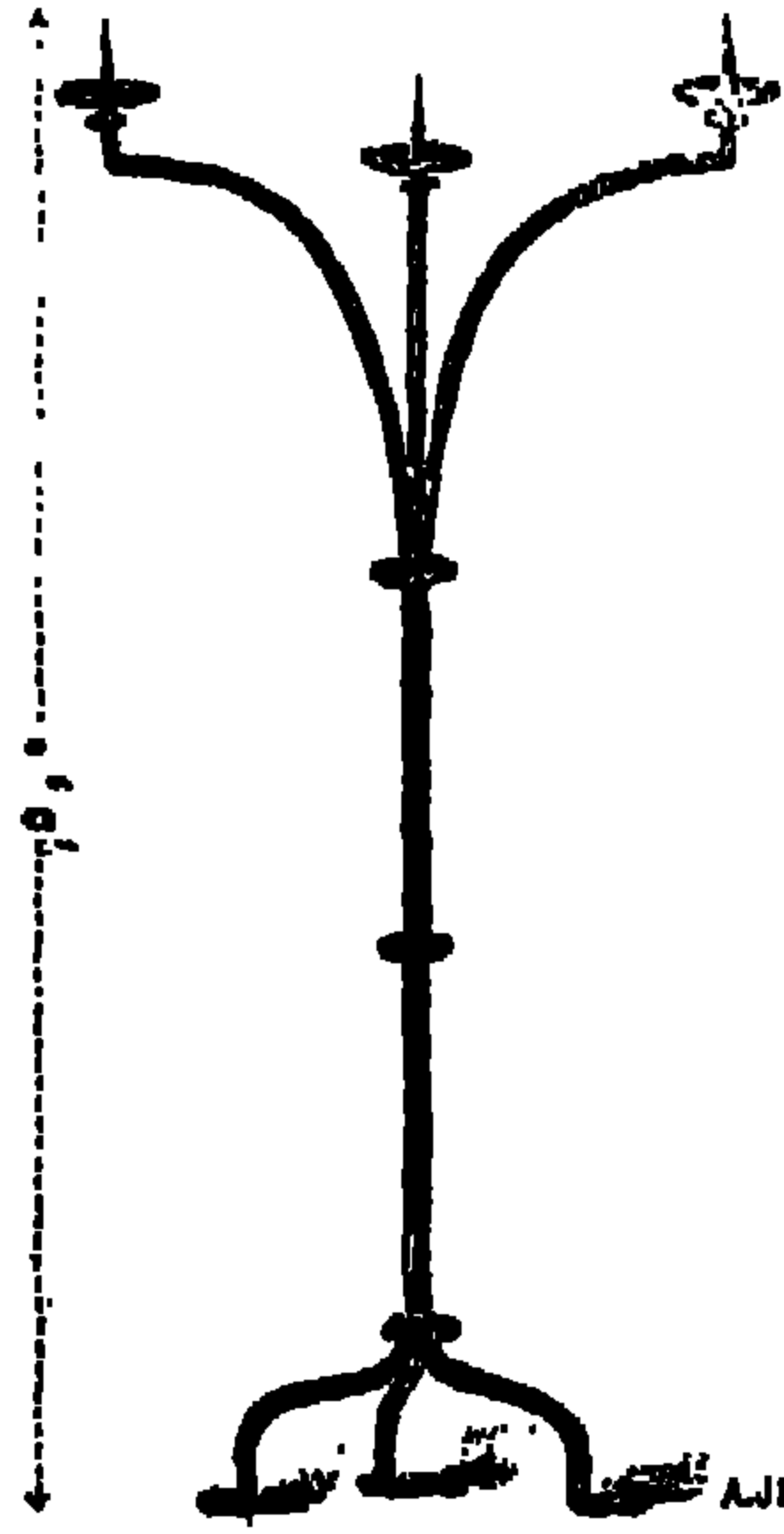
(١) انظر الرسم الموجود فى شكل رقم ٦ من هذا الجزء من الكتاب •

بقليل (*) رفعت كافة هذه القناديل حسب أوامر رياض باشا رئيس الوزراء حينذاك ، وتم تخزينها في صناديق وضعت بالمكتبة العامة . وقد خفف من أسفنا ما سمعناه عن أنها مصنفة الآن تحت رقم (٨٠) في متحف الفن الاسلامي بمسجد الحاكم ، ومن هناك استعار متحف ساوث كينسينجتون Kensington أربعة منها . وهذه الأربعة الأخيرة يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر وهي رائعة الجمال . وللعلم فان ثلاثة منها تخص مسجد السلطان حسن وقد صنفت تحت عنوان : ممتلكات هذا السلطان الذي حكم حوالى سنة ١٣٥٠ للميلاد . أما القنديل الرابع فهو يحمل اسم الملك الظاهر برقوق ، ويعود تاريخه الى حوالى سنة ١٣٩٠ للميلاد ، وهو أول سلاطين المماليك الجراكسة وقد نقش حول القناديل الثلاثة الأولى آيات قرآنية باستدارة عنق القنديل ونصها كما يلي : « الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح في زجاجة ، الزجاج كانه كوكب درى » . أما ألوان الطلاء السائدة فهي الأزرق والأحمر الغامق ، كما استخدم اللونان الأبيض والأخضر الزيتوني مع بعض اللمسات الخفيفة .

وليس هناك محل للتساؤل حول أن أغلبية العينات الباقية من هذه القناديل المطلية بالمينا ، إنما هي عربية الصنع ، وأنه كانت هناك أثناء العصور الوسطى مصانع كبيرة للزجاج في دمشق أو بالقرب منها ، وربما في القاهرة أيضا . ولكن سواء كانت هذه القناديل تعود الى أصل عربي أو بندقى ، وسواء كان فن الطلاء بالمينا على الزجاج قد انتقل من البندقية الى القاهرة ودمشق أو أنه ظهر أولا في الشرق ، فتلك قضية موضع أخذ ورد ولن أحاول اقرارها بمعرفتى . وعلى كل حال فانه توجد بعض الأدلة الشاردة التى يبدو أنها تبين أن تدفق التيار كان فى اتجاه الشرق وليس الغرب . وهناك شكل آخر للقناديل الزجاجية ذات الجسم الكروى والعنق القصير والفوهة الواسعة والساق المكونة من حلقات تتجه الى أسفل حيث تنتهى بسقوط يشبه آلة الفلوت الموسيقية ، ويبدو لى أنها تعود الى أصل بندقى . وجسم الواحد من هذه القناديل به دوائر فى داخل كل منها رأس أسد بارزة - وهذا النوع من زخرفة الزجاج يعود الى الأصل البندقى . ولم أجده فى جميع الكنائس القبطية الا اثنين فقط من هذه القناديل ، أحدهما وهو المبين فى الرسم موجود بالخزنة التى فى كنيسة ست مريم بدير أبى سيفين . والآخر معلق أمام حجاب المذبح بكنيسة

(*) يقصد الحرب التى شنها الانجليز ضد عرابى والجيش المصرى والتى استطاع بها الانجليز احتلال مصر مستخدمين عنصر الخيانة - (المترجم)

العدراء بقصر الشمع . وهما يشبهان بعض القناديل التي تستخدم في كنائس الغرب ويطلق عليها اسم Gabathae (قنديل) . وهما يتشابهان من حيث الشكل والطراز البندقي مع تلك القناديل التي من الفضة ، والتي نرى نماذجها بكنيسة حارة الروم وكنائس أخرى عديدة ، علما بأن دير الأمير تادرس به الكثير من هذه القناديل . ويتدرج ارتفاعها ما بين ٤ بوصات الى ٨ بوصات . وينطلق جمال شكلها من التصميمات البارزة التي تعطيها جو الاشراف والفخامة . والعديد من نماذج هذه القناديل حديث ومصنع فوق قواعد من الفضة وان كان فن أشغال الزجاج قد ضاع ، فان أشغال المعادن ما زالت مزدهرة في القاهرة . وبقيت هذه النماذج الزجاجية المركبة على قواعد معدنية حتى أيامنا هذه .



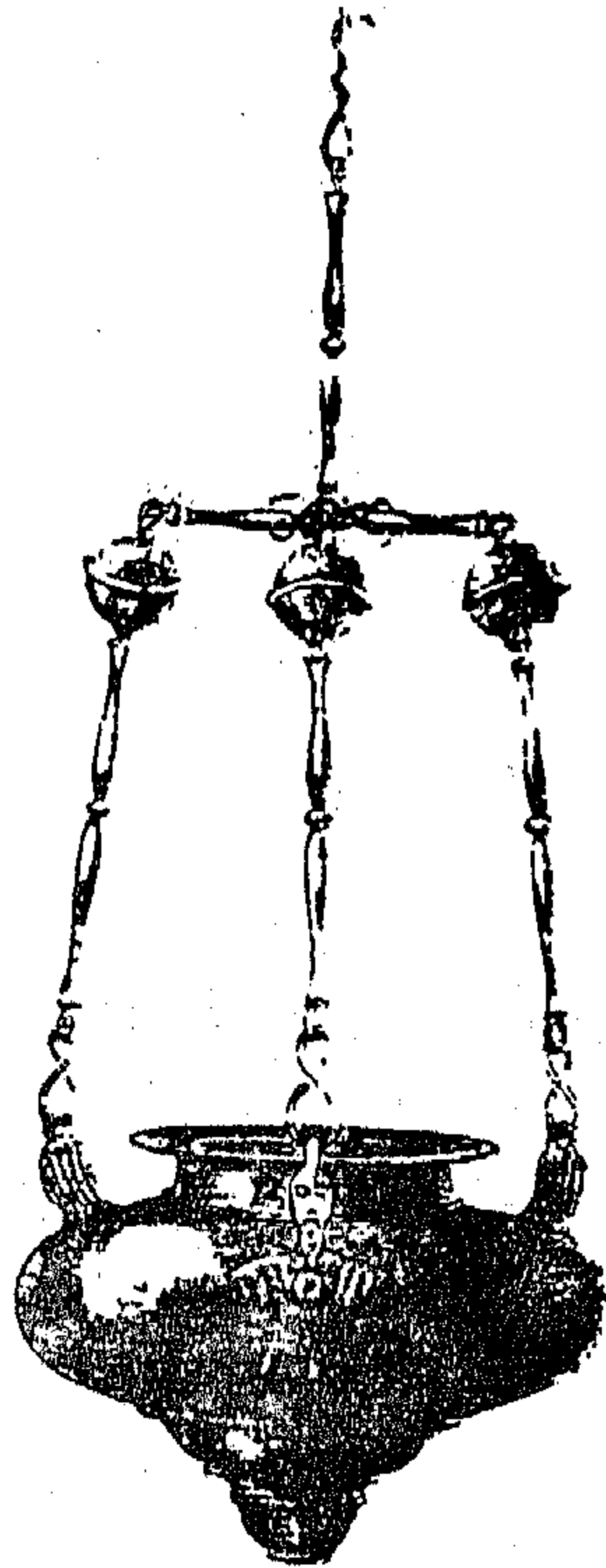
شكل رقم ١٥ : شمعان متشعب من الحديد بكنيسة ابي سيفين

ويوجد نوع آخر من القناديل المعدنية المعلقة ، وهي تختلف عن النوع السابق من حيث ان لها حافة وجسما بيضاويا وليس لها ساق في أسفلها . وعلاوة على ذلك فانها بدلا من أن تعلق بواسطة سلاسل فانها تعلق بثلاثة قضبان معدنية قصيرة متصلة بثلاثة مقابض في جسم القنديل وبقطعة علوية على شكل صليب . وهي مزينة بنتوءات كروية الشكل . والقناديل التي بهذه الصفات نادرة جدا ولكنني رأيت منها اثنين أو ثلاثة بدير الأمير تادرس .

أما القناديل الزجاجية التي على شكل الفنجان والسلطانية ذات الحافة والتي تعلق بواسطة السلاسل ، فانها شائعة في الكنائس القبطية وهي تعلق أمام الصور وحاجز المذبح أو في الشرقية .



شكل رقم ١٦ : القنديل الزجاجي بكنيسة الست مريم



شكل رقم ١٧ : قنديل من البرونز بدير الأمير تادرس

وجرى فى العصور الوسطى استخدام نوع جميل من القناديل لم
أر له مثيلا ، وهو ينتمى الى فترة ما بعد الطراز المعتاد من القناديل القديمة
المصنوعة من الخزف ، ولكنه يختلف عنها من حيث ان له جسما شبه
كروى تبرز منه مدخنة متسعة الفتحة ومتصلة بالجسم عن طريق مقبض .
أما الفتحة الأمامية فهي مستطيلة وضيقة . وعلى الرغم من أنه مصنوع
من الخزف الا أنه كان مطليا بطبقة زجاجية أو على الأرجح طبقة من الميناء ،
بلون التركواز الأزرق الرائع ، وبالرغم من زرقته التى تشبه حجر السفير
الا أنه كان به العديد من الظلال الخضراء الجميلة . ونجد فى تلال النفايات
بمصر القديمة العديد من الشظايا المكسورة لهذه المصابيح الجميلة . وقد
اكتشفت عينة منها فى بناء ملحق بدير البنات بجوار دير أبى سيفين .
ولكنها كانت مشوهة على الرغم من أنها حديثة الصنع .

ولقد شاهدت القليل من نماذج الأبراج المضئية *Pharos*
(فاروس = منارة) . ومنها على سبيل المثال برج مصنوع من الخشب
ترتفع المشاعل المركبة فيه الى أعلى فى أربعة مدرجات مضلعة وهو بكنيسة
أبى سيفين ملقى فى التراب خلف الصور المعلقة على الحائط فى الجانب
الجنوبى من صحن الكنيسة . وقد كان البرج المضى شائعا فى الغرب ،
وورد ذكره كثيرا فى كتاب أنستاسيوس *Anastasius* وعنوانه :
Liber Pontificalis ، ضمن الهدايا المقدمة للكنائس . وينتمى
الى نفس هذه النوعية البرج المضى الذى وصفه بولس السلنتياري
Paul the Silentary ضمن مقتنيات كنيسة القديسة صوفيا
Sophia . وكان هناك برج ذهبى بكائدرائية ايكس لاشابل
Aix-la-Chapelle . وكان لدى البابا سيلفستر *Sylves-er*
برج آخر مصنوع من الذهب الخالص (١) ، كما كان لدى البابا أدريان
Adrian برج آخر على شكل صليب يحمل ١٣٧٠ شمعة .

ويبين رسم يعود الى القرن العاشر برجين على الطراز البيزنطى
يخصان كائدرائية كانتربرى . كما كانت هناك نماذج فاخرة لهذه النوعية
من الأبراج فى كلونى . *Cluny* وسان ريمى *St. Remy* . ولا شك أن
الاصطلاح *Pharos* مشتق من اسم منارة الاسكندرية العظيمة (*) ،
وما زال هذا الاشتقاق مستخدما فى اللغة العربية الحديثة فى كلمة
(فانوس) . وكانت الشمعدانات التى تشبه التساج *Coronae*

(١) *Lenoir's Architecture Monastique*, II. 137. quoted by : *Texier*
and *Pullen*.

(*) كانت هذه المنارة مقامة فى جزيرة فاروس مقابل شاطئ قرية راكودة أو راكوتيس -
وقد ضم الاسكندر الأكبر القرية الى الجزيرة حيث ديم المسافة بينهما وإنشأ فى تلك البقعة
مدينة الإسكندرية (المترجم) .

شائعة الاستخدام بكنائس القاهرة قديما ، ولا شك أنها كانت مصنوعة من المعادن الثمينة . أما العينات القليلة الباقية من هذا النوع فإنها مصنوعة من البرونز المثقوب أو النحاس وقد أبطل استعمالها وألقيت في الأركان المظلمة ، ومنها اثنان بدير مارمينا ، وواحد بدير أبى سيفين وواحد بدير الأمير تادرس . أما بخصوص استخدام الانجليز لهذا النوع من الشمعدانات فأننى لا أجد أفضل من اقتباس كلمات روك Rock (١) الذى بعد أن تحدث عن حق القربان المقدس المعلق تحت قبة المذبح على شكل حمامة أو كأس مغطى - يضيف قائلا : - « ويحيط بها فى أغاب الكنائس - ان لم يكن فى جميعها - حلقة من الأنوار الدائمة الاشتعال مربوطة فوق طوق من الفضة أو المعدن اللامع ومعلقة بسلسلة تتدلى من السقف الداخلى للقبة » . ويتحدث بيد Bede عن طوق من البرونز مرصع بالمصابيح التى تحيط بصليب فضى . أما فى إيرلندا خلال القرن الثامن فقد كانت الأطواق المصنوعة من الذهب والفضة معلقة فوق مزار القديسة بريجيت St Bridget فى كنيستها فى كيلدار Kildare ولكننى أظن أن هذا الطوق بكنائس الأقباط لم يتدل مطلقا من قبة المذبح وإنما كان موضعه دائما أمام حجاب الهيكل أو داخل الهيكل فى الاتجاه الشرقى للمذبح .

لقد قلنا فى مواضع أخرى من هذا الكتاب أوصاف القنديل الحديدى ذى العيون السبع الموجود بدير أبى سيفين ، وحجر الأساس Cresset stone بكنيسة الأنبا شنودة والشمعدانات النموذجية وحوامل الانجيل فى الكنائس المختلفة وشمعدانات المذبح المختلفة والشمعدان الذى على شكل التنين الموجود بدير مارمينا . وأضيف إليها شبيها للشمعدان الأخير مأخوذ عن الطقس الأنجلوساكسونى (٢) .

أما النار التى كانت تشتعل أمام باب الكنيسة خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من أسبوع الآلام فقد كانت تخرج من شمعة مركبة على شمعدان بشكل التنين ، ومنها كانت توقد بقية الشموع . وكان هذا الشمعدان مجرد حية متسلقة فوق عصا ويمثل فيها الثقب الوحيد لتركيب الشمعة ، وهو مختلف عن بقية الشمعدانات التى على شكل التنين الموجودة بكنيسة مارمينا من حيث أنه نقالى وليس ثابتا ، ولكن الرمز واحد فى كلتا الحالتين . ويقدم روك Rock (٣) رسما مطبوعا من حفر على الخشب لشمعدان مركب على رأس تنين من كنيسة سالزبورى Salisbury سنة ١٥٢٨ للميلاد .

Vol. i. p. 200.

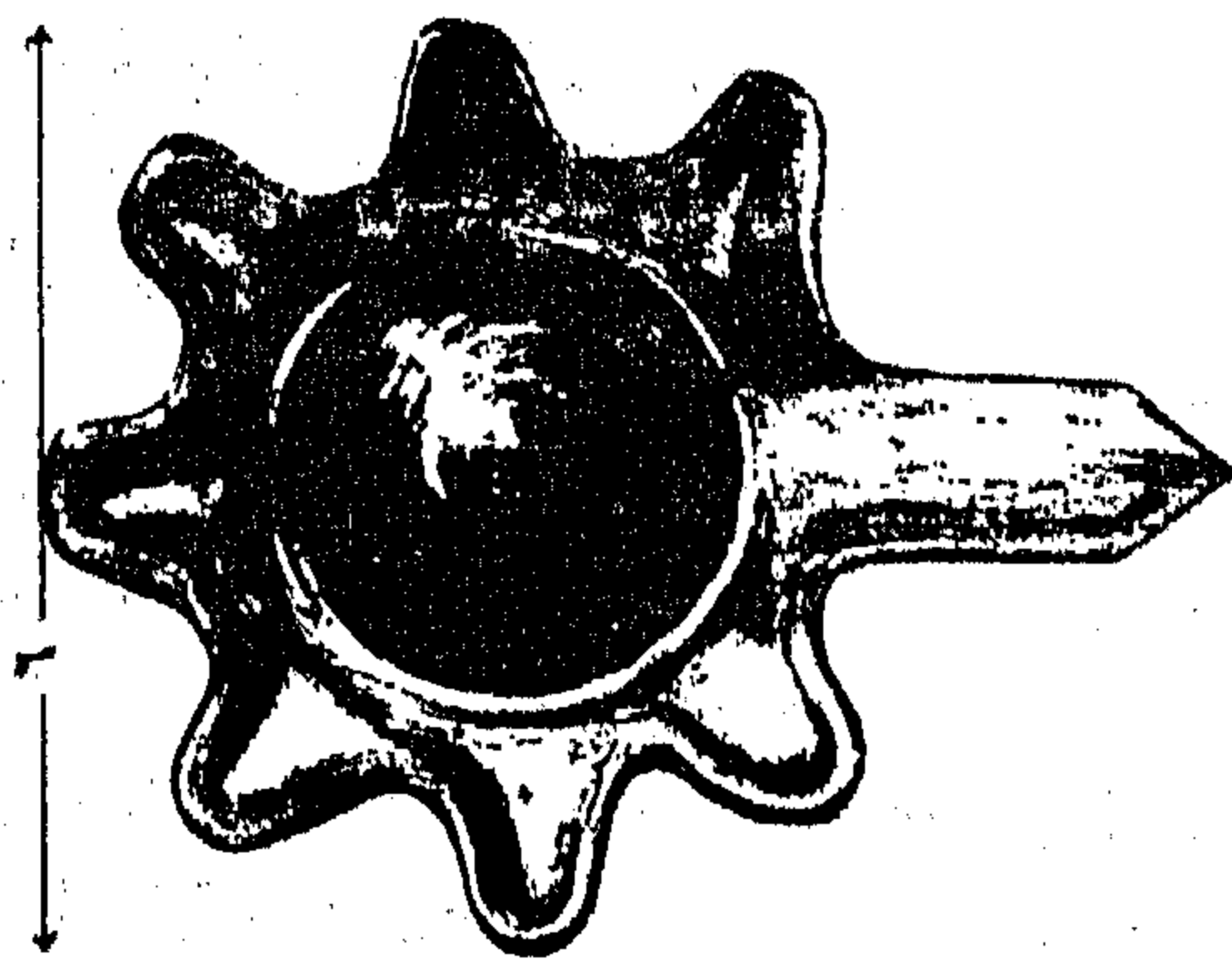
See : Warren's Lit and Rit. of the Celtic Church, p. 53.

Vol. iii. Pt. 2. P. 244.

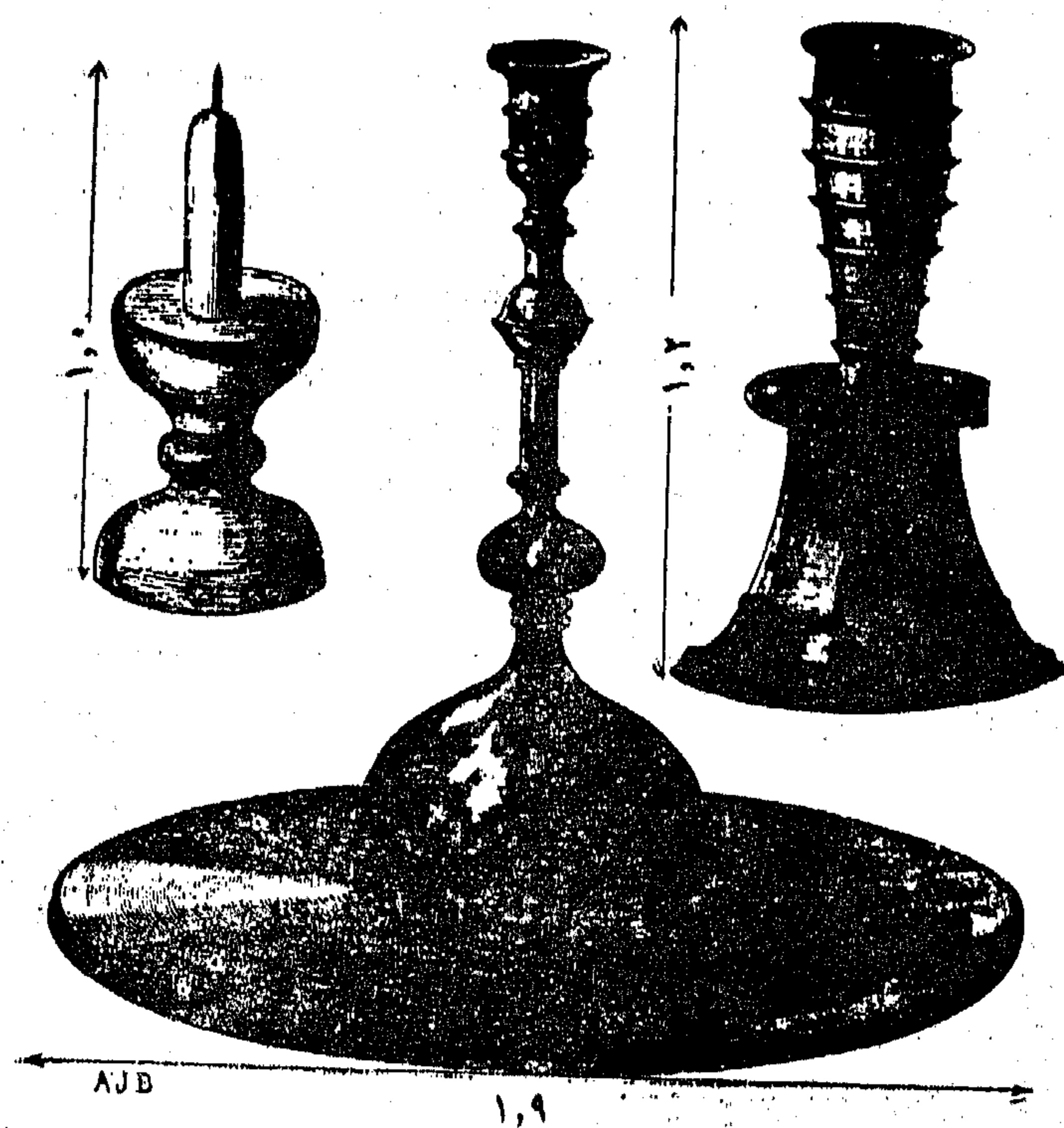
(١)

(٢)

(٣)



شكل رقم ١٨ : قنديل حديدي ذو سبع عيون يستخدم في سر مسحة المرضي



شكل رقم ١٩ : نماذج من شموعانات المذبح

أما بيضة النعامة فهي واحدة من الأشياء التي تستخدم للزينة بالكنائس القبطية واليونانية وكذلك المساجد الإسلامية . ويمكن مشاهدتها في الكنيسة القديمة بالدير اليوناني الموجود في قصر الشمع وفي معظم مساجد القاهرة ، وهي مركبة في إطار معدني ومعلقة بسلك مفرد يتدلى من السقف . أما في الكنائس القبطية فانها تعلق أمام حجاب الهيكل (حامل الايقونات) . ولكننا نجد في كنيسة أبى سيفين بيضة نعامة معلقة أيضا من نقطة التقاء عقود القبة . ونجدها هنا وهناك فوق قنديل بواسطة حبل مدلى ، كما هو الحال في كنيسة المهد في بيت لحم . وفي بعض الأحيان تعلق بذراع خشبي مربوط بأعمدة صحن الكنيسة كما هو الحال بكنيسة (الطاهرة) النسطورية في الموصل (١) وأحيانا يستخدم بدلا من البيضة الحقيقية ، بيض صناعي من البورسلين الخزفي الملون بتصميمات زرقاء أو قرمزية . وقد اختفى هذا النوع حاليا في كنائس القاهرة ومصر القديمة ولم تبق منه ولا حتى بيضة واحدة .

ولكن لا يزال القليل موجودا في كنائس مصر العليا وفي (المساجد) . ان ضريح قايتباي الذي يقع خارج أسوار القاهرة يحتوى على بعض العينات الثمينة لهذا البيض الصناعي . وهذا البيض الصناعي أصغر حجما من بيض النعام الطبيعي ولكنه أكبر من بيض الدجاج . ويوجد بالمتحف البريطاني بيضة من البورسلين واردة من الحبشة وقد رسم عليها ملاك الكارويم . ولا بد أنها كانت موجودة في إحدى الكنائس المسيحية يوما ما .

لقد كانت بيضة العنقاء Griffin Egg تمثل الزينة الشائعة في كنائس أوروبا في العصور الوسطى . وقد ورد في قائمة محتويات مؤرخة خلال سنة ١٣٨٣ للميلاد ذكر ما لا يقل عن تسع بيضات من هذا النوع بكاتدرائية دورهام Durham (٢) .

ويتحدث بنانت Pennan عن اثنتين موجودتين سنة ١٧٨٠ (٣) للميلاد . وبيضات العنقاء هذه كانت تعلق مع أشياء غريبة أخرى مثل « قرن الحصان » (*) أمام المذبح أو حول مزار القديس كوثبرت Cuthbert

(١) انظر الرسم الموجود في كتاب : -

Dr. Badger, "The Nestorians and their Rituals" (London, 1852), vol. ii., Facing p. 20.

Raine's Tomb of St. Cuthbert, pp. 123-127. (٢)

Tour in Wales, vol. ii. p. 228. (٣)

(*) هو حيوان خرافي على شكل حصان له قرن وحيد بارز في جبهته ، وقد ورد ذكره في الأساطير القديمة (المترجم) .

وكانت شديدة الندرة لأن الجنود أو الحجاج كانوا يجلبونها معهم من البلدان الأجنبية . وكانت تقدم كعطايا للكهنة ، حيث تحفظ في القسم الشرقي من الكنيسة المخصص للقسوس والمرتلين داخل خزائن خاصة ذات شبكة معدنية مغلقة . وكانت العديد من الكنائس الغنية تحتفظ بمجموعات كبيرة من هذه الأشياء الغريبة كما لو كانت متحفا فنيا . أما في إنجلترا فلم يكن لبيض النعام أية معان رمزية ولم يعتبر ضمن التحف الكنسية . أما بخصوص اكتشاف بعض البيضات الرخامية في مقابر بعض الشهداء الأوائل في روما ، وأن البيض في البلاد المسيحية يرتبط بمناسبة عيد القامية ، فإن البعض يظن أن البيضة رمز للقيامة (*) . وهناك تفسير آخر لهذا الرمز مختلف تماما عن هذا التفسير ، وهو منتشر بين الأقباط أنفسهم وقد ذكره لي كاهن كنيسة أبو سيفين فقال انه على عكس الاعتقاد الشائع - فإن النعامة مشهورة بأنها تعتنى بحراسة بيضها طول الوقت ، وهناك أسطورة لدى الأقباط تقول بأنه اذا ما حولت النعامة عينيها عن البيض لحظة واحدة فإن البيض يفسد حالا ، ولذلك أصبحت يقطعة النعامة مثلا سباريا وأصبحت البيضة نموذجا يذكر المؤمن بأن يركز أفكاره دائما في الأمور الروحية . ويبدو لي هذا التفسير منطقيا لأن تكريس النعامة لاحتضان صغارها يتمشى كما اعتقد مع حقائق التاريخ الطبيعي ، كما أن استخدام البيضة قد ظهر في افريقيا حيث يعرف الناس عادات الطيور جيدا . وعلى أية حال فإن هذا هو أفضل الحلول للرد على السؤال المحير .

أما الأجراس بالرغم من هجرها فترة طويلة ، إلا أنها كانت شائعة الاستعمال في الكنائس القبطية . وكان أبو لليناريوس Apollinarius مبعوث جوستنيان Justinian « يدق الأجراس » في اليوم الأول من الأسبوع بالاسكندرية لدعوة الناس الى سماع خطاب الملك (١) ، وقد ذكر لي البطريك الحالي أنه عند تدمير كنائس الاسكندرية أنقذت العديد من الأجراس وحملت الى أديرة وادى النطرون وهي موجودة هناك حتى الآن . ووصف لي واحدا منها بالذات لأنه يتميز بصور الانجيليين الأربعة منحوتة عليه مع وجود نقش حول الحافة . وهناك جرس معلق داخل تجويف بالحائط الغربى ما زال مستخدما في دير رئيس الملائكة ميخائيل.

(*) ليس هنا مجال للظن ولكنها الحقيقة التي فسرتها القديسة مريم المجدلية حيث استخدمت رمز خروج الكتكوت من البيضة لبيان كيفية خروج السيد المسيح من القبر بعد القيامة واثبات أن الملاك قد رفع الحجر عن القبر الفارغ لكي تشاهده مريم المجدلية وتؤكد من حقيقة قيامة السيد المسيح وخروجه من القبر المغلق رغم ضخامة الحجر، الذي كان يسد باب القبر - (المترجم)

Al Makrizi, Malan's trans p. 75.

(١)

ينواجي (طزة) ، وهذا الدير يقع في الخلاء فلا يثير اعتراض أى مسلم .
ونفس هذه الملحوظة تنطبق على الجرس في دير مارمينا ، ولكن لا تستخدم
أجراس الكنائس الآن بالقاهرة أو مصر القديمة . وقد مر ما يزيد على
الآلف عام منذ صدور أوامر الفاتحين بعدم استخدامها . واليوم فان صوت
هذه الأجراس لا يسمع الا في برارى الصحراء .

وبعد منع استخدام الأجراس بشكل رسمى سنة ٨٥٠ للميلاد ،
أصبح يؤدى مهمتها لوح يطرق بمطرقة خشبية ، وهو أداة ما زالت
مستخدمة حتى اليوم بالرغم من أنها قد منعت أيضا منذ عام ١٣٥٢
للميلاد (*) .

وحتى اليوم فان الرهبان الذين يقيمون على قمة جبل تشاد امبا
Tchad-Amba في الحبشة ما زالوا يستخدمون بدلا من الأجراس
ثلاثة أقراص يطلق عليها اسم الجونج gong ، وهذه الأقراص تحفظ
تقليد استخدام اللوح . وهى عبارة عن أحجار مسطحة معلقة بواسطة
سيور طويلة الى أغصان احدى الأشجار ، ولكنها تعطى صوتا رنانا جميل
الوقع عند طرقها بأحجار أصغر حجما (١) .

ولم تعرف الكنيسة اليونانية استخدام الأجراس قبل سنة ٩٠٠
للميلاد . وقيل انها نقلت عن البنادقة (٢) وعلى كل حال فان اللوح
والمطرقة لهما رسوم كثيرة في جبل أثوس Athos . أما الموارنة فانهم
يستخدمون لوحين على شكل لسان جرس كبير ، وفى بعض الأحيان كانت
تستخدم بدلا من الخشب صفيحة من الحديد أو النحاس معلقة بالسلاسل ،
كانت تسمى Sementron أو sematron (٣) . وهذه النوعية
من أدوات التنبيه نراها مرسومة في كتاب كيرزون Curzon
عن الأديرة (٤) . وقد ذكر هذه الأدوات أيضا ليو ألاتيوس Leo Allatius .

(*) بخصوص ما أورده بتلر هنا أقول ان العديد من الكنائس القبطية بها أجراس
وهى تستخدم في أيامنا هذه بمطلق الحرية ، وقد شاهدت أثناء زيارتي لدير سانت كاترين
خلال شهر يونيو سنة ١٩٨٦ اللوح الذى يطرق بالمطرقة الخشبية وكان يحمله أحد الرهبان
ويسير به فى مقدمة جنازة أحد رهبان هذا الدير للاعلان عن نياحته - (المترجم) .

(١) The wild Tribes of the Soudan, by F. L. James, London,
1883, p. 236.

(٢) Goaur's Euchol. p. 560.

(٣) Lenoir, i. p. 155.

(٤) نرى على صفحة الغلاف للكتاب المذكور صورة راعب يدق على هذه الصفيحة وهى
مصنوعة من الخشب ، وأيضا صورة الجونج gong المصنوع من الخشب ، كما نرى
على صفحة ٣٠٠ من نفس الكتاب صورة الصفيحة المصنوعة من الحديد .

الذى ذكر العديد من الأدوات البيزنطية القديمة واستخداماتها . وكانت هذه الصفيحة تعلق فى الصحن أو البهو . أما أبراج الأجراس فلم تكن معروفة فى الشرق قبل العصور الوسطى . وحتى الكنائس القبطية لم يكن بها أكثر من زوج من الأجراس يبلغ قطر كل منها حوالى ثمانى أو عشر بوصات . أما استخدام الأجراس بالكنائس الانجليزية فانه ليس أقدم من مبانى الكنائس التى ينطلق منها رنين هذه الأجراس ، ولا تنقل الى الآذان أى صدى واضح يدل على استخدامها منذ العصور المسيحية المبكرة .

ولكنه حتى فى انجلترا ، نرى أن الجونج *gong* الخشبي قد استخدم بدلا من الأجراس (١) . وكان استخدامه قاصرا على الأيام الثلاثة الأخيرة من أسبوع الآلام .

وما زال دق الأجراس اليدوية مستخدما بوصفه أحد أنواع الموسيقى المصاحبة للألحان أثناء خدمة القديس القبطى . ويذكر رينودو Renaudot (٢) أن الأساقفة الذين صاحبوا الأمير جورج George ابن ملك النوبة ، فى بعثته الى مصر ، اعتادوا دق الأجراس عند رفع قربانة الجسد المقدس « الحمل » وأضاف أن هذا الترتيب يتطابق مع الاستخدامات المبكرة للكنيسة . وكان ذلك حوالى سنة ٨٥٠ للميلاد . ولكن حتى لو أن هذه العادة كانت شائعة بالفعل بين الأقباط ، فلا بد وأنها قد تلاشت الآن كلية لأنه لا توجد حاليا أجراس يدوية للمذبح .

وقد ورد ذكر الأجراس اليدوية فى سجلات الكنائس الانجليزية والاييرلندية القديمة منذ وقت مبكر يعود الى القرن السادس . ويبدو أن هناك سببا للرأى القائل باستخدام أجراس أكبر حجما للكنائس بايرلندا فى نفس الفترة ، وأن الأبراج المستديرة قد استخدمت أحيانا كأبراج للأجراس . وكانت الأجراس الصغيرة جزءا من رموز السلطة التى تسلم للأسقف عند تنصيبه . وقد حفظ جرس من هذا النوع فى مدينة دبلن Dublin وهو ينسب الى القديس باتريك Patrick وللإطلاع على المزيد من تفاصيل هذا الموضوع نحيل القارئ الى كتاب مستر وارين Warren : Celtic Ritual (٣) ، ويبدو أن هذه الأجراس لم تكن

(١) Cf. Udalric, hb. i. Consuet. clun. c. 12, quoted by Ducange, and Amalarius de Eccl. off. lib. iv. c. 22, quoted by Rock.

(٢) Hist. Pat. Alex. p. 282.

(٣) Ibid. pp. 92-94.

تستخدم عند رفع الحمل ، كما أنه لا يوجد دليل يبين أن تقليد رفع الحمل كان معروفاً بكنائس الغرب قبل القرن الحادى عشر ، بالرغم من أنه كان موجوداً فى الشرق قبل ذلك بقرون عديدة . أما فى السجلات الانجليزية فان ذكر الأجراس اليدوية ورد متأخراً ، وقليلاً . وقد ورد فى قوانين أيجيديوس دى بريدبورت *Aegidius de Bridport* أسقف ساروم *Sarum* (١) سنة ١٢٦٥ - الأمر بحملها عند زيارة المرضى ، كما جرى نفس الاستخدام فى الاحتفال بالجنائزات . ان استخدام الجرس اليدوى أو جرس التقديس كما أطلق عليه - فى أثناء القداس ، يعود بلا شك الى القرن الثالث عشر ، عندما بدأ تطبيق عادة رفع الحمل فى انجلترا لأول مرة ، أما الجرس القبطى فهو دائماً بدون الساق ويدق باستخدام قضيب قصير من الحديد .

وأظن أن دق الصنوج بالطريقة البدائية والذى يصاحب الألحان فى كافة الكنائس القديمة فى مصر ، لا يمثل إلا واحداً من الآثار الوثنية وليس تقليداً يهودياً . ويبدو أن نفس هذا الصوت يعبر فوق خليج الأجيال ليعود بالخيال الى أيام رقصات الاله (باخوس) *Bacchus* وطقوس الالهة سنبيل *Cybele* الطائشة ، ويبدو كذلك أن أصوات أجراس الكنائس فى انجلترا تعود بالإنسان الى الممارسات التى كانت سائدة بانجلترا منذ خمسة قرون ، ولكن يبدو أن الصنوج لا يعود تاريخها الى أقدم من هذه الفترة ، ونظراً لأصولها الشرقية وارتباطها بالممارسات المأجنة لدى الإغريق والرومان ، يبدو أنها لم تستخدم على نطاق واسع كأداة للعبادة فى الغرب . ولكن يرد ذكر الصنوج حالياً حيث تستخدم فى الكنائس اللاتينية . وقد أورد دوكانج *Du Cange* (٢) ذكر هدية من الصنوج الى إحدى الكنائس . وقد ورد التنويه عن الصنوج مرات عديدة فى *Ordo Romanus* . ولا شك أن استخدامها كان يرتبط باستخدام الأجراس من حيث أنها تدعو الناس للعبادة أو لحضور الجنائزات . ولكن يبدو أن هناك دليلاً واضحاً على استخدامها فى خدمة ترديد الألحان بالكنيسة (٣) .

ومن المحتمل رؤية العكاكيز التى على شكل حرف فى كثير من الكنائس القديمة حيث لا توجد مقاعد يستريح عليها المسنون أو السقماء من بين جمهور المصلين أثناء خدمة القداسات التى تستغرق طويلاً . وقد

Rock, ii. 462, n. 31.

From the Acta Episc. Cenoman. p. 303.

Beletus de Div. off. C. 86.

(١)

(٢)

(٣)

سمح باستخدام هذه العكاكيز حسب ما أورده روك Rock (١) - في
العصور الأولى للكنيسة الغربية بالنسبة لبعض رجال الاكليروس ، ولكن
كان من المعتاد وضعها على الأرض أثناء قراءة الانجيل . وقد استمر هذا
الاستخدام حتى أواسط القرن الثاني عشر .

الرسوم الجدارية

لقد تبرهن على أن كنائس مصر كانت غنية بالرسوم الحائطية يوما
ما - ليس فقط بسبب البقايا الرائعة التي ما زالت موجودة ، بل أيضا
بشهادة التاريخ . وحسب ما أورده المقریزی (٢) كان البطريرك كيرلس
(حوالى سنة ٤٢٠ للميلاد) هو أول من أباح الرسوم (الصور وليست
التمائيل والمنحوتات كما يسميها مستر مالان Mr Malan) في كنائس
الاسكندرية وفي الأراضى المصرية .

ولا يوجد أى دليل على أن الأقباط قد أباحوا استخدام التماثيل أو
المنحوتات لتزيين كنائسهم ، وإنما يوجد الدليل على عكس ذلك . وبعد
ذلك بثلاثة قرون قرأ (٣) على أن أسامة بن زيد قد هدم الكنائس
(كسر الصلبان ، ونهب الصور وحطم كافة المنحوتات) ولكن
الواضح هو أن الصور هنا تعنى الرسوم الحائطية ولذلك فأننى أعتقد أن
الكاتب كان يقصد بالمنحوتات - ما نسميه نحن : الايقونات ، لأن اللغة
العربية تمتلئ بالمتراذفات فى مثل هذه الحالات . وينطبق نفس الاصطلاح
على كل من التماثيل والصور .

ومرة أخرى فان ثيوفيلوس Theophilus قد أمر حوالى سنة ٨٦٠
للميلاد بإزالة جميع الصور من الكنائس ولذلك لم تبق ولا صورة واحدة
فى أى كنيسة (٤) - وهى فكرة يبدو أنها تنقل للمرة الثانية فكرة الرسوم
الحائطية . ولم يندثر هذا الفن تماما حتى القرن السابع ، لأن ريتودو
Renaudot يذكر أنه كانت هناك فى ساحة الأخباش (٥) بالقرب

Vol. II, p. 134, n. 22.

(١)

ويجدر التنويه هنا بأن كافة النصوص التي اقتبسنا تعود الى أصل فرنسى .

Malan's trans. p. 56.

(٢)

Al Makrizi, p. 77.

(٣)

Id. p. 84.

(٤)

(٥) لقد اندثر هذا الاسم تماما وفشلت كافة جهود القبط التي بذلت على إيماننا هذه

فى كشف أى شيء عنه ما خلا الاعتراف بعدم وجود معلومات .

من مصر القديمة في أيام أبو صلح الأرمني (١) كنيسة مكرسة على اسم القديس مار بقطر كان بها نقش قبطي يذكر أن الرسوم الحائطية قد تمت في سنة ٧٥٩ للشهداء أي سنة ١٠٤٣ للميلاد . ولم يبق منها اليوم أي حجر أو أثر أو إشاعة . وعلينا أن نقارن الرسوم الحائطية التي تعود إلى القرن الحادي عشر والتي تمثل آخر الجهود التي بذلت للحفاظ على هذا الفن قبل انقراضه النهائي في مصر - بالأعمال المبكرة التي ما زالت تزين العديد من الكنائس . ومع أن الرسوم العديدة التي ما زالت موجودة يستدل على تاريخها من وجود نقش أو غير ذلك من الدلائل ، إلا أن العديد منها لا يمكن أن يتجاوز تاريخه القرن الثامن . وإن كانت بعض رسوم (الفريسكو) Frescoes يعود تاريخها إلى أيام قسطنطين . وقد نفذت كافة هذه الرسوم على المصيص الجاف أو الرخام ، كما خلطت الألوان بمادة صمغية : أنها في حقيقة الأمر رسوم بالطلاء الجيري ، ولا يصح أن يطلق عليها اسم رسوم الفريسكو ، ولكنني استخدمت اصطلاح فريسكو لمجرد الملاءمة لأنه شائع الاستخدام بين عامة الناس .

وأكثر أجزاء الكنائس انشغالا بهذه الرسوم هي أعمدة صحن الكنيسة والحائط المقوس واستدارة المحراب . ولا شك أنه حيث نجد الآن حائط المحراب مغطى بالرخام ومجهزا برسوم الموزاييك ، فإن نفس هذه المساحة كانت تحتلها من قبل رسوم الفريسكو ، التي حلت محلها الطريقة الجديدة بعد انحلالها . وعلى ذلك فإن المحراب الرئيسي بكنيسة أبي سرجة مغطى بهذا الرخام ، بينما الهيكل الجانبى الغربى غير المستخدم مازال يحتفظ في محرابه ببعض الرسوم الأصلية التي تعود إلى القرن الثامن . وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن الألوان وتحديدات الأشكال التي كانت مرسومة يوما ما فوق الأحد عشر عمودا القائمة بصحن الكنيسة دون تغيير - ما زالت واضحة . وكافة الأشكال الموجودة بهذه الكنيسة مرسومة على ارتفاع خمس أو ست أقدام ؛ ولها أهمية خاصة من حيث أنها تكشف عن تشابه رسوم الحوائط القبطية المبكرة مع تلك الموجودة بكنائس الغرب . أما من حيث الطراز فهناك اختلاف بسيط يمكن ملاحظته بين العينات العديدة التي ما زالت موجودة . وهي كلها تنتمي إلى الشكل البيزنطى الذى يتميز بالوجوه الطبيعية والملابس التقليدية والخطوط البارزة . ولكننا نجد هناك علامات على الحيوية الدافقة والتحرر في النماذج النادرة لمجموعات الأشخاص الباقية بالكنيسة التابعة لكنيسة المعلقة . وفي الدهليز العلوى بكنيسة القديسة بربارة . أما في كنيسة المعلقة نفسها فلم يبق سوى شكل واحد غير كامل فوق أحد الأعمدة .

(١) ورد اسم أبو صلح في المخطوط رقم ٣٠٧ بالمكتبة القومية في باريس .

وكذلك فى كنيسة الانبأشنودة شكل واحد فوق أحد الأعمدة مع بعض رسوم الفريسكو غير الملونة بالهيكل الجانبى المكرس على اسم مارجرجس فوق هذه الكنيسة . ويمكن مشاهدة آثار رسم لعماد السيد المسيح بلون واحد على الحائط الشرقى للكنيسة الصغرى المكرسة على اسم ست مريم فوق المندرة بكنيسة أبى سيفين . وبالإضافة الى الأمثلة السابقة فإن غالبية حوائط الشرقية فى الهياكل الرئيسية والجانبية الأخرى تتضمن رسما بالفريسكو للسيد المسيح فى المجد ، وقد رفع يده اليمنى لمنح البركة . وهذا المنظر الموجود بمقابر أرجب Urgub فى كبادوكية Cappadocia ، والشائع فى كافة أنحاء الشرق ، يمكن مشاهدته كذلك فى بعض الكنائس الرومانية واللومباردية دون غيرها من البلدان الغربية (١) .

أما الكنائس اللاتينية فإنها تفضل رسم السيد المسيح مصلوبا . ويبدو أن تزيين حوائط الكنيسة بصور القديسين الملائكة منتشر فى كافة أنحاء مصر وأن آثار رسوم الفريسكو القديمة ما زالت موجودة على الحوائط ، ليس فقط فى الكنائس المتناثرة على ضفتى النيل ، حتى الحدود الجنوبية لمصر ، بل أيضا فى كافة الأماكن الصحراوية البعيدة التى تسلك إليها الرهبان ، حيث حملوا معهم فن الرسوم الجدارية . أما فى الصحراء الغربية فإن أديرة وادى النطرون ما زالت تحتفظ بالعديد من هذه النماذج ومنها على سبيل المثال المطعمة بدير السريان وصحن الكنيسة المكرسة على اسم القديس الأنبايشوى ، بينما نجد أن الكنيسة القديمة المكرسة على اسم القديس الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية عند البحر الأحمر ، قد غطيت جميع حوائطها تقريبا برسوم الفريسكو الغامقة والتي تستوجب الاحترام .

الصور

لقد أوردنا الوصف التفصيلى للرسوم العادية الموجودة فوق العوارض العلوية أو اللوحات المصنوعة من القماش فى مكان آخر حتى انه يكفىنا أن نورد هنا بعض الملاحظات العامة : ان الرسوم الموجودة فوق العوارض العلوية أقدم وأكثر أهمية بالنسبة لتلك المتضمنة فى اللوحات المصنوعة من القماش - ولم يستخدم القماش كوسط للرسوم الا خلال القرنين الأخيرين فقط . ونلاحظ أن الرسامين الذين استخدموا القماش كانوا غير

أكفاء لأن تصميماتهم والأوانهم كانت بدائية الى الدرجة التي تجعلنا نستبعد هذه لأنها غير ذات قيمة . أما الرسوم التي فوق العوارض العلوية فمن الصعب تصنيفها سواء من حيث التاريخ أو الطراز نظرا لشيوع الأساليب والتقاليد البيزنطية فيها . ولكن يوجد عدد قليل من الصور قد وضع فوقها تاريخ رسمها بوضوح ، وهي تعتبر علامات نستطيع أن نتعرف فيها على نظام التطور وربما التخلف .

واعتقد أنه لم تبق صور تعود الى تاريخ أقدم من القرن الثالث عشر . وإنما بقيت صورة واحدة تعود بلا منازع الى تاريخ أقدم من هذا التاريخ ، وأعني بها تلك المرسومة على صندوق المذبح أو الكرسي بكنيسة أبني سيفين . أنها تشكل في حد ذاتها نوعية متفردة لأنها تتميز بالنجومة البراقة من حيث استخدام الأضواء والظلال وعمق التعبير المثالي ، بطريقة تثير الإعجب ، خاصة مع استخدامها في صورة شرقية . وقد دون التاريخ ١٢٨٠ للميلاد بخط قبضي واضح . ولقد ذكرنا الكثير حول هذه الصورة ولكنني أضيف فقط أن هذا العمل الفني المتفرد يكفي في حد ذاته (إذا لم تكن هناك صورة أخرى تعود الى نفس الحقبة التاريخية) للدلالة على قيام مدرسة مصرية للمصورين الذين تفوقوا على الفنانين المعاصرين في إيطاليا . وربما كانت الصورة الضخمة لحياة السيد المسيح بنفس الكنيسة ، تلك التي تنتمي الى نفس الفترة ، أو بعدها بقليل ، تقل عنها قليلا من حيث جودة التنفيذ . وكلتا الصورتين في الحقيقة كافة الصور القديمة بالكنايس القبطية مرسومة على لوحات تم اعدادها بطريقة غريبة ، فقد غطي الخشب بالقماش لمنع تشققه . وبعد ذلك نثرت فوق القماش بطانة رقيقة من الجص ، ثم غطي الجص بالذهب . وهكذا فإن الأرضية الذهبية التي شاعت في هذه الصور القديمة لم توضع منفصلة ، ولكنها تمثل الجزء من السطح المجهز للرسم ، والذي لم تستخدم الألوان لتغطيته . وهناك العديد من الأمثلة التي تبرهن على هذه النقطة - ومنها صورتان كان يحتفظ بهما مؤلف هذا الكتاب - وقد تساقطت عنهما قشور من الألوان كاشفة عن سطح من الذهب تحتها . ويبدو الذهب مصقولا الى أعلى درجة من اللمعان كما لو كان معدنا خالصا ، مثل أفضل مخطوطاتنا الموشاة . وفي بعض الحالات نجد أن الخطوط الأساسية للتصميم قد نحتت على الذهب بنسماز من الصلب ، ولا شك في أن هذا الأسلوب مستعار من الرسم التخطيطي (الكروكي) على الورق ، وفي بعض الأحيان تحفر في الجص أنواع من الزخرفة لفاتح المخطوطات أو الزخرفة باستخدام النقطة - خاصة فوق هالات القديسين - والصورة التي في صدر الكتاب بمواجهة العنوان الداخلي مأخوذة عن صورة تحمل توقيع «المقدس نصيف» بالعربية . ويعود تاريخها الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر وهي.

تتميز بالتأثير العميق الذي يشع على مجلف الانجيل فوق ثوب القديس مرقوريوس St. Mercurius ، وفي أماكن أخرى - مضافا بهاء بلون الياقوت الأحمر الشفاف . وهذا التأثير ناتج عن وضع صبغة لامعة فوق أرضية من الذهب المصقول : أما استخدام القماش كمصنوع خام توضع فوقه الألوان - الأمر الذي لم يكن معروفا قبل القرن الثامن عشر ، فإنه علامة على آخر مراحل اضمحلال فن الرسم القبطي . ولذلك فإننا لا نجد صورة واحدة ذات قيمة ضمن مخلفات القرن الماضي أو الحال فيما عدا الصور التي حفظت في نوع من الأغلفة التي تشبه المومياوات التي بقيت ضمن تقاليد الماضي .

وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن فن الرسم على اللوحات في مصر يعود الى زمن مبكر . وإذا تذكرنا كيف أن الأقباط وكنائسهم قد تعرضوا للحريق والسيف وكيف أن بعض الذين اضطهدوهم من المسلمين لم يكونوا يكرهون ديانة المسيح فحسب بل وأيضا كافة الصور التي تمثل الشخصيات المقدسة ، فإننا لا نعجب كثيرا لضياع الصور الأثرية ، وأن أية رسوم تعود الى أبعد من القرن الثالث عشر قد بقيت على الرغم من الدمار الذي تعرضت له على مدى ستة قرون (*) ومن المؤكد تماما أن الأعمال الفنية التي من نوعية صندوق المذبح بكنيسة أبى سيفين لم تصل الى مرتبة الكمال فجأة أو بالصدفة ، وأن القوة التي تنم عنها لم تتطور في حدود حقبة زمنية واحدة وإنما نتجت عن مقدمات طويلة من المهارة المدربة والخيال المتمرس ولا نعرف متى بدأ فن رسم اللوحات ولكن القصة التي أوردتها فانسليب Vansleb تدل على أن الأقباط يحق لهم الادعاء بأنهم مارسوا هذا الفن منذ عصر الرسل . فهو يقول (١) انه كانت توجد بكنيسة القديس مرقس بالاسكندرية منذ قرنين من الزمان صورة لرئيس الملائكة ميخائيل ، قيل انها قد رسمت بيد القديس لوقا الانجيلي . وتقول القصة ان البنادقة قد استولوا عليها وحملوها معهم في البحر بهدف ابعادها عن مصر ، ولكن العواصف أعادتتهم الى الميناء خمس مرات حتى أعادوا الصورة مرة أخرى . ولما سمع بعض البدو عن هذه القصة اندفعوا الى الكنيسة بهدف سرقة هذه الأيقونة وبيعها للبنادقة . ولكنهم بمجرد دخولهم الى الكنيسة تسمرت أقدامهم بفعل قوة معجزية عندما حاولوا الخروج مع غنيمتهم : وهكذا

(*) هذه الكلام مبالغ فيه لأننا نجد بكنائس مصر القديمة العديد من الصور التي تعود الى أبعد من هذا التاريخ بقرون عديدة - وقد حفظت داخل الاطارات الثمينة وفي المقصورات المفضة دون أن تمسها أى آثار للتخريب اللهم الا بعض علامات البلى أو الانحلال أو شياح الألوان بفعل عنصر الزمن وزينة كنيسة العذراء الدمشيرية تثبت ذلك - (المترجم) .

Voyage fait en Egypte, p. 188.

فمثلوا هم أيضاً - في معامرتهم الدينية . ومهما كانت أهمية هذه القصة فان بقايا الرستوم الجدارية تبرهن على أن الفنانين الاقياط في القرن الرابع على الأقل - تميزوا بمثل هذه المهارة في التصميم والتلوين مما يدل على أن عملية التطور الطبيعي قد حققت نتائج عظيمة لو لم تتعرض للاختبار والتعطيل . ولا شك أن الفن القبطي بوجه عام قد تعرض لتأثير العناصر البيزنطية وأن الفن البيزنطي في أوروبا قد حفظ الرسوخ الواضح من حيث الأسلوب والجدارة لقرون عديدة ، الا أن الرسوم القبطية الباقية ، بدلا من أن تدل على أسلوب متفرد راسخ ، فانها تبين نظاما متصلا وثابتا للتغيير . وبالرغم من أن هذا التغيير عبارة عن تغيير نحو التفكك والانحلال ، الا أنه يبرهن على أن هذا الفن قد تضمن حيوية عضوية وقوة . ولذلك فلا بد أن نعود الى الوراء ، ومن خلال الفخامة التي نشهدها تتناقص ببطء على مدى ستة قرون ، نستطيع أن نستنتج أن البداية خارج نطاق معرفتنا ، وأن نلاحظ سطوعها وهو ينمو على مراحل هي على الأقل تتشابه في البطء مع تلك التي رصدناها خلال الانحلال .

ومن الصور ذات التواريخ الثابتة توجد مجموعتان تنتميان الى القرن الخامس عشر وكلاهما بكنيسة ست مريم في دير أبو سيفين . أما احدهما التي على الحائط الجنوبي للخوروس فانها تتضمن ثلاث صور تمثل عماد السيد المسيح وأبو نفر والأنبا شنودة . ويعود تاريخ هذه الصور الثلاث الى سنة ١١٧٩ للشهداء التي توافق سنة ١٤٦٢ للميلاد . ويوجد بجوار هذه الصور على حجاب هيكل الجناح الجنوبي مجموعة رائعة مكونة من خمس صور يعود تاريخها الى سنة ١٤٧٧ للميلاد . وبالمقارنة مع فن القرن الثالث عشر ، نجد أن الوجوه المرسومة في هذه الصور قد فقدت تعبيرها الحيوي ، فاللامح أصبحت أكثر تحديدا ، أما طيات القماش فقد أصبحت أكثر تقليدية ، ورغم أنه لا توجد نفس النعومة المعهودة في الخطوط الخارجية ، مع نفس التدرج الرقيق في الأضواء والظلال ، الا أن التحكم الفني في الألوان مازال مثيرا للاعجاب ، ولكن يبدو كما لو أن الخصائص الروحية قد ضاعت من الرسم الى حد كبير .

ان أعمال القرنين السادس عشر والسابع عشر شائعة ، الا أن هناك فخامة ملحوظة في القرن السابع الذي تظهر فيه حدة الانحلال أقل وضوحا . ويرى الأمثلة على ذلك بكنائس أبو سرجة والمعلقة والأمير تادرس وغيرها من الكنائس . وابتداء من القرن السادس عشر يبدو الاضمحلال في القوة والأصالة مقبولا الى حد كبير حتى نصل الى المرحلة الأخيرة بعد أن نتجاوز طبقات الطلاء الخامدة التي تعود الى القرن الأخير ، وبذلك ندخل في الانقطاع النهائي لفن الرسم الذي نشهده في وقتنا الحالي .

ونوجز القول بأنه يبدو أن الفن القبطي لم يرتبط بقوانين التقليد الصعبة ، بنفس الطريقة التي ارتبط بها الفن في الكنيسة اليونانية . ولا يوجد في القاهرة تماثيل مع تجربة ديدرون Didron ، الذي شاهد رهبان جبل أثوس Athos منذ خمسين عاما وهم ينتجون التصميمات والألوان التي تنتمي إلى القرن الرابع أو الخامس حسب الروتين القائم على التجربة العملية ، وهم الذين أسسوا مدرسة للرسمين تعتمد على مبدأ « الرسم حسب الغريزة » . مثلما يبنى السنونو عشبه أو النحلة قرص العسل . ولا يوجد في مصر اليوم كما هو الحال في روسيا الفنانون الذين مازالوا يرسمون لوحاتهم باستخدام أسلوب القرن الثالث عشر ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفنانين الأقباط لم يعبروا عن استقلاليتهم وتفردهم في الأسلوب فقط . ان مجموعة الموضوعات المختلفة لا تقل روعة عن مجموعة الأساليب التي استخدمت لتنفيذ كل موضوع ، فنجد أن رئيس الملائكة جبرائيل يرسم أحيانا وفي يده سيف ، وأحيانا صليب ، وأحيانا أخرى بوق . كما يرسم أحيانا مرتديا ثوبا واحدا فضفاضا ، وأحيانا أخرى مرتديا الملابس الكهنوتية الكاملة . أما صورة البشارة وصورة ميلاد السيد المسيح فنادر ما كرر الفنان القبطي رسم أي منهما بنفس التفاصيل التي أوردها في رسم سابق . وبينما نحن نتحدث عن أن الموضوعات تشابه في التعدد والتنوع مع الرسوم المسيحية المبكرة في الغرب ، إلا أنه توجد بعض الاستثناءات والاختلافات العجيبة ، فعلى سبيل المثال نجد أنه بينما يشيع في سراديب روما موضوع واحد هو السيد المسيح بوصفه الراعي الصالح (١) فإنني لا أتذكر نموذجا واحدا لهذا الموضوع مرسوما على أي حائط قبطي ، أو لوحة قبطية . كما نلاحظ غياب العديد من الرموز الشائعة في المسيحية الغربية ، فقد نرى الطيور التي تأكل العنب والطيء المتشعب القرون في حفر خشبي أو اثنين ، كما نجد رسما واحدا للدوقيل محفورا على الرخام . أما رسم السفينة والأسماك فلا يوجد سواها في الحفر أو الرسم بالرغم من أن القديس اكليمينص الاسكندري هو أول من شهد باستخدام السمكة كرمز مسيحي . ومن ناحية أخرى فإن الكنائس قد زخرت بالمنابر وصور الأشخاص خاصة صور الشهداء الأقباط مثل الشهداء الخمسة وأهمهم ، والقديسين مثل مارمينا ، والبطاركة مثل الأنبا شنودة ، والنسك أو السواح مثل القديس أنطونيوس والقديس أبانوف أو القديس برسوم البريان . فقد ترك بعضهم وأقول بعضهم سيرة طيبة ، تجاوزت حدود مصر ولكنهم جميعا نالوا التكريم داخل القطر المصري حيث

(١) Roma Sotteranea, transl. by Northcote and Brownlow, Lond. 1879, Vol. II, p. 45.

يجد أن قصص إعمالهم البطولية والإمهم ، مازالت تروي ، وأن صورهم مازالت ترسم فوق الألواح التي تغطي حوائط الهيكل .

وهناك أيضا اختلاف آخر ما بين فن الرسم اليوناني والقبطي ، وهذه نقطة يجب ألا نتجاوزها في صمت ، لأنها تميز الفن القبطي ليس فقط عن الفن اليوناني ، بل إنها تميزه عن سائر فنون المسيحية الغربية ، وهي أن الأقباط هم المسيحيون الوحيدون الذين لا يهتجون لرسم تعذيب القديسين على الأرض ، أو الخطاة في جهنم . أما كنائسنا الانجليزية فقد اشتهرت برسوم الفريسكو التي تتضمن الجحاشم والعظام والشياطين البشعة الشكل . ومن المعتاد أن تجد صورة الدينونة الأخيرة مرسومة في الكنائس الانجليزية فوق عقد القسم الشرقي الخاص بالقسوس والمرتلين ، ولا تجد أي خروج على التقليد الخاص برسم هذا المنظر . ونجد على سبيل المثال أن كنيسة لوترويث Lutterworth مازالت تحتفظ بهذا الرسم في حالة جيدة . كما نشاهد على السطوح الباهتة للحوائط حول هيكل العذراء بكنائس وانشستر Winchester ، آثار صور جنات خبيثة ، تقوم بتمثيل أدوار التعذيب ، كما نشاهد فوق الباب الغربي لكاتدرائية أميانز Amiens صورتى قيامة السيد المسيح وصورة الدينونة محفورة على الحجر ، وتعرض نفس الأهوال التي وردت في كتاب مزامير أوترشت Utrecht Psalter ، ولوحات الفريسكو التي رسمها أندريا أوركاغنا Andrea Orcagna في كنيسة كامبو سانتو Campo Santo بمدينة بيزا Pisa ، ولوحات الموزاييك بكنيسة دومو Duomo في تورشيللو Torcello . وكذلك نجد أن كل كنيسة في جبل أثوس Athos بها صورة الدينونة الأخيرة مرسومة في المدخل المسقوف للكنيسة وبها تفاصيل الأهوال التي وصفها كيرزون Curzon بسعادة بالغة (١) . ويذكر نفس المؤلف في موضع آخر أن « هؤلاء الرهبان اليونانيون يمتلكهم جب عجيب للشيطان ولكل شيء مفزع وبشع الشكل ، ولم أر طوال حياتي صورة واحدة لقديس يوناني حسن الطلعة ، مرسوما في أي كنيسة » (٢) . أما في الكنيسة القبطية فلا توجد مثل هذه الصور المربعة . ولا توجد هذه الصور في أي جزء من العالم الذي يزخر بآثار العصور الأولى للكنيسة ، ولكنها نتاج الذوق المريض الذي ساد في العصور الوسطى .

ويظن مستر راسكين Ruskin أن رسوم الموزاييك في تورشيللو Torello قد يعود تاريخها إلى القرن السابع (١) ولكن لو صح ذلك

Monasteries of the Levant, pp. 301-302.

Id. p. 258.

Stones of Venice, of Venice, Vol. II. App.

(١)

(٢)

(٣)

فستكون هناك هوة زمنية بينها وبين الصور المشابهة في الأماكن الأخرى .
أما رسوم الفريسكو في جبل أثوس Athos فهي أكثر حداثة في بعض
الحالات . أما الموضوع ان لم يكن العمل الفني ذاته ، فانه يعود الى عدة
قرون سابقة ويسجل تكساير Texier وبولان Pullan (١) نماذج
أخرى من النوع الأخير ولكن ليس بينها ما هو موغل في القدم . وكما كان
احساس الكنيسة المبكرة وهي سعيدة بتصوير السيد المسيح في المجد وقد
أحاط به القديسون المنتصرون - شديد الرفة والركة - فانها تركت هلاك
الأشوار ليغوص في صمت الخيال . وهذا الاستبقاء الحكيم ورفض تصوير
عذابات الجحيم باستخدام الألوان ، أو نشر عقيدة الفزع ، كان وما زال
هو الطابع الدائم للفن القبطي بالرغم من تعارضه مع فنون سائر المسيحيين
وإذا صح تفكير تكساير Texier وبولان Pullan بأن صور الهول هذه
بيزنطية في الطابع ، وفي اشتقاق أصولها من عملية وزن الروح وغير ذلك
من أساطير قدماء المصريين ، فانها على الأقل شديدة الغرابة الى درجة أنه
خلال القرون الستة الأولى للمسيحية - والتي كانت عبادة ايزيس
وأوزوريس مازالت منتشرة خلالها - لا نجد أى أثر أو ذكر لمثل هذه
الرسوم . ولابد أن مصر كانت هي القطر الوحيد الذي تميز عن غيره من
الأقطار بغياب هذه النوعية من الرسوم في كافة فترات التاريخ المسيحي ،
وأهم من ذلك أن الزمان والمكان القريبين من هذا الارتباط المفترض ، هما
نفس الزمان والمكان اللذين أغفلا أى إشارة اليه . وهنا نجد أن الإدراك
والمنطق يستدعيان تفسيراً آخر . ومن المؤكد أن يكون هذا التفسير معقولا
بحيث يغطي على التشابه الغريب الموجود بين رسوم العصور الوسطى
الخاصة بجهنم والمنتشرة في كل أوربا ، وموضع العذابات الذي يظهر في
الرسوم البوذية بالهند (٢) . وأن يبرز هذا التشابه فكرة ارتباط الفن
البيزنطي بالفن البوذي . وأظن أن الأمر لا يحتاج لأى بحث عويص لاكتشاف
أن نفس مراحل الاعتقاد والتعبير الفني ذات أصول وتطورات مستقلة .
وعلى الانسان أن يتذكر فقط كيف أن مرور الزمن قد أدى بالفكرة الأصلية
للحياة المسيحية والفكر المسيحي الى التصلب بحيث أصبح التعصب المذهبي
أحد المبادئ اللاهوتية ، بينما ضعفت الأمور الروحية الى درجة الرغبة
المتعسفة في استخدام الواقعية في الفن . وبذلك يصبح من السهل أن
نفهم - بالاستعانة بالمادة الضئيلة التي يقدمها الكتاب المقدس - كيف
أن هذا الذوق الفاسد والخيال المريض - اللذين انتشرا في عصر الخرافات
- قد رحبا باختراع وتصوير الأهوال بالألوان ، في أسلوب أكثر انحطاطا
من أساليب التتار الوثنيين .

Byzantine Architecture, p. 41.

(١)

See : Lord Lindsay's *Sketches of the History of Christian Art*, vol. 1. p. xxxiii.

(٢)

وإذا تجاوزنا الموضوع الى الشكل نقول ان الأقباط لم يشاطروا البيزنطيين أو اليونانيين عادة وضع صور اللوحات داخل صفائح من الفضة، أو وضعها داخل براويز معدنية . ويمكن أن نشاهد أو نخمن وضع مثل هذه الصور في معظم الكنائس اليونانية اليوم ، ذلك لأن اللوحة كلها مغطاة بالفضة فيما عدا وجوه الأشخاص التي تبرز من فتحات في الفضة ، بينما نحتت الملابس وبقية التفاصيل في شكل بارز فوق سطح الصفحة الفضية .

ولا نعرف متى بدأت هذه العادة ولكن يبدو أنها قديمة الى حد ما . ويذكر كيرزون Curzon بين العديد من الصور التي نفذت بهذا الأسلوب ، صورتين للامبراطورة ثيودورا ، ورسمين آخرين جلبا من القسطنطينية في أواسط القرن الخامس عشر . وكلها موجودة بدير فاتوبيد Vatopede بجبل أثوس Athos (١) . وبالطبع فإن الصفحة الفضية مقصود بها حماية الصورة من الضرر الذي قد ينتج عن عادة تقبيل الصور . ويبدو أنه من وقت لآخر نشبت موجات من العنف ضد القيم السائدة بخصوص تقديس الأيقونات في مصر . وعلى ذلك فانه في سنة ١٨٥١ قام البطريرك الأنبا كيرلس الذي بنى الكاتدرائية الحالية بالقاهرة دون مراعاة لمقاييس الجمال - بالاعتراض على المبالغة في احترام الصور ، ومن باب التصميم على تحطيم الخرافات ، أصدر الأمر بإزالة الصور من كافة الأنحاء وقضى عليها في حريق هائل . ولا شك أن العديد من أقدم وأجمل الأيقونات قد هلك بالرغم من أن هذا الأمر لم يعتد به في حالات أخرى كثيرة .

ويمتلك الأقباط عددا لا بأس به من الصور الدينية في منازلهم ، ومعظمها قليل الجودة . وهم يصلون أمامها ، كما يشعلون أمامها الشموع وفاء للندور . وبالرغم من أن الكنيسة تحرم الصلاة للقديسين ، فإن هذه العادة كانت شائعة بين السيدات اللائي هن أشد جهلا من الرجال . أما أكثر القديسين احتراماً في هذا الخصوص فهم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل والعذراء مريم ومار جرجس والقديس مرقوريوس أبو سيفين .

الفصل الرابع

ملابس رجال الاكليروس الأقباط

المصادر السابقة - التونية - الشملة - المنطقة - البطرشيل -
الصدرية - الكمان

ان الكتاب العديدين الذين غامروا بالتعرض لموضوع الملابس الكهنوتية - واجهوا صعوبة في التوصل الى نتيجة سريعة واضحة ونهائية ، وضربوا الأمثال وركزوا سواء عمدا أو عن غير عمد - على الغموض الذي أحاط بالموضوع . أما الأسلوب الذي سآتبعه الآن فانه يتلخص في مراجعة ومقارنة جميع الأدلة المكتوبة حول الموضوع . وإذا كان ممكنا فأننى سأقرر على ضوء معلوماتى - حقيقة الملابس الكهنوتية ، ثم أصفها وأقارنها واحدة فواحدة ، بالملابس المماثلة فى الكنائس الأخرى الشرقية والغربية ، وأخيرا فأننى سأذكر شكلا أو شكلين من أشكال الملابس التى لم يدونها الكتاب السابقون وهى أشكال نرى أن الدليل عليها مصور أكثر منه مكتوب . ان القائمة التى سنوردها هنا مقتبسة عن المؤرخ العربى أبو دقن (١) كما أوردتها السير أ . سادلير E. Sadleir سنة ١٦٩٣ . وأشك بشدة فى أن تكون هذه الترجمة الانجليزية عملا قديما قد نقل مباشرة عن النسخة اللاتينية لنفس المؤلف ، تلك التى نشرت فى أكسفورد سنة ١٦٧٥ . ولا يدهشنا ظهور الأخطاء فى مثل هذه الترجمة الانجليزية التى أخذت عن الترجمة اللاتينية . وحتى اذا كانت اصطلاحات العبادة فى المصدر الأصيلى صحيحة فنيا وتم عرضها بوضوح فهى نادرة مهما كانت الأحوال . وهناك مصدر آخر للخطأ ، يتردد كثيرا بصورة مزعجة الا وهو جهل المصنفين الذين يبدو أنهم لم يفهموا لغة العبادة (٢) ولكن ما يساعدنا على

(١) History of the Jacobites, tr. by Sir E. Sadleir, London, 1693.

(٢) مما يؤسف له انه حتى المفضل وأحدث المعاجم العربية مثل معجم لين Lane والدكتور بادجر Badger شديدة النقص فى هذا الصدد .

الاستمرار هو أن أبو دقن يقدم لنا القائمة التالية على أنها تتضمن الملابس الكهنوتية :

١. - افود ephod من الصوف حول الرأس ، ومن الواضح أن هذه هي الشملة رغم أن أبو دقن يذكر أنه ليس الكهنة فقط هم الذين يرتدونها بل أيضا كل من يدخل الكنيسة - وهي ملحوظة صعبة الفهم اذا لم يكن المقصود بها العمامة ، ولكننا سرعان ما نورد تفسيراً آخر .

٢. - التونية Dalmatic ثوب طويل من الكتان يصل الى القدمين ومزين بالجواهر على شكل صليب على الظهر والصدر والحواف وأطراف الأكمام . أما اذا كانت الكنيسة فقيرة ، فانه يطرز بالحرير بدلا من الجواهر . وهذه التونية واحدة من الأدلة العديدة على عظمة الطقس القبطي القديم .

٣. - المنطقة Girdle .

٤. - المنديل أو اللفافة Manipule يحمل الكاهن فقط في يده اليسرى ولا يسمح للشمامسة أو الرتب الأدنى بحمله ، وأشك بشدة في صحة هذه العبارة .

٥. - الغفارة Cope - الاسم اللاتيني لها هو Pallium cum cucullo ويقال انها تستخدم في أثناء القداس بواسطة الكاهن أو الشماس أو الرتب الأدنى عندما لا يكون الأسقف مشاركا في الصلاة ، وتطلق كلمة قلنسوة hood على الشملة Amice . أما الغفارة فهي الجبة أو العباءة التي يرتديها الكهنة الأقباط وقد أصبنا بذكرها هنا .

٦. - البطرشيل Stole . يقول النص اللاتيني عن هذه القطعة من الملابس الكهنوتية :

“Nulli ferunt nisi pontifices”.

وهذه العبارة أصبحت في النص الانجليزي كما يلي : « لا يرتدي البطرشيل الا الأساقفة » وهي استحالة لا تحتاج الى تفنيد .

دعنا الآن نعد الى القائمة التي أوردها فانسليب Vansleb (١) الذي عاش بالقاهرة فيما بين عامي ١٦٧٢ - ١٦٧٣ وكان في الغالب دارساً مدققاً - ويقدم لنا سبع قطع للملابس الكهنوتية كما يلي :

- ١ - القميص Alb ويسمى فى العربية : التونية .
 - ٢ - الشملة Amice شريط طويل من الكتان الأبيض يرتديه الكهنة: والشمامسة ملتفا حول الرأس ويسمى بالعربية (الطيلسان) وبالقبطية (بى لوجيون) .
 - ٣ - المنطقة وهى مصنوعة من الحرير .
 - ٤ ، ٥ - الكمان .
 - ٦ - البطرشيل .
 - ٧ - الغفارة : ويجب أن تصحبها القلنسوة بالنسبة للأساقفة وليس الكهنة . ويبدو أن هذه القطعة مميزة بالقلنسوة كما ذكر أبو دقن . ولكن كلا المصدرين يختلفان فيما يتعلق بالاستخدام ، لأنه بينما يخصص أبو دقن الغفارة ذات القلنسوة للكهنة والشمامسة ويستثنى الأساقفة ، فان فانسليب Vansleb يخصص الغفارة ذات القلنسوة للكهنة دون الأساقفة ويقدم الكلمة المساوية لها فى العربية وهى البرنس ، أما رينودو Renaudot (١) فى كتابه العظيم عن القداسات الشرقية فيخصص مصدرين للملابس القبطية هما الأنبا غبريال وأبو صبا (٢) . والأنبا غبريال هو البطريرك الثامن والثمانون من بطاركة الاسكندرية . ويذكر فى كتابه عن الطقوس الذى نشر سنة ١٤١١ للميلاد الملابس الكهنوتية كما يلى :
 - ١ - التونية المصنوعة من الحرير .
 - ٢ - الشملة على مثال افود هارون .
 - ٣ - البطرشيل .
 - ٤ - المنطقة .
 - ٥ ، ٦ - الكمان .
 - ٧ - بدلة القداس أو البرنس من الحرير الأبيض .
- وكذلك فان أبو صبا يذكر سبعة أيضا كما يلى :

(١) Liturgiarum Orientalium Collectio, Second edition, Frankfurt, 1847, 4 to vol. 1, pp. 161-163.

(٢) اطلق رينودو وغيره اسم : أبوسيبا على هذا الكاتب ، ولكن الهجاء الصحيح له كما ورد فى مخطوط عربى هو : أبوصبا .

١١ - التونية .

٢ - الشملة .

٣ - المنطقة .

٤ ، ٥ - الكمان .

٦ - البطرشيل الذى يعلقه الكاهن فى عنقه (ايبتراخيليون) .

٧ - بدلة القديس . وما تخص منها الأساقفة ، لها ياقة من الذهب أو مطرزة بالخيوط الثمينة حول العنق وهى ليست كذلك بالنسبة للكهنة . وإذا قارنا هذه العبارة بتلك التى أوردها فانسليب يبدو لنا أنه من الممكن أن يكون هذا الرداء أقرب الى الجبة وليس بدلة للقديس ، وأن القلنسوة التى اختفت هنا ورد أنها مطرزة ، بالقياس الدقيق الى النوعيات المعتادة فى الغرب .

وبعد أن ينوه رينودو عن صعوبة تقديم عرض واضح لهذه الملابس المختلفة انطلاقاً من حقيقة صعوبة تأويل الاصطلاحات حتى باستخدام المعاجم - يمشى فى مناقشتها بالترتيب - وهى عملية من المناسب لنا متابعتها بتقديم ترجمة تحضيرية لها كما يلى :

١ - (التونية : ثوب طويل يصل الى الكعبين ، يسميها أبو صبا : الجبة - بينما يسميها البطريرك غبريال : التونية ، وهى نفس الكلمة اليونانية (ستيخاريون أو خيتونين) وترتديها كافة الرتب الكنسية حتى من هم دون رتبة الشماس - وهى متناسبة المقاييس وذات لون أبيض) .
ولا شك فى أن رواية رينودو صحيحة تماماً ، وهذه القطعة من الملابس هى ما نسميها التونية .

٢ - (الشملة : تسمى فى العربية طيلسان ويقابلها فى القبطية كلمة (ايوميس أو أبوميس أو بيلوجيون) كما وردت فى بعض المعاجم . وهى عبارة عن قطعة من الملابس توضع على الكتفين : ويبدو أنه يمكن تفسيرها من حيث انها تماثل بدلة القديس Chasuble عند اللاتين ويسمونها فينوليون .

وهذه الملاحظة الأخيرة من رينودو بالرغم من اتفاقها مع ما أورده دوكانج الا أنها غير موفقة . وقد نقل نيل هذا الخطأ عن رينودو بدون تحقيق ، وجعله ضمن مصادره . وهو يذكر بأسهاب أن كلمة chasuble يسميها القبط : طيلسان (١) . أما أبو دقن وفانسليب فانهما واضحا

جدا في بيان أن الشملة هي رداء قبطنى ، ويعرف (فانسلين) الكلمة محل المناقشة باستخدام اللفظين العربى والقبطنى وهما طيلسان وبى لوجيسون ولذلك لا يوجد سبب للخلط بين الطيلسان وبدلة القداس ، أو الشك في معنى طيلسان . وهو ليس محل تساؤل بالنسبة لمصادر رينودو كما هو الحال أيضا بالنسبة لمصادر الخاصة . أما النقطة التى تحتاج الى بعض الاهتمام فهى الخلط بين الشملة والافود rational ، وهى نقطة مر عليها رينودو بدون تفسير . والحقيقة هى أنه كان هناك منذ أقدم العصور ارتباط وثيق بين الافود والصدره breastplate ، أو الطيلسان والافود . وعلى ذلك نجد أن القديس جيروم Jerome يذكر ضمن رسالته عن ملابس الخدمة (١) : أن الافود يعادل الصدره لأنه غير مفتوح ومستقل، ولكن يمكن ربط الاثنين ليصبحا شيئا واحدا . ومرة أخرى (٢) يصف الصدره بأنها منسوجة من الذهب وبالوان زاهية مثل الافود . وفى موضع آخر (٣) يذكر القديس جيروم أن اللفظ المقابل فى الترجمة السبعينية للكتاب المقدس هو (اييومين) ويوجد الآن دليل على أن الصدره قد استخدمت كرداء تقليدى فى الشرق . ويورد ماريوت Marriott رسما لصدره جلدية وجدت فى تابوت بكنيسة الآلام فى موسكو (٤) ، ويذكر أنها لا يمكن أن يكون تاريخها أقدم من القرن العاشر وهى طراز استثنائى قصد به تقليد الصدره اليهودية . وقد نقل أيضا عن كتاب كنج (٥) قوله أن المطران الروسى يرتدى فوق صدره قطعتين من الملابس المزينة بالجواهر ، ويظن أنهما مأخوذتان عن الأوريم والتراقيم اللذين كانا على صدره هارون الكاهن . ولكن الدليل القاطع نجده لدى كنيسة شرقية أخرى هى الكنيسة الأرمنية ، حيث أن الشملة والصدره يوجدان مرتبطتين معا ، حسب الوصف الذى أورده القديس جيروم للافود والصدره . أما الشملة ذات الياقة Varkass فهى شملة صغيرة ذات ياقة صلبة ترتبط بها أحيانا صدره من الفضة أو الذهب (٦) ، ولذلك يبدو من المحتمل أنه كان هناك ارتباط بين الشملة والصدره خلال حقبة مبكرة من تاريخ الكنيسة القبطية . وإذا كان ذلك الأمر واردا فإنهما كانتا مرتبطتين معا . كما هو الحال فى الملابس الأرمنية ، وحينذاك يصبح من السهل فهم كيف أن الاسمين اييومين وبى لوجيون يجرى استخدامهما بالتبادل .

Marlot' Vestiarium Christianum. p. 23.

(١)

Id. p. 17.

(٢)

Id. p. 14.

(٣)

Vest. Christ. Pl. lvii. and p. 245.

(٤)

Greek Church, p. 39.

(٥)

Fortescue's Armenian Church, p. 133.

(٦)

وأخيرا فانه عندما بطل استخدام الصدرة ، ظهر خلط من جديد ، أو أن هذا الخلط يمكن تفسيره بطريقة مختلفة . فالشملة على كل حال كانت فى الكنيسة الغربية ذات شكل مربع أو مستطيل ، وكان يتم ارتداؤها يتداخل اثنين من أطرافها أحدهما فى الآخر عبر الجزء العلوى من الصدر ، وأن الأربطة كانت تربط من الأمام بعد احاطتها بالجسم . وعلى ذلك فقد كانت الشملة عادة عبارة عن صدرة . وإذا كانت الكنيسة القبطية تسير على نفس المنوال ، فمن الطبيعى أن يكون اللفظان ايومين وبى لوجيون قد جرى استخدامهما كمترادفين .

٣ - (المنطقة Girdle . انها لا تحتاج الى شرح فان مصادرها القديمة متوفرة ، ولها معنى خاص بين مسيحيى الشرق لأنه منذ الفتح الاسلامى أوحى بها العديد من الخلفاء للتمييز بين الأقباط والمسلمين . وقد حرص الحاكم ، وصلاح الدين على الأمر باستخدام هذه العلامة المشينة ، حسب مفهوم كافة المؤمنين من غير الاكليروس ، بينما تنافس رجال الاكليروس فيما بينهم فى مدح هذه القطعة الموقرة من الملابس . وانطلاقا من حقيقة تمييز المسيحيين بهذه المنطقة فقد أطلق عليهم اسم : « مسيحيو المنطقة - الزنار » - وهو اسم أثار العديد من التأويلات السخيفة) .

ودون الحاجة الى الزيا، من حصر النصوص الواردة ، نقول ان (المنطقة) لم تكن تستخدم بوصفها واحدة من الملابس الكهنوتية فقط ، وانما كانت لها مكانتها فى احتفالات العماد والزواج . ويبدو أن صفة « مسيحيو الزنار » قد أطلقها البنادقة . أما المرسوم المدنى الذى فرض على المسيحيين ارتداء الزنار لتمييزهم عن المسلمين ، فقد صدر لأول مرة ليس عن (الحاكم) ولكن قبل ذلك بحوالى قرن ونصف على أيام الخليفة (المتوكل) .

٤ ، ٥ - (من المحتمل أن يكون الكمان هما اييمانيكيا اللذان - حسب ما يذكره جور Goar - يرتديهما اليونانيون ، مفتوحين برباط حريرى لتقويتهم على الذراعين . ويتماثل اييمانيكيا تحت شكل آخر مع ما يسمى maniples فى الطقس اللاتينى . ولكن الكمين القبطيين حسب الأوصاف المحلية قد يكون لهما شكل مختلف بالرغم من أنه ليست لدينا معلومات مؤكدة فى هذا الصدد) .

وأظن أن تعريف manipule, epimanikia خطأ ، فالمعلومات المؤكدة التى أرادها رينودو فيما يتعلق بشكل الكمين القبطيين يستطيع القارئ أن يجدها فى موضع آخر بهذا الجزء من الكتاب .

٦ - (البطرشيل - يعلق من الرقبة • أما عدم معرفة أبو صبا بالبطرشيل اليونانى فقد دفعه الى تقديم اشتقاق غريب حيث يقول ان البطرشيل يعنى « الألف صخرة » وتقدم المعاجم كلمة (سكورديون) كمرادف لهذه الكلمة العربية ولكن هذا الاصطلاح غير معروف فى الطقس) •

وهذا الاشتقاق مستحيل بما فيه الكفاية ، الا أن رينودو حينما أخطأ فى الاقتباس العربى جعله يبدو أكثر غرابة • وأمىل الى الظن بأن أبو صبا كان لديه بعض المعرفة باللغة اليونانية • والكلمة التى يبدأ بها ليست بـبترشيل ولكن بطرشيل التى لا شك أنه يشتقها من بـبتر وخبليون • ويضيف أن البطرشيل هو رمز « رمز صخرة » التى تحيط بمسار الكنيسة وتتطلب اليقظة المستمرة من رجال الاكليروس الذين يقودونها ! ويتركز جهله الحقيقى فى أنه غفل عن رؤية أن البطرشيل هو تحريف للمصطلح اليونانى (ايبتراخيليون) ويلاحظ أن رينودو لا يقول شيئا عن شكل البطرشيل الذى سنورده بعد قليل •

٧ - (أخيرا تأتى بدلة القـداس chasuble وهى البرنس كاماسيون كما يفهمها القبط - وهى عبارة عن مصطلح يعنى غالبا كلمة القميص لدى اللاتين ، ولكنها هنا تعنى قطعة ملابس تماثل البدلة القديمة التى تلبس فوق بقية الملابس الأخرى وتحيط بكامل الجسم • والجزء العلوى منها له حافة من الذهب أو التطريز الثمين » تسمى فى القبطية (تى كوكليا) وفى العربية قصلة • وقد وصفها جور Goar بدقة مثلما وصف الملابس اليونانية • والبرنس مصنوع دائما من الحرير ولكن أبو البركات يذكر أن العديد من الرهبان والقسوس بالقاهرة كانوا يرتدون برنسا بسيطا من الصوف الأبيض بدون أية حواف مثل ذلك الذى يستخدمه رهبان الكارثوسيان Carthusians الفرنسيون فى خدمة المذبح • أما رهبان دير أبو مقار فلم يستخدموا البرنس فى خدمة المذبح ولكن فقط فى أوقات الصلوات العامة •

وكافة هذه الملابس لها معان رمزية مثل ملابس اليونانيين • وبالرغم من تضارب المصادر بسبب تداخل الاصطلاحات العربية وغياب تنظيم للتسمية يحدد معنى الكلمات القبطية أو اليونانية بالعربية ، فان هذه المصادر لا تشجع على إعادة الدراسة لأنها غير واضحة فيما يتعلق بعلاقة الأشكال القديمة للملابس بالشكل الحالى • وربما كان هناك تغيير بسيط يمكن أن نقره بمجرد الملاحظة وليس بالدليل المكتوب •

ولكن من الواضح أن كافة الملابس القبطية تتشابه تقريبا مع الملابس اليونانية ، فنجد أن (البرنس) يتشابه مع الفيلونيون أو فاينوليون

كما رسمه جور Goar ، ومع Casula أو planeta لدى اللاتين .
والقميص يتشابه مع القميص الغربى alb واليونانى ستيخاريون . وقد
احتفظ المسيحيون العرب بهذا الاصطلاح الأخير الذى يفسره الاخيمى
بأنه القميص . ويتم تقوية الكمين بأربطة حريرية . بينما
يتضح لنا أنهما مصنوعان حسب الطراز اليونانى . أما الطيلسان أو
Epomis فهو الشملة كما ذكرنا من قبل ، وتتصل به قلنسوة حسب
ما أورده الاخيمى . أما البطرشنييل فيوضح حول الرقبة وينزل
مقاطعا على الأكتاف كما فى الرسيم الذى أورده جور . وقد أورد
الاخيمى غطاء رأس الكاهن cidaris المزين بالصلبان الصغيرة .

وقد كانت هذه الملابس فيما مضى ولا تزال ، ثمينة ومكلفة بقدر
ما تستطيع الكنائس أن تتكفل بتكاليفها . وهى تتطلب الحرص ولا تخرج
من الكنيسة أو غرفة حفظ الملابس لأنها مكرسة مثلها فى ذلك مثل كل
ملحقات الخدمة بمعرفة الأسقف . وإذا استخدمها الهراطقة أو الأشخاص الذين
ينتمون الى مذاهب مخالفة فإنها تكون قد تدنست ويتطلب الأمر حينذاك
اعادة تكريسها بصلوات معينة والا فإنها تحرق بالنار . وعلى ذلك فإننا
نقرأ على أيام الانبا خائيل البطريك السادس والخمسين أنه تم الحصول
على اذن السلطان لاحراق ملابس ستة من الأساقفة الملكانيين . ونادرا
ما يوجد اختلاف بين ملابس الخدمة التى يرتديها الأسقف بالنسبة لملابس
الكاهن ولكنها تتميز كما هو الحال عند الاغريق بالدوائر المطرزة
والصلبان) .

وينورد رينودو Renaudot الحديث عن قطعة الملابس السابقة
(البرنس Chasuble) بدون مناقشة . ولا شك أنه مخطئ فى ذلك .
لأن البرنس فى الاحتفالات القبطية كان كما هو فى الغرب - رداء للأعياد
الكبرى والقداسات العظيمة أكثر منه ملبسا عاديا يلبس أثناء خدمة
المذبح . ويشير رينودو الى التضارب بين القميص alb والبرنس الذى
نشأ بسبب تعريف اليونانيين للبرنس بأنه كاميسيون أو كاماسيون .
وهو تضارب أقل ما يقال عنه انه يعرف كلمة alb بأنه القميص .
ولكن يبدو أن رينودو نفسه لا يعول عليه مثل المصادر التى يناقشها .
وبعد أن ذكر أن الكمين اليونانيين مجهزان بأربطة حريرية
يقول انه ليست لديه معلومات مؤكدة عن الكمين القبطيين ثم يذكر على
الصفحة التالية ببرود - أن الكمين القبطيين لهما أربطة حريرية ولذلك
فهما يشبهان الكمين اليونانيين ! . ومرة أخرى يذكر فى الفقرات المقتبسة
أعلاه ، مرات عديدة بدون تساؤلات - الشملة (amiculum) . أميكولوم

كواحدة من قطع الملابس السبع ، الا أنه يزعم في موضع آخر (١) أن الشملة Amictus غير معروفة في الكنيسة الشرقية .

أما العبارة المقتبسة عن الاخميمي فتقول ان الشملة يرتبط بها قلنسوة تشير اما الى الزمن الذي تغير فيه شكلها الاصلى الذى كانت تتكون فيه من قطعتين مميزتين ، أو أنها مجرد سوء فهم للغرض المقصود بسبب الطريقة التى كانت تلبس بها الشملة فوق الرأس . والتى وصفها فانسليب بدقة .

وهناك فاصل زمني بين رينودو ودينزنجر Denzinger الذى نشر كتابه « "Ritus Orientalium" (الطقوس الشرقية) سنة ١٨٦٣ ، بحيث يتوقع الانسان أن تضيف هذه الفترة شيئا لما نعرفه عن الموضوع . ولكن هذه ليست هى القضية ، فان دنزنجر Denzinger يردد نفس كلمات رينودو والمصادر المبكرة ، بطريقة حرفية ، وهو يصحح خطأ رينودو عن الشملة باعتدال ، بينما هو يشكك فى شهاداته المهمة عن غطاء الرأس الذى يرتديه الكاهن القبطى (٢) ولكنه لا يضيف كلمة أخرى للنقد الاصيل ، ويترك الحيرة القديمة أشد سوءا . ولا شك أن انجاز دنزنجر عظيم من نواح عديدة لأنه يتضمن قدرا كبيرا من الاقتباسات والترجمات المأخوذة عن الكتاب الشرقيين وغيرهم ممن لا يزالون يعتبرون مصادر رئيسية لمعلوماتنا عن الطقس الشرقى القديم ، الا أنه لم يقدم فى موضوع الملابس القبطية الا قدرا من البيان المتناقض ، فهو لا يحاول التوفيق بين العبارات المتناقضة لدى من سبقه من المؤلفين ، ولا يضيف شيئا الى أى نقطة ولا حتى شهادة مراقب واحد جديد .

أما وقد راجعنا المصادر العديدة التى كتبت عن الملابس المقدسة للكنيسة المصرية ، وقارنا كل مصدر بالآخر للتوفيق بقدر الاستطاعة بين التناقضات ، فانا نستنتج مع بعض التأكيد أنه كانت توجد على الأقل سبع قطع قانونية من الملابس التى يمكن مطابقتها مع الملابس الانجليزية المشابهة ، وهذه القطع هى التونية ، والشملة ، والمنطقة ، والكمان ، والبطرشيل ، وبدلة القداس أو البرنس . وتتطابق هذه المقارنة تماما مع العدد والأسماء بالملابس المستخدمة عند وضع هذا الكتاب ، بالرغم من أن الاستخدام الحديث قد أصبح الى حد ما ، غير مهتم بهذه الأصول ، وأن

Volume, ii. p. 55.

(١)

(٢) من المشكوك فيه حدوث أى تغيير والواضح أنه لا يختلف عما سبق أن ذكرناه

أى الشملة .

Ritus Orientalium, ed. H. D. Denzinger, Wireburgi, 1963 : tom. I p. 130.

ارتداء هذه الملابس كلها لا يحدث في اجتماعات الصلاة العادية ولكن في الأعياد الكبرى فقط .

ويمكن ملاحظة مثل هذه التناقضات بين عوائد الماضي والحاضر بعد فترة مناسبة .

التونية (١) Tunie تي مابا

استدعى الأمر أن تكون ملابس الخدمة في الكنائس الشرقية ذات لون أبيض حسب عادة قديمة جدا (٢) ويورد ابن العسال قانونا من قوانين القديس باسيليوس يقول ان : « ملابس الخدمة يجب أن تكون بيضاء فقط » . وتقول القوانين الامبراطورية ان : « الملابس الكهنوتية يجب أن تصل الى الكعبين وأن تكون بيضاء وليست ملونة » . ولا شك أن المرجع الأساسي لهذين المصدرين يقصد التونية ، التي كانت حينذاك وما زالت حتى اليوم أكثر قطع الملابس ضرورة لخدمة القداس ، بالرغم من أن كلمة القميص alb في الغرب تتضمن اللون المذكور ، ويبدو أنها أكثر قدما من كلمة « التونية » . أما مصدر الكلمة اللاتينية فهو tunic . وبذلك يسمى القميص tunica alba والتونية tunica dalmatica تونيك دالماتيكا : وهذا المصدر هو الذي عاش مع الاصطلاح الذي يستخدمه القبط الآن للدلالة على قطعة الملابس التي تسمى « التونية » . والاسم dalmatic يحفظ هنا بوصفه الأقرب الى الاثنين . ولكن من المهم أن نتذكر أن الشكل القبطي لهذه القطعة لا يتطابق تماما مع الشكل اللاتيني ولكنه ربما يتطابق مع الاسم القديم colobion . وقد كانت التونية هي tunic مع اضافة كمين طويلين كاملين . أما colobion فقد كان لها كمان قصيران متصلان (٣) . وقيل أنها أبطلت لتحل محل التونية على يد سلفستر sylvester أسقف روما في عصر قسطنطين (٤) وعلى ذلك فانه من المشير أن نجد أن مصر التي لم تقع أبدا تحت سيطرة

(١) ان الاسماء القبطية للابس الخدمة قد اعطاهما لي أبونا فيلوثاؤس القمص بالكاتدرائية في القاهرة وهو أكثر الاقباط علما يمثل هذه الموضوعات . ومع وضوح اسمين أو أكثر بالنسبة لغيرهما الا ان الاسماء كلها فيما عدا الأخير مأخوذة عن مراجع مخطوطة . أما الاسم بى بوتيرون فمن الواضح انه مأخوذ عن الكلمة اليونانية بوتيرون (التي تصل الى المقدمين) .

(٢) See : Marriott, Vestiarium Christianum, Introd. Chap. iv.

(٣) حسب ما أورده ماريوت في صفحة ٦٥ الا ان نفس المؤلف يعرف Colobion

على صفحة ١١١ بأنها تونية بدون اكمام (حاشية رقم ٢٢٠) .

Vest. Christ. p. lvii.

(٤)

. بابا روما ، تتمسك حتى اليوم في خدمة المذبح - بشكل التونية
 . التي هجرها اللاتين منذ خمسة عشر قرنا . ويلاحظ أن التونية
 الموضحة بالرسم لها جسم كامل ولكن الكمين قصيران وهي تنفتح بواسطة
 شق بطول الكتف الأيسر تغلقه عروة مع أحد الأزرار . وحيوط الخياطة
 هنا ليس لها أى معنى طقسى ، ولكن ربما كانت تبين أن هذا الرداء مكون
 من أجزاء . وقد وجدت أجزاء من تونيات أخرى قديمة ولكنها أقل قيمة .
 ويتشابه التطريز الموجود فوق التونية مع الوصف الذى ذكره أبو دقن .
 فنجد على الصدر صورة للعدراء مريم وهى تحمل الطفل المخلص على
 ذراعها الأيسر . ويوجد تحت هذا الرسم ، رسم تخطيطى للقديس
 مار جرجس وهو يطعن التنين مع عبارة اهداء باللغة العربية . وقد رسمت
 على كل من الكمين صورة لأحد الملائكة منبسطة الجناحين وقد تضمنت
 الأطراف بعض الصليبان الجميلة حول حافة الكمين ، كما طرز صليب آخر
 فاخر على ظهر التونية . وقد استخدمت العديد من الألوان الرقيقة في
 هذا التطريز الذى نفذ بأشغال الابرّة ، مع استخدام الحرير فى بعض
 الغرز بالتنسيق مع الأرضية البيضاء أو ذات اللون السمى التى نفذت
 فوقها أشغال التطريز ، أما الأرضية فهى من الكتان ، أما اللون الأصفر
 فيرجع الى تعاقب الزمن .



شكل رقم ٢٠ : تونية مطرزة

أما التونية البيضاء ذات الأكام القصيرة والمطرزة بالطريقة التي فصلناها عاليه ، فهي قطعة الملابس الرئيسية التي يلبسها رجال الدين الأقباط أثناء إقامة القداس . أما الفارق بين التونية التي يرتديها الكاهن والأخرى التي يرتديها الشماس فهو فارق ليس في الشكل بل في الزخرفة ، لأن تونية الكاهن وضعت على صدرها صورة العذراء مريم ، وصورة ملاك على كل من الكمين ، مطرزة بخيوط الذهب أو الفضة أو أشغال الإبرة الدقيقة ، بينما تحمل تونية الشماس صليباً صغيراً ملونة بدلاً من صورة العذراء والملاكين .

وفي الفترة التي كانت فيها التونية العادية مطعمة بأفاريز وصلبان من الجواهر الثمينة ، كما ذكر (أبو دقن) ، كانت الأرضية منسوجة من الحرير الأبيض الثمين أو الكتان ، والحرير هو المادة الشائعة الذكر في الكتابات القديمة ، ولم أستطع أن أجد أى دليل مرسوم أو مكتوب ، يدل على استخدام القبط في العصور القديمة للتونية ذات الشرائط أو الاكتاف كما هو مرسوم في رسوم الموزاييك المبكرة في الغرب . ومنها على سبيل المثال رسوم كنيسة سانت فيتالي S. Vitale في رافنا Ravenna ، وفي الرسوم المبكرة بالكنيسة اليونانية . وتتبدل هذه الشرائط بمعدل شريط من كل كتف في الأمام والخلف . وكانت سوداء اللون في العادة ، ولكنها في العصور التالية وبالذات في القرن السابع ، صارت قرمزية اللون . وربما حدث حوالى نفس الفترة أن بدأت زخرفة الكمين بشرائط صغيرة سرعان ما أصبحت تقليداً وتحولت إلى أفاريز كما هو موجود حالياً في التونية القبطية .

يبدو اذن أن اللون الأبيض كان هو اللون المستخدم للتونية في العصور الأولى للكنيسة سواء في الشرق أو في الغرب . كما أن اللون الأبيض هو اللون الوحيد المذكور في القوانين الأيرلندية القديمة (١) وتتفق في ذلك الممارسات الانجليزية وممارسات بلاد الغال ، ولكن مع نهاية القرن السابع نجد أن القديس كوثبرت St. Cuthbert قد دفن في تونية أرجوانية بالرغم من أن ذلك كان امتيازاً خاصاً أعطى كتشريف ملوكي لذلك القديس ولا يفرض بالضرورة استخدام اللون القرمزي كلون كهنوتي . وفي القرن الثامن كانت الأقمصة في أيرلندا تزخرف بأطراف مطرزة كما هو الحال في مزار القديس ميديوك St. Maedoc (٢) . وفي العصور الوسطى أصبح من المعتاد استخدام الألوان المختلفة في ملابس الكنيسة اللاتينية . وهناك ألوان خاصة اقتصر استخدامها على مواسم أو مناسبات .

Warren's Lit. and Rit of the Celtic Church, p. 124.

(١)

Id. p. 114.

(٢)

خاصة . أما في إنجلترا فلم تستخدم التونيّات المطرزة والملونة إلا بعد
 الفتح النورماندى (١) . وبخصوص هذا الاستخدام الأخير فأننى أظن أنه
 لا يوجد مرجع واضح في التاريخ الكنسى القبطى يؤيده . وقد أوضحنا
 منذ قليل أن الأقباط قد زينوا التونية بأعلى الجواهر وأثمن التطريز ،
 ولكن لم أشاهد في الاستخدام العملى أى تونية مصنوعة من القماش الأحمر
 أو الأرجوانى أو غير ذلك من الألوان واقتصر استخدام التونية الملونة على
 الصور التى تزين الكنائس . وعلى ذلك نرى رئيس الملائكة الجليل ميخائيل
 في صورة بكنيسة (أبى سرجة) ، وقد ارتدى تونية قرمزية مزينة بالذهب .
 وكذلك فإن القديسين الذين تحيط صورهم بالمحراب فى كنيسة القديس
 (أبو سيفين) يرتدون أقمصه وتونيّات ملونة . ونفس الكلام ينطبق على
 صور الرسل التى فوق حامل الأيقونات ، وصور القديسين التى فوق حجاب
 الهيكل الجانبى الجنوبى بكنيسة العذراء الدمشيرية علما بأن اللونين
 الأحمر والأخضر هما الغالبان . ونرى أن التطريز فى بعض التونيّات المطرزة
 موزع على الأرضية بطريقة توحى بفكرة أنها تونية ملونة . ويمكن مشاهدة
 نموذج لتونية ذات لون سمى ومغطاة بأزهار صغيرة مطرزة - فى كنيسة
 القديس (اسطفانوس) بالقاهرة ، وهناك تونية أخرى فى رنم محفور
 على الخشب يمثل القديس (اسطفانوس) ومأخوذ عن صورة بكنيسة
 (أبى سرجة) يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر .
 وهنا نجد أن التونية ذات أرضية بيضاء ولكنها مغطاة كلها بأزهار مطرزة ،
 وكل زهرة منها يتصل بها فرع دقيق وبعض الأوراق . وعلاوة على ذلك
 نلاحظ أن التونية تنفتح بشق أمامى على الصدر ، وأن كلا من الرقبة والفتحة
 مزين بحافة مطرزة ، بينما يزين الطرف الأسفل حافة من أشغال الجواهر .
 وكذلك زخرفت الأساور بتطريزات خاصة . وكما هي العادة فإن أكام
 هذه التونية ملائمة ولكنها تلفت الأنظار لأنها ليست قصيرة وإنما تغطي
 الذراع بكاملها . ومن المحتمل أن يكون الشماسة قد اعتادوا ارتداء
 التونية ذات الأكام الطويلة ، بينما ارتدى القساوسة تونيّات ذات أكام
 قصيرة بسبب أن الكمن epimanikia كانا يغطيان مقدمة أذرعهما .
 ويبدو أن أحدا لم يلاحظ هذا الفارق فى رسم العمود القديم بالكنيسة
 المعلقة الذى لا يتجاوز تاريخه القرن الثامن . وفيه نرى أن رئيس الأساقفة
 أو البطريك المبين فى الصورة ، يرتدى تونية ثمينة مطرزة كلها بدوائر
 صغيرة ، ولكن كمنى التونية يصلان الى الرسغين ، ومن المحتمل كما هو
 واضح من الرسم ، أن يكون الكمان غير متصلين بالتونية ولكنهما منفصلان
 ومصنوعان من نفس قماش التونية ومزخرفين بالتطريز .

وهناك نموذج آخر لتونية قبطية يستحق وصفا خاصا حيث يوجد
بكنيسة أبو سيفين على الجانب الشمالى لصحن الكنيسة قريبا من المنبر
صورتان تمثلان الامبراطور قسطنطين والملكة هيلانة على التوالي ، وقد
ارتدى كل منهما نفس الملابس التى تتمثل فى القميص والتونية . ونرى
القميص هنا طويلا وقصفاضا بينما التونية ليست قصيرة جدا - حيث
تصل الى مسافة قصيرة تحت الخصر . ويلاحظ أن بها افريزين عريضين
فى الطرف الأسفل على شكل زجراج وليس على خط مستقيم
ولاشك فى وجود الطابع الكنسى لهذه التونيات . أما بخصوص صحة
رسمها فهذا يثير سؤالاً آخر لا نستطيع أن نجد له جوابا لسوء الحظ .
والمؤكد هو أن المصاادر لا تذكر شيئا معروفا عن هاتين القطعتين من
الملابس ، وعما اذا كانا يلبسان سونيا كما أنه لا يوجد أى دليل على يؤكده
القنصل بينهما .

وتتصل التونية القبطية كما يقول رينودو Renaudot بالتونية
التي تستخدم فى الكنيسة اليونانية تحت اسم Sticharion
(ستبخاريون أو ستويخاريون) . ويبدو أن نفس هذه الكلمة موجودة
بكلمة ستبخارى القبطية المخففة فى النصوص القبطية (١) .

وقد وصف البطريرك اليونانى جرمانوس Germanus الجزء الاول
من هذا الاسم فى أوائل القرن الثامن كما يلى (٢) :

« ان التونية اليونانية بلونها الأبيض ترمز لمجد الله ونقاء الحياة
التي يحيها القسوس المسيحيون . أما الشرائط الواردة هنا فربما كانت
تتمثل فى الشريطين اللذين على الكتفين ، وهى شائعة فى التونية الرومانية
ويوزد مارriot (٣) مثالا جيدا لهذه الشرائط فى وصفه
لقطعة ملابس مرسومة فى صورة قديمة من الفريسكو فى كنيسة أرجب
Urgub المنحوتة فى الصخر حسبما ذكره تكسيار Texier وبولان
Pullan . وهناك نموذج جيد آخر فى صورة الفريسكو التى رسمها
رولت فى فليرى Rohault de Fleury بكنيسة نكرسي Nekresi
فى جورجيا Georgia . وهناك نماذج أخرى موجودة فى الشرق والغرب .
ويوجد اختلاف بسيط فى شكل التونية اليونانية التى يرتديها الأساقفة
حيث لا يوجد بها شريطان فقط ، بل شرائط رأسية عديدة (٤) وهذا

(١) Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 40, 49.

(٢) Marriott, Vest. Christ. p. 85.

(٣) Id. xxxvii — note.

(٤) Lit. Or. vol. ii. p. 54.

الشكل وكذلك الشكل العادى لا يستخدمه الأقباط بالرغم من أن اليونانيين لديهم نوع منه بدون شرائط وله أكمام طويلة ومغطى أحيانا بأشغال التطريز مما يجعله يشبه التونية القبطية التى يرتديها الشماسة . ويوجد بين كنوز كنيسة القديس نيقولاوس St. Nicholas القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ، تونية قديمة فخمة مصنوعة من الحرير الأزرق الفاتح ، مزخرفة بزهور ودوائر مطرزة فى تصميمات جميلة بارزة . وقد أحيطت الزهور والدوائر التى تدور حول رسوم أشخاص القديسين بحبات دقيقة متلاصقة من اللؤلؤ ، مصفوفة مع خطوط التصميم . أما التونية التى يرتديها البطريرك فى الاحتفالات الكبرى حاليا فهى مصنوعة من خيوط الذهب ، وهى تتفق مع التونية القديمة التى وصفناها بأنها مفتوحة من الجانبين حتى الذراعين والتى علقت بها أجراس صغيرة .

وقد استخدم السريان تونية بيضاء مثل القبط واليونانيين - وسواء كانت قميصا أو تونية - فإنها ضمن الملابس الكهنوتية . ويطلقون عليها اسم (كوتينة) Kutina وهو اسم مشتق من الكلمة اليونانية خيوتونيون حسب قول رينودو Renaudot (١) . ولكن ربما كان رينودو على خطأ فى قوله بأن كلمة التونية العربية تحريف لهذه الكلمة بدلا من الربط بينها وبين كلمة تون العربية أو كلمة tunica اللاتينية . وقد تمسك السريان باللون الأبيض الأرثوذكسى بالرغم من أن رينودو يتحدث أيضا عن تونيات ذات ألوان أخرى ، وجدت لها صوراً فى مخطوط من فلورنسا .

وأخيرا فإننا نجد نفس هذه القطعة من الملابس ممثلة فى القميص المصنوع من الحرير الأبيض الذى يستعمله حاليا المسيحيون الأرمن ويطلقون عليه اسم Shapich (٢) . وعلى ذلك فإن كافة أرجاء العالم المسيحى تتفق على التقليد القديم الذى يلزم خدام المذبح أن يلبسوا التونية البيضاء . ولكن بصرف النظر عن التطريز الذى ذكرناه ، فإنه لا يوجد فى الكنائس الشرقية شبيه للقطع المربعة التى تمثل جزءا ضروريا من زخرفة القميص فى الطقس الغربى .

Lit Or. vol. ii. p. 54.

(١)

Forlescue's Armenian Church, p. 133.

(٢)

(الطيلسان) - الشملة - (البلين) (١) بى بانين - بى لوجيون -
بى ايفرت •

لقد وجدنا أن أبو دقن يتحدث عن الشملة بوصفها الافود المصنوع من الصوف أو الكتان والذي يرتديه حول الرأس الكهنة « وكافة من يدخلون الكنيسة » • ولا أظن أن كلمة الكنيسة هنا ترجمة خاطئة لكلمة « الهيكل » العربية التي تعنى حرفيا « المعبد » وأنها قد تحولت الى كلمة « الكنيسة » بمعرفة المترجم الذي يجهل معناها الذي يخصصها للدلالة على « قدس الأقداس » أو الهيكل المحيط بالمذبح • وإذا كانت الشملة تلبس منفصلة بوصفها جزءا من رداء كنسى فإن أبو دقن لم يضعها فى قائمة الملابس المقدسة • ويصف فانسليب Vansleb بوضوح أكثر الشملة بأنها من الكتان الأبيض وتلف حول رأس الكهنة والشماسية - وأنا أرجح هذه النقطة الأخيرة لأنها تتضمن فكرة الترجمة الخاطئة للنص الذى أورده أبو دقن كما ذكرنا من قبل • وبالطبع فإن الشماسية يدخلون الهيكل فى أثناء أجزاء معينة من القداس ، ولذلك فإننا إذا أخذنا ما ذكره أبو دقن عن أن الشملة يرتديها الكهنة وكل من يدخلون الهيكل فإن ذلك يطابق ما ذكره فانسليب Vansleb • وأخيرا فإن البطريك الأنبا غبريال يذكر الحرير الأبيض بوصفه القماش المستخدم فى صناعة الشملة ، كما يذكر أبو صبا تلك القطعة من الملابس دون أن يضيف شيئا الى معلوماتنا المتوافرة عنها •

ومع ادماج هذه الشذرات من المعلومات نصل الى حقيقة أن الشملة عبارة عن شريط طويل أو تلفيعة من الحرير الأبيض أو الكتان تلف حول رأس الكهنة أو الشماسية • وهذا التعريف يبين بالكلمات ماهية الشملة التى يرتديها رجال الكهنوت الأقباط على أيامنا هذه • ويبدو أن المصادر قد أخطأت فى القول بالسماح للشماسية بارتداء الشملة لأن الشملة هى إحدى قطع الملابس المقدسة • ويطلق عليها فى اللغة العربية كلمة الشملة أو البلين • وبالرغم من أن هاتين الكلمتين مترادفتان فى الحديث العادى إلا أنهما تمثلان قطعتين مختلفتين من الملابس - سواء من جهة اللون أو أسلوب الاستخدام رغم التشابه من حيث الشكل ، ذلك لأن الشملة

(١) لاحظ أن لوجيون هى الكلمة التى استخدمها القديس جيروم ومن جاء بعده من الكتاب فى وصف الصدرة التى يستخدمها الكهنة فى الكهنوت اللاوى كما ورد فى (Marriott, vest. Christ, p. 17).

عبارة عن شريط مستطيل من الكتان الأبيض مطرز عليه صليبان كبيران ، ويلبسها القس أو القمص (الايغومينوس) ، بينما البلين Ballin مصنوع من الحرير الرمادي أو غيره من الألوان ومطرز عليه نقوش وصليبان كثيرة ، ويلبسه البطريرك والأساقفة . ومرة ثانية فان الشملة تلف كالعمامة حول الرأس . وبينما يهبط أحد طرفي الشملة الى ما وراء ظهر الكاهن ، فان الطرف الآخر يلف حول وجهه تحت الذقن ، ثم يربط في أعلى الرأس . أما البلسين فانه يلبس بطريقة مختلفة . أولا يلف مرتين ثم يعلق فوق رأس الأسقف من الوسط وبذلك تعلق الأطراف منسدلة من الأمام ثم يمر كل طرف حول الصدر تحت الذراع الذي في الجانب الآخر ، ثم يمر عبر الظهر فوق الكتف الذي في الجانب الآخر وينزل تحت المنطقة ، وبذلك يتخذ شكل قلنسوة فوق الرأس على مثال الشملة . ولكن بينما يتخذ البلسين شكل صليب على الصدر والظهر ، فان الشملة تستخدم بطولها لتغطية الرأس فيما عدا طرفا واحدا يترك حرا لينزل الى وسط الظهر . ويظهر فوق هذه القطعة المستقيمة شكل صليب مطرز بأشغال الابرّة ، وكذلك صليب آخر فوق التاج الذي على الرأس بشكل قلنسوة .



شكل رقم ٢١- الشملة من الأمام والخلف

- والشملة مصنوعة من الكتان الأبيض أو الحرير الأبيض .
- أما الصليبان التي فوقها فهي مطرزة بخيوط ذهبية في معظم الأحوال .

ويبلغ طولها في العادة ٨ أقدام ، بينما يبلغ عرضها قدما واحدا . ولكن في حوزتى شملة لا يقل طولها عن ١٦ قدما و ٨ بوصات ، بينما يبلغ عرضها قدما واحدا و ٤ بوصات . أما الصليبان التى تبعد عن الطرف القريب بمسافة ٣ أقدام و ٤ بوصات ، ومسافة قدمين و ٦ بوصات على الترتيب ، فهى مشغولة بالحرير الأحمر والأصفر ، وفى زواياها حروف التكريس القبطية . ولا توجد حواف لهذه القطعة وإنما يحدد كل من طرفيها بخط أحمر مفرد من أشغال الأبرة .

أما الطيلسان فهو يتميز عن الشملة بأنه شكل تقليدى لنعس القطعة من الملابس وهو يتكون من شريط عريض من الكتان أو الحرير ينزل على الظهر وينتهى فى أعلاه بقلنسوة بدلا من أن يلف حول الرقبة وفوق الرأس مثل الشملة . ولا يرتدى البطريك البلبين إلا فى مناسبات خاصة مثل يوم الجمعة الكبيرة وليس أثناء خدمة القديس ، أما المطارنة والأساقفة فإنهم يرتدونه أثناء خدمة القديس ، عندما لا يلبسون التاج . وعندما يكونون خارج المطرانية أو الأسقفية الخاصة بكل منهم ، أو داخل المطرانية أو الأسقفية ولكن فى حضور البطريك ، فإنهم يرتدون البلبين ، ولا يجوز استخدام التاج فى مثل هذه المناسبات . وليسنا فى حاجة الى القول بأن العباءة Cope نادرا ما يرتدونها مع البلبين .

أما الشملة التى تستخدم الآن فهى فى العادة غير مزخرفة بأية زخارف أو اضافات مزينة بالجواهر والذهب ، كما كان معتادا فى الكنائس الغنية بالغرب . ولكن فى مثل هذه الحالات كما هو فى كل حاجة ، يوجد ما يدعو الى الاعتقاد بأن الطقس القبطى قد ناس طقسنا الغربى فى ناحية الفخامة . وعلى كل حال فأننا نبحث فى الصور القبطية القديمة وفى الحديثة كذلك عن أى رسم واضح يمثل الشملة . وربما كان المثال الموجود فى صورة الأنبا شنودة فى كنيسة التى تحمل اسمه بمصر القديمة لا يؤدى الغرض لأن غطاء الرأس فيها عبارة عن قلنسوة . إلا أن هذه القطعة من الملابس قد تعنى الطيلسان ، بينما نجد أن الشملة قد توصف بأنها القلنسوة حتى فى الآثار الانجليزية كما هو الحال بالنسبة لتمثال كاهن فى كنيسة تاوين Towyn فى ميريونثشاير Merioneth shire

وتمثال آخر فى بيفرلى مينستر Beverley Minster (١) . أما الشكل الغالب بالنسبة للشملة فى المقابر الغربية فهو عبارة عن ياقة مرتفعة حول الرقبة ويوجد شبيه لها فى الاستخدام القبطى ، فنرى أن الشملة تتمثل فى الياقة المرتفعة المطرزة حول رقبة البطريك فى الصورة التى على ختم بطريك الاسكندرية والتى سنقدم لها فيما يلى ، وصفا مأخوذا عن رسم

(١) Bloxam's Ecclesiastical Vestments, p. 47 (eleventh edition).

مطبوع من حفر على الخشب . وحتى اذا كان الدليل غير متاح فعلىنا أن نكون متأكدين من أن الشملة كانت في وقت ما مزينة بالكثير من الأحجار الكريمة التي تبين فخامة الشملة سواء كانت زخرفتها في شكل رسوم نباتية أو صلبان من الجواهر .

أما العصر الذي يعود إليه استخدام الشملة في الكنيسة القبطية ، فانه سؤال أخشى ألا أستطيع الإجابة عنه ، فقد حدث أول ذكر للشملة في الغرب ، مبكرا في القرن التاسع بمعرفة رابانوس ماوروس Rabanus Maurus . وكانت في الأصل عبارة عن قطعة من الثيل مربعة أو مستطيلة تربط عبر الكتفين والصدر ، وكان مطرزا عليها - مثل الشملة التي يستخدمها الأقباط - صليب كبير (١) . وحتى القرن الثاني عشر لم نسمع عن ارتداء الشملة فوق الرأس ولذلك فقد اعتبرت رمزا لخوذة الخلاص حسب ما أورده دوراندوس Durandus ، وبذلك فانها عند ارتدائها تحمي الرأس ولذلك فانها لا تنزل لتصل حتى بدلة القديس في لحظة التكريس . وهناك نوع من الشملة يطلق عليه اسم fanon كان يلبس فوق رأس البابا أثناء القديس بدلا من التاج وذلك يوم خميس العهد عند قيام البابا بأداء طقس غسيل الأقدام . وبالرغم من أن الافود وليس الشملة هو الذي ورد ذكره بين الملابس القديمة للأساقفة السلتيين (٢) إلا أنه من المرجح أن الشملة أيضا كانت موجودة منذ وقت مبكر سابق للفترة الزمنية التي حددت لها ، ونظرا لارتباطها الطبيعي بالافود فانه لم يرد ذكر مبكر لها بصفة منفصلة . ولا يبدو لنا أن ذكر مثل هذه القطعة كان معروفا مثل الشملة في طقس الكنيسة اليونانية رغم أن الافود موجود في صدر من الذهب أو الفضة كانت تلبس فوق بدلة القديس بواسطة البطارقة والمطارنة وتسمى : الصدرانية بي ريسثيون (٣) . ومن ناحية أخرى فان رجال الكهنوت الأرمن ما زالوا يلبسون الشملة وهي عندهم صغيرة وذات ياقة صلبة حسب الوصف الذي قدمناه سابقا ، ويرتبط بها في بعض الأحيان صدر من معدن ثمين . والشملة بدون الافود شائعة في كنائس السريان الأرثوذكس والموارنة حيث تعتبر إحدى قطع الملابس التي يرتديها الأسقف أثناء الرسامة كما هو واضح في التعليمات التي ينبغي اتباعها (٤) .

(١) See : Chamber's Divine Worship in England, p. 84.

(٢) الصورة المرسومة على تلك الصفحة تبين شملة كانت تخص سانت توماس أوف

كانتربري .

Warner's Lit and Rit. of Celtic ch. p. 113.

(٢)

Id. p. 114.

(٢)

Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 93, 157.

(٤)

وهكذا نرى أنه ليس القبط فقط هم الذين يعرفون الشملة ضمن الملابس الكهنوتية ، وإنما أيضا الموارنة والسريان والأرمن ، وأن لهذه القطعة من الملابس تاريخا معروفا في جميع الحالات ، وحتى مع التسليم بأن هذا التاريخ لا يتعدى القرون القليلة من عصرنا الحالي ، فإننا نشعر بالشملة لأن المؤرخين الكنسيين من رينودو الى ماريوت ينكرون وجودها ضمن الملابس الكهنوتية الشرقية . وقد تم تفنيد حجة رينودو بنفس كلماته ، أما ماريوت فهو يقول : « لا توجد قطعة ملابس مشابهة لها في الكنيسة اليونانية » ولكنه يقتبس في رضا ، عبارة فيكتورجاي Victor Gay (١) :

« يتميز الشرقيون المدققون بالمحافظة على التقاليد المرعية في استخدام الزى القديم ولا يغيرونه أبدا » .
وحتى نيل فانه يسلم بوجود الشملة الأرمنية ويذكر أنها غير معروفة في أي كنيسة شرقية أخرى ، ويبدو أنها مأخوذة عن الشملة اللاتينية (٢) وهذا - يصحح الخطأ .

ويثير الكثير من الجدل حول استخدام الشملة ، ما هو معروف من أن الشرقيين محافظون في طقوسهم ، وأن الأقباط أكثر محافظة من سائر أهل المشرق . ومع الافتقار الى الدليل المباشر فإن تاريخ استخدامها في مصر موضع تخمين ، ولكنني أظن أنه أقدم مما هو معروف حيث ان حرارة الجو تتطلب وجود مثل هذه الحماية للرقبة ، ومرة أخرى فمن الطبيعي وجود صلة بين الشملة والافود اللاوي أو الصدرة في الشرق ، وهي صلة تتعلق بنفس الاسم الذي يطلق على هذه القطعة من الملابس القبطية . وعموما فإن القول بأن الشملة غير معروفة في الكنائس الشرقية ، لا يقوم عليه دليل ، ولكن الموازنة بين الاحتمالات العديدة تبين أن استخدام الشملة قد ظهر أولا في الشرق ، وعبر الى الغرب ، أكثر من أن يكون قد جاء بوصفه هدية من طقس روما الى طقس الاسكندرية .

المنطقة أو الزنار (٣)

بي اوناريون أو بي زوناريون

بالرغم من أن الاستخدام الاجباري للمنطقة كأداة للتمييز المدني بين ملابس المسيحيين والمسلمين في مصر قد انتهى منذ عهد بعبه ، إلا أنه

Ves. Christ. p. 212 n.

(١)

Eastern Church, Gen, Introd. vol. i. 306.

(٢)

(٣) كلمة زنار هذه مع الكلمتين القبطيتين اللتين تدلان عليها ، قد اشتقت جميعها من

الأصل اليوناني (زوناريون) .

حتى اليوم فان المسيحيين والمسلمين جميعا يلبسونها للملاءمة ومحاكاة الطريقة التى كان يتم بها ارتداء المنطقة أو الحزام فى العصور القديمة قبل اعتبارها قطعة ملابس مقدسة للكنيسة . لأنه كما هو الحال لدى رجال الكنيسة نجد أن المنطقة تلبس فوق القميص أو التونية ، وكذلك فإنها تلبس فى الحياة اليومية الآن بالقاهرة - بواسطة كبار التجار أو الشيوخ الموفرين للاقتصار على ارتداء عباءة تختلف عن التونية من حيث انها مفتوحة طوليا من الأمام ، والشبه بين هذين النوعين من الملابس ملفت للأنظار بشدة ، ويستند فى الحقيقة الى أن الانسان لا يستطيع أن يفهم ندرة المعلومات الموجودة لدى مؤرخى الكنيسة عنه . وقد بذل الكثير من العمل والجهد لاستنباط الأشكال المختلفة للملابس الكهنوتية - من الأنواع المختلفة للملابس القديمة المسجلة فى الأعمال الأدبية والآثار المنحوتة . ونجد أن الملابس الشرقية قد أهملت تماما بالرغم من أن المسيحيين الأوائل كانوا - مثل اليهود - ينتمون الى الأصل الشرقى ، وأن الملابس الشرقية اليوم تكاد أن تكون هى نفس الملابس التى كانت موجودة منذ ألفى عام . وإذا جمعت الملابس الكاملة التى يرتديها الأعرابى من محلات بيع العاديات المنتشرة فى القاهرة ، فان ذلك يمثل تماما أصل الملابس المسيحية بصورة أفضل مما تقدمه الآثار المنحوتة عن أثينا وروما .

وحيث ان البرنس لدى الأقباط هو العباءة الخارجية للأعرابى المصرى ، وحيث ان التونية أو القميص هى الرداء الذى يرتديه العرب داخل العباءة ويسمى القميص ، فكذلك نجد أن المنطقة المقدسة هى الحزام الذى يستخدمه الوطنيون . أما الشملة فلها شبيه فيما يسمى : الكوفية . والمنطقة - مثل معظم الملابس الكهنوتية - تلبس هذه الأيام فقط أثناء الاحتفالات الكبرى ، وليست جزءا من الملابس العادية التى تستخدم لخدمة المذبح . أما التونية فإنها تلبس دائما عند تقديم قربان كما تلبس الشملة والبطرشييل كذلك . أما بقية الملابس الكهنوتية فانه بالرغم من حفظها بالكنيسة فإنها لا تعتبر ضرورية لاقامة القداس . وما زالت توجد عينة لمنطقة قديمة وجميلة مصنوعة من القטיפ القرمزية بمشابك من الفضة . وقد قدمنا وصفا لها عند الحديث عن كنيسة القديسين أبابكر ويوحنا بمصر القديمة . ومن المحتمل أن يعود تاريخها الى القرن السادس عشر . أما تلك التى يرتديها البطريرك الحالى فإنها مصنوعة من الحرير الأصفر ، وتربط بمشابك كبيرة على شكل الكمثرى من الفضة المزركشة المطعمة بالأحجار الكريمة .

ولا نستطيع التمييز بين استخدام المنطقة كقطعة من الملابس المقدسة عن غيرها من الملابس الكهنوتية من حيث الزمن . وليس هناك سبب يدعونا

لاعتبارها إضافة حديثة أو أي شيء آخر سوى أنها مصاحبة للتونوية .
وهي مرسومة بوضوح في الرسم الذي على العمود بالكنيسة المعلقة وقد
ذكرناه منذ قليل وهو يعود إلى القرن الثامن أو قبل ذلك بقليل ، وتمثل
قطعة ملابس كهنوتية ذات طراز مطور وليس أوليا . وفي هذا الرسم
نجد أن المنطقة ليست مجرد وشاح غير مقيد ، ولكنها حزام ذو حواف
ومشبك مثل المنطقة المرسومة في كنيسة القديسين أباكير ويوحنا .
ولذلك فمن المنطقي القول بأنه عند رسم هذه الصورة ، كانت المنطقة
شائعة الاستخدام باعتبارها قطعة تقليدية من الملابس الكهنوتية ، ونستنتج
من ذلك أن استخدام المنطقة في الكنيسة القبطية أقدم من استخدامها
بكنائس الغرب المسيحي .

وتستند هذه الفكرة إلى حقيقة أن أول ذكر واضح للمنطقة بوصفها
قطعة من الملابس المقدسة قد ورد في القرن الثامن بمعرفة القديس جرمانوس
الذي من القسطنطينية - وهو مؤرخ شرقي وليس غربيا . وبعد ذلك
بقرن تقريبا نجدها مذكورة في قائمة الملابس الغربية التي أوردها
رابانوس ماوروس Rabanus Maurus . ومن ذلك الوقت فصاعدا
كثر التنويه عنها . وكانت المنطقة شديدة الفخامة حيث تصنع من أشغال
التطريز المذهبة وتعشق بالأحجار الكريمة . وما زالت تستخدم في الكنيسة
اللاتينية حتى اليوم بمعرفة الأساقفة ، ولكنها في بعض الأحيان تعتبر
مجرد حزام تتدل منه شراريب متأرجحة . ويذكرها جور Goar ضمن
ملابس البطريرك اليوناني وليس ضمن ملابس أي رتبة كنيسة أخرى .
أما في الكنيسة الأرمنية فإن المنطقة تعتبر ضمن ملابس الكاهن الرسمية
وتلبس فوق البطرشيل . ويطلق عليها الأرمن Kodi . وكذلك يلبس
كهنة السريان منطقة تشبه المنطقة القبطية من حيث الشكل وترتبط
بمشابك . وفي الكنيسة المارونية يتمنطق الكاهن عند سيامته بالمنطقة
التي تصبح من تلك اللحظة واجبة من ملابس التكريس . وما زالت
المنطقة مستخدمة بين النساطرة . ويطلق عليها نفس الاسم المستخدم لدى
السريان وهو الزنار (١) . وواضح أن هذه الكلمة تذكرنا بالكلمة اليونانية
زونايون (= الزغار = الحزام) . لذلك نقول أن المنطقة معروفة
عالميا في الكنائس الشرقية بوصفها واحدة من الملابس الكهنوتية .

(١) G. P. Badger, The Nestorians and their rituals, vol. i. p. 225.

(البطرشيل) بى اوراريون - بى سبنخورد يون

تشترك كافة المصادر التى ذكرناها عن الملابس القبطية فى خطأ واضح هو الفشل فى التمييز بين البطرشيل العادى والبطرشيل الذى على شكل صدره ، كما فشلت فى ملاحظة وجود النوع الثانى أى الصدره ، وإن كان لا يمكن السؤال عن وجودها أو اختلافها عن البطرشيل العادى أو المدى الزمنى الذى تعود إليه ، كما سنرى فيما يلى . وقد أثرت هذه النقطة هنا للحفاظ عليها لأنها يجب تذكرها من البداية ، بالرغم من اهتمامنا بالملابس الكهنوتية المقدسة .

وإذا تركنا الحديث عن الصدره فإن المصادر جميعها تتجاهل حقيقة أن بطرشيل الكاهن له شكلان لا يشبه أحدهما الآخر والأسوأ من ذلك التجاهل هو الاقرار بأن الأقباط يلبسون البطرشيل ثم يصمت الكاتب تاركاً القارئ لى يتخيل وحده شكل هذا البطرشيل . وقد جعل مترجمو كتاب أبو دقن - المؤلف - يذكر أن الأساقفة فقط هم الذين يرتدون البطرشيل ، ولا شك أن كلمة أساقفة يجب أن تتحول إلى : الذين يقيمون القداس ، ومن الصعب رؤية كيف أن الثقة بالترجمة الخطأ يمكن أن تخلص العبارة الأصلية من التحريف . ولا يورد فانسليب أو الأنبا غبريال شيئاً عن هذا الموضوع ، بينما يذكر أبو صبا أن البطرشيل ابيتراخيليون يلبسه الكاهن من الرقبة - وهى ملحوظة صحيحة من حيث الدلالة على طريقة ارتداء البطرشيل ولكنها لا توضح الموضوع كله . ولا يبذل رينودو أى جهد لكشف الغموض . وهذه عينة طيبة لكمية المعلومات التى يمكن اقتباسها عن المؤرخين السابق ذكرهم الذين كتبوا فى المواضيع القبطية ، وعن نقص المعلومات لدى المؤرخين الكنسيين الأكثر حداثة . لقد تحدثت عن وجود شكلين للبطرشيل ، ويقع كلاهما مع الصدره البطريركية تحت اسم « البطرشيل » وهو تحريف للكلمة اليونانية ابيتراخيليون وأظن أن الاسم القبطى أوراريون يطلق على كل منهما . وبينما نجد للصدره الاسم الواضح الخاص بها إلا أن كلا النوعين من البطرشيل لا يختلفان فى الاسم . ولا شك أن هذه الحقيقة قد أدت إلى ظهور التناقض والارتباك الذى يعود فى جانب منه إلى صمت المراجع . ويتصل أحد الشكلين بالكلمة اليونانية ابيتراخيليون أو بيتراخيليون كما كان يطلق عليه ، بينما يقترب الثانى من الكلمة اليونانية أواريون ، ومن البطرشيل المستخلم فى

الغرب . وسنستخدم في الصفحات التالية كلمة ابتراشيليون
epitrachelion لوصف الشكل السابق وذلك للتوضيح ، بينما
تبقى كلمة بطرشييل للدلالة على الشكل الآخر .

١ - يتكون الابتراشيليون epitrachelion من شريط طويل
يبلغ عرضه حوالي ٩ بوصات وطوله ٦ أقدام ، ويوجد في طرفه العلوى
فتحة تمر من خلالها الرأس ، وبذلك تصبح هذه القطعة من الملابس مدلاة
فوق وسط التونية من الأمام . والابتراشيليون مشغول بالتطريز من
العنق الى أسفله في شكل صليب كبير ، أو بصورة التلاميذ الاثنى عشر
على صفين يتكون كل منهما طوليا من ست صور . وقد نقش النص الخاص
بالتكريس أعلى هذين الصفيين . ويمكن أن تكون صورة المدى الفخامة التي
كانت تتميز بها هذه القطعة من الملابس الكهنوتية في سالف الأزمان
بالنظر الى الصورة التي تمثل ابتراشيليون من القطيفة القرمزية اللون
المطرزة بخيوط الفضة ، وهي تنتمي الى كنيسة القديسين أباكير ويوحنا .
وحتى الآن فان فخامة هذا الابتراشيليون مازالت واضحة . ويبلغ عرضه
أحيانا ١٨ بوصة . أما المادة الشائعة في صنعه فهي الحرير الأزرق
المزخرف بالصليب ذات الألوان الزاهية أو اللفائف أو الرسومات . ويجدر
بنا ملاحظة أن الابتراشيليون غير المزخرف بالرسومات يطلق عليه اسم
منفصل هو - الصدر - ويمكن في نظرة واحدة ملاحظة أصل الشكل
الحالى لهذه القطعة من الملابس ، فمن الواضح تماما أن الابتراشيليون كان
في الأصل يشبه البطرشييل الغربى الذى كان يحيط بالعنق من الخلف
وينسدل من الأمام على كلا الكتفين . ويتجمع الطرفان ويربطان معا من
اليساقة لكي ينسدلا الى أسفل بواسطة عراو وأزرار . وأخيرا فن
الابتراشيليون مع هذا الاستخدام ، كان يصنع من قطعة واحدة عريضة
لها فتحة من أعلى . ومازال الوعى بهذا الأصل يختلف مع ترتيب أشغال
الابرة لأن الخطوط التى فى الوسط وتتجه من أعلى الى أسفل فى الرسم
المحفور على الخشب - تحفظ لنا فكرة وجود شريطين متصلين ببعضهما
البعض بالرغم من عدم وجود ذلك فى الحقيقة . ومن جهة أخرى فان
الابتراشيليون الذين يلبسه الامبراطور قسطنطين فى الرسم الموجود
بكنيسة أبو سيفين تحت الرداء القصير - لايبين هذا القطع الرأسى ، وهو
ضيق جدا ومطرز عليه ثلاثة صليبان منفصل كل منها عن الآخر بخطوط
أفقية ، وبه حافة لا توجد فى الابتراشيليون . وبعد هذا الشرح لأصل
البطرشييل فلسنا فى حاجة الى التنويه بأن هذه القطعة من الملابس
الكهنوتية ، وبشكلها هذا - تخضع فقط القسسوس والأساقفة الذين
يرتدون البطرشييل فوق الكتفين بخلاف الشماسة الذين يضعونه فوق



شكل رقم ٢٢ - بطرشييل من المخمل القرمزى
المطرز بخيوط فضية

الكتف الأيسر فقط . وباختصار فإن نفس هذه القطعة وبنفس الاسم والشكل والأصل والاستخدام ، موجودة بالكنيسة اليونانية . ويقدم لنا ماريوت نموذجا مرسوما لها (١) ولكن هذا المؤلف لا يقدم شرحا وافيا للموضوع ، ولا يذكر ما إذا كان الإبتراشيليون المرسوم مصنوعا من قطعة واحدة مستقيمة أو أنه مربوط بالخياطة أو أربطة في الوسط من أعلى الى أسفل . وتبين صدرة أخرى للقديسين سامبسون St. Sampson وميثوديوس St. Methodius (٢) أنهما يرتديان الإبتراشيليون على شكل قطعة واحدة . ولكن ماريوت يذكر أن أطراف الإبتراشيليون ... تظهر على شكل قلادة في العنق بمعنى وجود طرفين يمكن فصلهما . ونرى في نفس الصورة القطعة التي يرتديها القديس جرمانوس منفصلة طوليا دون أى علامة تدل على اتصالها . وربما كان من المحتمل أن اليونانيين فقط هم الذين يربطون طرفي البطرشيل ليعطى شكل الإبتراشيليون ، وأنهم لم يتقدموا خطوة فيزيلاوا الاتصال من الوسط كما فعل الأقباط .

ويتحدث الكاتب الذي وضع قاموس الآثار المسيحية Dictionary of Christian Antiquities (٣) بثقة عن الشكل اليوناني ، فيذكر أن به فتحة لدخول الرأس ، ومربوط بواسطة خياطة في الوسط من أعلى الى أسفل ، ولذلك فهو يختلف عن الشكل القبطي من حيث وجود هذه الخياطة فقط ، ولا يقول أنها زخرفة باستخدام التطريز . وعلاوة على ذلك فإن رواية نيل Neal عن الإبتراشيليون شبيهة بهذه الرواية (٤) . ويوجد بكنيسة القديس نيقولاوس القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة عينات من الإبتراشيليون القديم المزخرف بأشغال الابرّة الذهبية . وقد رأيت بها واحدا على أرضية زرقاء واثنين على أرضية صفراء وواحدا قرمزيا وواحدا ذا لونين هما القرمزي والأخضر ، وكلها مصنوعة من الحرير ورسوم عليها صور للتلاميذ أو القديسين بأشغال الابرّة فيما عدا واحدا فقط مغطى برسوم تمثل صلبانا ، ومعظمها له أهداب سفلية . ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن اغلاقه من الأمام هو موضوع الاختلاف مع الملكانيين لأن هذا الاغلاق كامل في بعض الحالات حيث يربط بواسطة خياطة في الوسط من أعلى الى أسفل . وحتى هذه الخياطة غير موجودة نهائيا في

vest. christ, pl. lvi.

(١)

Id. Pl. lvii.

(٢)

Dict. christ. Ant s.v. stolè.

(٣)

Eastern Church : Gen. Introd. vol. 1. p. 308.

(٤)

انظر أيضا الرسم الموجود بالصفحة

العينات الحديثة المصنوعة من قطعة واحدة مغطاة بتصميم كبير متشعب .
بينما نرى القطع الأوسط قد ترك مفتوحا تماما فى حالات أخرى وأضيف
أن بعض عينات الابتراشيليون مزخرفة بأجراس دقيقة .

أما التشابه الشديد فى الشكل والاستخدام لدى الأقباط
واليونانيين ، فانه كما أظن ، يؤيد الاستنتاج الذى توصلنا اليه وهو أن
الابتراشيليون من اليعاقبة - فهذا افتراض يخصصه نفس الاسم المستخدم .
الانشقاق الذى حدث بين فئتي اليعاقبة والملكانيين فى الكنيسة . وفى
ذلك الوقت كانت ملابس رجال الاكليروس واحدة لدى رجال الدين
اليونانيين والأقباط ولكننا لا نستطيع القول بأن اليونانيين قد استعاروا
الابتراشيليون من اليعاقبة - فهذا افتراض يخصصه نفس الاسم المستخدم .
كما نرفض القول بأن اليعاقبة يدينون بفضل استخدام هذه القطعة من
الملابس الكهنوتية الى الملكانيين المحترقين والمكروهين .

وبالطبع فان هذه الفكرة ستجعل الابتراشيليون أقدم من القطعة
المشابهة له وهى البطرشيل المستخدم لدى الكنائس الغربية وهو بذلك
يوافق ويساند حجتي القائلة بأن أشكال الملابس الكهنوتية كانت محددة
ومكرسة لخدمة الكنيسة فى الشرق ، أقدم منها فى الغرب ، بل هى أقدم
من الجميع بالنسبة لكنيسة الاسكندرية . وفى نفس الوقت لا يمكن
بالطبع انكار أن الابتراشيليون مهما كان قديم الاستخدام الا أنه شكل
ثانوى للبطرشيل الأصيل .

وقبل أن نترك هذا الجزء من الموضوع نقول ان شكل الابتراشيليون
محدد فى التعليمات الخاصة بتنصيب الأسقف التى أوردتها رينودو (١) .
فقد ذكر أن هذه القطعة لابد أن تكون مصنوعة من الحرير ، وتطرز
بصورة المخلص والتلاميذ ولكن لا يوجد ما يبين أن هذا الشكل المزخرف
يخص الأساقفة فقط ، أو أن الابتراشيليون المطبوز بالصلبان يخص
القساوسة فقط . ومن المجتمعات الأخرى التى تستخدم هذا الطراز من
الابتراشيليون بالاضافة الى اليونانيين :

مسيحيو مالابار Malabar (٢) والأرمن (٣) الذين يطلقون
عليه اسم Pour-Orar وهو اشتقاق من كلمة Orarion ويوصف

(١) Denzinger, Rit. Or. tom. ii, p. 28.

(٢) Howard, Christian of St. Thomas, p. 133.

(٣) Fortescue, Armenian Church, p. 133.

بأنه مصنوع من النسيج الحريري الموشى بالقصب والمطعم بالجواهر - كما يستخدمه أيضا الموارنة .

٢ - البطرشيل العادى Orarion يبدو مختلفا عن الابتراشيليون حيث نجد أن كلمة Orarion تطلق على البطرشيل وذلك فى صلاة التكريس حيث يلبسه البطريك (١) . أما كلمة (ستولا) أى الحلة ، فقد وردت كثيرا فى الكتابات البابوية اليونانية والقبطية ولكن ليس بمعنى البطرشيل . انها تعنى دائما - الملابس - وهذا المعنى لم ينطبق على اصطلاح البطرشيل الى أن جاء القرن التاسع عشر ، حتى لدى المسيحيين الغربيين حيث أطلق عليه لفظ Orarion لأول مرة بمعرفة رابانوس ماوروس Rabanus Maurus حوالى سنة ٨٢٠ للميلاد فى الجدل الذى دار بلا طائل حول معنى لفظ Orarion والذى لا أريد الدخول فيه - بسبب التجاهل الحالى للاعتقاد بأنه لا هذه القطعة ولا اسمها يعود أى منهما الى الأصل اللاتينى . ان قبول الكنائس الشرقية لقطعة ملابس لاتينية رومانية قد يكون عملية مخالفة لكافة أنواع القياس وأن الاسم Orarion قد وجد فى الشرق منذ حوالى قرنين قبل ذكره فى الغرب . وقد منعت قوانين لاودكية Loadicea حوالى سنة ٣٦٣ للميلاد ، تسجيل هذه القطعة Orarion تحت بند الدياكونية ، بينما لم يرد ذكر هذه القطعة فى التاريخ الغربى حتى مجمع براجا Braga الثانى الذى عقد فى اسبانيا . وقد طلب الى الشماسة ارتداء هذه القطعة على الكتف اليسرى وليس تحت التونية - وقد عقد هذا المجمع سنة ٥٦٣ للميلاد .

وبالطبع فهذه القطعة Orarion أقدم عن الابتراشيليون من حيث الاستخدام ، ولكن يبدو أن هناك سببا للظن بأنه حتى بعد أن أصبح القساوسة يرتدون هذه القطعة على الكتفين الاثنتين ، كان ذلك سببا فى ظهور الابتراشيليون . ومازالت هذه القطعة مستخدمة لدى القساوسة الأقباط الى جانب الابتراشيليون . ويعتبر الابتراشيليون رداء فخما ، ولا بد أنه مجرد شريط من الكتان مطرز بالصلبان ويلبس فوق الكتفين وذلك بالنسبة للكنائس الفقيرة . وعلى ذلك فمن الممكن القول بأنه قد سمح باستخدام كلا الأسلوبين بارتداء البطرشيل بالنسبة للقساوسة مع

Denzinger, Rit. Or. tom, ii. p. 133.

(١)

ولذلك فإن ماريوت على خطأ فى قوله أن البطرشيل Orarion يستخدمه الشماس فقط ولا تطلق الكلمة على البطرشيل الذى للكهنة .

استخدام الاسمين معا للدلالة على هذه القطعة ، لأنه بينما يدعى البطرشيل Orarion في صلاة التنصيب فان هذا الاسم الأخير يدعى البطرشيل حاليا لأن القساوسة يرتدونه .

ويبدو أن الحظر الذي وضعه مجمع لادوكية Laodicea لم يكن ساريا بالنسبة لكنيسة الاسكندرية فقد ورد في التعليمات البابوية ما يشير الى ارتداء الشمامسة لهذه القطعة أثناء الرسامة (١) ، وكذلك فان الايبودياكون لدى السريان (٢) والاناغنوستيس (القارىء) عند الموارنة (٣) يرتدى كل منهم البطرشيل Orarion أثناء الرسامة .

ويلبس البطرشيل في معظم هذه الحالات فوق الكتف اليسرى فقط . حسب الطريقة الخاصة بالشمامسة . أما في الكنيسة المارونية فالترتيب مختلف الى حد ما ، فالاناغنوستيس القارىء عند الرسامة يلبسه مفتوحا حول يديه المبسوطين ، بينما يضعه الايبودياكون (نائب الشماس) حول رقبته مع تدليّة الطرفين خلف الظهر (٤) . أما الشماس (الدياكون) فانه يمرره من الرقبة فوق الكتف اليسرى . ولا شك في أن البطرشيل Orarion كان يرتديه الشمامسة أصلا مع تدليته حرا من الأمام والخلف وعلى ذلك فان الاستخدام في الكنائس القبطية يتفق مع اليونانية واللاتينية . أما في الغرب فلم يكن هذا الترتيب ملائما حيث كان يربط أحد طرفي البطرشيل عند الجانب الأيمن من الوسط لتحقيق أمان أكثر . وقد ظهرت طرق عديدة لارتداء البطرشيل في مصر ، بعضها رسمى وقانونى ، وبعضها الآخر خيالى وعشوائى ، متمرد على كافة العادات والقوانين ، مثل الاستخدام المتهاون وغير المتقن الذى نراه في هذا القرن . ونرى في صورة القديس اسطفانوس التى نعتد عليها ، أن البطرشيل معلق على الكتف اليسرى بينما هو بارز من الأمام . وبدلا من أن يتدلى حرا في الخلف يمر أسفل الذراع اليمنى عبر الصدر الى جانب الوسط من اليمين ، وحول الظهر ، ومن الجانب الأيسر للوسط يرتفع الى الكتف اليمنى حيث يمر الطرف الى الخلف . ونظرا لأهمية هذه الصورة وفخامة الملابس المبينة فيها وشهرة القديس اسطفانوس بوصفه النموذج الأعظم للشماس ، فمن المحتمل أن تكون هذه الطريقة التى يرتدى بها البطرشيل

Denzinger Rit. Or. tom. ii. p. 6.

(١)

Id. ib. p. 82.

(٢)

Id. lb. p. 118.

(٣)

Id. lb. pp. 229 & 233.

(٤)

ولكن النص غامض .



شكل رقم ٢٣ : صورة القديس اسطفانوس مأخوذة عن رسم بكنيسة ابي سرجة

هي المعتادة والقانونية . وسنلاحظ بالطبع أن البطرشيل يتقاطع على الصدر ، وأن هذا الأسلوب في ارتداء البطرشيل يستدعي أن يكون فائق الطول بالنسبة للبطرشيل اللاتيني . ومن المحتمل أنه يبين ترتيبا خاصا لارتداء البطرشيل قبل الاشتراك في القداس ، وكما يقول جور Goar (١) فإنه كان شائعا في الكنيسة اليونانية حيث أن الشماس (الديقون) عند اليونان وهو على وشك الاقتراب للتناول ، كان يعيد ارتداء البطرشيل بحيث يشكل صليبا على كل من الصدر والظهر ، ومنطقة حول الوسط . وربما كانت عادة تشكيل البطرشيل هذه تمثل طريقة ارتداء الايودياكون (نائب الشماس) القبطي للبطرشيل ، وهي طريقة سنصفها فيما بعد . الا أن بطرشيل الشماس يلبس أحيانا بالطريقة العادية بأن يوضع فوق الكتف اليسرى . ونلاحظ أن القديس اسطفانوس نفسه يرتدى البطرشيل بهذه الطريقة في رسم موجود على حوائط خورس كنيسة ابي سيفين . ولكن هناك طريقة أخرى واضحة في صورة ثلاثة لنفس القديس بالكنيسة المسماة باسمه والتي تجاور الكاتدرائية بالقاهرة . وهنا نرى أحد الطرفين مدلى خلف الكتف اليمنى حيث يمر البطرشيل من فوق بيثما . ينزل الى الأمام ويمر من الجانب الأيمن الى الوسط . وهناك يستدير ويمر منحرفا عبر الصدر الى أسفل الذراع اليسرى الى ما فوق الكتف اليسرى . والطرف الذي يهبط من الكتف اليسرى الى الأمام بحمله في يده . وبينما تبدو هذه الطرق الثلاث غريبة ، فإن الطريقة الأخيرة معروفة حاليا بوصفها الطريقة

Euchologion, p. 146.

(١)

انظر ايضا الصور التي على ص ١٤٧ .

الصحيحة لارتداء البطرشيل بالنسبة لرئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) . وهناك ترتيب مشابه موجود بكنيسة الاسكندرية المصرية الارثوذكسية ، حيث يحمل الشماس فى يده اليسرى أحد طرفى البطرشيل الذى ينسدل فوق الكتف اليسرى من الأمام والخلف ، بينما يرتديه رئيس الشمامسة متقاطعا على الصدر من الكتف اليسرى الى الجانب الأيمن . أما المرتلون مساعدا الشمامسة (والايبودياكونيون) بالكنيسة القبطية حاليا فانهم يرتدون البطرشيل بطريقة مختلفة ، حيث يوضع الجزء الأوسط من البطرشيل على الوسط من الأمام على مثال المنطقة ، أما الطرفان فيرتفعان الى الخلف ويتقاطعان على الظهر ، ثم يمر كل منهما من فوق احدى الكتفين الى الأمام لينسحب نازلا الى الأمام فى استقامة ، ويمر من أسفل الجزء الذى على مثال المنطقة (١) وعلى ذلك فان البطرشيل يصبح على شكل H من الأمام وحرف X على الظهر مما يجعله قريبا من الشكل الذى كان يلتزم به القساوسة فى الكنيسة الانجليزىة قبل عصر الاصلاح .

وكان بطرشيل القسيس فى الغرب يمر من خلف الرقبة فوق كلتا الكتفين مع التقاطع على الصدر ويتخذ من الأمام شكل المنطقة . وبالنسبة لحقيقة أن بدلة الشماس كانت فى معظم الحالات تخفى هذه الطريقة الخاصة ، فان أحدا لم يكن يرى البطرشيل وانما طرقاه فقط ، ولا توجد الكثير من الرسوم الواضحة فى هذا الصدد وانما توجد فقط لوحة من النحاس فى كنيسة هورشام Horsham بمقاطعة ساسكس Sussex (٢) نرى فيها البطرشيل المتقاطع واضحا . ويمكن أن نراه أيضا فى رسم على أحد الشبابيك يمثل زواج الملك هنرى السادس Henry VI من مارجريت Margaret التى من أنجو Anjou وهو موجود حاليا فى الشباك الشرقى لكنيسة بودليان Bodleian فى أكسفورد . وتقدم لنا فيوليت لودوس Viollet-le-Duc رسما جميلا للبطرشيل المتقاطع مأخوذا عن مخطوط يعود الى القرن الثانى عشر ومحفوظ بالمكتبة القومية (٣) ونرى رسما لنفس هذا الترتيب فى كنيسة روك Rock (٤) . وربما كان أول قانون واضح يتضمن هذا الموضوع هو ذلك الذى أصدره المجمع الثالث فى براجا Braga وينص على أن الكاهن الذى يخدم المذبح يجب أن يرتدى البطرشيل البطرشيل على كلتا الكتفين ، وأن يجعله متقاطعا فوق الصدر .

(١) يبدو أن كلمة الزنار التى تطلق على المنطقة ، تستخدم أحيانا للدلالة على البطرشيل عند استخدامه بهذه الطريقة .

(٢) نرى صورتها فى كتاب :

Waller's monumental brasses

Mobilier, vol. ii. p. 375.

(٣)

Vol. ii. p. 89 See also i. p. 421.

(٤)

وعلى ذلك فإن الترتيب القبطى الذى يجعل هذه القطعة من الملابس تلبس على شكل البطرشيل والمنطقة فى آن واحد ، لا يختلف عن هذه العادة المستخدمة فى الغرب بالرغم من أنه يتطلب بطرشيلا بالغ الطول . ولكننى أكرر أنه لا القساوسة الاقياط ولا حتى الشماسه يرتدون البطرشيل الآن بهذه الطريقة ، ولكنها قاصرة فقط على مساعدى الشماس (الايبودياكونيين) ، بينما يتميز القساوسة فى القداسات العادية حاليا بارتداء الشملة التى سبق أن وصفناها بدون الايتراشيليون أو البطرشيل . أما بطرشيل مساعده الشماس (الايبودياكون) فهو غير عريض ومصنوع من الحرير أو غيره من القماش الثمين . وهذا النوع متعدد الألوان - التى منها الأرجوانى والأصفر والأحمر والأخضر - وهو فى العادة يتضمن ثلاثة أو أربعة ألوان متجاورة فى خطوط طولية . وهو مزخرف ليس فقط بالصلبان ، ولكن أيضا بالأزهار المطرزة بأشغال الابر . وكان بطرشيل الشماس قديما ، مثل الايتراشيليون مصنوعا من الحرير أو منسوجا من خيوط الذهب ومزينا بالجواهر ، وكما فى الغرب فقد تقهقر الكتان الأبيض الأصلى ليفسح المكان لغيره من الأقمشة اللامعة والغالية الثمن ، حتى انه عند حلول القرن العاشر ، تعددت ألوان البطرشيل وأصبحت زخرفته بالذهب شائعة فى كنائس اسبانيا وبلاد الغال وايطاليا (١) .

ونجد أن طرزا فخمة عديدة لنوعيات البطرشيل التى كانت تستخدم فى العصور الوسطى - مازالت موجودة - وأعظمها نراه فى متحف ساوث كنسنگتون South Kensington . ومن بينها بطرشيل من صنع صقلية يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ويوصف بأنه مصنوع من نسيج الذهب ، ومزخرف بصور الطيور والوحوش والحروف الرومانية والزخارف المكونة من الأزهار . وهناك أيضا بطرشيل ايطالى الصنع ، يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر ، مصنوع من الحرير الأرجوانى وموشى بالذهب والأزهار القرمزية اللون (٢) ، وتمتلى قوائم محتويات الكنائس القديمة بالعديد من هذه الأوصاف .

ويستخلص السريان البطرشيل ، ويطلقون عليه اسم Uroro وهو اشتقاق محرف من كلمة Orarion ، يقدم دليلا جديدا على أن هذه الكلمة تعود الى أصل شرقى . ومن الواضح أن نفس هذه القطعة

Marriot. Vest. Christ. pp. 215-6.

(١)

Chamber's Divine Worship in England. p. 51.

(٢)

تستخدم بواسطة الكهنة والشمامسة على حد سواء ، بالرغم من أن النصوص التي أوردها مورينوس Morinus ليست واضحة ، وعند رسامة الشماس فان الأسقف

accipit orarium et circumfert circum caput”

ثم يضع البطرشيل على كتفه اليسرى (١) أما في حالة رسامة القسيس فان الأسقف :

« يسلمه البطرشيل بوضعه على ملابسه الخارجية بينما يثبتته على كتفه اليمنى » (٢) .

ومن الواضح أن الشماس يلبس البطرشيل فوق الكتف اليسرى ، بينما يلبسه القسيس فوق الكتف اليمنى ، ويبدو أن النص الثانى يدل على أن القسيس يرتديه فوق كلتا الكتفين . ويتخذ الأسقف الاجراء التالى :

يلبس المرشح للقسيسية ملابس الشماس مع اسداله البطرشيل على الكتف اليسرى من الامام والخلف ، ويمسك الأسقف بالطرف الذى فى الخلف ، ويلفه على الكتف اليمنى . وعند استكمال هذا الاجراء يصبح كلا طرفى البطرشيل فى الامام وقد نزل كل طرف من فوق احدى الكتفين . وهكذا يتطابق هذا الاجراء مع ذلك الذى أورده كافة المصادر الانجليزية . ولكن النص السريانى لا يحدثنا عما اذا كان الأسقف يجعل البطرشيل يتقاطع على صدر القسيس بعد تطويقه للرقبة من عدمه . ويبدو أنه من الانصاف أن نستنتج أن البطرشيل لا يتقاطع . وهذا الاستنتاج يؤيده أسيمان الذى يصف البطرشيل بأنه « ينسدل من الرقبة أمام الصدر على كلا الجانبين » (٣) .

أما البطرشيل السريانى كما هو مرسوم فى الصورة التى على الرق فى المخطوط الفلورنسى الذى نقل عنه رينودو (٤) ، فانه اما منقسم الى جزئين بواسطة شريطين من اشغال الابر أو أنه مزين بصلبان صغيرة ملونة . أما بطرشيل الأسقف فهو دائماً من النوع الثانى . ولا يذكر رينودو شيئاً عن الاپتراشيليون الذى لا يوجد دليل على أن السريان قد استخدموه ، ولذلك فقد أخطأ نيل فى الظن بأن Uroo هو الاپتراشيليون الذى ذكره رينودو فى كتابه (٥) .

Denzinger Rit. Or. tom. ii. p. 70.

(١)

Id. lb. p. 73.

(٢)

Pibl. Orient. tom. iii. Pt. ii. p. 819.

(٣)

Lit. Or. tom ii p. 54. seq.

(٤)

Eastern Church, Gen. Introd. Vol. i. 308.

(٥)

أما بطرشييل الشماس فى الكنيسة الأرمنية فإنه يلبس حسب الطريقة الأرثوذكسية ويطلق عليه اسم Ussorah - وربما كان هذا الاسم تحريفا آخر لكلمة Orarion . وقد لاحظنا لتونا وجود هذا الاصطلاح فى كلمة Pourourah ، وهى التسمية الأرمنية للابتراشيليون ، ولكن لا يوجد حد للأشكال التى تتخذها هذه الكلمة الكلاسيكية فى استخداماتها مع إحدى اللغات الشرقية . والبطرشييل الأرمنى بسيط بوجه عام ، على عكس البطرشييل اليونانى المطرز بكلمة الثالوث مكررة ثلاث مرات .

أما الاكليروس النسطورى فهو بالنسبة للقساوسة أو الشماسية - يحدد استخداما واحدا للبطراشييل مثل السريان . ويوجد هذا الاختلاف بالنسبة لمساعد الشماس (ايبودياكون) حيث ان مساعد الشماس يلبس البطرشييل متدليا من الكتف اليسرى ودائريا حول العنق ، بينما نرى فى الطقس النسطورى لرسمات الشماس ، الفارق واضحا فى الاستخدامين عند ابعاد البطرشييل عن عنق مساعد الشماس ، ووضعها على الكتف اليسرى . ولكن الطريقة التى يرتدى بها مساعد الشماس البطرشييل « حول العنق » غير واضحة فى الحالتين ، وهل هو يلف حول العنق كما يبدو محتملا ، أو أنه ينسدل من الخلف (١) .

ويتفق الاسم النسطورى Hurrara (٢) مع الاسم السريانى من حيث اشتقاقه اليونانى (أوراريون) .

(١) يمضى النص الخاص برسمات مساعد الشماس لدى السريان حسبما أورده رينودو كما يلى : -

« واثناء الاحتفال يلف الأسقف الابتراشيليون فوق كتفه من جهة الذراع اليسرى » .
أما فى الطقس المقابل لدى النساطرة كما أورده أسيمان الأصغر فإنه يمضى كما يلى : -
« يلف الابتراشيليون حول عنقه » .

بينما هو فى حالة مساعد الشماس يمضى كما يلى : -

« ثم يرفع الابتراشيليون أسفل رقبته » .

أما من يرتديه بوصفه مساعد شماس فإنه « يضعه على الكتف متدليا من الخلف جهة الذراع اليسرى » .

(٢) G. P. Badger, Nestorians and their rituals, vol. i. p. 225.

البسين

بى بالين أو بى أو موفوريون

يتجاهل رينودو فى حديثه عن الملابس القبطية - كما ذكرنا من قبل - وجود أى اضافات تشبه البسين الذى يرتديه رئيس الأساقفة فى الغرب أو البسين اليونانى . ولكن البسين لم يرسم فى رسوم الفرييسكو المسيحية القديمة فى مصر وفى غيرها . ولكن رينودو يورد أيضا نصوصا تتحدث عن البسين فى طقس رسامة بطريك الاسكندرية . ومن الصعب بل من المستحيل فهم النصوص المختلفة التى تتحدث عن ملابس البطريك أو التوفيق بين التكرارات الواضحة والتى تتعارض مع بعضها فى داخل النص الواحد ، ولاشك أن معظم هذا التعارض يظهر بسبب أخطاء الترجمة التى يمكن تحاشيها عن طريق العناية بدراسة المراجع الأصلية ، وللأسف فإن تلك المراجع غير متاحة . ويذكر أبو البركات ثلاث قطع فقط من ملابس البطسريك وهى التونية والبسين وبدلة القباس (colo sive casula) وهذه القائمة صحيحة حسبما يترأى لنا . ولكنها فى الحقيقة غير كاملة فحسب ما ورد فى كتاب : « الملابس الحبرية للطوخي » (١) نجد أنه عند اختيار البطريك يتقدم أولا الى المذبح عند بداية قداس الرسامة ، مرتديا التونية والشملة فقط أو كما يطلق عليها فى المصادر الأصلية القبطية (لينتيون) و (ستيخاريون) . وبلى ذلك احتفال طويل ، حتى الوصول الى صلاة الأواشي (الأدعية) التى تتضمن هذه الكلمات :

« ألبسه رداء مجدك المقدس ، وضع التاج على رأسه ، وامسحه بزيت البهجة » .

وبعد الرسامة يقوم أكبر الأساقفة سنا بالباس البطريك المنتخب التونية والبطرشييل وحلة القباس . وبلى ذلك تلاوة التعهد ثم استكمال بقية الصلوات التى بعدها . ويقوم كبير الأساقفة بوضع البسين (أو موفوريون) والشملة (فيلونيون) (٢) .

Ap. Denzinger, Rit. Or. tom ii. p. 40, Seq.

(١)

(٢) تستطيع التخمين بأن الشملة هى المقصودة بالفعل . ويمضى النص بعد ذلك فيحدث عن كلمتى Omophorio, Symbolo ومعناه كما يلى : « ألبسه البسين وعلامة الموهبة الرسولية وهى الشملة المدلاة على الرأس والبطرشييل على كتفه » وقد أوردنا الكلمات ذات الأصل اليونانى حسب ورودها . بالرغم من أن دنزنجر قد كتبها بالحروف اليونانية فقد فضلت تقديم النص القبطى أيضا .

ويستمر بعد ذلك في الباس البطريرك بقية قطع الملابس المقدسة .
وكما أن لغة هذا النص رفيعة فانه يمضى فى لغة أكثر رفعة مقدما
الوصف التفصيلي لهذه القطع من الملابس وكيفية ارتدائها .

وتبين هذه النصوص المدونة بعبارات لاتينية ويونانية وكلمات
قبطية وهي ليست فى حاجة الى توضيح فالبطريرك يرتدى أولا التونية
والشملة والتاج الذى ورد ذكره فى صلاة الأوشية ولكن التعليمات
لا تتضمن أية اشارة الى هذه الأردية .

ثم يلبس البطريرك التونية والبطرشييل وبذلة القديس ، وثالثا
يرتدى الصدر والشملة والفوطه epicheri وبعد أن يرتدى التونية
مرتين والشملة مرتين الى جانب البطرشييل وبذلة القديس والصدرة ،
يخرج فى زى رئيس الكهنة حيث يعرف ببذلة القديس والصدرة والبليين
Phacialion, morphotacion والفوطه epicheri .
انه حقا تحول عجيب . انه انسان جديد ذلك الذى يظهر فيه البطريرك ،
حيث يرتدى كامل ملابسه البطريركية .

أما حكاية رينودو Renaudot عن هذا الموضوع فهي أكثر سهولة
وخالية من الارتباك ، فعند بدء القديس يلبس البطريرك الجديد التونية
والشملة ويترجم رينودو هنا كلمة الشملة القبطية بكلمة

= ويقتبس دنزجر وأيا يبدو كنوع من التورية يعلق على الآمال ، يبدو انه يرتكز
بوضوح على الاشتقاق المفترض للكلمة ولكنه لا يسانده أى دليل خارجى . ولا يوجد ما يشبه
هذا الاشتقاق فى الطقس القبطى ولا حتى اليونانى . وعلاوة على ذلك فان البليين manipule
فى كلتا الحالتين يلبس على الكتف التى لا يمكن أن تكون هى المكان المناسب لوضعه ،
كما أن هذا البليين غير واضح الاستخدام بالنسبة للبطريرك .

ولا أستطيع أن أقدم أى اقتراح فيما عدا ما يل :

أن الخطاب الكليريكى أو التعهد الكنسى الذى يقرأه الشماس من فوق المنبر، يعرض
بين العديد من الأمور واجبات البطريرك ، ويذكر أن عليه أداء خدمة غسيل الاقدام يوم
خميس العهد . وتستخدم لأداء هذه الخدمة فوطه لابد وانها مطرزة بأشغال الابرة الفاخرة
وأظن أن كلمة epicheri تعنى الفوطه . ومثل هذه الفوطه الرائعة المنسوجة بخيوط الفضة
أو الذهب لابد انها توضع على كتف البطريرك عند رسامته ، كتذكار لهذا الواجب الخاص
بغسيل الاقدام الذى يبدو أن الكنيسة تعطيه أهمية قصوى . ومثل هذا التفسير يزيل
جميع الالتباسات ، ولكنه لا يعدو أن يكون مجرد اقتراح . وعلى ذلك فان الفوطه
epicheri قد لا تكون قطعة ملابس عادية تشبه البليين اللاتينى manipule
وأن جميع الرتب الكنسية ترتديها . وقد لا تكون جزءا من زى البطريرك
ولكنها مجرد رمز خاص ولا يرتديها سوى مرة واحدة عند رسامته ، والمكان الطبيعى لوضع
مثل هذه الفوطه هو الكتف .

mantile بدلا من linteum التى أوردها دنزنجر Denzinger (١) وقد أصاب باطلاق كلمة الشملة عليها . بينما يطلق دنزنجر فى موضع آخر (٢) كلمة linteum على بلين رئيس الأساقفة .

“Estautem omophorium linteum sive species quaedam stolae similis Pallio.”

والحقيقة هى أن الشملة والبلين تثيران البلبلة فى اللغة كما هما فى الاستخدام .

أما فيما يتعلق بالاجراء الثانى الخاص بارتداء ملابس الخدمة ، فإن رينودو يتفق مع التعليمات المدونة فى أن البطريك يلبس التونية والبطرشييل وبذلة القداس .

« Estautem Omophorium linteum sive species quaedam stolae similis Pallio. »

أما الاجراء الثالث فهو أكثر وضوحا عند رينودو ، وهو كما يلى : « ثم يضع أكبر الأساقفة على رأسه البلين وهو العلامة على رفعة منصبه ، ويدلى بطريقة تجعله ينزل على الصدر » . وبدلا من البلبلة التى تسببها التعليمات المدونة ، يقول رينودو هذه العبارة : « ثم يظهر مرتديا ملابس رئيس الأساقفة الكاملة » (٣) .

ولا يذكر هنا شيئا عن مورفوتاكيون morphotacion أو فاكياليون Phacialion أو الفوطة ايبشيري epicheri ، ويحذف ما يبدو أنه مكرر . ونصل بذلك الى أن ملابس البطريك تتكون من التونية والشملة والبطرشييل وحلة القداس والبلين والتاج . وهناك

= ونلاحظ أن دنزنجر Denzinger اذا كان لترجمته أى معنى ، فانها تجعل غطاء رأس الاسقف Omophorion هو نفسه ما يطلق عليه اسم linteum ، ولكن النص الجارى يغند نفسه لأن البلين يوصف بأنه « يتدل من الرأس » (انظر : Vide Rite. Or. tom. ii. pp. 57, 57.

Tom. i. p. 130.

(١)

Tom. ii, p. 40.

(٢)

(٣) من الواضح أن كلمة Archisacerdotali رئيس الكهنة التى أوردها دنزنجر خطأ ، وأن كلمة ارشيراتيكون التى أوردها نفس المؤلف فى موضع آخر هى المرادفة تماما لكلمة Archiepiscopalis رئيس الأساقفة .

ما يدعو الى الظن بأنه تجرى عملية خلع الملابس الكهنوتية واحلال غيرها وذلك خلال احتفال التنصيب . ولا يمكن تحديد أى من قطع الملابس هي التى تخلق ، ومن الطبيعى أن يظهر السرد الجديد كما لو كان تكرارا غير لائق . أما فى الاحتفال المشابه لدى الكنيسة المارونية فانه بعد الباس البطريرك الجديد القميص والبطرشييل الخارجى والكمين والشملة وبدلة القديس ، يمضى وقت طويل فى الصلاة وسائر الطقوس ، ثم « يأتى به الأساقفة أمام المذبح ويخلعون عنه بدلة القديس والشملة الكهنوتية » وذلك حسب ما ورد فى التعليمات المكتوبة . وفيما بعد يلبس التاج وبدلة القديس والبطرشييل - وهذا الأخير قد يكون اما الاپتراشييلون وهو المقصود بكلمة البطرشييل الخارجى التى ذكرناها عليه ، أو البلين . ويبدو أن بدلة القديس التى ذكرناها هنا قطعة غالية الثمن عن تلك التى يلبسها ثم يخلعها فى الاجراء الأول .

ومن هذا القياس نستنتج وجود خمس مراحل واضحة فى عملية لباس الملابس الكهنوتية للبطريرك القبطى . ففي البداية يلبس التونية والشملة وحدهما ، ثم يضاف اليهما البطرشييل وبدلة القديس ، وفى المرحلة الثالثة تخلق الشملة وبدلة القديس ، ثم يلبس بدلة أكثر فخامة وشملة أكثر بهاء . وبعد ذلك تسدل الصدر . وأخيرا يوضع التاج على رأسه . ومن الملاحظ عدم ذكر المنطقة أو الكمين ضمن خدمة لباس البطريرك الملابس الكهنوتية ، وأشعر بكل الثقة أن الوصف الذى قدمته لعملية لباس البطريرك الملابس الكهنوتية صحيح تماما حيث أن كلا من المنطقة والكمين ضمن الملابس الكهنوتية التى يجرى لباسها للبطريرك فى أيامنا هذه (١) .

(١) أود - بدون محاولة الموافقة على معنى كلمة Photacion وكلمة Phacialion وما شابههما ، وهو الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بدون العودة الى النص - أن أوجه الانتباه الى انتقاد دنزنجر ، الذى لم يكن - بالنسبة للنص الموجود امامه - مقصرا فى حق نفسه وحق قرائه ، ولكنه وقع فى خطأ الالتزام الحرفى ، فهو يقول عن ملابس البطريرك القبطى (الجزء الأول - ص ١٣٠) انها تتكون من التونية ستيخاريون وأوراريون

quae sunt presbyterorum vestes :
hoe est لوتاكيون
super humerum ejus. Phakialion absque dubio edl dubio
erit mitra, quae in orationibus memoratur ut insignium patriarchae
= peculiarium pars quadam est autem omophorum (sic) linteum sive
autem Tukiano مور لوتاكيون وفيلونيون
quod a capite ejus dependet, scilicet de homophorio (ic), et Eplicherion
super humerum ejus. Phakialion absque dubio edl dubio
erit mitra, quae in orationibus memoratur ut insignium patriarchae
= peculiarium pars quadam est autem omophorum (sic) linteum sive

species quaedam stolae similis pallio, crucibus insignita collo et humeris circumvoluta.

والآن فإن النص الذى أورده رينودو لا يقول أن البلين *est super caput* فيعطى وصفا ذاتيا تماما وعجيبا للطريقة التى يتم بها ارتداء البلين . ولكن الكلمات هى : -
species quaedam stolae similis pallio, crucibus insignita collo et humeris
Caput ejus.

وهذا يعنى بالطبع أن البلين يسدل على الرأس وليس أنه يستقر على الرأس .
ولا يقدم دنزنجر أية ملحوظة عن *morphotacion* . والحقيقة أنه لا يوجد لدينا ما يكشف عن معنى هذه الكلمة ولكنه يخطئ فى بيان معنى *Phacialion* . والحقيقة أن طقس الرسامة يصف هذه القطعة من الملابس بأنها تتدلى من الرأس ، أما دنزنجر وقد جعل البلين على الرأس بدلا من وضعه حول الكتفين ، فإنه يوضح الآن موضع *phacialion* بأنه يتدلى من البلين ! ولو لم أنفل كلماته بدقة لظهر لنا أن خطوته التالية هى تعريف *phacialion* بأنه الناج بطريقة واثقة . (*absque dubio*) . وهكذا يتدلى التاج من الرأس حيث يربط بالبلين !! وهذا العالم الألماني له مفاهيم متفردة عن الملابس الكهنوتية ولكن عبارته هذه تظل أكثرها غرابة . وبعد ذلك بصفتين (ص ١٣٢) يذكر دنزنجر بين الملابس النسطورية : -

“Maaphra quod et dicitur Phakila et Kaphila, quod est pallium in modum pluviæ nostræ qui totum corpus ambitur, est que Graecorum

والآن لمن المؤكد أن هاكيوليون وهاكياليون هما نفس الشيء . وهنا يقال ان هاكياليون ليس تاجا ولكنه عباءة . ولكن ما هو المصدر الذى يدل على وجود قطعة الملابس اليونانية المسماة هاكيوليون والتي تشبه العباءة اللاتينية ؟ لا أعرف شيئا عن ذلك . أما البطريرك جرمانوس فى حديثه عن الملابس اليونانية - فإنه يستخدم كلمة هاكيوليون أو هاكياليون بمعنى رباط . ويذكر أن الإبتراشيوليون نموذج للرباط الذى ربط به السيد المسيح عندما اقتادوه من أمام رئيس الكهنة ، ولكن لا يوجد فى القطعة أقل دليل . واعتقد كذلك أنه لا يوجد هذا الدليل فى غيرها من القطع - للقول بأن هاكيوليون واحد من الملابس اليونانية على الإطلاق ، والقليل من المصادر يتحدث عنه بوصفه العباءة . يصعب القول بأن العباءة موجودة بكنيسة القسطنطينية لأن ماندياس الخاصة بالبطريرك والتي تقترب من معناها ، جزء من ملابس العلمانية وليست ضمن ملابس الخدمة . ويذكر دى كانج فى كتابه :

“Glossarium ad scriptores Mediae et infimae Graecitatis”

الأشكال العديدة لهذه الكلمة ويعرفها بأنها

Facia qua caput involvebant olim saraceni atque adeo Graeci ipsi Byzantini ut hodie turci.

وهى تعنى نوعا من العمامة .

ويظهر أن المعنى الذى يبدو لأول وهلة هو رباط أو شريط طويل يلف حول الرأس لعمل عمامة . ويتدلى فوق الكتف لكى يماثل البطرشيل . ويترتب على ذلك ظهور دليل مثير للتساؤل يبين أن الاصطلاح *Phacialion* ربما يكون قد استعمل فى مقام كلمة =

ولكن مهما بقى خافيا ضمن الطقوس السرية التي أوردتها ، فانه من الواضح أنها تقدم دليلا كافيا عن البلين بوصفه قطعة ضرورية تدخل ضمن ملابس البطريك . وهنا يظهر التساؤل عما اذا كان المطارنة والأساقفة يرتدون البلين مثل البطريك . وهذا التشابه قد يجيب على السؤال بالإيجاب .

ويقول ماريوت (١) انه « ربما كانت المنطقة ابتداء من القرن الخامس اذا لم يكن قبل ذلك ، وحتى اليوم ، يلبسها البطاركة والمطارنة وتقريبا كافة الأساقفة في الشرق » . وعلى كل حال فانه لا يوجد - على قدر علمي - أى دليل على امتداد هذا التعميم الآن الى كنيسة الاسكندرية ، لأن مراعاة البلين لم تذكر بوضوح فى أى من الطقوس القبطية عند التعرض لاحتفالات

= البطرشيل orarion بمعرفة واحد أو اثنين من المؤرخين . وينقل جور تعريفا عن كورسيوس شنسيس Coresius Chiensis هو : -
tiara est et militum pileus, proprie inquam Capitis
Turcicae persimilis, qua caput velut zona vel cingulo
circumeingitur." فاكوليس

وقد ذكر أيضا أن أحد بطاركة الاسكندرية الأوائل وكان يدعى يتموثاؤس أطلق عليه اسم شالافليولوس لأنه كان يلبس غطاء رأس أبيض . ولذلك يبدو من المحتمل أن Phacialion بالرغم من أنه لا يشبه التاج اللاتيني بأى حال إلا أنه كان نوعا من غطاء الرأس الشرقى أشد شبها بالعمامة وبه طرف يتدل على ظهر العنق ، وبالنسبة لهذا الطرف جاء وصفه بأنه « يتدل من الرأس » حسب النص الصعب الوارد فى الترتيب الطقسى للطلوخي : Tukian Pontifical . ومن الممكن ألا يكون أكثر ولا أقل مما يسميه فانسليب « البلين » الذى يصفه بأنه شريط طويل من الكتان الأبيض عرضه قدم وطوله أربع أقدام ، يلبس فوق العمامة ويلف حول العنق . ويتدل طرفاه على الكتفين ، (Vide Historie de l'Eglise d'Alexandrie, Paris, 1677, p. 9 seq.)

أما البلين فانه يخص للبطريك فقط . ولكننا نجد فى طقس رسامة الأسقف المدون فى Tukian Pontifical أن احدى قطع ملابس الخدمة تدعى بالين ، ويترجمها دنزنجر بأنها الصدرية Pallium ، وهى كلمة ذات معنيين ربما تعنى البلين omophorion ولا شك فى أن البلين وال بالين متطابقان وربما كانا يعنيان الشملة . لأن ارتداءهما يتم بالطريقة التى أوردناها سابقا فى المتن . وقد ذكرت حينذاك أن كلمة - البلين - موجودة اليوم وتطلق على الشملة التى تشبه العمامة والتى يرتديها رجال الاكليروس عند المذبح ، كما تطلق على قطعة أخرى من ملابس الخدمة التى يرتديها الأساقفة . وإذا أخذنا بهذه الحقيقة تمشيا مع وصف فانسليب للطيلسان أو لوجيون بأنه شريط طويل من الكتان الأبيض يلف حول الرأس على شكل العمامة ، فلا شك فى كلمات البلين وبالين ولوجيون تستخدم لأداء نفس المعنى بالرغم من أن كلا منها تصف فى الاصل قطعا مميزة .

أما فيما يتعلق بالكلمة الأخرى morphotacion فاننا لا نجد أى دليل يبين معناها أو حتى وجودها فى المعاجم البيزنطية أو القبطية . وربما كانت ترتبط بالأصل القبطى الذى بمعنى يحزم - وتعنى المنطقة .

تجلييس الأسقف أو المطران : ولا يمكن أن يحدث مثل هذا التجاهل اذا كان البلين يمثل القطعة التي تميز الأساقفة . كما أنه لا يوجد دليل مصور يربط البلين بأى رتبة أخرى خلاف البطريرك .



شكل رقم ٢٤ : ختم البطريرك القبطى

ومن ناحية أخرى فأننا نرى فى ختم بطريرك الاسكندرية أنه لا توجد أى علامة على الصدارة التي قيل ان البطريرك يرتديها . كما أن الصدارة لا توجد فى صورة أى من الرجال الاثنى عشر الذين يحيطون به ، وعلى ذلك فإن الدليل الذى يقدمه هذا الرسم يأتى فى صالح استخدام الصدارة بالنسبة للبطريرك كما هو الحال فى الكنيسة الرومانية التي تخصصها لرئيس الأساقفة . ويتناسب مع الملحوظات السابقة افتراض أنه ربما كان البلين يرتديه الأساقفة فى الكنيسة القبطية كما كان الحال فى الكنيسة اليونانية فى الأزمنة السالفة . ويتحدث القديس ايزيدور St Isidorr الذى من القلزم Pelusium وهو قديس مصرى عاش فى أوائل القرن الخامس - عن بلين الأساقفة ، فى لغة يبدو أنها صحيحة ، بالرغم من أن ذكر هذه القطعة من الملابس يربطها قبل ذلك بحوالى عشرين عاماً بالبطريرك - وهو تيوفيلوس Theophilus الاسكندري . أما كلمات القديس جرمانوس St. Germanus فى حديثه عن الملابس الكهنوتية اليونانية (١) فإنها تقدم شكلاً مختلفاً للبلين بالرغم من أنه يستخدم نفس الكلمة فيما يتعلق بكل من البطريرك والأسقف . وقد يكون ذلك هو الحال أيضاً بالنسبة للكنيسة المصرية . ولكن لا يوجد تفسير كاف فى النص اليونانى يتمشى مع الترتيب الذى ذكره ماريوت فى ترجمته ، التي تفرق ما بين بلين الأسقف وبلين رئيس الأساقفة من حيث وجود الصليبان المطرزة فوقه بالرغم من أن هذا الفارق لم يذكر بوضوح لدى هذا المؤرخ ، ولم يتأيد بأى دليل آخر لفظى أو أثرى .

وعندما نأتى الآن الى شكل البلين القبطى سنقابل مصادفة غريبة
فنجد أنه يماثل تقريبا الشكل الآخر للصدرة الرومانية أكثر منه بالنسبة
لشكل البلين اليونانى . ولاشك أن هذه القطعة تتكون أصلا من شريط
طويل من الصوف الذى يتدلى فى شكل لولبى على الصدر من الأمام وفوق
الكتفين من الخلف ، ويترك أحد طرفيه متدليا من الأمام فوق الكتف اليسرى
والطرف الآخر يتدلى من الخلف . ويتمشى هذا الشكل مع أى تغيير موجود
اليوم بالنسبة لكنيسة القسطنطينية بالرغم من أنه الآن يتدلى على شكل
قلادة من الأمام وسط الجسم ، بدلا من أن يتدلى من الكتف اليسرى ، وأن
اللولب يدور عاليا حول العنق بدلا من أن يتدلى بحيث يسمح لليد اليمنى
بأن ترتاح فوقه كما كان الحال فى الأزمنة القديمة . ومثل هذا الاختلاف
عن الشكل الأصلى ، يمكن ملاحظته حاليا بالمقارنة بين اللوحتين رقمى
٤١ ، ٥٨ فى كتاب : « الملابس المسيحية لمؤلفه ماريوت »
"Marriott's Vestiarium Christianum" حيث نلاحظ لأول وهلة أن
الشكل اليونانى الحديث يتشابه قليلا مع الصورة الرومانية الحديثة وهو
تشابه عرضى ، وأى توجس من وجود التأثير الرومانى فى تحديد شكل
البلين المصرى تدحضه سريعا حقيقة أن هذه القطعة من الملابس كما هى
مرسومة على ختم البطريك حاليا ، هى نفس الصورة القديمة المرسومة
للصدرة ، وهذا الرسم شرقى وليس رومانيا . وما زالت رسوم الموزاييك
التي على مسجد القديسة صوفيا فى القسطنطينية والتي يعود تاريخها الى
سنة ٥٣٧ للميلاد أى الى ٦٠ عاما سابقة على الصورة المعروفة للقديس
غريغوريوس - ما زالت تحفظ لنا صور القديس باسيليوس وأربعة أساقفة
آخرين عاشوا فى القرن الرابع وهم جميعا يرتدون ستيخاريون
Sticharion وفيلونيون Phelonion وصدرة على شكل حرف
(واى) Y (١) وجميعها بيضاء اللون . وتلك القطعة التى على شكل
حرف (واى) Y تمثل البلين الذى يرتديه البطريك القبطى . وتبرهن
رسوم الموزاييك هذه التى تعود الى القرن السادس على وجود شكل ثابت ،
وبناء على ذلك . فأننا نعتبره مستخدما منذ القرون الأولى . وتبين الآثار
التالية لهذه الفترة أن الشكل كان يتأرجح من وقت لآخر بالنسبة للشريط
الأصلى الذى لم يهمل مطلقا . ولذلك فمن المستغرب أن نجد الشكل
التقليدى المنحوت على ختم البطريك القبطى متمشيا مع الشكل التقليدى
المرسوم على جوائظ كنيسة القديسة صوفيا .

أما فى الغرب . فإن سجلات الفن القديم تبرهن على أن الصدرة كانت
فى الأصل شريطا يلبس بنفس الطريقة المعتادة فى الشرق . ويبين رسم

See Marriott, Vest. Christ, pp. 84-86.

(١)

فرييسكو من القرن الثامن اكتشف في روما (١) أن القديسين كرنيليوس
 Cornelius وكبريانوس Ceprianus كانا يرتديان كلاهما صدره
 هي نفس الصدر اليونانية المرسومة في درج يوناني من القرن التاسع
 عليه مخطوط محفوظ في المكتبة القومية بباريس ويمثل المجمع المسكوني
 الثاني الذي عقد بالقسطنطينية . وفي هذا الرسم الذي رسمه م . روهولت
 دي فليري M. Rohault de Fleury ، والرسم الآخر المشابه والذي
 يعود الى القرن العاشر أو الحادي عشر والذي يقدمه لنا ماريوت Marriott
 ويمثل المجمع المسكوني السابع ، نجد أن جميع الأساقفة المجتمعين يرتدون
 البلين على الصدر وأحد طرفيه مدلى من الكتف اليسرى . وهناك اختلاف
 مقبول في ترتيب ارتداء البلين في الصورتين . ففي الأقدم منهما يتدلى
 البلين على الصدر مسافة أكبر من مثيله في الصورة الأحدث حيث يرتفع
 في الأخيرة ليدور حول العنق فيما يقترب من الشكل الحال . وعلاوة على
 ذلك فمن المستغرب ملاحظة أن البلين في مخطوط القرن التاسع كان ظاهرا
 عليه صليبان فقط ، بمعدل صليب واحد على كل فرع . ولا يوجد أى علامة
 تدل على وجود الصليب الثالث والمرسوم على الجزء المستطيل الذي يتدلى
 من الكتف في الرسم الذي قدمه ماريوت وهو يمثل الشكل المعتاد في
 جميع الرسوم اليونانية . ولكن هذه الطريقة اليونانية لارتداء الصدر
 أفسخت الطريق في روما لذلك الشكل الذي أصبح يعرف باسم الطراز
 الروماني . وهذا الانتقال السهل الذي حدث يمكن تحصيله بمجرد نظرة
 الى الشكل المعروف للقديس غريغوريوس الكبير (٢) الذي يعود تاريخه
 الى حوالي عام ٦٠٠ للميلاد . وهنا نجد أن الصدر تلبس حول الكتفين
 وأن طرفيها بعد مرورهما الى الأمام والخلف في شكل لولبي ينحدران الى
 وسط الجسم . وكما فقدنا الاهتمام بالأصل ، فإن القطع المدلاة كانت
 مطرزة على الشريط الدائري الذي يوضع على الكتفين بحيث تتخذ الصدر
 شكل حرف T أو حرف Y المعتاد في صور المخطوطات الغربية التي
 تعود الى القرن التاسع وما قبله (٣) ويتضح لنا أن الشكل اليوناني قد
 ظل لفترة معقولة يستخدم جنباً الى جنب الشكل اللاتيني للصدر . وعلى
 ذلك فإننا نجد في رسم موزاييك يعود الى القرن التاسع في تريكلينيوم
 لايرانوم Triclinium Lateranum أن القديس بطرس يرتدى البلين
 وحتى في القرن الثاني عشر نشاهد رسماً للبلين كما هو في الشكل الذي

(١) Marriott, Vest. Christ. pl. xxx, from De Ros i's Roma Sotterania.

(٢) Marriott, Vest Christ. Pl. xxv.

(٣) انظر على سبيل المثال :

Marriott, Pl. xxxiv, Westood, Miniatures, pl. 50.

يظهر به القديس امبروسيوس St. Ambrose في رسم بالموزاييك في الكنيسة التي دُعيت باسمه في ميلانو Milan (١) بصرف النظر عن أن الشكل البيزنطي للصدر الذي يمثل عمل فنان بيزنطي قد يقلل من قيمة هذا الرسم كدليل على استمراره في الممارسات الرومانية المعاصرة .

ولسوء الحظ فإن الدمار الكثير الذي اعترى الكنائس القبطية بعد الفتح العربي قد أزال تقريبا جميع الآثار المرسومة التي كانت تسجل الأشكال القديمة للملابس الخدمة الكنسية . ومن الملاحظ أن أقدم عرض وجدته للبيلين ، يبين شكلا ثابتا وتقليديا لهذه القطعة ، يشبه تقريبا الصدر اللاتينية المستخدمة حديثا . وقد أفلت رسم العبود الذي ليس له اسم والذي يظهر فيه الصدر مضادفة ، من التخريب الذي حاق بالرسوم المشابهة على أعمدة صحن الكنيسة الأخرى بالكنيسة المعلقة . ولا شك أن الهالة النورانية والتاج والصدرة تخص بعض البطارقة الذي لابد وأن يكون اسمه قد طمس ، أو ضاع طي النسيان . والصدرة في تلك الصورة على شكل حرف T وتتكون من شريط مستقيم عبر الكتفين من أسفل مع شريط آخر يتدلى من الوسط ويخفى مشبك المنطقة . والغريب أنه لا توجد علامة على وجود أى صليب على هذه الصورة حيث أن لكل جانب من جانبيها حافة ضيقة مطرزة وقد امتلأ الفراغ بينهما برسوم دوائر أو أشكال بيضاوية متشابكة . وتخيب كلية الصلبان الكبيرة التي تميز كلا من البيلين اليوناني والصدرة الرومانية التي تعود إلى العصور الأولى حتى العصور الحديثة وقد ورد أن نفس الرسوم المتشابكة تزين منبر مسجد بني بالقاهرة في القرن الرابع عشر ، وعلى الرغم من هذا فإنني أرجع هذا الرسم المرسوم بالفريسكو إلى القرن الثامن أو التاسع . وعلى كل حال فهذه القطعة هي أقدم دليل أثري على استخدام البيلين . وقد رُغمت هذه القطعة من الملابس في الصور التي على الألواح التي تعود إلى تاريخ أكثر حداثة وإن لم يتكرر ذلك كثيرا . وأحيانا نشاهد الصدر القبطية مرتبة بطريقة تختلف عن الطريقة اليونانية القديمة لارتداء البيلين أي مع وجود استدارة أو ثنية على الصدر ، واستقاط أحد الطرفين من الكتف اليسرى ، وقد طُرزت فوقها ثلاثة صلبان كبيرة . وهذا الشكل مرسوم في صورة القديس نيكولاوس St Nicolas التي تتكرر كثيرا (٢) . أما في الجزء الأمامي من الخوروس بكنيسة أبو سيفين ، وفي الصورة التي

Rohault de Fleury, La Messe, Vol. i. Pl. xvii.

(١)

(٢) انظر الصورة التي في صدر الكتاب خلف العنوان الداخلي .

تمثل نياحة العذراء مريم ، نرى أن التلاميذ الاثنى عشر المحيطين بالتابوت ، يرتدون البلبين حسب الطريقة اليونانية (١) . أما الكنيسة المجاورة والتي باسم العذراء أو ست مريم ، فانها تحتوى على صورة للقديس مرقوريوس Mercurius نرى فيها أسقفًا (*) يرتدى البلبين اليونانى فوق بدلة القديس . ولكننا نرى صور التلاميذ الاثنى عشر على حامل الأيقونات فى نفس الكنيسة ، وقد ارتدوا جميعا القميص والتونية وبدلة القديس والبلبين الذى على شكل حرف Y وهم يحملون الصليبان والأنجيل .



شكل رقم ٢٥ : صورة بالفريسكو فى الكنيسة المعلقة

Vol. I. p. 108.

(١)

(*) الأسقف المرسوم هنا هو القديس باسيليوس الذى نظر الى صورة القديس مرقوريوس أبى سيفين وطلب اليه أن يستخدم السيفين فى محاربة الامبراطور يوليانيوس والقضاء عليه ، وبعد قليل أعلن الى الشعب خبر موت يوليانيوس الذى تأكد بعد ذلك .
(المترجم)

• وكما لاحظت مؤخرا فان البلين المرسوم على ختم البطريرك هو أيضا على شكل حرف Y وينتمى الى الطراز الرومانى أكثر منه الى الطراز اليونانى حيث يدور حول الرقبة ويكشف من الامام ثلاثة أقسام مستطيلة متساوية فى كل منها صليب • ومن المحتمل أن يكون هناك ترتيب مشابه يختلف بخلاف ذلك المبين فى الرسوم العجيبة التى حول حائط المحراب فى كنيسة أبى سيفين حيث نرى أن القديسين المرسومين يلبسون عباءات تتدلى فوق التفافات البلين وتخفيها • ومن المستحيل الخلط بين البلين والابتراشيليون لأن كلا من القطعتين تشبه الأخرى من حيث ارتداؤها فوق القميص وتحت التونية القصيرة • وكما يبدو هذا الترتيب مثيرا للارتباك فانه أيضا غير شائع فى الصور القبطية ، بالرغم من أنه يحدث أثناء الجمع بين القميص والتونية ، أن يلبس الابتراشيليون فوق التونية كما هو الحال فى الصورة التى تعود الى القرن الخامس عشر بكنيسة ست مريم •

اذن فالحقيقة تتمثل فى أن الصورة التى على شكل حرف Y قد طورت عن الشكل اليونانى القديم ، والدليل على ذلك هو شهادة الآثار القبطية التى يرجع تاريخها الى العصور الوسطى • ومن السهل فهم هذه المسيرة ، الا أن نفس هذه الآثار تبرهن بنفس الدرجة من الوضوح على أن الشكل القديم قد استمر شائعا جنبا الى جنب البلين • ولكن ليست هذه هى القصة بكاملها ، لأنه الى جانب هذين الشكلين الشائعين حتى فى الغرب ، فان الصور القبطية تقدم دليلا على هذا الاستخدام العجيب والتميز • وتظهر الصورة القبطية مستخدمة أكثر مما هو مقرر فى الترتيب المعتاد ، وتتخذ الى جانب شكل حرف Y ، شكل شريط من نفس القماش واللون مزخرف بضلبان مشابهة ويحيط بالوسط من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر • ويتدلى الطرف من الجانب الأيسر فوق الرسغ أو يمسك باليد • ونشاهد الصور التى تبين هذه الطريقة فى صورة القديس مرقس الرسول التى يعود تاريخها الى القرن السابع عشر ، ويرتدى فيها ملابس البطريرك وهى موجودة بكنيسة القديس اسطفانوس بالكائدرائية فى القاهرة • وفى صورة السيد المسيح الموجودة بين صف الرسوم التى على حاجز الخوروس بكنيسة أبى سيفين • ومن هذا الترتيب يبدو أن أحد طرفى البلين يمر من خلف الكتف اليسرى عبر الظهر الى الجانب الأيمن ، ثم يلف فى الامام عبر الوسط • بينما يتدلى الطرف فى الترتيب العادى ، من الكتف اليسرى الى الخلف ، وهناك طريقة أخرى لارتداء البلين وهى التى نراها فى صورة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بكنيسة أبو سرجة • ونرى فيها الشريط البالغ الطول • ومن السهل متابعة وضعه ابتداء بذلك الطرف الذى يتدلى على الرسغ الأيسر ، ويمر من اليسار كما هو مبين

بصورة القديس اسطفانوس - الى الجانب الايمن ثم يمر خلف الظهر تحت الذراع اليسرى ، ويرتفع عبر الصدر الى الكتف اليمنى حول الرقبة فوق الكتف اليسرى . ويمر من الكتف اليسرى الى منتصف الصدر حيث يشبك تحت القطعة الأخرى التى تتخذ شكل الصليب . ثم يتدلى الطرف الثانى من منتصف التونية فى الأمام الى أسفل . وهوبذلك يذكرنا بقطعة الملابس التى تتخذ شكل حرف Y ولكنه يختلف عنها اختلافا واضحا .



شكل رقم ٢٦ : صورة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل من رسم موجود بكنيسة ابي سرجة

وليس من السهل أن نصف هذا الترتيب العجيب للبلين القبطى ، ولكن ربما كان أبرز الأشياء عنه هو الطول البالغ للشريط ولا أستطيع التفكير فى أنه يبين الانتقال من البلين القديم الى الصدر الحديثة ، كما يرتديها الأساقفة . أما الدليل المصور الذى تقدمه هذه الصورة فهو متأخر الى حد ما . حيث لا يعود تاريخه الى ما قبل أوائل القرن السادس عشر ، بينما البلين المخصص للأسقف حديث جدا حتى يمكن القول بأنه غير موجود فى الأعمال الفنية ، ونادرا ما نجد شبيها له فى الصور القبطية ، ويمكن

التأكد من هذا التخمين ، انطلاقا من حقيقة أنه لا البلين البالغ الطول ، ولا البلين المخصص للأسقف ، يرتكز على تصريح مدون أو مصور رسمي . ولكن اذا صح أن البلين الحديث يمثل البلين القديم وأنه نسخة مطورة منه ، فلاشك أن عملية التطوير كانت بالغبة التعقيد - بها ترتب عليه الخلط بين الشملة المخصصة للكهنة ، والبطرشييل ، والابتراشيليون ، والبلين - وجميعها قطع من الملابس الكهنوتية لم يهتم أحد بالنظر في الفروق بينها خلال عصور الظلام الطويل الذي خيم على الكنيسة القبطية . ولا بد من ملاحظة ضرورة مقاومة معظم هذا الخلط الذي لا يمكن استبعاده تماما بأى منطق يرتكز على مثل هذا الدليل . ولا بد من ملاحظة أن الملكانيين التابعين لكنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية يتمسكون حتى هذا اليوم بالاستخدام القديم للبلين ، ولا يعرفون شيئا عن البلين الحديث (١) .

أما بخصوص قسم الصدرية التي يرتديها البطريرك ، فليس لدينا الا القليل الذي يمكن اضافته الى المعلومات التي أوردناها . وقد ورد في الشرق أن هذه القطعة من الملابس تذكر لأول مرة مرتبطة بذكر بطريرك الاسكندرية حوالى سنة ٣٨٥ للميلاد . أما في الغرب فانهم يستبعدون الهبة المشكوك فيها للصدرية التي أهداها مرقس أسقف روما الى أسقف أوستيا (حوالى سنة ٣٣٠ للميلاد) ولا نجد ذكرا لها حتى سنة ٥٠٠ للميلاد ، علما أنها سيماخوس الى ثيودور كبير أساقفة لورياكوس في بانونيا .

وبعد ذلك بقرن من الزمان يقول القديس غريغوريوس الكبير في رسالته الى فيجيليوس أسقف أرس ، انها عادة قديمة أن يتوسل الأسقف الى كرازة روما من أجل الصدرية ومن أجل السلطة المفوضة التي تمثلها .

(١) ان كلمة بلين = الشملة ليست كلمة قبطية الاشتقاق ، ولا شك في أنها مأخوذة عن البلين اللاتينى من خلال الشكل اليونانى باليون ، الذى يتردد بين حين وآخر لدى المؤرخين البيزنطيين القدامى ، ويقول ستيفانوس فى موسوعته عن المترادفات أن القديس غريغوريوس النريزي تحدث عن ذلك فى وصيته التى تركها للشماس ايفاجريوس - انظر أيضا (Epiph. 11. 188 B)

والشكل (بالين) أو الشملة يستخدم كثيرا . وهذه الكلمة تعنى فى اليونانية بالطو أو عباءة خارجية ولم يستخدم للدلالة على البلين . ولذلك فانه مجرد المصادفة المحضة أن يكون (باليون) المستخدم بين القبط مثل الصدرية لدى اللاتين ، مخصصا للدلالة على رداء كهنوتى . وبالمقارنة الدقيقة للتغيير فى معنى كلمة (كاماسيون) البيزنطية القديمة التى كانت تعنى بعض الملابس الدخلية ، أصبحت فى الطقس القبطى (كاماسيون) التى تعنى الكم ، كما سنرى فيما بعد . وهناك فارق كبير بين المعنى القبطى والبيزنطى فى كل حالة ، بالرغم من تغير النطق .

وبينما لا يوجد دليل مباشر كاف للإجابة عن السؤال الذى يدور حول ما اذا كان استخدام الصدر قد ظهر أولا فى روما أو فى الاسكندرية ، الا أن أول ذكر مؤكد لهذه القطعة من الملابس الكهنوتية قد جاء بقلم مؤرخ مصرى فنحن نعرف أنه خلال القرن السادس على الأقل ، كان من المعتاد بالنسبة للبطريرك الجديد أن يأخذ صدره القديس مرقس من رقبة سلفه قبل دفنه ، وهذا جزء من الطقس . وعلاوة على ذلك فإن البلىن قد استمر مستخدما فى الكنيستين اليونانية والمصرية حتى هذه اللحظة دون تسجيل أى تدخل لاتينى .

ويقف ذلك كله ضد دعاوى روما باعتبار الصدر امتيازا رومانيا ؛ يمنح كعلامة للتشريف وتذكار للولاء . ، ويبدو أن لذلك بعض الأسباب . - يقول أحد قوانين مجمع ماكون Macon سنة ٥٨١ للميلاد انه لا يجوز لأى من رؤساء الاساقفة اقامة القداس بدون الصدر - وهذا يدفعنا للبلىن . بأن هذا الادعاء لم يكن معترفا به من كنيسة بلاد الغال فى القرن السادس الميلادى ، ولكن ليس من الضرورى متابعة نموه ، كما أنه ليس من الضرورى تكرار القول بأنه لا اليونانيون ولا الأقباط يعترفون بسيادة البابا الرومانى .

والصدر على مستوى كل العالم المسيحى ، تصنع من الصوف وليس من الكتان ، لكى تذكر من يرتديها أنه الراعى الروحى لقطيعه ، وكلا المادة والرمز ذكرهما القديس ايزيدور St Isidore . وحتى هذا اليوم . فان بركة الحملان البيضاء التى تنتج الصوف ، تتخذ مكانها سنويا فى عيد القديسة أجنس St. Agnes بالكنيسة التى تدعى باسمها فى فيانومونتانا Via Nomentana بروما . وبعد الاحتفال تحفظ الحملان فى دير حتى يحين موعد مشاركتها . والصدورات التى تصنع من صوف هذه الحملان توضع فوق قبر القديس بطرس عشية عيد الرسل ، ثم تكرر على المذبح فى اليوم التالى (١) .

ويلبس أساقفة الأرمن البلىن الذى يشبه فى شكله البلىن اليونانى ولكنه أوسع منه قليلا . ويعرف البلىن بين الموارنة والسريان بأنه جزء من ملابس البطريرك . وبالطبع فانه بالعودة الى الطريقة الأصلية لارتداء البلىن نستطيع أن نفهم توصية طقوسنا القديمة بربط الصدر على بدلة القداس . لأننا نقرأ أنها كانت « تربط بدبوس من الأمام والخلف على

(١) Catechisme de Persévérance Par l'abbé I. Gaume, vol. VII. p. 234. (4th ed. Brussels, 1842).

الكتف اليسرى (١) أى عند النقطة السفلى من الدوران على كل من الصدر والظهر وعند نقطة تقاطع الطرفين على الكتف اليسرى . وإذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة على الصدر التى على شكل حرف تى T أو حرف واى Y فإنها تصبح بلا معنى . انه ترتيب سهل الفهم وضرورى عند تطبيقه على البيلين أو الصدر كما يتم ارتداه كل منهما حسب الشكل القديم .

الكمسان

نى كاماسيون

عند تعرضنا للحديث عن القطعة التالية من الملابس الكهنوتية القبطية وتمثل فى الكمين ، يحسن بنا فى البداية مراعاة عدم التداخل بينهما وبين المنديل *maniple* . وهذا الأخير شائع بوصفه قطعة من الملابس الكهنوتية التى تستخدمها الكنيسة الغربية لدرجة أننا نشعر بالدهشة لعدم اكتشاف ما يشبهه فى الطقس اليونانى أو القبطى ، وحتى مع التسليم بأن كلمة (انخيرون) اليونانية تقدم لنا من حيث التسمية والهدف ما يشبه المنديل *maniple* ، ولا توجد مثل هذه القطعة حيث ورد ذكر الفوطة فى التعليمات البابوية بين الملابس القبطية . وأقرب مثال لهذه القطعة فى الطقس القبطى - بخلاف الحجاب أو الصدر التى تخص الكهنة - هو المنديل الذى ورد ذكره فى الطقس بأنه قد أهدى مع الصليب الى أحد الأساقفة عند تنصيبه . وتمضى التعليمات المكتوبة فى الطقس كما أوردها رينودو فى ترجمته - قائلة :

« Dabique illi crucem et mantile ».

ولكن بينما نجد كلمة *mantile* غامضة ، فانه لا يسهل التوصل الى النص الاصلى ، وهذا هو التنويه الوحيد لاستمرار وجود مثل هذا المنديل ، بصرف النظر عن طبيعته سواء فى التعليمات القبطية أو السريانية أو النسطورية . ان الصليب الذى يسلم هو بالطبع صليب اليد الصغير الذى يستخدم للبركة وليس عصا الرعاية ، ولذلك فان المنديل فى هذه الحالة لا يمكن أن يقصد به الحجاب أو *Pannicellus* . وقد ذكرنا من قبل أنه لدى كنيسة الاسكندرية بفرعها اليعقوبى والملكانى - يجرى حمل أحد

طرفى البطرشيل بطريقة تذكرنا بالمنديل الغربى . وربما تقف هذه العادة ذاتها ضد القول باستمرار استخدام المنديل بوصفه احدى قطع الملابس الكهنوتية رغم أنها تفضح الوعى به ، وربما تفسر أصله . الا أنه من الانصاف أن نذكر هنا حقيقة أن (أبو دقن) (اذا كانت الترجمة الانجليزية لكتابه يمكن الوثوق بها) يذكر المنديل بين الأردية الكهنوتية القبطية حيث يمسك به الكهنة فى اليد اليسرى ولا يسمح للشمامسة أو الرتب الأقل باستخدامه . وهذه العبارة تقف وحيدة بلا سند من دليل خارجى . انها ضد كل منطق وتثير الشك فى دقة أبو دقن بالنسبة للموضوعات الأخرى التى أوردها . ومن جهة أخرى فانه بالرغم من صمت التعليمات المكتوبة بالنسبة للسؤال المتعلق بما اذا كان الأقباط قد استخدموا الفوطة من عدمه فإن هناك دليلا مصورا ، قليلا من حيث الحجم ولكنه حاسم من حيث الخاصية ، وهو يبرهن على وجود هذه القطعة ضمن أردية العبادة .

وعلى ذلك ففى صورة القديس اسطفانوس بكنيسة أبى سرجة (١) نجد أن الوعاء المقدس الذى يحملة القديس فى يده اليسرى سواء كان حق القربان المقدس أو علبة للبخور - يتركز على فوطة تحفظه من ملامسة أصابع اليد ، ولا شك أن تخصيص مثل هذه الفوطة فى الغرب لتناول أوعية القربان المقدس - كان هو الدافع لظهور المنديل . وبينما أصبح المنديل فى الكنيسة اللاتينية - ضروريا - فانه ظل بين القبط مجرد أداة لخدمة المذبح . وبذلك ضاع الهدف الرئيسى من استخدامه فى الحالة الأولى ، وتحول الى قماش للزينة ، بينما فى الحالة الثانية ظل فى وضع أقل تشريفا واعتبارا لأن حقيقة استمراره استدعت بعض الايضاح . ومع وجود هذا المنديل فاننا مازلنا نعتبره مختلفا عن الكمين المقدسين من حيث الأصل والهدف .

ويتشابه الكمان القبطيان مع (ايمانيكيا) اليونانى من كافة الوجوه، حتى اننى لن أتردد فى استخدام نفس هذا الاصطلاح للدلالة عليهما كلما كان ذلك مناسبا . ويقدم ماريوت Marriott رسما للكمين epimanikia اللذين كان يلبسهما الأسقف الروسى نيكيتا Nikita فى القرن الثانى عشر ، ولكن لسوء الحظ مقياس هذا الرسم لم يدون عليه ، ولم يورد المؤلف شيئا نعرف منه ما اذا كانا عبارة عن أسورتين قصيرتين كما يطلق عليهما ، أم أنهما كمان حقيقيان يغطيان الساعدين ، الا أن جور Goar

(١) انظر شكل رقم ٢٣ .

يصفهما (١) بتفصيل مسهب على أنهما يصلان من الرسنخ الى الكوع . وبصرف النظر عن وصفهما بالنسبة للكنيسة اليونانية ، فلا شك أن الكمين القبطيين يغطيان الساعدين بكاملهما ، وهما متسعان عند الكوع ، ويضيقان مع الاتجاه نحو اليد . وهما يختلفان عن الكمين الروسيين من حيث أنهما في الجزء الأكبر منهما ملتصقان تماما مع قفل خطوط الخياطة ، بينما نجد أن الكمين المرسومين لدى ماريوت يظهران كما لو كانا قد فتحا عمدا وأنهما يربطان على الذراع بسيور أو أزرار . ويزعم جور أن القسوس اليونانيين يستخدمون سيورا حريرية لربط الاكمام على أذرعهم ، وتبدو عبارته وكأنها تؤكد الاستنتاج الذي نستخلصه من الرسم الوارد لدى ماريوت Marriott . وأن الأسورتين لدى فتحهما تصبحان مسطحتين . وأنا أخالف رينودو Renaudot الذي ينفي أى علم بهذا الموضوع ، وينسب النقطة موضع التساؤل الى التشابه في الشكل بين الكمين اليونانيين والقبطيين . ويصف نيل Neale (٢) الكمين السريانيين بأنهما يختلفان كلية عن الكمين اليونانيين دون أن يورد أى تفسير ، ولكنه يضيف أن الكمين اليونانيين يتدليان على جانبي الذراعين في شكل لسانين بارزين ، ثم يربطان تحت الرسغين بسيور حريرية تتمشى مع الحواف وتثبتهما على الذراعين . وليست هذه الرواية واضحة كما ينبغي ، ولكنها تبين أن الكمين عبارة عن لفافتين أو قطعتين من القماش تربطان حول الذراع وليستا كمين أو أسورتين حسب ما تعنيه هاتان الكلمتان .

ويذكر نيل Neale أن هذين الكمين في رسوم الموزاييك المرسومة على حوائط نيقية - يظهران تحت شكل مختلف يقترب من شكل الكمين في تونية جيدة الصنعة ، وهنا يتأكد وجود الخلط في اللغة ، فلا يستطيع الانسان أن يتخيل الكم اليوناني بأنه يماثل كم التونية الفضفاض بأي حال من الأحوال مهما كان جيد الصنعة . ومن المؤكد أنه يقصد الكم المحكم للقميص أو التونية . وبصرف النظر عن القراءة الصحيحة فاننا مازلنا نتخبط في الظلام فيما يتعلق بطول الكم ، وهل هو يغطي الذراع بكاملها أو الساعد فقط ، ولذلك فانه من الصعب أن نتحدث بايجابية عن الشكل اليوناني للكمين ولكن بقدر اكتشافى أقول ان الشكلين اليوناني والقبطي مختلفان ، فالكمان القبطيان أطول من الكمين اليونانيين ، ومتصلان عن طريق الخياطة في حبكة شديدة ، مع صعوبة اخفاء هذا الاتصال . وهما غير مربوطين أو محبوكن بسيور حريرية . ونرى بكنيسة القديسين

Vest. Christ. Pl. lvi.

(١)

Eastern Church : Gen. Introd. vol. i. p. 307.

(٢)

أباكير ويوحنا زوجا من الأكمام المصنوعة من القטיפفة القرمزية والمطرزة بالنجوم والصلبان بخيوط من الفضة السميكة . وتدور حول الأطراف حافة مزدوجة من التصميمات الداخلية . وبينما نرى أحد الكمين مزينا بصورة العذراء والطفل يسوع فإن الكم الثانى عليه صورة ملاك منبسطة الجناحين . ولا يوجد ما يفوق فخامة أشغال الأبرة ونعومة الألوان التى طرزت بها هاتان الصورتان . وتشير فخامة هذا العمل الى أن هذين الكمين يخصان أحد الأساقفة لا شك أنه أسقف بابيلون . وأعتقد حقا أن وجود الصورتين بالمقارنة مع الصلبان يدل على أن الكمين يخصان الأسقف والكاهن معا ، لأنهما غير مميزين بنفس الطريقة . والكممان القبطيان مثل التونية وغيرها من الملابس الكهنوتية لكنيسة الاسكندرية ، كانا فى سالف العصور يصنعان من الأقمشة الثمينة ويطرزان بأعلى أنواع التطريز ، إلا أنهما كانا يزخران كذلك بالجواهر الثمينة . وأخشى ألا يكون ذلك موجودا الآن . أما أسورتا الكمين المرسومين فى صورة القديس نيقولاوس Nicholas التى أشرت اليها فتظهران كما لو كانتا من الذهب أو القماش الذهبى ، ومرصعتين بالجواهر العظيمة القيمة .



شكل رقم ٢٧ : الكمان الموجودان بكنيسة القديسين أباكير ويوحنا

أما الكمان اللذان يرتديهما رجال الدين الملكانيون فى مصر فهما عبارة عن أسورتين وليس كمين ، ويصنعان فى شكل مقفول أو مفتوح . وفى الحالة الثانية يربطان بالخيوط . أما الكمان القبطيان فانهما بالرغم من أنهما مازالا جزءا من ملابس الكهنة والأساقفة والبطريرك فانهما نادرا الاستخدام حاليا فيما عدا أثناء احتفالات التجلييس ، ولذلك فمن الصعب رؤيتهما . أما العينة المرسومة فى الصورة فما زالت موجودة بكنيسة

القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة وربما يعود تاريخ الكمين الى القرن السادس عشر . وعلى ذلك فان النماذج الحديثة لهذه الأكمام مصنوعة من القطيفة القرمزية المشغولة بأشغال الابرّة التي من الذهب أو الفضة والتي تزخرف في الغالب بتصميمات الأزهار أو السيرافيم ذوي الستة أجنحة وبالرغم من أنهما مقفولان مثل القفاز إلا أن هناك بعض النماذج المفتوحة والمربوطة بالعراوى والأزرار وليس بالخياط .

ولم نجد تفسيراً مقنعاً حول أصل أو هدف الكمين اليونانيين . ويصفهما البطريرك سمعان Symeon بأنهما يرمزان إلى القوة الإلهية مقتبساً الآية : - « يمينك يارب صنعت قوة » . و « يداك صنعتاني وجبلتاني » . ويضيف أيضاً أنهما تشكّلان تقديس الأسرار لآلهما وانحناء يديه في آلامه ، ولكن مثل هذا الإعلان المنطوي على المعاني العميقة والذي تفرد به الكاتب الذي ينتمي إلى العصور الوسطى لا يساعد على إجابة السؤال القديم المتعلق بأصل هذه القطعة من الملابس الكهنوتية . وربما كان المنديل في الكنيسة اللاتينية يتمثل في مجرد شريط من النسيج الموشى بالقصب مع استدارة في إحدى نهايتيه لكي يلف بها على الرسغ ولذلك فإننا نجد في الكنيسة القبطية لفافة مشابهة توضع على الذراع بطريقة مشابهة ، وربما تكون هذه اللفافة قد تطورت بحيث أصبحت كما ، وأضيف إليها كم آخر لأجل التناسق في الشكل . ولكن هذه القصة التي يصعب تصديقها غير واردة بسبب حقيقة أن اللفافة في كل من الكنيستين اليونانية والأرمنية توصف بأنها تتدلى دائماً ليس على الرسغ الأيسر ولكن من المنطقة . وقد ذكر البطريرك جرمانوس Germanus (١) المنديل على أن الشمامسة يلبسونه فوق المنطقة . وأنه ظل على هذه الحال حتى القرن الحادي عشر عندما أصبحت القطعة التي على شكل المعين والمصنوعة من مادة صلبة تسمى الآن epigonation ، مخصصة للأساقفة وحدهم حسب ما أورده نيل Neale (٢) وماريوت Marriott (٣) بالرغم من الثقة في أنها تخص الأساقفة ، بينما كان الكهنة يرتدون المنديل ولكن الاختلاف الموروث بين الكمين واللفافة أو المنديل مصور بطريقة قاطعة في الطقس الأرمني لأن رجال الدين الأرمن مازالوا يرتدون المنديل لتجفيف اليدين وهو معلق في المنطقة ، بينما يشكل الكمان اللذان يطلق عليها اسم Pasbans جزءاً من

Marriott, Vest. Christ., p. 87.

(١)

Eastern Church : Gen. Introd., vol. i. p. 311.

(٢)

Vest. Christ., p. 171 n.

(٣)

الملابس الكهنوتية • والحقيقة أن هذين الكمين قد اختزلا الآن الى مجرد قطعتين من النسيج الموشى بالقصب (١) تلبس كل منهما على كل من الرسغين • ولكن البقاء المتزامن للمنديل والكمين فى الطقس يبرهن على عكس الافتراض القائل بأن الكمين مجرد تطور منفصل عن المنديل أو القوطة • ولا يتردد فورتسكيو Fortescue فى تسمية القطعتين الأرمنييتين Pashans باسم الكمين بعد حسابان الكمين كقطعتين منفصلتين من الملابس الكهنوتية • ولا بد من الاقرار بنسبة الدليل التاريخى الايجابى الذى يجيب على هذا التساؤل أو الميل الى التخمين •

ويبدو أن استخدام الكمين شائع فى الكنائس الشرقية لأنه الى جانب شيوعهما لدى الأقباط واليونانيين والأرمن الذين ذكرناهم عليه ، فإننا نجد الكمين شائعين أيضا لدى السريان والنساطرة • ويطلق عليهما السريان اسم Zenda أو Zendo حسب ما أورده رينودو (٢) الذى يربط بينهما وبين الكمين اليونانيين قائلا :

“de quarum forma inter orientales Christianos nihil certi affirmare possumus.”

ويضيف أنه وجد رسما فى مخطوط فلورنسا لكاهن يرتدى نوعا من الكمين اللذين يغطيان الذراعين الى ما فوق الكوع ، وهما كما يقول ليس لهما شبه بالشكل اليونانى • وعلى ذلك يبدو أنه يتخيل أن الكمين اليونانيين قصيران أو أنهما مجرد اسورتين ولكن لا يوجد ما يشجب اعترافه المباشر بالجهل • ويكاد يتساوى معه فى درجة الجهل وان كان أقل سذاجة دنزنجر Denzinger (٣) الذى يذكر عند معالجته لموضوع الملابس الكهنوتية لدى ما أسماه براشياليا brachialia أى العضد ويقول ان الكهنة والأساقفة جميعا يرتدونهما • ونصل الآن الى المسيحية الغربية فيسوق روك Rock (٤) افتراضا بأن الكمين كانا جزءا من الملابس الكهنوتية فى كنيسة بريطانيا المبكرة • ويقول ان ذلك مجرد استنتاج مبنى على المقارنة مع العادة القديمة التى انتشرت فى بلاد الغال • وليس لهذا الاستنتاج أى وزن لأنه مجرد تخمين • ولا شك أن الأساور المعدنية أو

Fortescue, Armenian Church, p. 133

(١)

Lit. Or., tom. ii. p. 55.

(٢)

Rit. Or., tom. i. p. 132.

(٣)

Church of our fathers, vol. i, p. 438.

(٤)

الحريرية أو غيرها مما صنع من النسيج الثمين (١) قد انتشر استخدامها ضمن ملابس الخدمة في بلاد الغال خلال القرن السادس (٢) حسب الدليل الواضح الذي أورده مستر وارين Warren :

« وكان القفاز الذي يلبس في اليدين ضمن الأردية الكهنوتية وهو الإيساور التي تربط على ذراعي الكاهن بطريقة خاصة بالكاهن وحده » .
وهذه الشهادة عظيمة الأهمية حيث تحفظ لنا سجلا لهذه القطعة من الملابس الكهنوتية التي أصبحت الآن منسية ، وكانت مستخدمة يوما في الكنيسة القديمة ببلاد الغال . وسواء كان هذان الكمان قد أهمل استخدامهما فيما بعد بسبب عدم الاكتراث أو أن الرسائل الرومانية لم تعتد بهما ، فإنهما غير معتمدين حاليا . وأظن أن أحدا لا يجازف بالقول بأن الكمين الشرقيين تمت استعارتهما من النموذج الذي استخدمته بلاد الغال التي تقع في أقصى الغرب . وإذا لم نستند إلى فكرة وجود أصل مستقل لهذه القطعة من الملابس المستخدمة في الكنائس الشرقية وفي كنيسة بلاد الغال ، فإننا سننساق إلى الاستنتاج بأن الكمين قد انتقلا من الشرق - ربما عن طريق مستعمرة من الرهبان المصريين الذين نعلم أنهم جاءوا إلى بلاد الغال وأيرلندا في الصور الأولى للمسيحية . ثم استخدمهما رجال الكنيسة في بلاد الغال .

وإذا صحت هذه الفكرة الخاصة بالتأثير الشرقي ، فلن يكون من المستغرب الربط بينها وبين التذكارات الأخرى التي تنتمي إلى نفس التأثير الشرقي في الكنائس البريطانية والأيرلندية ، ولكنها تثير أيضا الجدل حول عراق الكمين القبطيين بوصفهما ضمن الملابس الكهنوتية . وعلاوة على ذلك نقول أنه لو كان الكمان قد انتقلا من مصر إلى بلاد الغال وأصبحا شائعين في القرن السادس فلا بد أنهما كانا شائعين بكنيسة الاسكندرية قبل ذلك بفترة معقولة . ليس ذلك فقط بل أقول أيضا أنهما يقدمان الدليل على الانفصال الواضح للكمين عن المنديل ، وهو الدليل الذي ناقشته من قبل .

وبناء على شهادة جور Goar فما زال استخدام الكمين المقدسين باقيا حتى القرن السابع عشر في بعض الكنائس الفرنسية، وما زال مستخدمين لدى رهبان الدومنيكان الذين كان جور ينتمي إليهم . أما وقد أصبحت القضية بهذه البساطة فإننا نستغرب التجاهل التام من الكتاب الفرنسيين وغيرهم من المؤرخين الكنسيين لمثل هاتين القطعتين من ملابس العبادة المعروفة والقديمة .

(١) Warren, Lit. and Rit. of the Celtic Church, p. 117.

Id. lb. note 3.

الفصل الخامس

ملابس رجال الاكليروس الأقباط (تكملة)

البرنس - التاج - عصا الرعاية - صليب الصدر - التليج - صليب
البركة - المسبحة

الرداء الخارجى (البرنس)

بى فيلونيون - بى امفوريون - بى كوكليون

اننا نرى من الضرورى أن نستخدم فى البداية اصطلاحا غامضا وهو اصطلاح Super vestment للدلالة على الرداء الخارجى للكهنة الأقباط - وهو اصطلاح تدور حوله العديد من المصادر التى تسبب ارتباكاً عظيماً . وسنحاول بيان أن هذا الارتباك الذى يشير الى تداخل هذه القطعة مع بذلة القداس ومع الجبة أو العباءة - لا يعود الى الخطأ فى تاويل المصطلحات ولكنه يكشف عن تداخل حقيقى بين الاستخدامات .

وبالعودة الى الكلمة الموجزة التى أوردناها فيما سبق نقلا عن المؤرخين الذين تحدثوا عن ملابس الكهنة الأقباط ، نستطيع أن نجمع النصوص التالية المتعلقة بالرداء الخارجى . ويسميه أبو دقن (Palliu Cumcucullo) ولا يرتديه الكاهن فقط بل أيضا الشماس أو مساعد الشماس أثناء القداس ، عندما لا يكون الأسقف حاضرا ، ولا يتردد فانسليب فى كتابه الذى يعود الى أواخر القرن السابع عشر - من وجهة نظره الشخصية - فى أن يسمى الرداء الخارجى باسم (البرنس) ، ويضيف أن هذا الرداء الذى يلبسه الكهنة بسيط ، بينما ذلك الذى يرتديه الأساقفة ملحق به قلنسوة . ويعرف هذه القطعة بعد ذلك باستخدام الكلمة العربية (البرنس) . ويتحدث النص الذى كتبه الأنبا غبريال والذى يعود الى بداية القرن الخامس عشر والذى أورده رينودو فى ترجمته عن العباءة البيضاء التى تلبس فوق الملابس الأخرى . ولكن نفس هذا

المؤرخ مسثول عن استخدام الاصطلاح الذي أورده أبو صبا عن الرداء -
الخارجي باللاتينية وهو *Camisia siva alba* . وأخيرا فان رينودو
نفسه يزعم أنه يعنى بالبرنس رداء يماثل بذلة القديس اللاتينية والتي
تسمى في المصادر القبطية كاميسيون (١) . ويتجاهل بهذا
الاختلاف المميز - حقيقة أنه قد شهد بنفسه بأن نفس هذه القطعة يسميها
الأنبا غبريال : البرنس . وهناك الكثير عن الدليل المباشر المكتوب ، ولكن
الواضح أنه غير مقنع تماما . والآن فان أصدق المصادر التي اعتمدنا عليها
هنا هو ما دونه الأنبا غبريال . ومن سوء الحظ أننا مضطرون الى قبول
الجهل بالكلمة الأصلية التي استخدمها البطريك الأنبا غبريال والتي
ترجمها رينودو بأنها : الجبة . ولست أشك في أن هذه الكلمة يجب أن
تترجم الآن الى بذلة القديس *Chasuble* شازوبل وليست (العباءة) *Cope*
(كوب) . وتدلنا حقيقة أن هذا الرداء مصنوع من الحرير الأبيض ،
على أنه أقرب الى أن يكون بذلة القديس لأن جميع الملابس الكهنوتية المعتادة
ذات لون أبيض - حسب القوانين الكنسية ، بينما نجد أن العباءة بوصفها
ثوبا احتفاليا يلبس في الاحتفالات الكبرى - يمكن أن تكون بأى لون .
ومرة أخرى فان أبو صبا - الذي يعود كتابه الى عصر سابق يقدر بحوالى
قرن من الزمان - يسمي الرداء الخارجي اسما أورده رينودو خطأ ألا وهو
القميص *alb* . ولكننا نلتمس العذر للارتباك الذي حدث ، اذا عرفنا أن
كلمة كاماسيون هي الاصطلاح القبطي الذي يقابل *Chasuble*
بذلة القديس ، لأن الكلمة قريبة الصلة بكلمة قميص وهو الاصطلاح العربي
الدارج الذي يستخدم للدلالة على التونية . وعلى أية حال فأننى أظن أنه
من المستحيل أن نفسر دليل أبو صبا بأنه يشير بالضرورة الى استخدام
العباءة ضمن الملابس الكهنوتية . ولا بد أن نتذكر أن كلا من الأنبا
غبريال وأبو صبا - يتحدث بناء على بعض المراجع ، ولو كانت اللغة
التي استخدمناها أكثر وضوحا - لكان الأنبا غبريال بوصفه رئيس أساقفة
الكنيسة القبطية ، وأبو صبا بوصفه مؤرخا قبطيا - قد قاما بتأليف رسالة
عن الشئون الكنسية . وبذلك كان من الممكن أن تتفق شهادتهما مع بقية
المدونات البابوية القبطية ، فيما هو واضح ، وأن يفسرا لنا ما هو مشكوك
فيه . ولكن من سوء الحظ أننا نلتقى هنا مرة أخرى مع التعبيرات المزدوجة
المعنى مثل « *Pallium album* » ، «البسوم البسوم وكبا البسا
Cappa alba » التي نجدها مستخدمة للدلالة على الرداء الأخير الذي

(١) من الواضح أن هذه الكلمة لا تتسق مع الاستخدام الحالى لكلمة كاميسيون التي
تعنى : الكم - كما ذكرنا من قبل بالرغم من أنها كانت تدل فيما مضى على الاستخدام الطبيعي .
لهذا الاصطلاح . ولكن الأقباط هم المسئولون عن هذا التناقض .

يرتديه الأسقف عند تنصيبه ، كما وردت في كتاب *Tukian Ponifical* (١)
 الملابس الحبرية للطوخي . إلا أنه من الواضح أن كلا الاسمين يدل على نفس
 الرداء الكنسي وهو بذلة القديس . ويبدو أن معنى هذه البذلة تؤيده
 التعليمات المدونة في نهاية الفصل الخاص بتنصيب الأسقف كما يلي (٢)

« Quando danda est Ultima benedictio ad dimittendum popu-
 lum, Patriarcha induet novum episcopum Cappa nigra praeter
 Canadiam et invitabit eum ad benedicendum populum seor-
 sism. Denique procedunt ad cellam patriarchalem.»

والآن - إذا كان يعنى بكلمة (Cappa) (كابا) الجبة ، فإن علينا
 في كلتا الحالتين أن نتخيل الأسقف الجديد وهو يرتدي جبتيين . ولكن
 العمل المتعلق بترتيب جبتيين بطريقة مناسبة لنفس الشخص - ليس بالأمر
 الهين ، بعيدا عن الحمل الذي لا يطاق الخاص بارتدائهما في مثل هذا
 المناخ المصري ولكن إذا كانت باليوم ألجوم *Pallium album* أو *Cappa alba*
 كابا البيا وهي آخر رداء كهنوتي يلبسه الأسقف الجديد - هي بالفعل بذلة
 القديس ، فسيكون من السهل اذن أن نفهم كيف أن الأسقف - بعد احتفال
 التنصيب - يرتدي جبة سوداء اللون تسمى *nigra* للاحتفال بمقر
 البطريك - وهو احتفال نعرف من مصادر أخرى كم هو عظيم . ولكن
 حتى إذا نحينا هذا الدليل المشكوك فيه جانبا ، فسيكون من دواعي سرورنا
 ألا يتبقى لدينا السؤال المتعلق بذكر بذلة القديس في التعليمات المدونة
 وفي غيرها ، لأن أبو البركات وهو كاهن قبطي من القرن الرابع عشر .
 يذكر في كتابه « نور في الظلام » بذلة القديس بوصفها قطعة من الملابس
 الكهنوتية (٣) تحت اصطلاح كولو سيفيه كازولا "Coulou sive Casula"
 وربما كانت هذا الكلمة اشتقاقا آخر من كلمة كولا التي وردت في
 سير البابوات . ويبدو أنها تعنى القلنسوة أو بذلة ذات قلنسوة وهذا هو
 الاحتمال الأرجح كما هو موجود في الكنائس الغربية في العصور القديمة (٤)
 ولكن بذلة القديس وردت في كتاب : (الملابس الحبرية للطوخي)
Tukian Pontifical في الفصل الخاص بتنصيب البطريك (٥)

Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 29-31.

(١) .

II. ib. p. 32.

(٢)

Renaudot, Lit. Or tom. i. 397.

(٣)

Id. ib. p. 32.

(٤)

Denzinger, Rit. Or. tom. ii, p. 49.

(٥):

جنباً الى جنب البطرشيل والتونية ، وهى هنا تسمى فيلونيون (عباءة) ، ومن الواضح أنها نفس كلمة فيلونيون (= عباءة) المعتادة أو بذلة القُداس المستخدمة فى الكنيسة اليونانية . والحقيقة أنه قد ورد فى صفحات قليلة أخرى من التعليمات المكتوبة الخاصة بنفس هذه الخدمة (١) الاصطلاح القبطى متمشياً مع الكلمة اليونانية فيلونيون (عباءة) وعلى ذلك فأننا نجد أنه من خلال الحالات التى تذكر فيها مراجعنا الاصل القبطى ، فإنه لا يمكن اغفال أن هذا الرداء مقصود به بذلة القُداس .

ويؤيد هذا الاستنتاج الدليل المصور ونعنى به صورة الامبراطور قسطنطين المرسومة فى كنيسة أبى سيفين وهى تبين بذلة للقُداس ذات مقدمة دائرية قصيرة تصل الى الوسط ، بينما نجد أن صورة القديس نيقولاوس St. Nicholas الأقدم زمنياً - تبين الرداء الخارجى كعباءة فضفاضة كاملة (٢) وقد ارتفعت الذراعان ، احدهما فى وضع منح البركة بينما تمسك الذراع الأخرى بالانجيل . وهذه الصورة تبين ثنيات البذلة بمنتهى الوضوح رغم أنها لسوء الحظ - لا تظهر الا النصف الأعلى للجسم ، وبذلك لا يستطيع الناظر اليها أن يرى ما اذا كان الطرف الأسفل الامامى مستديراً أو مدبباً . أما بخصوص فتحة الرقبة فتوجد ياقة مزينة بالجواهر هى بلا شك « الحافة المطرزة بالذهب أو غيره من أنواع التطريز الثمينة » والتى ذكر رينودو Renaudot أنها تخص بذلة القُداس ويطلق عليها بالقبطية اسم (تى كوكليا) ، وبالعربية اسم (القصلة) . وعلينا أن نتذكر أنه حسب ما أورده أبو البركات فان الرهبان والكهنة بالقاهرة كانوا خلال القرن الرابع عشر - سواء من منطلق الفقر أو البساطة ، يرتدون بذلة صوفية بدون ياقات ، بدلا من الرداء الحريرى . وقد توقف رهبان دير القديس مقاريوس عن استخدام بذلة القُداس أثناء خدمة المذبح ، واكتفوا باستخدامها فقط أثناء أوقات الصلوات العامة .

وحتى اليوم ، يمكن أن نرى فى مبنى القصر بهذا الدير - على حوائط الكنيسة الصغيرة المكرسة على اسم القديس أنطونيوس - بعض أعمال الفريسكو القديمة التى تمثل ثلاثة قديسين يلبس كل منهم الطيلسان ويرتدى أحدهم بذلة قداس صفراء اللون ، والآخر يرتدى بذلة بيضاء بها شرائط حمراء بينما يرتدى الثالث عباءة مربوطة بخيط رفيع . ونرى فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل فى برج دير الأنبا بيشوى أن الرسل الذين

(١) Denzinger, Rit. or. tom II, p. 57.

(٢) انظر الصورة التى فى صدر الكتاب الموجهة للعنوان الداخلى .

وضعت صورهم فوق حامل الأيقونات ، يرتدون جميعا العباءات . وإذا عدنا الى القاهرة نستطيع أن نرصد العباءة واضحة في صورتين للأنبا شنودة في الكنيسة المكرسة على اسمه ، وفي صور القديسين الذين رسمت صورهم حول حائط المحراب في كنيسة أبي سيفين وفي أماكن أخرى عديدة . كما يمكن رؤية بذلات أخرى في صور التلاميذ الاثني عشر التي فوق حامل الأيقونات الأوسط . كما نراها كذلك في الصور التي تعود الى القرن الخامس عشر التي فوق حامل الأيقونات الجنوبي بكنيسة العذراء الدمشيرية . ونرى بنفس الكنيسة فوق الحائط الشمالى للخوروس صورة للقديس مرقوريوس تبين أسقفًا يرتدى بذلة القديس والبليين الذى من الطراز اليونانى . أما فى كنيسة قرية تريس Tris بالدلتا فإننا نشاهد صورة تبين القديس مرقوريوس يرتدى بذلة خضراء . وعموما فإن بذلة القديس أقدم من العباءة التي نراها فى الرسوم التي بقيت بعد التخريب الاسلامى للصور .

ونرى فى الكثير من الصور القبطية أن البذلة التي تشبه تماما تلك التي يرتديها الكهنة أو القديسون ، تصور على أنها الرداء الخارجى للقديسة العذراء مريم أو غيرها من النساء القديسات والفارق الوحيد فى هذه الحالة يتمثل فى وجود قلنسوة للبذلة ، وقد جرى ترتيبها فى الصورة بحيث تظهر كغطاء للرأس . وغالبا ما نرى العذراء فى الصور المرسومة وهي ترتدى عباءة مطرزة مربوطة بخيوط ذهبية ولها حافة مشغولة على القلنسوة التي تغطي الرأس ويمكن ملاحظة أن هذا الطراز الكنسى من ملابس السيدات ، يعتبر احدى خصائص الرسم القبطى ويختلف تماما عن رسوم الأردية الفضفاضة التي يرسم الرسامون الايطاليون القديسات وهن يرتدينها .

وحيثما رصدت البذلة ، فإنها تختلف اختلافا كبيرا عن البذلة اللاتينية وتقترب كثيرا من الطراز اليونانى ولاشك فى أنها كانت فى الأصل رداء خارجيا كاملا كما هو فى صورة سانت سامبسون St. Sampson فى الرسم الذى أورده جور Goat ونقله ماريوت Marriott ولكن هناك فارقا واضحا بين الاستخدامين الشرقى والغربى عندما نجد أن هذا الرداء مشقوق فوق الذراعين لتوفير الخفة وحرية الحركة ، وبينما أصبحت البذلة فى الغرب قصيرة من الأمام والخلف ، فإن هذا التقصير فى الشرق ، كان محدودا جدا واقتصر على حذف جزء صغير من الأمام وفوق الذراعين ، دون أحداث أى تغيير بالنسبة للظهر . ولذلك فإننا اذا نظرنا للبذلة من الخلف فسنرى أنها على شكل رداء كامل فضفاض يصل

طوله الى الأرض ، بينما هو فى الأمام يماثل البذلة اللاتينية . ولا شك أن التغيير فى كلتا الحالتين قد حدث تدريجيا . ونرى صورة البذلة الكبيرة الفضفاضة فى رسم الفريسكو الذى يمثل اكليمنض S. Clements أمام المذبح وفى الرسم المعروف للقديس دونستان St. Dunstan الذى جرى تنفيذه على الرق (١) . ويعود الاثنان الى القرن الحادى عشر ، بينما نرى فى رسم الموزاييك الذى يعود الى القرن الثانى عشر الموجود بكنيسة مسانت نيقولاوس St. Nicholas فى أورب Urbe بروما والذى يمثل مسانت سيلفستر Silvester وسانت أنستاسيوس Anastasius نرى القديسين يرتديان بذلتين للقديس كاملتين وطويلتين تماما مثل تلك التى يرتديها سانت نيقولاوس فى الصورة القبطية التى عرضنا لها من قبل . ولكن التغييرات التى اعتورت بذلة القديس اللاتينية تجعلها تميل فقط الى الاختلاف تماما عن أى رداء آخر فى حين أن البذلة القبطية المختلفة فقط من الأمام ، تقرب أكثر وأكثر من شكل الجبة . وأظن أن ذلك هو سر علم القدرة على التفرقة بين الاثنتين .

ومن الصعب أن نرفض دليل فانسليب فيما يتعلق بوجود الجبة ضمن الملابس الكهنوتية المستخدمة بالقاهرة على أيامه ، حتى اذا كانت شهادة أبو دقن مشكوكا فيها . ونجد أيضا أن الجبة كان البطريك يرتديها فى أحد الآثار القديمة وهو رسم العمود بالكنيسة المعلقة . وبالإضافة الى ذلك فإن الجبة موجودة الآن بدون الحاجة الى سؤال . وقد نوهت عن وجود جبة فاخرة بكنيسة العذراء بدير أبى سيفين ، كما أنه توجد بعض العينات الفخمة من العباءات الملونة المزودة بقلانس مشغولة بخيوط الفضة وأشغال الابرة الدقيقة بكنيسة القديس اسطفانوس فى الكاتدرائية بالقاهرة . وعلاوة على ذلك فإن قطعة الملابس التى يطلق عليها الأقباط اسم (البرنس) حاليا هى بالطبع عباءة وليست بذلة للقديس . ولم أر أية بذلة للقديس فى أى كنيسة قبطية بالرغم من أننى سمعت عن تونية مشقوقة من الجانبين على شكل رداء قصد به التشابه مع بذلة القديس ، كما لو كان تقليد استخدامها مازال موجودا . وكان ذلك فى إحدى الكنائس البعيدة بمصر العليا .

ومن الممكن الآن أن نعرض المشكلة للمناقشة بإيجاز أكثر ووضوح أكثر ، اذا لم نستطع حلها . واذا وضعنا جانبا كافة الشهادات المبهمة فائنا نقف الآن وجها لوجه أمام استنتاجين واضحين التعارض يساند كلا منهما دليل لا يدع مجالا للشك . فمن جهة نجد أن الكتابات القديمة

والمحققين المستقلين يشهدون جميعا بأن البرنس هو الرداء الخارجى للكهنة الأقباط. ومن جهة أخرى فاننا نجد أن الاستخدام المعاصر والمحققين القدامى الذين يعود تاريخهم الى القرن السابع عشر على الأقل ، يتفقون على أن الرداء الخارجى هو الجبة وليس البرنس . أما الدليل المصور فيميل الى جانب الاستنتاجين كليهما معا .

وقد أوردنا منذ قليل ما بدا لنا أنه الحل الصحيح لهذه المشكلة ، فليس فى الامكان الشك فى أن كلا من البرنس والجبة قد عرفا بوصفهما ضمن الملابس الكهنوتية أو أن البذلة قد اختفت الآن. ولا أشك فى أن تفسير الأمر كله موجود فى التغيير التدريجى الذى تعرضت له البذلة . ففى البداية احتفظت بشكلها الأصيل الفضفاض فى الخلف ومن الجانبين ، بينما استمرت عملية تخفيفها من الأمام حتى أصبح الجزء الذى يحيط بالصدر أصغر مساحة ، وأنه بسبب المظهر والملاءمة تعرضت البذلة كلها الى الشق من الأمام وتحولت الى الجبة . ويبدو لى أن هذا التفسير يستبعد كافة الصعوبات . وعلاوة على ذلك فإنه يستند الى أقوى القياسات ، لأنه ربما أمكن تتبع عملية مشابهة حدثت فى تاريخ البذلة اليونانية Phenolion بالرغم من أن هذه العملية قد توقفت قبل آخر التعديلات التى نراها فى هذه القطعة من الملابس القبطية . ومازال جزء صغير من هذه القطعة ممتدا عبر الصدر بدلا من شقها . ولكن التغيير مضى الى أبعد من ذلك بحيث يسهل بالنظرة السريعة الخلط بين البذلة اليونانية والجبة (١) . لأن الجزء الأمامى قد انشق بكامله بينما لم يطرأ أى تغيير على الجزء الخلفى . وكما هو الحال فى الغرب ، فإنها تعتبر كذلك فى الشرق - لأن العادة التى جرت برفع قربانة الحمل هى السبب فى ظهور الشكل الممزق لبذلة القديس . ولا أستطيع عند هذه النقطة أن أمتنع عن اقتباس الملاحظات العظيمة للمسترج ج. جيلبرت سكوت G. Gilbert Scott الذى يقول : « فى العصور الأولى ومن خلال القانون الكنسى كان الكاهن تخفيه أستار المذبح عن الجمهور ، ولذلك فإن مشاركة الجمهور لم تكن تحدث أثناء لحظة تقديم الذبيحة كما هو شائع الآن فى الكنيسة الغربية ، ولكن عند نقطة معينة من القديس عندما تزال الأستار ، يتقدم المستعدون للتناول ، وأثناء عرض القربان المقدس على الجمهور يصحب ذلك عبارات المباركة الخاشعة . ولم يتخل الشرقيون عن هذه الطريقة القديمة فى تعظيم القربان المقدس ، ولما كانت هذه الطريقة لا تستدعى أن يرفع

(١) See : G. Gilbert Scott, Essay on the History of English Church Architecture, Pl. xxi, figs. 12 and 13, and text, p. 117, note n.

المتقدمون للتناول أذرعهم أعلى من مستوى الصدر ، فإن الشق الذى حدث فى البذلة الشرقية انحصر فى الجزء الأمامى من هذا الرداء الكهنونى (البرنس) . وبعبارة أخرى الخطأ الذى شاع بين المؤرخين الذين كتبوا عن الكهنوت الشرقى ألا وهو تعميم العادة اليونانية بتحويلها الى عادة شرقية، فإننا لا نستطيع فيما يتعلق بتغيير شكل هذه البذلة أن نتقدم بأفضل من هذه القصة أو أكثر منها إيجازا . وعموما فإن هذه القصة لا تطبق حرفيا على البرنس القبطى من حيث تأثيره بالاحتفالات القبطية ، ولكنها تطبق روحيا ، لأنه بالرغم من أن رفع الحمل يحدث الآن كما كان منذ العصور القديمة ، ليس من لحظة بدء الخدمة ولكن عند نهايتها قبل صلاة الشكر . ومثل هذا العمل كان مستحيلا مع ائقال ذراعى الكاهن بالكمين الثقيلين لبذلة القديس القديمة . ومن الواضح أن مثل هذا التغيير فى الطقس كان يستدعى أحداث تغيير مماثل فى ملابس الخدمة ، ولذلك فإن اليونانيين يتمسكون بالطريقة القديمة فى رفع الحمل عند مستوى الصدر ، ولو أن بذلة القديس اليونانية على الرغم من هذا كانت قصيرة من الأمام بحيث تماثل الجبة ، فليس مستغربا أن الأقباط عندما رفعوا مستوى رفع الحمل قد غيروا من بذلة القديس فصارت تماثل الجبة ، ليس فى معظمها بل فى جملتها . ومع سهولة حدوث هذا التحول ، يسهل الحكم عليه لأول وهلة بالنظر الى أى برنس قبطى حتى لو كان قديما مثل هذا الذى كان يرتديه القديس نيقولاوس فى الصورة التى ذكرناها من قبل . ونظرا لأن فتحة الرأس ليست مستديرة كما كان الحال بالنسبة للرداء اللاتينى إلا أنها مزودة بشق من أعلى منتصف الصدر بطول يبلغ حوالى ثمانى أو عشر بوصات والياقة الوحيدة التى زخرف بها البرنس تحيط بالرقبة على كلا جانبي الشق . وإذا تخيلنا أن هذا الرداء صار قصيرا من الأمام وأن الشق قد امتد الى أسفل قليلا بحيث يصل الى الطرف فسينتج عن ذلك ثوب لا يمكن التفرقة بينه وبين العباءة إلا اذا كانت القلنسوة قد أضيفت اليه فيما بعد . ولكن ذلك أيضا مشكوك فيه ، فمن المؤكد أن البذلة ذات القلنسوة لم تكن معروفة ولا شائعة . ومن جهة أخرى فإن القلنسوة لم تكن موجودة بالنسبة للعباءة القبطية ولكنها علامة معروفة بالنسبة لرداء الأسقف أو البطريك بالمقارنة مع شكل بذلة الكاهن . أما العباءة التى يرتديها البطريك الحالى فى الاحتفالات الدينية فهي مصنوعة من القطيفة القرمزية ومزينة بتطريزات ثقيلة من الذهب . والقلنسوة المصنوعة من نفس هذه المادة لها شراية ذهبية تتدلى من هذا الطرف ومجهزة على شكل غطاء للرأس يحتمل استخدامه بدلا من التاج . ويمكن أن نذكر هنا عدم وجود مثيل فى أى برنس قبطى للياقة المزخرفة:

المتفرعة عن بذلة القديس الغربية والتي تعودت الأبصار الانجليزية على رؤيتها في العديد من الصور والآثار القديمة .

وإذا كان هناك أى ظل للشك فى تاريخ الملابس الخارجية القبطية كما وصفناها هنا ، فأظن أنه يمكن ازالته باعتبار التحول المماثل الذى حلت لبذلة القديس الأرمنية ، لأنه رغم وجود هذه البذلة فى الكنيسة الأرمنية القديمة كما هو فى أى كنيسة شرقية ، إلا أنها قد اختفت تماما من احتفالات الأرمن الدينية فى الوقت الحالى . وقد حلت محلها الصبابة ، كما هو الحال فى الطقس القبطى . وعندما نتذكر أن من بين الأسئلة التى توجه الى الأسقف الأرمنى عند الرسامة - السؤال التالى : « هل تلحن أوطاخي وكل أتباعه ؟ »

“Dost thou anathematise Eutyches and all his following ?”

فإن الانسان يحس بالغرابة بالنسبة لعدد التشابهات الموجودة بين كل من الطقسين الأرمنى والقبطى ، وهى تشابهات تتزايد عندما نصل الى معالجة الطقوس والاحتفالات . ويذكر دنزنجير Denzinger (١) أن الاصطلاح الوطنى الذى يطلق على العبادة هو Sciursciar ، بينما يذكر فورتسكيو Fortescue (٢) أنه Schoochar بينما يذكر نيل Neale أنهم يتمسكون باصطلاح بذلة القديس Phenolion (٣) بعد تغيير هذا الرداء . ولا يورد نيل أى مرجع لقوله هذا الذى لو صح لكان مثيرا للاهتمام . ولكن يمكن أن يظل الاسم اليونانى موجودا فى التعليمات المدونة أو فى البحوث الكنسية بالرغم من ضياعه بالنسبة للغة العامية . ويضيف أن بذلة القديس قد هجرت أيضا منذ مدة طويلة تعود الى أيام الكاثوليكوس اسحاق الذى علق بعنف على أخطاء الأرمن فى الكتاب الذى ألفه وذلك خلال القرن الثانى عشر . ولكن يبدو أن نيل قد أخطأ فى فهم روح النص الذى اعتمد عليه ، وهو يوبخ الكهنة لعدم استخدامهم بذلة القديس ، ولكنه لا يتعرض بالقول لأى تغيير حدث فى شكل هذا الرداء . ويبدو أنه من الصعب تحديد الطبيعة الحقيقية للملابس الخارجية الخاصة بخدمة القديس ، فى حالة الكنائس الشرقية الأخرى والحقيقة أن نيل شجاع بما فيه الكفاية للقول بأن « الفروع الأخرى للكنيسة الشرقية قد احتفظت بالشكل المعتاد لبذلة القديس (٤) ولكن يبدو أنه مخطئ للمرة

Rit. Or., tom. i. p. 133.

(١)

Armenian Church, p. 134.

(٢)

Eastern Church : Gen. Intror. Vol. i. p. 309.

(٣)

.L.C.

(٤)

الثانية . وعلينا أن نأخذ أولا الطقس السرياني فلا شك في أن بذلة القديس وجدت أصلا لدى السريان ، وأطلق عليها اسم مشتق من البذلة اليونانية . ونجد أن الكلمة السريانية التي استخدمت في التعليمات المدونة وما يماثلها هي كلمة Phelono أو Phaino وعلى ذلك فإن ساويرس الاسكندراني في كتابه عن طقس السريان ، يذكر أن الكاهن عند ارتداء ملابس خدمة المذبح ، يرتدى التونية ، والبطرشيل ، والكمين (الأيسر أولا ثم الأيمن) ثم Phaino أو بذلة القديس . وبالرغم من أن بودريانوس Boderianus يترجم الكلمة إلى amictus في ترجمته اللاتينية (١) ، وكذلك فإن مصنف المعاجم السرياني إيسابار هالي I sa-bar-Hali الذي يقدم الأشكال الثلاثة للكلمة يفسر هذا الاصطلاح Phaino بأنه يعني ملابس خدمة القديس التي يرتديها الكاهن بالمقارنة مع التونية أو Kutino التي يرتديها الشماسية ، ويقابلها بكلمة البرنس العربية بوصفها هي الكلمة الموجودة في ترجمة الكتابات القبطية إلى العربية (٢) . وقد ترجمت كلمة Phaino في المخطوط السرياني الموشى المحفوظ في فلورنسا والذي نقل عنه رينودو - بأنها تعني رداء فضفاضاً كاملاً ، يشبه بذلة القديس الرومانية القديمة . وله لون واحد هو اللون الأرجواني حسبما وجد في ثلاثة نماذج ، كما وجد اللون الأخضر في نموذج واحد . ولكن هناك صورة مصغرة مرسومة على الرق مغطاة بأشغال الإبرة التي تمثل الأزهار . وعلاوة على ذلك فقد رسمت صورة يوسابيوس في مخطوط سرياني قديم يعود تاريخه إلى سنة ٥٨٠ للميلاد - وقد ارتدى بذلة قديس كاملة من الطراز القديم وبها تحديد مكان العنق بفتحة مربعة (٣) وبالرغم من أن الدليل الذي يؤيد عدم تغيير بذلة القديس - يبدو واضحاً بما فيه الكفاية - إلا أننا عندما نرجع إلى العصور الأولى نجد دليلاً أكثر وضوحاً يدل على العكس . وعلى ذلك فإن كتاب أسيمان Asseman في أوائل القرن الثامن عشر يبين أن الاسم هو Phaino بينما يرجع هذه التسمية إلى الكلمة اللاتينية Penula واليونانية Phenolion إلا أنه مفتوح من الأمام طولياً على مثال العبادة الغربية وليس بذلة القديس . وربما ترجع هذه المعلومات إلى أصل سرياني

(١) Severus Alexandrinus, De Ritibus apud syros, etc., ed. Guido Fabricius Boderianus : Antwerp, 1572.

(٢) Renaudot, lit. Or. tom. ii. p. 55.

(٣) Bibliothecae Mediceae Catalogus, Cod. I, tab iii : Florence, 1742.

وقد اقتبس ماريوت في كتابه (Vest. Christ., pl. xxvii) الرسم ولكن ليس بالامانة المطلوبة .

فى سيرة البطريرك ميخائيل (١) وكثيرا ما تستخدم الكتابات السريانية كلمة Phaino وتخصص لها اللون الأبيض ، ولكنها بالطبع لا تشرح شكل هذا الرداء . ومن الانصاف أن نتذكر أن أسيمان كتب فيما يبدو بناء على ملاحظاته الخاصة ، وحتى اذا لم تكن هذه هى القضية ، فهناك الكثير مما يحتاج الى الاثبات ، ولا يوجد ما ينزع الثقة من الدليل الذى قدمه .

وبخصوص ما اذا كانت العبادة لدى الموارنة قد حلت محلها بذلة القديس أم لا ، فأننى لا أجد سوى القليل من المعلومات حول هذا السؤال . والشئ الوحيد المؤكد هو أن الاسم المستخدم للدلالة على هذه القطعة من الملابس Phaino قد ورد فى كتاباتهم . ويزعم أسيمان (٢) أن هذا الاسم Phaino مثل Maphra أو Phakila المستخدم لدى النساطرة يدل على عبادة وليس بذلة القديس . ولكن من المحتمل جدا أنه حتى مع التغيير الكامل لصفة هذا الرداء خلال القرن السابع عشر ، فإن الأصل أو على الأقل الشكل الرومانى المعدل لبذلة القديس قد عاد مرة أخرى بسبب التأثير الرومانى المتتابع . أما بخصوص الطقس النسطورى حاليا فمن غير الممكن الحديث عنه بدقة . ويعلن دنزنجر Denzinger (٣) مرتين أن البذلة التى يرتديها النساطرة تماثل العبادة الغربية . ولكن الفصل الذى خصصه للحديث عن الملابس النسطورية عبارة عن لغز منقطع النظير استطاع أن يتوصل الى مفتاحه (٤) أو ربما كان المفتاح عند أسيمان

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. i. p. 131 and tom. ii. p. 73 n.

ومن الصعب متابعة الملحوظة لأنها تتحدث عن الرداء المسمى Pallio seu Casula بوصفه مستخدما بدلا من التونية ويفرق بينه وبين Phaino فيقول : ان كلمة الحلة Penula اللاتينية تماثل الكلمة اليونانية Phenolium وهى تعنى عبادة مفتوحة .

(٢) Bibliotheca Orientalis, tom. iii. Pt. 2. P. 681 : Rome, 1728.

(٣) Rit. Or., tom. i. p. 132.

(٤) يقول فى الفصل الذى اقتبسه ان الكاهن يرتدى التونية والبطرشيلى على كتفى الكتفين والصدرة Pallium التى تسمى gulta ، ثم يلبس بذلة القديس فوق البطرشيلى . أما الملابس التى يرتديها الأساقفة والكهنة عادة فهى ١ - maaphra وتسمى أيضا Kaphila, Phakila وهى 'الصدرة' التى تشبه العبادة الغربية ويحيط بالجسم وتشبه فاكيوليون (= المعطف) اليونانية ٢ - biruna وهى غطاء للرأس يشبه الشملة ٣ - Sciu cefo أو الحجاب velum

وقد أشرت فى موضع آخر الى استحالة المقارنة بين الرداء اليونانى الخيالى فاكيوليون والعبادة الغربية أو غيرها من الملابس المستخدمة فى الغرب . والحقيقة أن أسيمان Asseman هو المسئول عن هذا الخطأ . ولكن دنزنجر Denzinger لم يوافق على مثل هذه المغالطة الواضحة . والآن فإن هناك صلاة ضمن خدمة قديس تنصيب الأساقفة يقال عند لحظة ارتداء maaphra - أوردها دنزنجر كما يلى : =

“indaut te Dominus pallio (seu Casula) lucis,” & C. (tom. ii. p. 247).=

وهناك نص مكتوب في الاحتفال بتنصيب البطريرك يجرى كما يلي : -
“Tunc afferunt Kaphilam et princeps metropolitaram illam super caput
ejus demittit.” (ib. p. 255).

ولذلك فإن لدينا أولا كلمة (maaphra) المستخدمة بمعنى بذلة القديس وثانيا كلمة Kaphila (التي تتطابق مع maaphra) وتوصف بأنها تسدل على الرأس ، وهو وصف من الواضح أنه لا ينطبق على العباءة . ولا يمكن المعارضة في القول بأنه يعنى بذلة القديس . وهناك نص آخر (ib. p. 272) مع صلاة ارتداء الملابس التي تأتي بعده - يمكن الاستدلال منه على ماهية maaphra (مافرا) مع البذلة ، لأنه يصف هذا الرداء رمزيا بأنه : « رداء المجد السماوي » وتستمر الصلاة قائلة : « الرب يلبسكم حلة الروح الخفية ويزينكم بأعمال الخير ويغنيكم بموهبة العفة حتى تستطيعوا بلا لوم أن تطعموا الخراف التي تعتمد عليكم بخوف الله وبكل قداسة الآن وعلى الدوام » . ولم ينس في هذا الفصل استخدام الكلمات المشابهة والرموز المستخدمة في الصلوات الغربية التي تلى عند ارتداء بذلة القديس . وعلى ذلك فهناك أرضية عريضة للاعتقاد بأنه في وقت كتابة هذه العبارات وأظن أنه لا يتجاوز القرن التاسع كانت بذلة القديس Phenolion هي الرداء الخارجي المعروف لدى النساطرة في خدمة القديس .

وإذا عدنا الآن الى ما أورده دنزنجر Denzinger بخصوص الصدرية Pallium (باليون) أو جولتا gulta فإننا على ما أظن نستطيع أن نفسرها بالعودة الى خطأ الدكتور بادجر Badger في النص الذي أوردها عليه والذي تعلق به دنزنجر Denzinger حسب عادته في التعطش الى تصيد الأخطاء . والحقيقة هي أن ما يسمى Pallium ليس الا التونية . ونظرا لجهل الدكتور (بادجر) Badger بالاصطلاح الصحيح ، فقد استخدم اصطلاحا خاطئا في اللغة الانجليزية وهو Surplice الذي يعنى رداء كهنوتيا أبيض اللون مثل التونية . وقد صاغ (دنزنجر) Denzinger من هذا الاصطلاح رداء كهنوتيا جديدا خاصا بالنساطرة . ويتضح لنا ذلك تماما بمقارنة ما ورد في الجزء الأول من كتابه على ص ١٣٢ :-

“Presbyter orarium habet Collo impositum ... supra tunicam albam ... et Pallium quod dicitur gulta, et super orarium induitur (sc. Presbyter) phelonio sive pluviati.”

مع ما ورد في الجزء الثاني على ص ٢٦٦ حيث يعلق على Pallium أو التونية التي يضعها الأسقف على الكتف اليسرى للكهان في بداية خدمة التنصيب قائلا : -
“Anglice est surplice Posuimus vocem ab Assemano usurpatam. Est gulta, quae super orarium induitur.”

والآن ففي أول هذه القطع ترك مضع ارتداء Gulta للخيال ، ولكن يبدو أنها توضع فوق البطرشيل . وفي القطعة الثانية قيل لنا ببساطة أنها توضع فوق البطرشيل . ولكن ما تذكره القطعة الأولى بدون التباس هو أنها الرداء الخارجي الذي يلبس فوق البطرشيل مباشرة . فماذا إذن عن Gulta أو التونية ؟ لابد وأنها لا تظهر وتنضم الى الخلف في التونية التي تخرج منها بفعل سوء التفاهم المحض . ولو شككنا في هذه النتيجة فإننا سنتأكد بالنصوص المدونة على الصفحة التالية لها كما يلي : -

“tunc episcopus pallium sumat de humero eorum sinistro et circum colla appendat.”

وأخيرا فإن هذا يؤيد أن الكاهن أثناء التنصيب كان يرتدى الصدرية pallium باليوم وبعبارة أخرى أن الصدرية والتونية مسميان لشيء واحد .

Asseman الذي اقتبس العبارة دون أن يفهمها . وعلى أية حال فإن أسيمان يستخدم لغة وثيقة فيجعل العبادة هي نفس الرداء البطريركي الذي يقول عنه :

“apud syros Nestorianus pro phenolio Graecorum el penula, Casula, planeta Latinorum Sumitur, quæ tamen ante pectus operta sit et pluvialis formam repræ sentent.» (1)

ويبدو أن السؤال قد انتهى عند هذه الفترة . ويوجد أحد المستشرقين المعاصرين لنا وهو الدكتور (بادجر) Badger الذي يقدم لنا دليلا يستحق الاهتمام . أما فيما يتعلق بالملابس النسطورية التي رآها في أشيشا Ashitha (٢) فإنه يذكر اثنين يطلق عليهما اسم التونية Surplice وبذلة القديس بالترتيب . ولكنه يعرف Surplice بأنها نوع من الأقمصة ذات الأكمام القصيرة ، وهو يعنى بذلك : التونية . أما بذلة القديس فيفسرها بأنها رداء بسيط مربع مطرز عليه صليب في الوسط ، وأن هذا الرداء ينسدل على الرأس والكتفين ، وأن الركنين المتوازيين يمسك بهما في كل يد بين اصبعي الإبهام والسبابة . ولو كانت هذه هي بذلة القديس فلا يمكن أن يكون بها صليب في الوسط لأنه لا بد من وجود فتحة الرأس في هذا الموضع ، وعلاوة على ذلك فإن بذلة القديس لا يمكن وصفها بأنها تنسدل فوق الرأس والكتفين بل انها توضع أو ترخي ولا يوجد سبب لامسك بذلة القديس من الركنين بصرف النظر عما يمكن أن يدل عليه هذا الاصطلاح . ونأسف كثيرا لأن مثل هذا الدارس يجهل الاصطلاحات الطقسية الى هذا الحد بحيث يخلط ما بين التونية والقميص وأن يسمى قطعة القماش المربعة باسم بذلة القديس . ومثل هذا الجهل يظهر في مؤلفه الكبير (قاموس اللفظ القديم = انجليزى - عربى) ومراجعته الطقسية عديمة القيمة . ويضيف الدكتور بادجر Badger أن الرداء الذي يطلق عليه اسم Surplice يسمى Peena في اللغة السريانية . وهو اسم يدل على Phaina أو Phaino ولكن ربما كان من الخطأ نسبته الى النساطرة . وأن بذلة القديس تسمى estla أو Shoshippa والكلمة الأخيرة لابد أنها قريبة من كلمة Shouchar وهي كما رأينا

Bibl. Or., I.C.

(١)

The Nestorians and their Rituals, vol. I. pp. 225-6 : London, (٢)
1852.

سابقا - الاصطلاح الارمنى الدال على العباءة - وعموما فان شهادة الدكتور بادجر Badger ليست ذات قيمة جدية واذا ما اعتمدنا عليها وحدها فانها ستكون مربكة وعديمة الفائدة - وهناك كاتب آخر أحدث من الدكتور بادجر يؤكد بثقة أن كهنة النساطرة قد هجروا بذلة القديس منذ زمن طويل ، ويضيف أن شمامسة النساطرة يرتدون القميص أو التونية التي تسمى (صدر) المطرز على صدرها صلبان حمراء وأرجوانية ، كما يلبسون المنطقة والبطرشييل القصير فوق الكتف اليمنى ، بينما يرتدى الكهنة التونية والمنطقة والبطرشييل الذى يتدلى على كلتا الكتفين ويتقاطع على الصدر . وعلاوة على ذلك فان الكاهن أثناء خدمة القديس يرتدى الصدرة وهى مربعة ومصنوعة من قماش الكتان الأبيض وبها صلبان ملونة فى الزاويتين العلويتين . وهذه الصدرة تنسدل على الكتفين وتمسك من الأمام باحدى اليدين . وفى مواضع معينة من الخدمة ترفع بحيث تغطى الرأس . وفى مواضع أخرى تبسط بحيث تشكل ستارة بين الكاهن والجمهور . وهذه الصدرة تتفق مع بذلة القديس Shoshippa ولكنها ليست عباءة ولا بذلة للقديس وإنما هى رداء خاص بالنساطرة وليس له اسم . ويذكر مستر كاتس cutts أن كهنة النساطرة يرتدون العباءة بدلا من بذلة القديس . وبالرغم من أنه يسمى هذا الرداء (صدر) إلا أنه يصفه فى وضوح بأنه يماثل العباءة التى تلزم قوانين سنة ١٦٠٣ - الكهنة يارتدونها أثناء الخدمة بالكنائس الانجليزية وعلى ذلك يظهر لنا الدليل الذى أقامه أسيمان Asseman .

ومازال هناك فرع من الكنيسة الشرقية مخلصا لتقليد بذلة القديس وهو كنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية العتيقة فى مصر . ومازال كهنتها يلبسون العباءة أيضا ولكن كرداء خاص بالاحتفالات . وعلى ذلك فان البطريك فى الأعياد الكبرى يدخل الكنيسة فى موكب مهيب مرتديا عباءة من الحرير الملون والمطرز ، ولكنه يخلعها عند خدمة القديس ويختلف شكل بذلة القديس التى يرتديها البطريك عن تلك التى يرتديها الكاهن لأن الأخيرة هى بذلة قديس حقيقية من الطراز الروسى - قصيرة من الأمام بحيث تصل الى المنطقة فقط ، ولكن بذلة البطريك التى يسمونها Phelonion أو Phenolion تصل الى الأرض تقريبا - من الأمام والخلف ، وتذكرنا بالشكل القديم لهذا الرداء إلا أنها قد تغيرت كثيرا وصارت تقليدية باستحداث فتحات رسمية مربوطة ببعضها البعض عن طريق سيور أو أشرطة حريرية - على الجانبين وتحت الذراعين . أما الجانب الأمامى فانه غير مدبب كما هو الحال فى بذلة القديس الانجليزية ولكنه على شكل الترس الذى يحمى الجسم ، والطرف السفلى أفقى بينما تتخذ

الأركان شكل منحنيات بحيث يصير هذا الرداء عند بسطه على شكل الصليب الذي نجد طرفيه الأعلى والأسفل أطول كثيرا من الفرعين الجانبيين وجميع الزوايا مستديرة . ولا شك أن هذه البذلة التي على شكل الصليب قد نتجت عن عملية تعديل استغرقت وقتا طويلا . أما اختلاف شكل بذلة البطريك عن بذلة الكاهن فهو يتركز في الحاجة الى تخفيف وزن الأولى لسبب ثقل الأردية التي يرتديها البطريك . وما زالت خزانة كنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة تحتفظ ببعض بذلات القديس التي يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر وهي أقرب الى الشكل القديم ولا بد من تصنيفها بين أجمل الأردية المطرزة بسبب فخامة القماش المصنوعة منه واللون المختار وجراة التصميم ودقة التنفيذ .

أما وقد رأينا أن بذلة القديس Phenolion (فينوليون) قد أهملها النساطرة ، إلا أنها مازالت ضرورية ومعروفة قانونيا لدى الموارنة والسريان والكنيسة القبطية ، وبذلك لا يوجد مجال لمساندة ما صرح به نيل Neale من أن الشكل الشائع لبذلة القديس ظل مستخدما لدى الفروع الأخرى للكنيسة الشرقية باستثناء الروس الذين عدلوا منه والأرمن الذين هجروه . وعلى العكس فإن هجر بذلة القديس هو أحد العلامات الشاملة التي تميز التخلي عن العوائد البدائية ضمن التغييرات الطقسية التي حدثت في الشرق . وقد رأينا أنها استغرقت حقبة قانونية طويلة - وهي حقبة لم تنته بعد بشكل رسمي - وأن أصلها قد ضاع بين السحب التي تحجب فجر المراسم المسيحية .

ويبدو أن هذا الرداء مثله مثل غالبية الأردية الأخرى قد ظهر بناء على بعض أشكال الملابس الشرقية القديمة - وهذا القول يضعفه ما هو معروف من أن الأردية تبدو في شكل تقليد للطرازال القديمة لأن الملابس القديمة كانت شرقية . أما أشكال الكلمة اليونانية التي تطلق على بذلة القديس فإنها تعنى نوعا من الرداء الخارجى الثقيل الذى يحيط بكامل الجسم . وبالطبع فإنه من الصعب أن نناقش بجدية السؤال الذى طرحه الكاردينال بونا Bona وآخرون وهو يدور حول ما اذا كان الرداء فيلونيون الذى تركه القديس بولس فى ترواس Trous هو بذلة القديس ، لأن كلا من الطقس والملبس البشائعين فى خدمة القديس قد تعرضا للتطورات البطيئة حيث ان استخدامهما فى هذا الشكل المقدس ، قد تسلمته الكنيسة وحافظت عليه . وعلى ذلك فإن بذلة القديس لم يدون عنها شيء قبل القرن الرابع - وحتى ذلك الحين فإن الدليل على استخدامهما ليس حرفيا بل مأخوذ عن الصور . لقد قيل أن صورة الموزاييك بكنيسة سانت

جورج في تسالونيكي (١) والتي قيل ان قسطنطين هو الذي بناها - تقدم لنا صورة عديدة لقسطنطين يرتدون بذلة يبدو أنها من طراز كنسي خاص بالرغم من صعوبة التمييز بين الأرمنية التي يرتديها الأسقف أو الكاهن أو الطبيب أو العبد . ولكن حقيقة أن كل من هؤلاء قد رسمت صورته واقفا أمام المذبح في وضع التوسل ، تجعل من المحتمل اعتبار جميع الشهداء بعد موتهم ، كهنة يخدمون الرب ، ولذلك ارتدوا جميعهم ملابس مقدسة لأداء واجب مقدس . يقول رابانوس Rahanus (٢) :
« Sacerdos Vocari Potest sive episcopus sit sive presbyter. »

وهو نفس ما يقوله البابا سلبستين Celestine والقديس غريغوريوس وغيرهم من الكتاب القدامى الذين تحدثوا عن الكهنة بمعنى الأساقفة . وعلى ذلك فانه عند رسم صور الموزاييك هذه - خلال القرن الرابع ، اعتبر الشكل الكهنوتي للقديسين هو الشيء الوحيد الضروري لظهورهم في الصور المرسومة حيث جرى رفض التمييز العرضي بين الرتب العليا والدنيا ، ويزعم ماريوت Marriott دون أن يتزعزع - بأن لوحات الموزاييك هذه لا تظهر رداء مقدسا (٣) ويتفق معه في هذا الرأي معظم الكتاب المحدثين . وهناك نقطة يبدو أنهم أطلوا عليها ذلك أنه عند فحص خلفية الصورة يتضح لنا أن المذابح المرسومة فيها قد رتبت وأثبتت بطريقة تشير الى نظام ثابت للزخرفة واحكام ملحوظ في الطقس ، فالدرجات التي أمام المذبح ، والأعمدة الأربعة التي في الأركان الأربعة ، والقبّة التي فوق المذبح ، والستائر التي تجرى على قضبان بين الأعمدة ، والمحاريب ، والمصاييح المدلاة ، والحوارج - هذه كلها تدل على ترتيب متحكم وتمثل في الحقيقة معالم زخرفية المذبح التي كانت موجودة في الكنائس الشرقية على مدى ألف سنة مضت والتي قد نراها اليوم وبها بعض التغييرات القليلة بالنسبة للمذابح القبطية في مصر . وإذا كان الطقس قد تطور منذ تصميم هذه الصور المرسومة بالموزاييك أفلا يكون من المعقول استنتاج أن رداء الكهنة كان خاصابهم ومميزا عن ملابس عامة الناس ؟ يبدو لي أنه من السهل الاعتقاد بأن الفنان لم يكن مدققا في بعض تفاصيل المنسوجات أكثر من القول بأن الكهنة الذين كانوا يخدمون حول مثل هذه المذابح لم يرتدوا ملابس مميزة خاصة بوظائفهم .

وقد تحدثت منذ قليل عن الأرمنية البيضاء المرسومة في صورة

See : Marriott, vest. Christ., Pl. xviii-xxi, and notes, (١)
pp. 236-7.

Marriott, Vest. Christ., p. 46, note 71. (٢)

Id. ib. p. lxxv. (٣)

الموزاييك بكنيسة القديسة صوفيا Sophia في القسطنطينية ، والبذلة التي رسمت في المخطوط السرياني الذي يعود تاريخه الى سنة ٥٨٠ للميلاد، ولكن حتى بعد ذلك التاريخ بقرن ونصف تقريبا ، نجد أن هذا الرداء لم يرد ذكره بمثل هذا الوضوح في أى نص مكتوب . وعلى ذلك فإن البطريرك جرمانوس Germanus يتحدث عن بذلة القديس بوصفها رمزا للرداء الأرجواني الذي ألبسوه للسيد المسيح قبل الصلب . ومن ذلك التاريخ فصاعدا تعددت الاشارات الى الرداء الخارجى . ولذلك فإن جور Goar (١) يذكر أن نيسيفوروس Nicephorus بطريرك القسطنطينية قد أرسل الى البابا الروماني حوالى سنة ٨٠٠ للميلاد - بذلة للقديس ملونة بلون ثمرة أبو فروة ، مع غطاء أبيض للرأس ، وهما هديتان لاشك في امكانية استخدامهما في خدمة القديس اللاتينى وليس لمجرد حب الاستطلاع ، وهذا دليل آخر على هذه الحقيقة التي أصبحت أكثر وضوحا كلما تغلغلنا في أعماق الماضى ألا وهى حقيقة أن الملابس الرومانية واليونانية تعود الى أصل واحد أو أن هذه الملابس مثل الطقس ولغة العبادة المقدسة فى روما - قد طورت عن أصول شرقية . أما فيما يتعلق بلون الملابس الكهنوتية اليونانية فإن جور Goar يذكر أن الملابس الحمر أو الأرجوانية كانت تستخدم خلال موسم الصوم الكبير ، بينما كان اللون الأبيض هو المستخدم خلال بقية السنة . ويعود الى سيمون Symeon الذى من تسالونيكي للاستشهاد به فى هذا الصدد . وعلى كل حال يبدو لنا أن الملابس الأرجوانية تستخدم ضمن الطقس الحزين وتلبس أثناء الصلاة على الموتى . وإلى جانب البذلة العادية غير الواضحة لدى اليونانيين هناك نوع خاص من الأردية يسمونه موليستانيون يرتديه الأساقفة ويتميز بأنه كثيف الخياطة مع التطريز بالصليبان الصغيرة .

أما بخصوص أصل واستخدام البذلة الغربية فإن المواد التى تصنع منها معروفة جيدا وقد تعرض لها كتاب كثيرون ولا يستدعى الأمر الحديث عنها هنا ، ويكفينا التنويه بأنه حتى القرن التاسع كانت كلمة Planeta هى الاصطلاح المستخدم لوصف الرداء الخارجى لرجال الكهنوت ، ومن هنا ظهر اصطلاح Casula . وظل الاصطلاحان يستخدمان بالتبادل لفترة طويلة . وأخيرا فإن الاصطلاح الأخير الذى اشتقت منه كلمة بذلة (Chasuble) قد استخدم بدلا من الاصطلاح الأقدم وهو كلمة Planeta ويبدو أن الانتقال من الرداء المدنى الى الكنسى كان بطيئا ومن الصعب ملاحظته ، ولكن لا يدهشنا أن نجد أقدم شهادة على استخدام Planeta بوصفها الرداء المميز للكهنة والأساقفة أثناء خدمة المذبح فى بلد بعيد

مثل استبانيا. حيث يختلف الرداء العادى اختلافا كبيرا عن الطرز القديمة. التى استخدمت فى ايطاليا والتى حكمت طرز الملابس الخاصة بالحياة اليومية وحددت شكل ملابس رجال الاكليروس . واذا كان لباس الكهنة (القسوس) فى خلال القرن الثانى - والذى كان يختلف قليلا عن لباس المدنيين - معروفا فى أماكن أقل تحضرا مثل اسبانيا أو بلاد الغال فى تلك الحقبة - يمكن ملاحظة أنه لباس مقدس بالمقارنة مع الطرز المختلفة للملابس المستخدمة بين الاسبان أو مواطنى بلاد الغال . وعلى ذلك يمكن اعطاء دفعة نحو تطوير الملابس الكهنوتية مع التوصل الى رسوخ معين بين المجتمعات البعيدة عن المذبح من حيث يستمدون طموحاتهم . وقد ورد اصطلاح *Planeta* بوصفها لباسا خارجيا وذلك للمرة الأولى فى أعمال مجمع طليطلة (٦٣٣ للميلاد) بالرغم من أنها ذكرت هناك بشكل عارض بوصفها الرداء المعتاد للكهنة دون الإشارة الى أنها ربما كانت مستخدمة منذ أجيال عديدة . وهناك دليل فنى على أن بذلة القديس كانت مستخدمة فى أيرلندا منذ القرن الثامن لأن صندوق حفظ رفات سانت مايدوك *St. Maedoc* - الذى رسمت عليه صور لقسيسين يرتدون بذلات فضفاضة للقديس مع ياقات مطرزة (١) . وفى اسكوتلندا وجدت على بعض الأحجار المنحوتة القديمة - صور لكهنة يرتدون بذلات للقديس . وفى كتاب الغزلان *The Book of the Deer* الذى يعود تاريخه الى القرن التاسع ، نرى أن الانجيليين الذين وردت صورهم فى الكتاب كانوا يرتدون بذلات للقديس (٢) . وتعتبر فرنسا غنية بالدليل الذى يقدمه فن النحت حول استخدام بذلة القديس خلال نفس هذه الحقبة لأن كل لوحة منحوتة على الأغشية الخشبية بكنيسة دروجون *Drogon* بها نموذج أو أكثر لهذا الرداء . وكذلك فإن كنيسة تورز *Tours* التى ترجع الى القرن التاسع تتضمن شهادة على استخدام بذلة القديس . واذا كانت انجلترا خالية تقريبا من الآثار الفنية الخاصة بالكنيسة فى عصورها الأولى ، إلا أن بذلة القديس قد ورد ذكرها بوضوح فى كتاب *Pontifical of Egbert* الذى يعود الى القرن الثامن . ومن الغريب أن نجد ونحن نستوثق من الاستخدام القبطى كما وصفه فانسليب ، *Vansleb* ، أنه حتى القرن العاشر على الأقل - كان برئيس الأسقف يتميز عن برنس الكاهن بوجود القلنسوة ، وهو تقليد يعود الى العصور المبكرة ، كما هو مؤكد بالنسبة لحقيقة أن القديس ايزيدور *Isidore* الذى من سيفيل *Seville* يتحدث عن البداة *Casula* بوصفها : رداء

(١) Warren, Lit. and Rit. of the Celtic Church.

(٢) westwood, Facsimiles of Anglo-Saxon and Irish Ms., pl. II.

خارجيا له قلنسوة (١) أما عن الاسم القبطي الذي يطلق على البرنس
 كوكليتون (البرنس) والذي يتضح لنا أنه مشتق من الكلمة
 اليونانية كوكوليون (البرنس) التي وردت في باخوميوس وايفاجريوس
 Evagrius وبلاديوس Palladius - فهو عبارة عن كلمة تعود الى
 الأصل اللاتيني Cucullus . ومازالت اللفظة manipie التي وجدت
 في قبر القديس كوثبرت Cuthbert في درهام Durham ، تحمل رسما
 للقديس سيكستوس Sextus وهو أسقف قديم لمدينة روما - مرتديا
 بذلة القديس التي تعتبر قصيرة بالنسبة للطراز القديم بالرغم من أن هذا
 الرسم يعود الى القرن العاشر . ويقال ان هذا هو النموذج الانجليزى
 القديم لبذلة القديس . وهناك بذلات أخرى وردت في مخطوط صلوات
 سانت أثلولد Ethelwold (حوالى سنة ٩٧٠ للميلاد) الذي رسمت
 فيه صور لقديسين يرتدون ملابسهم الكاملة (٢) . ونرى في الكتاب
 البابوى الخاص بالكنيسة الانجلوساكسونية - والمحفوظ حاليا بمكتبة
 روين Roun - صورة أسقف مرتديا بذلة قديس تشبه بذلة سانت
 سيكستوس St. Sextus من حيث انها قصيرة من الامام أكثر من
 الخلف . ونرى في نفس الكتاب صورة أسقف آخر يرتدى العباءة . وتلك
 هي أقدم نماذج يعرفها بلوكسام Bloxam لبذلة القديس . ومن المؤكد
 وجود نموذج يعود الى تاريخ أقدم بحوالى خمسمائة عام ، في رسوم
 الموزاييك بكنيسة سانت أبولينار St Apollinare فى كلاس
 Classe بالقرب من رافنا Ravenna ، حيث نجد (ملكيصادق) وهو
 يكسر الخبز على المذبح الذى وضع فوقه القربان والكأس - ويرتدى عباءة
 بلون البنفسج ، مجهزة بخيوط الأطراف الذهبية. ومربوطة على الصدر
 ببعض الخيوط ، وهى من طراز يماثل الطراز المستخدم فى تلك الحقبة .
 ونرى بذلة قديس أخرى مشابهة فى رسم بالموزاييك بكنيسة القديس
 فيتال Vitale بمدينة رافنا Ravenna ، ويرتديها ملكيصادق أيضا (٣)
 ولكنها غير واضحة بسبب الوضع الجانبي والذراعين المرفوعتين لخادم
 القديس وهو ملكيصادق .

ولكن بالرغم من أن البذلة القصيرة قد ظهرت فى إنجلترا مبكرا إلا أنها
 لم تصل الى الكنيسة الانجلو ساكسونية بهذا الشكل المذهب الذى عودتنا
 عليه الآثار الانجليزية التى تعود الى العصور الوسطى . وقد ظهر هذا

Marriott, Vest. Christ., pl. lxvi.

(١)

Bloxam, Ecclesiastical Vestments, pp. 14-16.

(٢)

See : La Messe, vol. i. Pl. iii. and Pl. ii.

(٣)

التغيير البعيد ليس لأسباب الملاءمة العامة ولكن للحاجة الى حرية أكثر في العمل عند رفع الحمل ، ولذلك يستطيع الناس رؤيته فوق رأس الكاهن الذي يقف أمامهم وظهره تجاههم . أما في ايطاليا فقد كان الكاهن يواجه الناس في لحظة رفع الحمل ولذلك فان هذا السبب غير موجود هناك . وكذلك فان البذلة الرومانية نفسها قد تعرضت للتقصير ، ويتأكد ذلك لأول وهلة من اللوحة المعروفة المرسومة بالفريسكو للقديس اكليمنض Clement بكنيسة سانت مارك St. Mark في البندقية ، ومن جهة أخرى هناك دليل عظيم يبين أن هذا الرداء القديم ظل مستخدما في روما منذ سنة ٦٠٠ للميلاد (١) وأنه حتى اليوم فان النصوص الرومانية المدونة تلزم الكاهن بارتداء البذلة الفضفاضة تماما . ويوجد أيضا في الكنائس الانجليزية العديد من التماثيل والعملات التي وجدت في المقابر ، والتي تحمل الدليل على حقيقة أن البذلة القديمة استمرت جنبا الى جنب البذلة القصيرة حتى عصر الاصلاح الديني .

ولم تكن هذه البذلات في انجلترا وفي كافة البلدان المسيحية بيضاء اللون دائما ، فقد كانت الألوان الشاحبة والذهبية المصفرة والقرمزية والأرجوانية معروفة . وقد استخدمت أيضا الاقمشة الغالية الثمن مثل الحرير والقטיפ والقمماش الذهبي . وكانت جميعها مطرزة بالحواف الجميلة . وأحيانا كانت تدخل الجواهر الثمينة ضمن النسيج ، أو تغطي بكاملها بالزهور وغيرها من التصميمات بأفخر أشغال الابرّة . ولم يعمل حساب لضخامة التكلفة في سبيل تزيين الرداء المستخدم في خدمة المذابح الانجليزية . ولم يوجد ما يبارى الكنائس الانجليزية في فخامة وكثرة ملابسها كما يشهد بذلك العديد من المدونات الباقية .

التاج

تعرف كنيسة الاسكندرية بفرعيها اليعقوبى والملكانى التاج بوصفه أحد رموز السلطان الكنسى . ونجد أن التاج لدى كلا الفرعين يلبسه البطريرك وكذلك الاساقفة . ولاشك في أن استخدام البطريرك الاسكندري للتاج يعود الى عهد القديس كيرلس الأول في مجمع أفسس (٢) سنة ٤٣١ للميلاد أو أنه يعود على الأقل الى القصة التي تشير الى استخدام التاج في مصر منذ العصور المبكرة للمسيحية . وعلاوة على ذلك فاننا اذا تذكرنا

(١) G. Gilbert Scott, Hist. Eng. Ch. Archit. p. 117 n.

(٢) Goar, Euchol., p. 314.

العداء المستحكم الذى مزق الكنيسة الى فرعين متقاتلين وجعلهما فى خصومة دائمة بعد ذلك التاريخ بعشرين عاما ، وكيف أن بطارقة كل من الفرعين استمروا متمسكين بامتيازاتهم القديمة وكيف أن كلا منهما استعار بدعة من صراعهما غير الأرثوذكسى ، فإن حقيقة استمساك كنيسة كل من الفرعين بالتاج تعتبر تأكيدا لهذه القصة ، وتؤكد وجود نوع من غطاء الرأس المميز بالنسبة لبطريك الاسكندرية منذ النصف الأول للقرن الخامس وقبل الانفصال .

وهناك احتمال بأن يكون استخدام التاج قد ظهر مبكرا فى الشرق حيث كان لغطاء الرأس توقيير وأهمية على الدوام ومازال غطاء الرأس الحديث وهو الطربوش باقيا كبديل لغطاء الرأس القديم الذى كان معروفا فى فريجيا والذى كانت التيجان القديمة سواء فى الشرق أو الغرب تقليدا له . والحقيقة أن الدليل على هذه المسألة غير متوفر ، ولكن لدينا من النصوص ما يكفى لدحض كافة الادعاءات الرومانية بأن التاج رداء روماني صرف . ويستشهد جور Goar نفسه بالمؤرخ ألاتيوس Allatius كمصدر لرداء كالنبترا البابوي بعد وينقل بعد ذلك عن كوريزيوس Coresius الذى من خيوس Chois قصة عن خصومة بين ثيوفياوس بطريك الاسكندرية فى القرن العاشر والامبراطور اليونانى الذى اهدى للبطريرك تاجا ملكيا لحل المشكلة بطريقة ودية ، ولقى بذلك ترحيبا وقبولا ضمن أعضاء الجماعة المقدسة المحيطة بالبطريرك . وقيل لنا ان بطريك اورشليم كان يرتدى فى الاحتفالات الدينية تاج القديس يعقوب حتى سنة ٨٦٩ للميلاد .

واذا تحولنا الى المدونات المختلفة فسنجد التاج مذكورا بوضوح كأحد رموز السلطة التى يرتديها بطريك الاسكندرية عند تنصيبه . وقد ورد ذلك فى كتاب Tukian Pontifical . ويجدر بنا أن نذكر أن النسخ القبطية القديمة لصلوات تنصيب الأسقف لم تتضمن دليلا واضحا على استخدام التاج . وهذه الحقيقة يفسرها اما الارتباك الكلى الذى يدور حول غطاء الرأس الذى يميز النصوص المدونة فى شكلها الحالى ، أو افتراض أن امتياز ارتداء التاج قد شمل الأساقفة منذ فترة زمنية بعيدة ، أو ربما العادة الشائعة الآن والتى بناء عليها يمنع الأساقفة من ارتداء التاج فى حضور البطريرك . ولكن طقس اليعاقبة السريان (السريان الأرثوذكس) يتضمن أن وضع التاج على رأس الأسقف الجديد هو أعظم المواقف وقارا فى عملية الباسه الملابس الكهنوتية بمعرفة البطريرك . وقد ورد ذكر التاج مرتين فى النص الذى أورده مورينوس Marinus (١)

Denzinger, Rit. Or., tom. II, pp. 74-75.

كما ورد مرتين أيضا في النص الذي أورده رينودو Renaudot (١) ويعلن رينودو أيضا أن ذكر التاج قد ورد في المخطوطات السريانية المتعددة تحت اسم *togo* (الواضح أنها كلمة تاج العربية) كواحد من أردية الأسقف . ولذلك ربما كان (أسيمان) مخطئا في انكار استخدام الأساقفة السريان للتاج ولا شك في أن بطريركهم كان أيضا يرتدى التاج .

ومن سوء الحظ أن كافة الرسوم القبطية القديمة قد اندثرت تقريبا، وأن الآثار البرونزية أو الحجرية والمزارات المنحوتة والتماثيل ذات القيمة الكنسية - غير معروفة في التاريخ القبطي . ولكن آثار القديسين الضئيلة التي حفظتها يد الزمان قد حفظت لنا بعض الأدلة التي يمكن جمعها حول الاستخدام المبكر للتاج . وعلى ذلك فإن أحد القديسين الذين نقشتم صورهم على عوارض حامل الأيقونات في كنيسة أبى سرجة يبدو أنه يرتدى نوعا من غطاء الرأس يمثل تاجا بسيطا . وتعود هذه الصور الى القرن الثامن وربما كانت لبعض البطارقة بدليل الصليب الذي تمثله العصا التي يحملونها وهي تشبه الرمح الطويل . وربما كان رسم العمود القديم بالكنيسة المعلقة يعود الى نفس التاريخ أو بعده بقليل (٢) وبالرغم من أن معالمة الآن مطموسة إلا أنه مازال يكشف بوضوح عن البلى

(١) يقتبس دنزجر عن رينودو الكلمات : -

"imponit illi cidarim seu mitram, alligatque illi epomidem"

ولكنه يضيف في حاشية

"Ornamentum de quo agitur (se. mitra) est maznaphtho, amictus phrygio opere ornatus."

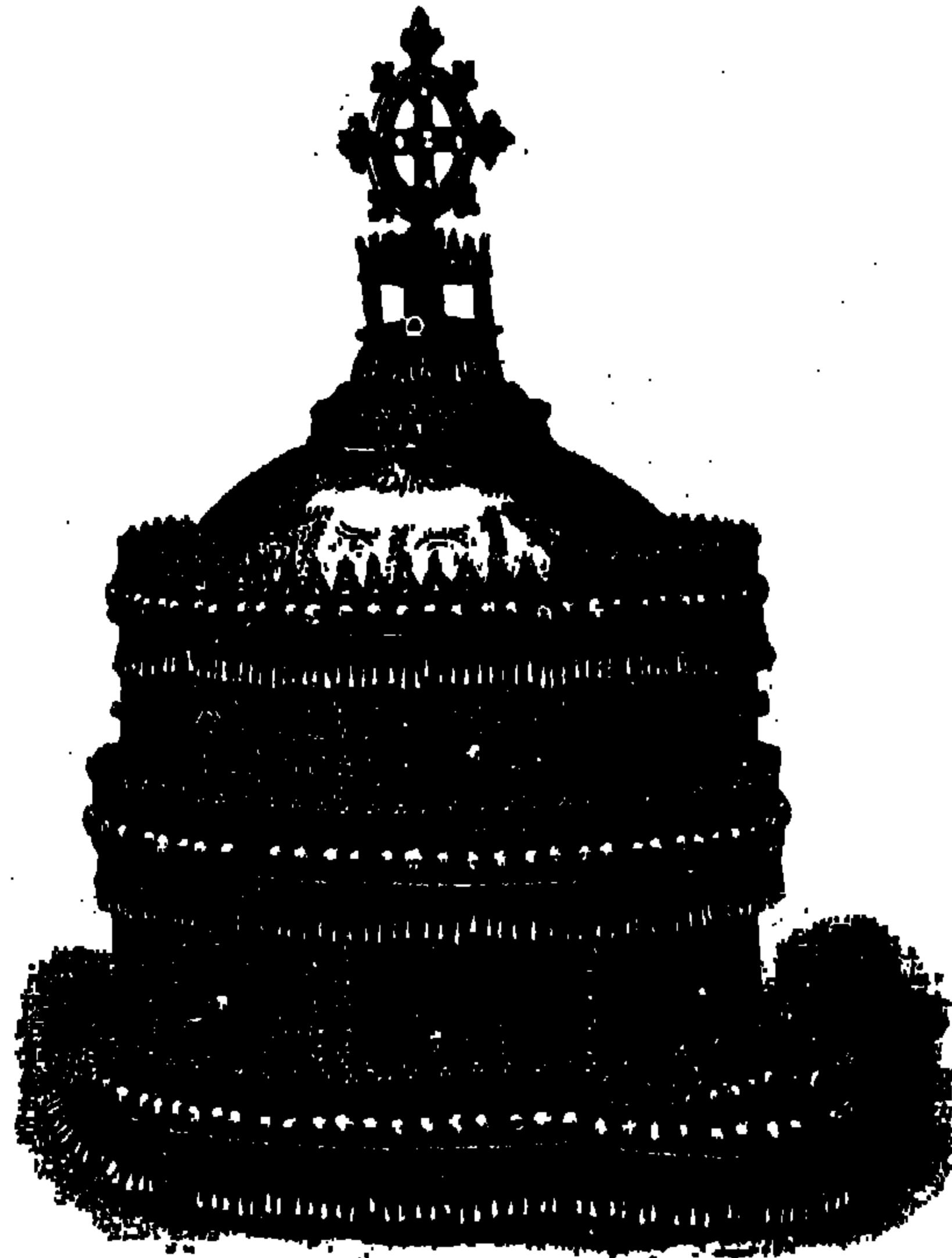
وهو بذلك يؤكد أن كلمة *mitra* المستخدمة في النص تعنى الشملة ذات الطرف

المطرز . وهذا الخطأ تدحضه بقية العبارة المقتبسة من النص وتقول *alligatque illi epomidem* ومن الواضح أن كلمة *epomis* تعنى الشملة ، وهي مختلفة تماما عن عبارة *Ciëaris seu mira* والترادف أيضا يبرهن على أن كلمة *mitra* هي المرادفة لكلمة التاج *mitre* التي تستخدم في الانجليزية . أما بخصوص التاج البطريركي فلا يوجد تناخل بين مصادرها حوله ولذلك أظن أن مستر Cutts مخطئ في القول بأن بطريرك اليعاقبة السريان « لا يرتدى تاجا بل حجابا على رأسه يتم ازاحته عند قراءة الانجيل (انظر كتاب : Christians under the Crescent in Asia, p. 84) وهو يصف هذا الحجاب بأنه « مزين بصفائح وتوءات من الفضة » . ولا شك أنه يماثل البلى القبطي ، وهو الرداء المعتاد بالنسبة للبطريرك ، بينما يستخدم التاج فقط في الأعياد الكبرى . ويقع الساتج بسهولة في خطأ كبير عندما يرى البطريرك وهو يشارك في القداس بدون التاج ويفشل في أن يجد شبيها لرداء الراسي هذا . وبنفس الطريقة فإن البطريرك القبطي نادرا ما يرتدى التاج أثناء خدمة القداس . وفي جميع الزيارات التي قمت بها لمختلف الكنائس لم أر سوى نموذج واحد لاستخدام التاج ولكن لا أشك في أن التاج لا يرتديه البطريرك القبطي فقط ولكن أيضا الأساقفة .

(٢) انظر الرسوم التي على ص ١٩١ من الجزء الأول وعلى ص ١٥٦ من هذا الجزء

التالى .

البطريكى وعن رأس انسان عليه تاج مرصع بالجواهر . والتاج مكون من شريط من الفضة أو الذهب مقسم الى مساحات صغيرة فى داخل كل منها حجر كريم - وهو يشبه التاج الذى على رأس جوستينيان فى صورة الموزاييك التى بكنيسة القديس فيتال Vitalic فى رافنا Ravenna ، ونقصه من ذلك أنه اذا لم نجد سوى هذا الأثر وحده فهو دليل كاف للبرهان على استخدام التاج كرداء معروف فى وقت لم يكن فيه التاج المعدنى معروفا فى أوروبا . وبين هذا الرسم على الفريسكو والصور المرسومة على عوارض حامل الأيقونات التى تعود الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، توجد فجوة خالية من الأدلة الفنية . ولكن من هذا التاريخ فصاعدا شاعت صور البطارقة والصور المرسومة للقديس مرقس والسيد المسيح على هيئة البطريك . وقد وضع لها جميعا التاج الذهبى المعشق بالجواهر وعلى كل حال فإن شكل التاج قد تغير منذئذ ، وبدلا من التاج المنخفض ، ظهر التاج الذى على شكل شريط ضيق من المعدن يحيط بالجبين . وهناك أيضا غطاء صلب للرأس يشبه كثيرا التاج الملكى فى العصور الحديثة ، وليس هناك مثال فى الرسوم القبطية للتاج ذى الحافتين الشائع استخدامه لدى الرومان والذى يظهر فى تماثيلنا النحاسية وتصميماتنا الخاصة بالشعارات .



شكل رقم ٢٨ : تاج البطريك القبطى

وبالرغم من أن الطراز الغربى للتيجان غير معروف لدى الأساقفة.
الأقباط ، إلا أن الشكل المؤكده لتيجانهم غير ثابت على طراز محدد . والتاج
القبلى يعبر عن فكرة لباس الرأس الملكى كرمز لقوة السلطان .

ولا يختلف شكل التاج الذى يرتديه الأساقفة عن ذلك الذى يرتديه
البطريك ، ويدور الفارق الوحيد حول الاستخدام حيث يمتنع على
الأسقف أن يلبس تاجه أو يحمل عصا الرعاية خارج ايبازشيتته أو فى
حضور البطريك الذى يخضع لسلطانه .

ولذلك يجب أن نعرف أن شكل التاج البطريكى الذى أوردناه فى
الرسم قد رسمه الفنان حسب رؤيته الخاصة وليس له أى معنى رمزى.
أو طقسى . أما التاج المصنوع من الفضة والمغطى باضافات عديدة ، فقد
أرسله يوحنا ملك الأقباش الذى أصدر الأمر بصنعه - كهدية للبطريك
كيرلس ، وهو مزخرف بزخارف رائعة ويعطى انطباعاً حقيقياً يدل على
عظمته ذات الطابع القديم . وجسم التاج أسطوانى وقمته على شكل قبة ،
وينتصب فوق القبة التى تنتهى بشكل بروز مزركش - برج صغير مفتوح
يحمل صليباً تسند خمس جواهر كبيرة الحجم ، أما الجزء الأسطوانى
فينقسم الى قسمين مع ثلاثة شرائط معدنية تحمل أشكالاً بارزة وقد رصع
كل شريط منها بصف من الجواهر المختلفة الألوان التى تفصل بينها
نتوءات معدنية دقيقة الصنع . ويتدلى من كل شريط العديد من السلاسل
الصغيرة القصيرة مع دلايات معلقة فى الطرف السفلى لكل شريط ، بينما
يرتكز على الطرف العلوى لكل شريط إطار مفتوح دقيق الصنع .
أما الجوانب الرأسية للتاج فهى مقسمة بشرائط رأسية الى ثمانية أقسام
تمتلئ بتصميمات حلزونية مزركشة ومركب فيها رسوم محفورة بالحفر
البارز للعدراء والطفل يسوع أو غير ذلك من صور القديسين . أما مقدمة
التاج فهى مميزة ببرز دائرى فوق الشريط السفلى . أما القبة فهى
مزينة بعدد من الخطوط التى تستخدم للكتابة . وبمنظرة واحدة الى الرسم
نستطيع رؤية الخاصية الثلاثية التى تميز هذا التاج البطريكى ، وهذه
الخاصية التى تعتبر مجرد صدف ذات طابع محلى - تعطى انطباعاً عن
شكل تاج ملوك الحبشة (١) وهو لا يستلحق المقارنة مع التاج الثلاثى
للبابا الرومانى .

(١) يحمل التاج الذهبى للملك ثيودور الذى أسر فى مجدل نفس هذه الخاصية ويمكن

مشاهدته فى متحف ساوث كنسجتون .

ويتفق طقس الملكانيين مع طقس الكنيسة القبطية في تخصيص التاج للأساقفة كما هو بالنسبة للبطريرك ولكنهم يخالفونها في تخصيص شكل معين للتاج البطريركي يختلف عن شكل التاج الأسقفى ، ويطلق عليه أيضا اسم مختلف للتمييز بينهما ، ذلك التاج البطريركي يسمى tiara بينما يسمى التاج الأسقفى Mitra . والفارق في الشكل يتمثل في أن التاج البطريركي عال ومخروطي مثل التاج الغربى بلا أية زوائد في أعلاه . بينما التاج الأسقفى هو تاج حقيقى منخفض ودائرى أكثر منه مخروطى . ومن المستحيل تحديد متى ظهر هذا الفارق أو سبب ظهوره .

والتاج البطريركي الملكاني الوحيد الذى رأته بالقاهرة حديثا . . انه مصنوع من القطيفة القرمزية بافريز فضى أو ذهبى يبلغ عرضه حوالى بوصة ويحيط بالرأس - ويرتفع من هذا الافريز أربعة أشرطة معدنية تتلاقى عند قمة المخروط وقد أقيم صليب من الجواهر فوق نقطة التلاقى . ويحتضن كل قسم من أقسام التاج البطريركي الأربعة ميدالية من الخرف مزينة بأشكال مقدسة ومحاطة بالأحجار الكريمة . وهذا التاج البطريركي له كافة خصائص التاج الملكى فهو مصنوع من الفضة ونادرا ما يصنع من القطيفة الغالية الثمن المغطاة بأشغال الابرّة بخيوط ذهبية مزخرفة ومعشقة بالجواهر . وبالرغم من أن التاج البطريركي مصنوع من المعدن إلا أنه ليس مفتوحا ، والأرضية عبارة عن صفيحة من الفضة الخالصة أو الذهب . والتاج على شبه البرميل وليس على شكل دائرة ، بشرائط معدنية متدلية من القمة لتتقابل مع الدائرة - ونجد بكنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة مجموعة كبيرة من هذه التيجان ، وبعضها قديم ورائع الجمال وأقدم هذه التيجان نموذج عظيم مشغول من الفضة والجواهر ، والقطعة العليا منه مصنوعة من الفضة الخالصة . ويحيط بأسفله إطار آخر من أفخر أنواع الميناء الزرقاء وقد كتبت داخله بعض الكتابات المقدسة بحروف يونانية . وبلى ذلك شرط ثالث ضيق يتكّن من زخارف بارزة عن الأرضية . وقد طعنت كافة الأطراف والزوايا بالجواهر اللامعة .

وتنقسم الكرة أو الجسم الرئيسى للتاج الى أربعة أقسام متساوية بواسطة سيور رأسية تتدلى من حلية دائرية بالقرب من القمة . وهذه السيور مصنوعة من الفضة وتصل حتى الأرضية مثل الحلية الدائرية الثالثة التى تحدثنا عنها وهناك ميدالية بيضاوية من الميناء الفاخرة ترتفع قليلا فى وسط كل قسم وقد رسمت عليها صورة العذراء والسيد المسيح . ومناظر مقدسة أخرى باللوان ناعمة ولكنها زاهية وهى الأحمر والأخضر والأزرق ويحيط بكل ميدالية إطار من الجواهر الثمينة . أما الحلية الدائرية التى حول قمة التاج والثلى تتجمع فيها السيور الأربعة الرأسية

فهي مزينة بالجواهر على الحواف ، بينما يتكون الداخل من الميناء الزرقاء ويحتضن نصا من الكتاب المقدس بحروف يونانية . أما النقطة العليا فهي مغطاة بدائرة كبيرة تتجه الى أعلى في ثلاث درجات منخفضة وجميعها معشقة بالأحجار الكريمة ويبرز صليب صغير فوق القمة . وعموما فأننى أظن بالنسبة لطراز الميناء وطريقة الصنعة ، أن هذا التاج الفاخر قد يعود تاريخه الى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر ولكن ليس فى مقدور أى وصف أو أية صورة تكوين فكرة عن مدى روعته . ورأيت فى نفس الخزينة تيجانا أخرى عديدة وجميعها مصنوعة من المعادن الثمينة أو مطرزة بالجواهر ، وبعضها قديم جدا . وفى كل حالة ، يعلو التاج صليب هو من المعالم المميزة لغطاء رأس الأسقفين اليونانى والقبطى .

وهكذا يتضح لنا أنه فى كلا المذهبين الملكانى واليعقوبى للكنيسة المصرية يعود استخدام التاج الى عهد قديم ، ومن الواضح أيضا أن رواية نيل Neale عن هذا الموضوع غير وافية حيث أن كل ما يذكره لنا هو أن البطريك الاسكندرى يستخدم غطاء للرأس مثل التاج ولا يخلعه أثناء القداس (١) . أما البطريك الملكانى فإنه لا يرتدى أى نوع من أغطية الرأس ولكنه يرتدى فقط التاج البطريكى الملكانى Tiara . ويرتدى البطريك القبطى تاجا فى جميع الاحتفالات الكبرى . أما غطاء الرأس الوحيد الذى يغطى رأسه دائما فهو نوع من الطربوش المخفى داخل قلنسوة العباءة . وهناك غطاء للرأس يلبس اليوم أثناء القداس ويعود الى حقبة زمنية بعيدة ، ورد أول ذكر له بمعرفة مؤرخ قبطى من القرن الثانى عشر هو أسقف اخميم (١) الذى يورده ضمن قائمة الملابس المقدسة ويصفه بأنه « مزين بصليبان صغيرة » . وينقل رينودو هذه القطعة المهمة دون أن ينقلها (٢) ودون أى دليل حول الموضوع . ولا شك أن دنزنجر لسبب مماثل ، يرفض شهادة الأسقف القبطى ويوضح غطاء رأس الكاهن بأنه سوء فهم لكلمة epomis التى تعنى الشملة (٣) . ومثل هذا

(١) نقل رينودو نصوصا كثيرة عن هذا المؤلف الاخميمى وقد أورد لنا دنزنجر اسمه بالكامل وهو « فرج الله الاخميمى » .

(٢) Lit. Or., tom. i. P. 163. "Mentio fit Praeterea cidaris quam sacerdos imponit capiti et quae cruculis ornata est."

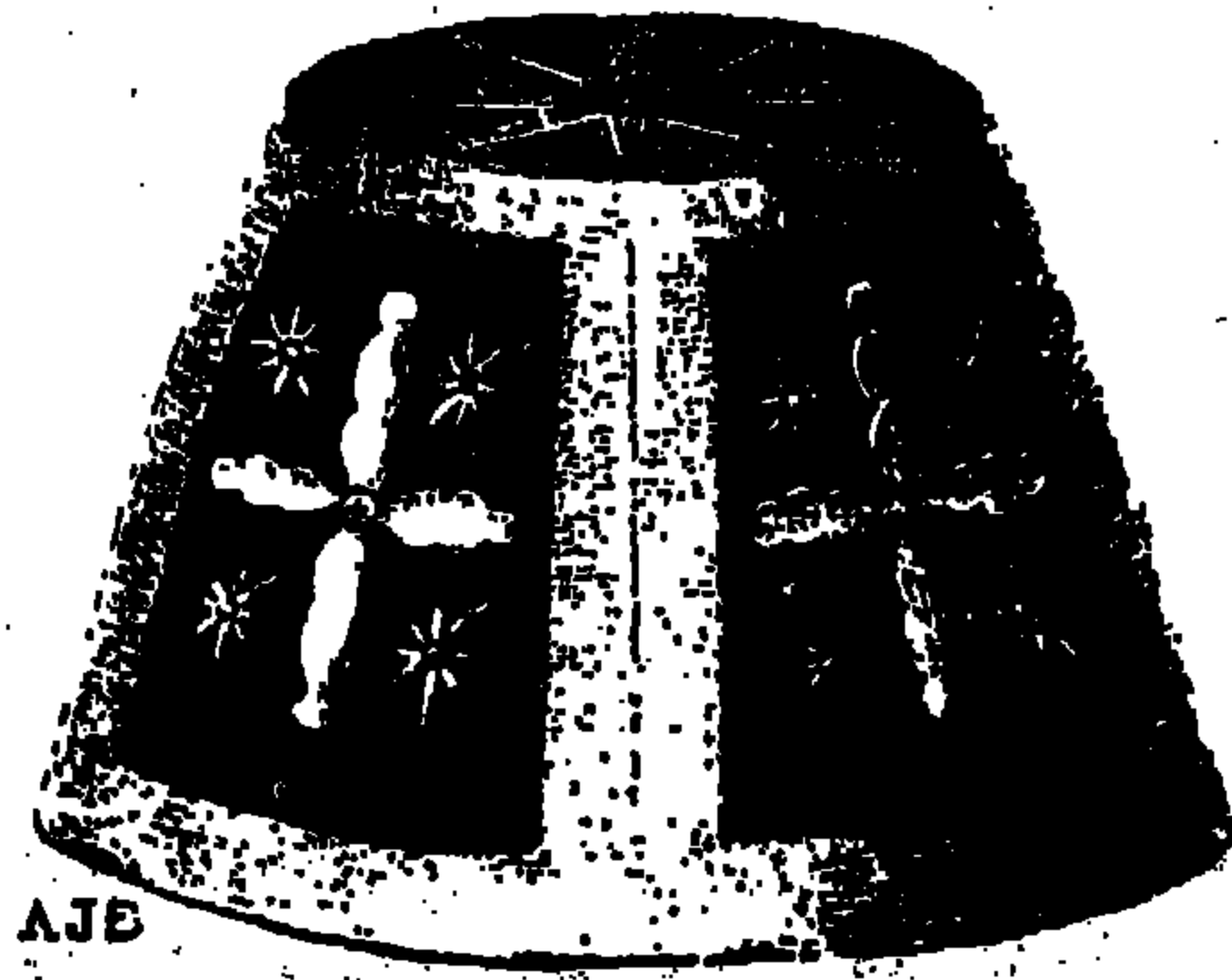
(٣) Rit. Or., tom i. p. 130. "Mentio fit etiam teste Renaudotio apud Echmimensem cidari cruculis ornatae, quam sacerdos capiti imponit, de quo (sic) tamen varia nobis dubia occurrunt, videturque nihil aliud esse nisi piloglon."

الارتباط غير محتمل لأن نفس المرجع يذكر الشملة ضمن القائمة كرداء منفصل للكهنة . وعندما نجد أن كافة المراجع لا تتكلم عن الموضوع مطلقا وعندما لا نجد ذرة من دليل، فى أى مصدر ، نرى أنه كان طبيعيا بالنسبة لدنزنجر أن يتشكك فى مثل هذه العبارة المعزولة . وعلى الرغم من هذا كان الأسقف صادقا والنقل الذى وجه اليه كان خاطئا . والدليل على ذلك واضح وان كان حديثا جدا لأنه يقفز عبر سبعة قرون من الصمت، ولكننى أظنه قويا بما فيه الكفاية ليمر كومة كهربية نحو الاقناع ، وذلك لأن غطاء الرأس الذى يتفق مع الوصف الذى أورده المؤرخ القبطى منذ سبعة قرون مضت ، يستخدم الآن فى خدمة الكنيسة ليس بين الكهنة هؤلاء الذين يغطون رؤوسهم بالشملة ولكن بمعرفة الشمامسة . وعلى سبيل المثال يوجد فى كنيسة أبى سيفين بين ملابس الخدمة ، غطاء للرأس من القطيفة القرمزية على شكل الطربوش مع تزيين الطرفين العلوى والسفلى بشريط من الفضة ، وتنقسم جوانبه الى أربعة أقسام بواسطة شرائط رأسية من الدانتلا وقد نقش داخل كل قسم صليب من الفضة الخالصة وبين فروعه صلبان أخرى صغيرة على هيئة النجوم ، وصليب آخر من الدانتلا الفضية مثبت فى القمة . ويمكن رؤية غطاء رأس مشابه له مصنوع من القطيفة القرمزية وبه أربعة أقسام بكنيسة القديس اسطفانوس فى الكاتدرائية ، ولكننا نرى فى هذا النموذج أن قسمين فقط من بين أقسامه الأربعة مرسوم بهما صلبان . أما القسمان الآخران فيتضمن كل منهما رسما لملاك السيراقيم ذى الستة أجنحة . وفى كل حالة يتمثل الانطباع السائد فى أن غطاء الرأس مزين بصلبان صغيرة تماما كما تم وصفه خلال القرن الثانى عشر .

ولست أشك مطلقا فى أن هذا الرداء كان غطاء رأس لأحد الكهنة - تماما مثلما هو موجود فى التراث الانجليزى القديم بالرغم من أن آثاره ليست شائعة فى الآثار الانجليزية (١) ومع انتشار استخدام الشملة أكثر فأكثر أصبح غطاء الرأس هذا مخصصا للشمامسة ، مثلما يبدو لنا من أن عادة ارتداء الكهنة للبطرشيل أصبحت الآن قاصرة على مساعدى الشمامسة . ومن المحتمل حقا أن يكون غطاء رأس الكاهن نفسه مشتقا من التاج الأسقفى القديم ، كما تتضح لنا حقيقة أخرى وهى أن الكهنة كانوا خلال القرن الثانى عشر يرتدون « غطاء الرأس » هذا وكان مزينا

(١) يوجد اثر من النحاس فى كنيسة هاكتى يعود تاريخه الى سنة ١٥٢١ للميلاد . (مرسوم فى كتاب وولر عن الآثار النحاسية) يظهر فيه كاهن يرتدى غطاء رأس منخفضا ولكنه بقدر حجم الرأس (طاقيه) وله طرف بارز فى أعلاه .

ببصليان صغيرة • ومن الواضح أنه يتميز بالفخامة مما يجعله يشكل في ذاته حوارا حول التاج القبطي الموهل في القدم •



شكل رقم ٢٩ : غطاء رأس الكاهن

ويجدر بنا الانشغال لحظة بالفاصل الزمني الغريب في تاريخ غطاء الرأس الذي يستخدمه الكهنة Cidaris تصويرا لما يمكن أن يسمى : دلائل عرضية حول المسائل الطقسية - وسنجد أن نص فرج الله يقف منغزلا • وكما يظن دنزنجر ، فإنه لا يمكن مقاومة الإغراء بتجاهله • ويبدو أنه من الأسلم مناقشة احتمال أنه لو كان مثل هذا الرداء موجودا لكان قد لاحظته المؤرخون الآخرون - ومن الجهة الأخرى فإنه لو كان غطاء الرأس هذا كأحد مستلزمات العبادة - ضروريا مع أن الصور والكتب القديمة لم تتحدث عنه - فلا بد أن ينتهي النقد بعرض سبب واضح للتدليل على أن غطاء الرأس هذا مجرد استخدام حديث لا يستند إلى أي مصدر • وعلى ذلك ففي كلتا الحالتين مهما كان المنطق خاطئا - يكون الاستنتاج خاطئا • وعلى ذلك فإن التلازم العرضي للحقيقتين اللتين يفصل بينهما سبعة قرون هو الذي يثبت الحقيقة التي يبدو أن الفصل بين شقيها يقود إلى انكارها •

ويتبقى لنا أن نتلمس برفق موضوع استخدام التاج في الكنائس الأخرى بالشرق والغرب • لقد تحدثت عن معرفة السريان للتاج بشهادة رينودو ومورينوس Morinus • وبالرغم من أن دنزنجر يساند جاك دي فيتري Jacques de Vitry وأسييمان Asseman ضد رينودو إلا أنه كمأدته ، غير متأكد بل أنه يناقض نفسه أيضا • ويعجز تفسيره

عن زعزعة المصدر الصلب الذي كتبه المؤرخ الطقسي الفرنسي العظيم (١) أو حتى اذا لم يوجد دليل كاف يبرهن على استخدام أساقفة السريان للتاج بشكل قاطع ، فلا جدال في أن التاج tiara كان يرتديه البطريرك اليعقوبي والبطريرك الماروني . وتمهده هذه الحقيقة للافتراض بأن امتياز ارتداء التاج قد أعطى للأساقفة أيضا ، وهو افتراض يؤكد معنى لفظ toga السرياني كما أورده رينودو بوصفه يتفق مع لفظ « تاج » العربي وهو يطلق على تاج الأسقف في اللغتين السريانية والعربية .

ويعتبر التاج ضمن ملابس الأسقف لدى الموارنة ويوضع على رأسه عند التنصيب حسب ما ورد في المدونات القديمة . أما بخصوص الطقوس النسطورية فهناك بعض التداخل الذي يظهر بسبب صعوبة تفسير الاصطلاحات المستخدمة في الكتابات البابوية . ويقول دنزنجر Denzinger صراحة :

'Mitrās non gerunt nisi chaldaei Romanae ecclesiae uniti (2).

الا أنه بسبب الارتباط الوثيق بين biruna وبين الكهنة في النصوص المدونة ، فمن الصعب الشك في أن biruna تعني نوعا من غطاء الرأس يشبه التاج - أكثر من أن تكون شملة كما يزعم دنزنجر ، وعلى ذلك فإننا نقرأ ما يلي :

(١) يكتب دنزنجر باختصار (Rit. Or. tom. i. pp. 131-2) ويذكر رينودو "Thogo, corona sivemitra." ضمن أردية الأسقف . وحسب ما ذكره أسيمان فان "mitras non deferunt syri Jacobitae" فيما عدا الكاثوليك . ويتحدث رينودو عن "mitram sive cidarim" المشكوك فيه . ونشك كذلك فيما ذكره مورينوس عن أن Maznaphtho أو الشملة السريانية هي المقصودة بكلمة Cidarim . ويذكر جاك دي فيتري أن الأساقفة السريان بخلاف المارونيين لا يستخدمون التاج . وعلى ذلك مباشرة قائمة الملابس البطريركية للبطريرك السرياني التي أوردها كما يلي :

"apud syros maronitas et Jacobitas patriarcha insignitur Masnaphtha (sic) seu amictu simili Birunae Nestorianorum. Phaina seu phainolo orario seu epitrachello pontificio ad in tar omophorii seu pallii Graecorum, tiara seu mitra, et baculo pastoralis."

ويوضح في نفس الصفحة أن Biruna توصف بأنها "Cidarim phrygio opere ornata instar amictus" وأن Maznaphtho هي "amictus phrygio opere ornatus" ومن الراضع أن دنزنجر لا يجادل في مهاجمة نص رينودو Renaudot وأنه عندما يتهم مورينوس Morinus بأنه أطلع به Cidarim and amictus فإنه يحتفظ بالحق في نشر نفس الارتباك كصفة من صفاته الخاصة به .

Rit. Or., tom. i. p. 132.

(٢)

“episcopi ... ordinati birunis et baculis”. : “induit birunam et tradit Virgam in manum eius dexteram » : « ornati birunis induti et baculos tenentes » : « Patres vero ornantur maaphris. birunis, baculis” : “Princeps metropolitaram induit eum biruna, et tradit illi baculum.”(1)

ولا تستطيع هذه الفقرات بالطبع ، أن تبرهن على استخدام ما نسميه التاج mitra ولكنها تبرهن على استخدام نوع من غطاء الرأس الذي يشبه التاج . أما بين الأرمن فيقال ان التاج قد استخدم لأول مرة في القرن الحادى عشر . ومهما كان الأمر فان أساقفتهم حالياً يلبسون التاج والخاتم معا (٢) وهما من حيث هذا الاستخدام الأخير موجودان لدى كافة الكنائس الشرقية . أما الأربطة التي كانت متصلة بالتاج قديماً ، فهي منفصلة الآن وقد حلت محلها شرائط من الدانتلا مربوطة بكتفى العباءة (٣) . ولا يوجد فى أى كنيسة شرقية ما يماثل أربطة التاج الغربى لأن غطاء الرأس فى الشرق عبارة عن تاج فعلى وان تفرد الأرمن باستخدام غطاء الرأس ميتر mitre بالشكل المعروف فى الغرب مع الخاتم الأسقفى يؤيد الرواية القائلة بأن هذا التاج كان فى البداية هدية من روما . وعلى أية حال فان الأرمن يتفقون مع القبط فى استخدام غطاء رأس الكاهن الذى يطلقون عليه اسم ساجفارد “Sagavard” ومعظم الأساقفة والكهنة يخلعون غطاء الرأس ابتداء من تسبحة الشاروبيم حتى نهاية القداس . أما فيما يختص بالكنيسة اليونانية فيذكر نيل Neale أن التاج غير معروف هناك بينما يرتدى الأساقفة نوعاً من القبعات الصغيرة المصنوعة من القماش والتي تشد بشريط تحت الذقن وتسمى “bonnet” وقد نقل صورتها عن رسم مطبوع من حفر على الخشب ولكنه لا يصف هذا الرسم أو يذكر اسمه . وفيما عدا غياب الصليب الذى على القمة ، فان هذه القبعة تشبه تاج كنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية الا أنها مصنوعة من مادة لينة وليست من المعدن . ويؤكد هذا روك Rock (٤) الذى يسمى غطاء الرأس اليونانى « قبعة مستديرة » ويذكر أنه معروف بالاسم (tiara) تيارا .

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. pp. 238, 244, 245, 249, 250, 255.

(٢) Id. ib. tom. i. p. 133.

(٣) Fortescue, Armenian Church, p. 134.

ويمكن تخمين السبب فى هذا التفسير ، بمتابعة ملاحظات نيل فى كتابه :

Gen. introd., Vol. i. p. 313.

(٤) Church of our Fathers, vol. ii. p. 62.

واذا تحولنا بأنظارنا الآن نحو الغرب فأننا سنجد ما يشبه النموذج القبطى فى العصور والأقطار البعيدة ، فقد ارتدى الأساقفة السلتيون التاج بدلا من غطاء الرأس الذى على شكل التاج ميترا mitra (١) وياله من تغيير عالمى ذلك الذى يرتبط بتغيير حرفين من اللغة القبطية الى السلتيّة! وقد ورد أن سانت سامبسون St. Sampson فى قصة حياته التى تعود الى القرن السادس ، وقد رأى فى حلم « ثلاثة أساقفة بارزين يرتدون تيجانا ذهبية » ويورد مستر وارين Warren صورة « أسقف أيرلندى يلبس تاجا - محفورة على حائط أحد الآثار العظيمة وهو جزء من كنيسة مهجورة فى وادى جلندالو Glendalough وهو يؤيد رأى القائل بأن التاج كان مستخدما فى الكنيسة الأنجلوساكسونية حتى القرن العاشر . وقد ورد فى تمجيد سانت اثلولد St. Ethelwold أن أحد رجال الاكليروس ظهر لابسا تاجا ذهبيا مرصعا بالجواهر . ويقول روك Rock (٢) أيضا إن الأساقفة الأوائل كانوا يرتدون تيجانا ذهبية مرصعة بالجواهر ويضيف أن منديلا أو غطاء رأس من الكتان كان يحمله الأساقفة الأنجلو ساكسون وكان مربوطا بشريط يتدلى طرفاه الى الخلف . أما صورة سانت دونستان St. Dunstan فى المخطوط القطنى (٣). المرسوم فى القرن الحادى عشر ، فيظهر فيها مرتديا غطاء رأس مستديرا بشريطين متدليين فى الخلف . ونرى التاج البابوى فى رسم بالفريسكو يعود الى القرن الحادى عشر على شكل غطاء رأس مرتفع مخروطى الشكل (٤) . ويوجد رسم بالميناء من القرن الثانى عشر فى متحف اللوفر Louvre نرى فيه ملكيصادق يقف أمام المذبح ويقدم الكأس والقربان الى ابراهيم ، وهو يرتدى تونية وقميصا وبذلة للقداس وقد وضع تاجا فوق رأسه . ولا شك فى أن التاج هنا مجرد رمز للعظمة الملكية أكثر من العظمة الكهنوتية . وهناك شكل محفور على بوابة كنيسة سانت دنيس St. Denys يعود الى نفس الحقبة التاريخية يظهر فيه تاج منخفض ولكنه منفصل (٥) . وقد وردت نصوص عن القرون التى بدأ ظهورها حوالى هذه الفترة . وفى رسم معاصر بالموزايك بكنيسة سانت مارك St. Marc فى البندقية نرى صورة تاج

(١) See : Mr. Warren's Liturgy and Ritual of the Celtic Church, p. 119.

وأيضا الملاحظات المهمة حول هذا الموضوع والصفحة التالية التى اقتبست منها

(٢) Church of our Father., vol. ii. p. 91.

(٣) Westwood, Facsimiles, pl. 50.

(٤) La Messe, vol. i. pl. xli.

(٥) Id. ib., Pl. xlii, xiv.

يتفق مع هذا النموذج . وابتداء من القرن الثاني عشر فصاعدا زادت مشاهداتنا للتاج في الصور والتماثيل (١) وكافة أنواع الآثار . أما الظهور التدريجي للشكل الشائع الآن فمن السهل متابعته . ومنذئذ صار التاج معروفا كأحد الأروية الكنسية في الغرب بشكل رسمي ، وصار مخصصا للأسقف الذي يرتديه أثناء الخدمة ولا يرفعه الا وقت أداء القداس . وعلى الرغم من هذا فان استخدامه لم يقتصر على الكنيسة فقط بل صار يلبس خارج حدود الكنيسة أثناء المناسبات الاحتفالية .

العكاز أو عصا الرعاية (٢) بي شبوت

يحمل البطريرك القبطي وكافة أساقفته عصا الرعاية ، ولكن نفس القاعدة التي تحكم لبس الأساقفة للتاج تحد أيضا من استخدامهم للعصا : ذلك أن الأسقف وهو في حدود ايبارشيتته فقط يحمل العصا بشرط عدم وجود البطريرك في الايبارشية ، ويسمى الأقباط العصا « رمز الرئاسة والسلطة » . أما في الغرب فيقد كان رمز السلطة دائما مثارا للجدل ، وأما بين الأقباط فان كلا من الاصطلاح الذي يطلق على العكاز والقيد المفروض على استخدامه ، يتفقان معا في تحديد الشعار بأنه العصا . ويبدو أنه ليست هناك فكرة عن الرعاية ترتبط بالسلطة ، والحقيقة هي أن العكاز الذي يحمله الأسقف القبطي يمثل صولجانا ملكيا مثلما يمثل غطاء رأسه تاجا ملكيا .

وعلى ذلك فان العكاز الأسقفى ليس بالشكل المعقوف الشائع في كافة الآثار الغربية . ويفهم شكله سريعا من العبارات التي تدل على نوعية

(١) أقدم نقش أثري معروف هو ذلك الذي يمثل رئيس الأساقفة ايزويلب Ysowilpe في كنيسة سانت أندرو St. Andrew بمدينة فردن Verden بالقرب من بريمن Bremen والذي تنبج (توفي) سنة ١٢٣١ للميلاد - ويرتدى تاجا عريضا ولكن له قمتان بارزتان . ويأتى بعد ذلك التاريخ تمثال الأسقف أوتو Otto الذي من هلدشايم Hildesheim (سنة ١٢٧١ للميلاد) ونرى فيه التاج مرتفعا قليلا ولكن القمتين متباعدتان . وبعد ذلك بحوالى قرن نجد القمتين تتجهان نحو الداخل وتلتقيان تقريبا كما هو الحال الآن .

(٢) الكلمة القبطية الدالة على العكاز بي شبوت كلمة أجنبية ولكنها أقرب الى العبرية منها الى اليونانية فهي تشبه (شبط) العبرية .

العصا اليونانية وليست العصا اللاتينية (١) أى أن الجزء العلوى ينتهى على هيئة صليب بشكل حرف *T* بفرعين قصيرين على استقامة واحدة بدلا من الاستدارة على شكل التواء حلزوني . أما فى العكاز القبطى فان كلا من هذين الفرعين يتخذ تقريبا شكل عنق الأفعى برأس منحن ، وفى الوسط بين الرأسين بروز يعلوه صليب . وهناك راية مماثلة لتلك المستخدمة لدى الغرب والتي تسمى فى اللاتينية *Pannicellus* مربوطة بالعصا بالقرب من طرفها العلوى فى المكان الطبيعى للامساك بها . وهذه الراية مصنوعة من الحرير وغالبا ما تكون خضراء اللون .

لقد قلنا ما فيه الكفاية الآن لبيان نقاط الاختلاف بين العكازين اليونانى والمصرى وخصائص الأخير . أولا : اذا كان ما أورده نيل *Neale* محل ثقة (٢) فان العصا اليونانية « تستخدم للارتكاز عليها أثناء السير ولا تعلو عن مستوى اليد . وبالرغم من أن كيرزون *Curzon* لم يكتب بوضوح فى هذه النقطة (٣) إلا أنه يبدو كذلك يتحدث عن قصر عكاز البطريرك . ويقدم كل من المؤلفين رسما يبين العكاز باتريسا أو باترتسا *Pateressa* *Patritza* كما يدعوانه ولكن لسوء الحظ ، بدون مقياس للرسم . وعلى أية حال فان رسم نيل *Neale* مأخوذ عن الصورة التى أوردها جور *Goar* (٤) للبطريرك بيكوس *Bekkos* فى ملابس الخروج . ونجد أن العكاز هنا لا يزيد ارتفاعه عن ٣ أقدام و ٦ بوصات وتشير كلمات جور فى موضع آخر (٥) الى نفس النتيجة .

“*Pastorali autem virgae pontifex innititur progrediens : eius summa pars juxta manum transverso lingno sive eboreis serpentibus in sese capitibus mutuo retortis, انكورون ريكين*
est ornata. »

(١) يقتصر استخدام هذه الكلمة أحيانا بصورة خاطئة - على الدلالة على الصليب الاسقفى بالمقارنة مع العصا الاسقفية فى الغرب ولن أتردد فى استخدام هذا الاصطلاح بالمفهوم الواسع للكلمة - انظر :

Smith's Dict. Christ. Antiq. s.v. Pastoral staff :

Eastern Church : Gen. Introd., vol. i. p. 314. (٢)

Monasteries of the Levant, p. 299. (٣)

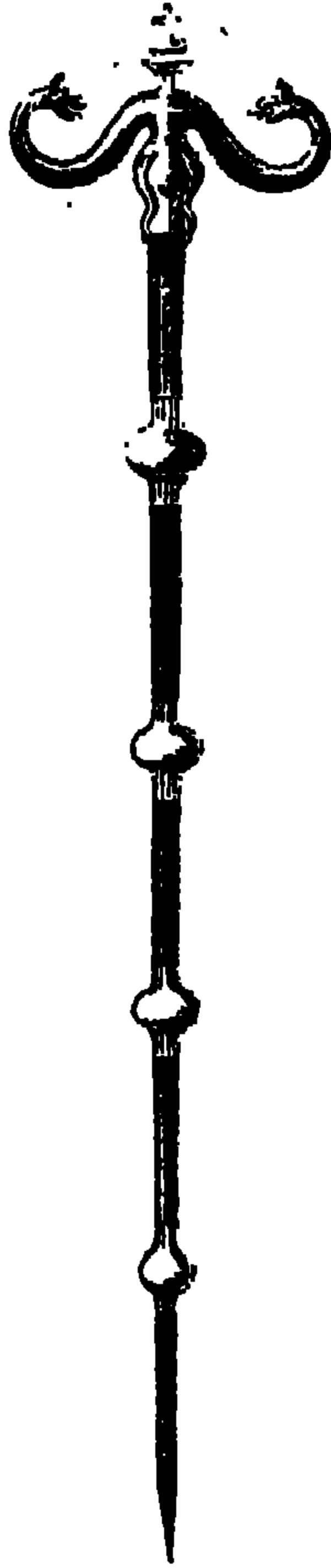
Euchol., p. 115. (٤)

Id., ib. p. 314. (٥)

ويذكر مرة أخرى (١) أن Pateressa والتي تسمى Paterna "sollicitudine أو dikanikion وتعني شعار السلطة ، التي يحملها الأساقفة ورؤساء الأديرة - أقصر من العكاز اللاتيني وليست مزخرفة بالمعادن أو الجواهر الثمينة وتستخدم في السير . وهذه كلها تختلف عن العكاز القبطي الذي يصل ارتفاعه عادة الى ٥ أقدام و٦ بوصات ، ولا يستخدم الا أثناء الاحتفالات الكنسية . وعندما يخرج البطريك - فان الاحترام الذي يلتزم به الشرقيون يحتم أن يصحبه أثناء السير خادم يحمل عصا طويلة غير مزخرفة لها رأس فضية ، ولا يحمل البطريك عكازه . وهناك اختلاف آخر هو أنه بينما يتفق الشكل القبطي مع الشكل اليوناني في رسم رأس الأفعين يبدو أن الصليب الصغير الذي بين الرأسين يميز العكاز القبطي وحده . وهناك نقطة ثالثة من نقاط الاختلاف تتمثل في الراية التي لا أجد لها ذكرا في الروايات الخاصة بالعكاز اليوناني . Pateressa .

ومن المثير أن نجد لدى الفرع الثاني لكنيسة مصر أي اليونانيين الارثوذكس أو الملكانيين ، أن العكاز الأسقفى يشبه تماما عكاز الأسقف القبطي لأن به الصليب والراية وارتفاعه من ٥ الى ست أقدام . أما نماذج العكاز اليعقوبى فهي نادرة لدرجة أنني لم أجد نموذجا واحدا قديما ، بينما استطاع الملكانيون لحسن الحظ أو العناية الفائقة أن يحتفظوا بالعديد من العكاكيز الجميلة التي تعود الى العصور القديمة والموجودة حاليا بكنيسة القديس نيقولاوس St Nicholas بالقاهرة وهذه العكاكيز طرفها السفلى مدبب في كل حالة ، بينما ينقسم جسم العكاز الى خمسة أجزاء بواسطة أربعة نتوءات على مسافات متساوية . وقد زينت هذه النتوءات مع رأسى الأفعين بالجواهر . وشاهدت عكازا من العاج القديم به نتوءات فضية مطعمة بالجواهر . كما شاهدت عكازا آخر من العاج ، أخضر اللون وبه نتوءات فضية مطعمة بالجواهر . كما شاهدت أيضا عكاكين أو ثلاثة من الأبنوس بها نتوءات فضية وأفاع فضية ، وعكازا آخر من العاج الخالص به نقوش رائعة و نتوءات من العاج أيضا . أما الصليب الذى فى أعلاه فيتركز على تاج صغير به زخارف بارزة . وكقاعدة عامة نجد أن المسافات التي بين النتوءات سداسية الأضلاع وليست دائرية .

وبالرغم من وصفى لهذه النماذج بأنها قديمة الا أن أيا منها لا يعود تاريخه الى أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون لأنها تنتمى الى العصور الوسطى من حيث الخواص ، وتتشابه مع العكاكيز المرسومة فى الرسوم القبطية



شكل رقم ٣٠ : العكاز القبطى

التي تعود الى العصور الوسطى (١) . ويوجد كذلك فى كنيسة القديس اسطفانوس الملحقة بالكاتدرائية بالقاهرة رسم للقديس مرقس الرسول يرتدى ملابس بطريرك الاسكندرية ويمسك فى يده اليسرى عكازا من هذا النوع . وبالرغم من عدم بقاء أى نموذج قديم للعكاز الى يومنا هذا ،

(١) أحيانا يرسم العكاز القبطى وبه حلقتان حلزونيتان أى بدون حبات ، كما هو الحال فى كنيسة مارمينا . أما فوق الختم البطريركى فنجد أن العكاز عليه حلقة حلزونية بها رأس الفعى واحدة وهذا التصميم غير معروف فى أى مكان آخر .

الا أننى لا أشك فى أن التصميم يعود الى أوائل العصر المسيحى • وقد
أوردنا منذ قليل اقتراحا (١) بأن عكاز الكاهن فى الغرب يعود الى أصله
ليس الى عصا الرعاية أو الصولجان الملكى ، بل الى ما يسمى Lituus
أو قضيب العراف angur's wand الذى كان معروفا فى العصور القديمة •
وأرى كذلك أن أصل العكاز الشرقى ربما يعود الى قضيب المرسل
سكيترون رابدوس الخاص بالاله هيرميس أو Caduceus الخاص بالاله
ميركورى اللاتينى (*) • ويعود ذلك الى شبه التشابه بينه وبين القضيب
المذكور • لأننا نجد فى الآثار الفنية سواء القديم منها أو الحديث أن قضيب
هيرميس Hermes تلتف حوله حيتان يواجه رأسهما المرتفعتان بعضهما
البعض (٢) ، وهذا الاتفاق فى التصميم يظهر بوضوح هنا ، عنه فى حالة
ما يسمى Lituus ليتووس حيث تعتمد المقارنة على حقيقة أن ليتووس
Lituus كانت معقوفة • وعلاوة على ذلك فالمقارنة مع الحالة الأولى ضعيفة
لأن العراف augur كان يجبر على حمل عصاه باليد اليمنى ، أما الحالة

Dict. Christ. Antiq. s.v. Pastoral Staff.

(١)

(*) ميركورى Mercury هو رسول الالهة عند الرومان ويقابله هيرميس رسول
الالهة عند اليونان (المترجم) •

(٢) See : Adam's Roman Antiquities, 10th edit. London, 1839, p. 220, pl. II., and Smith's classical Dictionary, Pl. opposite, p. 336.

ويخطئ الدكتور سميث Smith فيما ذكره عن نسبة ظهور الحيات الى الاعمال
الفنية المتأخرة واليك كلماته بالنص :

« وفى الاعمال الفنية المبكرة نجد أن الأشرطة البيضاء التى كانت تحيط بعصا
المرسل قد تحولت الى حيتين (ص ٢١٢) • والآن فأننا نرى فى نفس هذه الاعمال الفنية
المبكرة أن العصا تظهر على شكل حية ملتفة بهيئة الرقم 8 ربما قصد بذلك أن يقوم
هذا الشكل مقام الحيتين ولكنه لا يعنى الأشرطة • وهذا الشكل على سبيل المثال يظهر
كثيرا على قطع العملة التى تعود الى القرن السادس الميلادى • كما ظهر كذلك على
فازة من الطراز الشفاف حوالى ٥٥٠ للميلاد • وأقدم نموذج للعصا ذات الأفعى هو
ما نراه على فازة فرنسوا François التى لا يتجاوز تاريخها عام ٥٠٠
للميلاد • (انظر : Monumenti inediti, iv. liv.) وفى هذه الصورة يحمل الاله
ايريس Iris العصا بينما يحمل هيرميس عصا من نفس التصميم ولكنها لا تنتهى
برؤوس أفاع • ويوجد بالمتحف البريطانى الآن عصا من البرونز طولها حوالى قدمين
مرسوم عليها الحيتان بوضوح • أما بالنسبة للحروف اليونانية التى عليها فلا بد وأن
يعود تاريخها الى سنة ٤٥٠ للميلاد • وأنا أدين بالمعلومات السابقة الى مستر سيسل
سميث Cecil Smith من رجال المتحف البريطانى • ومن الواضح تماما أن العصا
التي بها رأس الأفعى شائعة منذ فترة طويلة قبل انشاء مدينة الاسكندرية ولا أشك فى
أن ورودها فى العبادات السرية لهذه المدينة العظيمة - يحكى عنه فى تراث الاقباط.
الارثوذكس حتى اليوم •

الثانية فتستند الى حقيقة أن هيرميس يرسم دائما وهو يحمل عصاه بيده اليسرى . أما معنى الرمز الذي تشير اليه الحيتان الملحقتان بعصا المرسل بين اليونانيين ، فهو غير مؤكد ، ولكن من الواضح أن تلك العصا كان يحملها المرسلون والسفراء رمزا لمناصبهم ورمزا للسلام (١) .

وربما كانت وظيفة هذه العصا هي وحدها السبب في استخدامها لدى كنيسة الاسكندرية رمزا لسلطة الأسقف ورمزا للسلام فهي على الأقل أكثر مناسبة للمرسلين الذين يحملون رسالة الانجيل .

وهناك تفسير آخر يربط العكاز الشرقي بفكرة الخية النحاسية التي رُفعها موسى في البرية . ويندو لي ذلك أقل احتمالاً وأقل مناسبة .

(١) انظر : Smith, Dict. of Greek and Roman Antiquities, p. 218.

والفصل المختص من :

Millin's Peintures des vases Antiques حيث نرى أن طول كيريكيون يبلغ ٤ اقدام بالاعتماد على مقياس الرسم الموضح بالصورة . أما المقارنة بين هذا الطول وبين قصر Lituus فهي تشكل نقطة أخرى تميز فيها المقارنة التي أجريتها بالميزة الأخرى . ويقول هايجينوس Hyginus أن الحيتين كانتا تعتبران شعارا للسلام لأن الإله ميركوري Mercury كان قد وجد في إحدى المرات حيتين تتنازعان لفصل بينهما بعضا . وينقل ماكروبيوس Macrobius هذا الرمز عن مصر . (Saturn. I. xix) فيقول :

"In mercurio solem coli etiam ex caduceo claret, quod Aegyptii in specie draconum maris et feminae figurarunt."

يشير بوضوح الى قرص الشمس المجنح وعلى جانبيه الحيتان . ويذكر بريغر ذلك في ملحوظة : Schol. on Thuc. i. 53.

ولم يستخدم رسل الرومان هذه العصا ، ولذلك فإن بليني Pliny يذكر ما يلي : "Hic complexus angulum et efferatorum concordia causa videtur esse quare exterae gentes caduceum in pacis argumentis circumadata effigie angulum fecerint. Neque enim cristatos esse in caduceo mos est." (Nat. Hist. xxix. 12 fin.)

وبالطبع فإنه من المستحيل أن تكون كلمة كيريكيون اليونانية مشتقة من مصر ، وأن تكون اثرا من آثار بعض العبادات الوثنية المبكرة أن الصليب الذي على شكل حرف T والذي يبدو أنه كان مستخدما في مصر منذ زمن بعيد - قد يكون له صلة بالافعى في رموز إحدى العبادات السرية المبكرة لدى المصريين . ولا شك أن الصليب الذي على شكل حرف T في شكله المصري كان مقبولا لدى المسيحيين المصريين الأوائل بوصفه رمزا .

إلا أنه من الانصاف أن نتذكر أن رمز الحية النحاسية في الغرب له مكانة شرفية في الاحتفالات الكنسية ، فنجد على سبيل المثال ضمن الطقس الانجلو ساكسوني وكان موجودا أيضا في انجلترا حتى القرن السادس عشر ، لأنه بعد انتهاء الترانيم في أيام خميس العهد والجمعة العظيمة وعشية عيد القيامة ، كان يسير موكب احتفالي الى باب الكنيسة حاملا عصا تنتهي في طرفها العلوى بالأفعى . وقد وضع في فم الأفعى شمعة مضاءة كانت تشعل منها بقية الشموع (١) .

ويبدو أن هناك احتفالا مماثلا المذكورا في مدونات قداس المسيحيين من المغاربة أثناء الاحتلال الاسباني . كما أن العصا ذات الأفعى كانت مستخدمة في روان Rouen منذ القرن الثامن عشر . ويجدر بنا التساؤل عما اذا كان الشمعدان الذي على شكل الأفعى الموجود بكنيسة مارمينا والذي قدمت رسما له في الجزء الأول من هذا الكتاب (٢) قد استخدم أصلا لنفس هذا الاحتفال الذي يجرى عشية عيد القيامة . ولكن لا يوجد دليل مقنع حول هذه النقطة . ولا شك أن المقارنة السريعة التي عملها مخلصنا بين رفعه على الصليب وبين رفع الحية النحاسية - كافية لصياغة هذا الرمز بما له من تأثير ملحوظ . وعلى ذلك يقول القديس أمبروز Ambrose بوضوح : « أن الحية النحاسية تمثل الصليب وعليها رمز جسد السيد المسيح » وكذلك يوافق ترتوليان Tertullian على صحة هذا الرمز . أما بخصوص وجود ومناسبة هذا الرمز في حد ذاته فأننا لا نرى أنه يناسب منصب الأسقف حيث يبدو كما لو كان الأسقف ينتحل لنفسه مثل هذا الرمز المقدس .

ويتبقى لنا تفسير ثالث يختص بالعكاز القبطي وهو تفسير ممكن ولكنه غير محتمل ، وينطوي على الفكرة الضمنية التي تلور حول انتصار الصليب على الحية بمعنى انتصار السيد المسيح على قوة الشيطان . وهذا يحتم أن تكون الحية الثانية قد أضيفت للملأمة ، ويحتم أيضا الاختلاف الكامل بين كل من الرمزين القبطي واليوناني ، فالعكاز اليوناني لا يحمل

Lit and Rit. of the Celtic Church, p. 53.

(١) .

أما التعبير المستخدم في الملاحظة (الحية التي علقت على العصا "hastam cuni imagine serpenti") فيبدو أنه يشير الى الحية النحاسية . وقد اقتبست الكثير من هذه الصفحة التي أوردها وارن في كتابه .

Vol. 1. p. 50.

(٢)

صليباً ، ومن غير المحتمل وجود مثل هذا الاختلاف . وعموما نرى من الانصاف افتراض أن العكاز الأسقفى الشرقى قد انحدر فى تتابع متصل — عن عصا المرسل التى كانت شائعة فى هلاس Hellas أثناء العصور الوثنية . وعلى ذلك فلا توجد ضرورة لمتابعة تطوره من العكاز العادى الذى كان يستخدم للمشى ، لأن مثل هذا الافتراض يسقط من حسابه الحيتين ، كما تضعفه حقيقة أن عكاز المشى الذى كان على شكل حرف T مازال موجودا جنبا الى جنب عصا الرعاية حتى اليوم ، كمظهر عادى ضمن مظاهر العبادة فى كل كنيسة قبطية ، ولم يقتصر استخدامه على كبار السن والمرضى من رجال الاكليروس — كما كان الحال فى انجلترا — حسب ما أعلنه روك Rock (١) ولكن طول مدة القداسات القبطية مع غياب المقاعد يوجه عام ، يجعله يلقي الترحيب حتى من الشباب والأصحاء . وبعد تخصيص العكاز لمنصب الأسقف أصبح غير مستخدم لدى المؤمنين من الشعب .

ومن الغريب أن المدونات القبطية المعروفة تصمت حيال موضوع العكاز . ولا شك أن السبب فى ذلك يعود الى أنه عندما يبدأ التكريس ويجلس الأسقف أو البطريرك على عرشه ، يصير لزاما عليه أن يمسك فى يده الانجيل وليس العكاز . وكذلك فإن حمل الكتاب المقدس أكثر شيوعا فى الرسوم القبطية عن حمل العكاز . ولكننا نعرف من فانسليب Vansleb أن العكاز يمثل أحد مستلزمات ارتداء الأسقف ملابس الكهنوت . ويذكر فانسليب أنه بعد انتهاء احتفال التنصيب يذهب الأسقف الى مقر البطريرك وهناك يتسلم « صليباً صغيراً من البرونز وعكازاً على شكل حرف T » ويذكر نفس المؤرخ أنه عندما يستكمل البطريرك ارتداء ملابسه الكهنوتية يأخذ من فوق المذبح « صليباً حديدياً كبيراً يقوم لدى الأقباط مقام عصا الرعاية » . ويصدق القول بأن صور مثل هذا الصليب تظهر فى احتفالات التنصيب ، ولكننا نشك فى أن عكاز البطريرك يختلف عن عكاز الأسقف بالطريقة التى زعمها . ويرسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل أحيانا وهو يحمل صليب أورشليم البطريركى الذى به ثلاثة أذرع أفقية ونجد فى الرسوم التى تعود الى القرن الثامن والمرسومة على الألواح

Church of our Fathers, vol. ii. p. 184. note 22.

(١)

ويقول روك أن استخدام عكاز المشى استمر حتى منتصف القرن الثانى عشر ، مع

ملاحظة أن كافة مراجعه فرنسية .

بكنيسة أبى سرجة - أن كلا من الفرسان الثلاثة وهم القديس مارجرجس والقديس مرقوريوس والقديس ديمتريوس - يحمل عكازا طويلا ينتهى فى أعلاه بصليب يماثل تماما ذلك الذى يحمله القديس مارجرجس كما هو مرسوم فى معجم اللغة الهيروغليفية (١) ولكن ربما كان العكاز هنا رمحا به زخرفة خيالية • ولا يكفى مثل هذا الدليل لتفنيد معنى العادة الموجودة حاليا • ولو صحت كلمات فانسليب فستكون معظم الرسوم القديمة التى تمثل عصا البطريك التى بها تصميم الأفعى - دليلا مؤكدا على انكار الشكل الشائع للعكاز •

أما فيما يتعلق بالكنائس الشرقية الأخرى فيستخدم العكاز ضمن احتفالات تقليد المنصب الكهنوتى عند السريان اليعاقبة حيث يسلم الى الأسقف أثناء خدمة القداس مع هذه العبارة : « أرسل لك الرب قضيب قوة من صهيون » • وبعد تنصيب البطريك يمسك كل من الأساقفة الموجودين العكاز بيده اليمنى ، جميعهم فى وقت واحد ، ثم يرفع أقدم الأساقفة يد البطريك فوق أيدي الجميع ويجعلها فى أعلى العكاز ، ويجرى هذا حسب التقليد ••• (٢) أما بين الموارنة فيسمح للكهنة (٣) باستخدامه مثل الأساقفة والبطريك (٤) • أما الكلمات والاحتفالات التى تجرى أثناء تسليم العكاز فى حالة الرتبين الأخيرتين فإنها تجرى كما تجرى لدى السريان • وقد ورد ذكر العكاز مع الخاتم والصدرة خلال القرن الحادى عشر (٥) •

وقد ذكرت من قبل ما فيه الكفاية عن العكاز لدى النساطرة • أما الكنيسة الأرمنية فإنها تمنح العكاز Vartapedس للكهنة عند تنصيبهم أولا مع الكلمات التى تجعل العكاز رمزا لقوة انقاذ الخطاة من شرك الشيطان وقيادتهم الى التوبة ، وثانيا مع الكلمات التى تؤكد واجب الكرازة وثالثا مع الكلمات التى تصنف مهمة الكاهن بأنه يريح الحزانى والمصابين • وفى نفس خدمة قداس التنصيب يسمى « عصا الرعاية » مع تنويه مباشر

(١) See : Smith's Dict. Christ. Antiq., p. 1566.

(٢) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. pp. 75-77.

(٣) Id. ib., p. 176.

(٤) Id. ib., pp. 203, 208, 223.

(٥) Gerhard, De Eccl. Maronitarum, Jena, 1668 (not paged).

بالراعى الصالح والصولجان الملكى (١) . وفى مرحلة أخرى من مراحل تنصيب الكاهن يوصف بأنه يمد طريق الرب ومرة أخرى بأنه يصعد جبل صهيون وأخيرا يوصف العكاز بأنه رمز القوة والشجاعة . ولذلك فهناك رمز وطقس يتميزان بالبهجة حول تسليم العكاز للكاهن فى كافة مراحل تنصيبه . أما فى حالة الأسقف فان العكاز يسلم مرة واحدة مع الكلمات القائلة :

« تسليم عكاز الأسقفية هذا حتى تؤدب وتعاقب العاصى ، وأن تحكم وتطعم الذين يطيعون قوائين وتعاليم الرب دائما(٢) وبالطبع فان التعليمات المدونة لا تقول شيئا عن شكل هذه العكاكيز الشرقية ولكن لدينا لحسن الحظ بعض الأدلة المستقلة فالكنيسة السريانية اليعقوبية تستخدم كلا من العصا المعقوفة وعصا الصليب الذى على شكل حرف *T* ولذلك نجد فى الكنيسة التى تخص هذا المذهب فى أورفا Urfa عصا أسقف نائية الرأس « كل رأس منهما يمثل رأس أفعى كما فى تصميم الطراز الانجلوساكسونى (٣) وأيضا عصا معقوفة ذات رأس واحدة من طراز حديث جدا » ويتحدث نفس المرجع عن عكاز طويل من العاج يشبه عكاز البطريرك ، موجود بالكنيسة النسطورية فى كوشانز (٤) وهو بالطبع صليب على شكل حرف *T* بدون أفاع ، ولكنه لا يمثل الشكل المعتاد للعكاز بسبب أن السليل مبهم . أما بين الأرمن فان البطريرك والأساقفة يستخدمون عصا الرعاية المعقوفة حسب الشكل الرومانى ، بينما ظل العكاز القديم ذو الحيتين مستخدما بمعرفة الدرجات الأدنى من الكهنة Vartapedg (٥) .

أما فى الغرب فقد ورد أول ذكر لعصا الرعاية فى أعمال المجمع الرابع الذى عقد فى طليطلة سنة ٦٣٣ للميلاد وقد ذكره هناك مع الخاتم بطريقة عرضية قد تشير الى أن استخدام العكاز معروف منذ وقت طويل ، ولا شك فى أن استخدام العكاز فى الكنائس السلتيه البريطانية يعود الى نفس بداية الاحتفالات بقداستات التنصيب . والاسم اللاتينى.

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. p. 324.

(٢) Id. ib., p. 337.

(٣) Chrsitians under the Cresent in Asia, p. 84.

(٤) Id. ib., p. 218.

(٥) Forlescue, Armenian Church, p. 134.

ولكن دنزنجر يقول ان : عصا الرعاية التى يستعملها الأسقف كانت تشبه العصا اليونانية - انظر . Vol. i. p. 133.

المقابل للاسم الساكسونى أو السلتي للعكاز هو Cambutta وأحيانا Cambo . ونجده على سبيل المثال واردا فى القداس الغريغورى الموجود حاليا بمكتبة الكلية فى أوتون ، وفى كتاب : الترتيب الطقسى لمؤلفه - يجبرت - يتحدث التقليد عن عكاز ذهبى مزين بالجواهر كان يحمله سانت باتريك ويقال ان اثنين من أتباعه هما سانت داجايوس وسانت أسيك وأيضاً سانت كولومبا كانوا مهرة فى صنع العكاز الثمين (١) أما العكاز المغطى بصفائح الذهب والمزخرف بتصميمات عجيبة من اللؤلؤ والذى تسلمه سانت كولومبا St. Columba من سانت كنتيجرن St. Kentigern فقد كان موجودا بمدينة ريون Ripon فى القرن الخامس عشر . وكان شكل العكاز الأنجلو ساكسونى والأيرلندى غريبا جدا حيث كان متناهيا فى القصر بحيث يماثل الصولجان لا العصا المعقوفة . أما الحلبة التى فى أعلاه فهى غير واضحة التكوين عما هو معروف فى النوع الأخير والطراز الشائع . والحقيقة أنه يمكن مقارنة شكله بشكل علامة الاستفهام (٢) وعلى كل حال فان البروفسير وستوود Westwood يذكر نموذجا غريبا ومتفردا موجودا حاليا فى متحف جمعية Kilkenny Archaeological Society وهو على هيئة صليب على شكل حرف T له رأس تشبه القارب والطرفان معقوفان ، والأعلى منهما على شكل رأسى أفعى . ومن المؤكد أن هذا الشكل يتشابه بشكل صارخ مع الشكل الشرقى ويضيف وصلة أخرى الى الدليل الذى يربط بين أيرلندا القديمة والكنائس الشرقية . وحتى فى النماذج الحديثة للعكاز الأيرلندى والانجليزى والشرقى ، نجد أن الأفعى تمثل زخرفة شائعة لرأس العكاز بشكل أو بآخر . وعلى ذلك فان رأس العكاز الذى وجد فى خرائب كاتدرائية أجادو Aghadoc ينتهى برأس أفعى تمسك بساق أحد الرجال وهى نفسها تمسك بها أفعى أخرى . وقد بيع عكاز فاخر ضمن مجموعة كاستيلانى Castellani (٣) كان من البرونز المطعم بالميناء وتمثل رأسه صورة لرئيس الملائكة الجليل ميخائيل والشیطان . أما المقبض فقد كان مشغولا على هيئة أقاع متوحشة .

ومن السهل تتبع تطور العكاز من العصا المعقوفة غير المزخرفة التى ورد رسمها فى مخطوط يعود الى القرن الحادى عشر ، معروض فى مكتبة

(١) Warren, Lit. and Rit., of the Celtic Church, pp. 115-116.

(٢) See : Westwood's Miniatures, p. 152, 153.

(٣) See : Academy, March 15, 1884.

ترويس Troyes (١) والرسم مأخوذ عن لوحة من الفريسكو تعود الى نفس الحقبة موجودة بكنيسة سانت كليمنت S. Clemente بروما وفى رسوم الموزاييك بكنيسة سانت مارك St. Mark فى البندقية أو فى تمثال أسقف جوسلين Joceline الذى يعود الى القرن الثانى عشر بكاتدرائية سالزبورى Salisbury وتمثلت المرحلة الثانية فى ملء الشكل الحلزونى برسوم أوراق العنب أو بعض الزخارف المكونة من أوراق النباتات كما هو ظاهر فى عكاز محفور على أثر حجري آخر فى كاتدرائية سالزبورى Salisbury يمثل الأسقف اجيديوس Egidius من القرن الثالث عشر (٢) وأخيرا فان هذه الأشكال قد حفرت بمهارة فائقة . ومن المحتمل أن يعود الاستخدام الشائع للأفعى الى اعتبارات التناسب الفنى أكثر منه الى الاستعارة الدينية ، ويبدو أن Pannicellus (الراية) التى على ساق العكاز لم ترسم فى الآثار القديمة بالرغم من حقيقة أن استخدامها على العكاز الأسقفى يثير الجدل حول قدم المدى الزمنى ، والراية موجودة على العكاز النحاسى لرئيس الأساقفة جرنفيلد Grenfeld فى يورك مينستر York Minster ، ويعود تاريخه الى سنة ١٣١٥ للميلاد وعلى عكاز رئيس الدير ايستنى Abbot Easteney فى وست مينستر Westminster . ويعود تاريخه الى سنة ١٤٩٨ للميلاد ، وعلى عكاز الأسقف جودريتش Goodrich فى كاتدرائية ايلي Ely ويعود تاريخه الى سنة ١٥٥٤ للميلاد (٣) . ويوجد فى اكسفورد نموذجان للعكاز ذى الراية مرسومان على الزواج - أحدهما فى الشباك الشرقى لمكتبة بودليان Bodleian ، والآخر فى الجناح الشمالى بكاتدرائية كرايست تشيرش Christ Church - حيث يوجد شباك يتضمن صورة مهمة لآخر رؤساء دير أوسنى Abbot of Osney .

وهناك صليب من الطراز اليونانى يميز عكاز رئيس الأساقفة بالمقارنة مع عكاز الأسقف فى الغرب . وهناك نموذج قديم له ، على رسم الفريسكو بكنيسة سانت كليمنت S. Clemente التى ذكرناها سابقا ، حيث يمكن مشاهدة شكلى العكاز ذى الرأس المعقوف والعكاز الذى يمثل رأسه صليباً . وعن الرسوم الانجليزية نستطيع الحديث عن تمثال روبرت والدبى Robert Waldeby رئيس أساقفة يورك York الذى يعود الى القرن الرابع عشر فى وستمنستر آبى Westminster Abbey . وفيما خلا دليل .

La Messe, Vol. i. Pl. 10.

(١)

See : Bloxam's Ecclesiastical Vestments, pp. 22, 28.

(٢)

Waller, Monumental Bras es.

(٣)

فانصليب Vansleb المشكوك فيه فلا يوجد في الاستخدام القبطي ما يماثل العكاز الذى ينتهى بالصليب سواء بالنسبة للأسقف أو البطريرك .

الاضافات الصغرى للاردية الكنسية

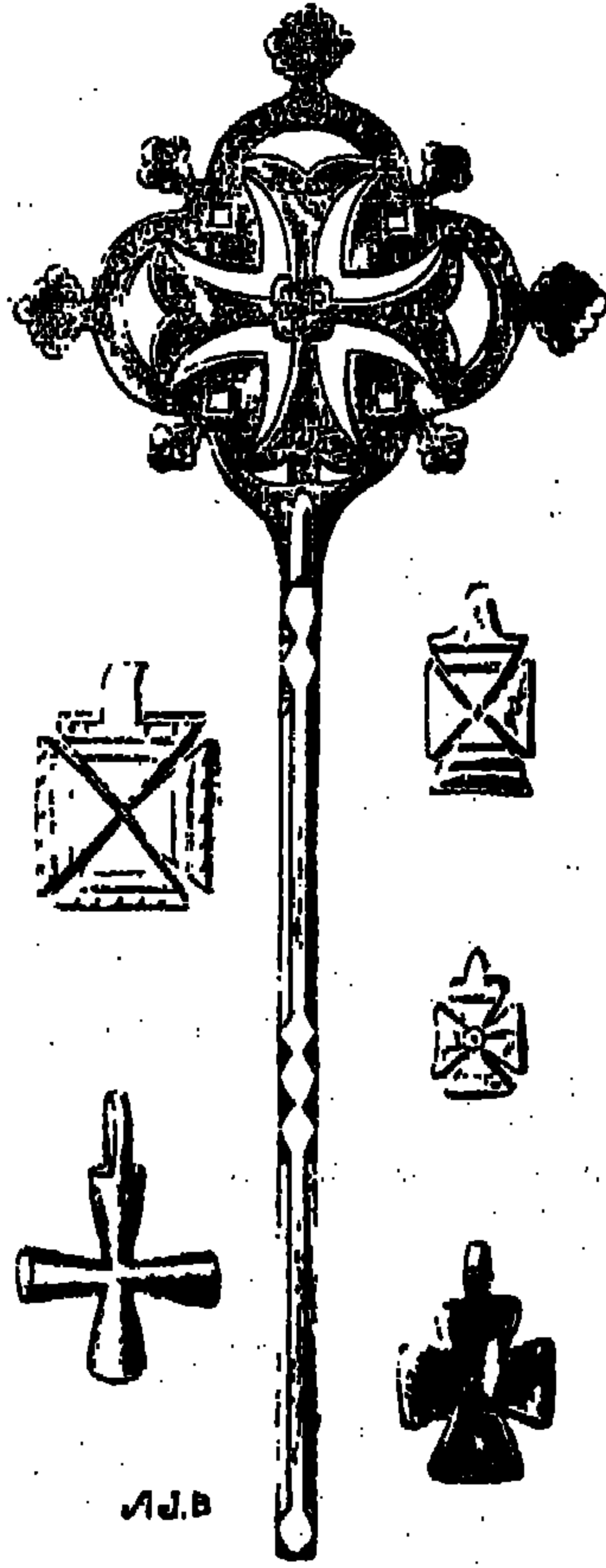
ليس من الضرورى الحديث باستفاضة عن الاضافات الأخرى التى يرتديها رجال الاكليروس الأقباط ، فالكهنة والأساقفة والبطاركة فى مذهبي كنيسة الاسكندرية (اليعقوبى والملكانى) يرتدون الصليب الذى يعلق على الصدر حتى مع ملابسهم العادية ولكنه - حسب العادة القديمة - يختفى بين طيات الرداء . وهذه الصلبان مصنوعة عادة من الفضة وبالرغم من أننى لم أشاهد أية آثار قديمة ، فلا أشك فى أن هذه الصلبان كانت تستخدم كتذكارات مع أجساد الراحلين فى مصر كما هو الحال فى سائر أنحاء العالم المسيحى . والحقيقة أن هناك ثلاثة أو أربعة صلبان من هذا النوع الذى يعلق على الصدر بصرف النظر عن حجمها الكبير - موجودة بين كنوز كنيسة القديس نيقولا St. Nicholas بالقاهرة ، وهى تمثل عينات جميلة من أشغال المصاغ البيزنطى ومغطاة بالجواهر . والاسم اليونانى لصليب الصدر هو انكولبيون ، ويتحدث نيكوفوروس Nikephorus بطريرك القسطنطينية فى القرن التاسع عن صليب ذهبى للصدر ، كما يسجله البطريرك سيمون Symeon بعد ذلك بحوالى خمسة قرون - ضمن رموز السلطان الأسقفى . ونقرأ فى الغرب عن صليب فضى كان يرتديه القديس غريغوريوس (١) وصليب آخر كان لدى سانت الفيج St. Elephege الذى من كانتربرى Canterbury بانجلترا، كما نرى أن ارتداء صليب الصدر كان اجباريا ضمن تعليمات الأسقف لاسى Lucy وكان صليب سانت ايدن Aidan ضمن المخلقات بكنيسة درهام Durham فى القرن الرابع عشر (٢) ولا شك فى أن أفراد الشعب من غير الاكليروس كانوا مثل رجال الاكليروس يرتدون صليب الصدر فى حالات كثيرة خاصة فى العصور الأولى للمسيحية حيث يقوم لدى الجميع مقام الميدالية التذكارية الدينية . كما اعتبره الذين يعتقدون فى الخرافات تعويذة أو تميمة . ويبين الرسم خمسة صلبان صغيرة ثلاثة منها على الأقل قديمة جدا . وضمن هذه الصلبان ثلاثة من البرونز ، وصليب واحد من الحجر ، والخامس

Rock, Church of our Fathers, Vol. ii. p 176.

(١)

Warren, Lit. and Rit. of The Celtic Church, p. 115.

(٢)



شكل رقم ٣١ : صليب التبريك مع صلبان صغيرة تستخدم مثل التعاويذ

مصنوع من قرون أو عظام حيوانية . وتتميز هذه الرسوم بالبساطة والصلبان البرونزية مطلية . وربما كان أقدم نموذج يتمثل في صليب صغير من البرونز الخالص له أربعة أطراف متساوية ومستديرة مع التقعر الى الداخل قليلا . أما الصليب البرونزي الثاني فهو من الطراز اللاتيني ولكنه مصنوع من صفيحة مستطيلة ذات زوايا مفرغة بحيث تترك أربعة أفرع قصيرة وعريضة . أما النموذجان الأخيران فهما على شكل خطوط مائلة مفرغة على السطح ومحفورة عند الزوايا ، وهذه الصلبان جميعها ذات مساقط بارزة تمثل كل منها حلقة لتعليق الصليب ، ويعود تاريخها جميعا الى القرن الثاني أو الثالث الميلادي .

أما صليبان المواكب الاحتفالية فهي موجودة في جميع الكنائس وهي ذات تصميمات مختلفة جميلة في معظمها . أما التليج (النعال) فلا يحسب ضمن الملابس الكهنوتية القبطية . وكقاعدة عامة فإن كل من يدخل الهيكل يخلع نعليه عند الباب ، وينطبق ذلك على الجميع بما فيهم رجال الكهنوت . ويورد رينودو Renaudot (١) عبارة سفيروس Severus أسقف الاشمونين التي يساندها مخطوط مستقل وتتلخص في أن رجال الاكليروس السريان هم الذين كانوا يرتدون التليج . أما الكاهن النسطوري فلا يقترب من المذبح حافي القدمين ولكنه يلبس التليج (٢) بينما يلبس كهنة الأرمن (٣) حذاء خاصا .

ويستخدم الأرمن كذلك الخاتم وربما يكونون قد استعاروه عن الغرب لأنه غير معروف لدى سائر الكنائس الشرقية ، ولا يدهشنا أن القفازات الأسقفية التي لم تظهر في الغرب حتى القرن الثاني عشر ، ليست معروفة ضمن الملابس الكهنوتية الشرقية . ولكن رجال الاكليروس الأقباط يتميزون بأداة غير موجودة لدى المسيحيين الغربيين ويجدر بنا ذكرها هنا - وهي صليب اليد الذي يستخدمه البطريك والأساقفة والكهنة لمنح البركة .

وهو يستخدم أيضا في احتفالات التعميد وغيرها من مظاهر العبادة وعندما يتم تجليس البطريك على عرشه في الكنيسة فانه وهو غير قائم بالخدمة ، يمسك في يده اليمنى صليبا ذهبيا ، ويمسك العكاز بيسراه . ويلاحظ أن الصليب الصغير المرسوم على ختم البطريك يتصل به مفتاحان كرمز لرفعة المنصب . أما صليب البركة العادي فهو مصنوع من الفضة وأحيانا من المعدن أو البرونز ، ومحفور عليه في العادة عبارة اهداء ، وهو بالشكل المبين في الرسم على وجه التقريب . ويستخدم البطريك الملكاني كذلك صليبا ذهبيا أو مطعما بالفضة لمنح البركة .

وأخيرا فلا بد من ذكر epigonation ابيجوناسيون ، ربما لانكار وجودها ضمن الأردية القبطية . وتوجد غالبا مرسومة في الرسوم القبطية المتأخرة . وكل من يدخل الى الكاتدرائية بالقاهرة ويجد أن صور جميع رجال الاكليروس المرسومة على ألواح حامل الأيقونات يلبسون epigonation

Lit. Or., vol. II. p. 54.

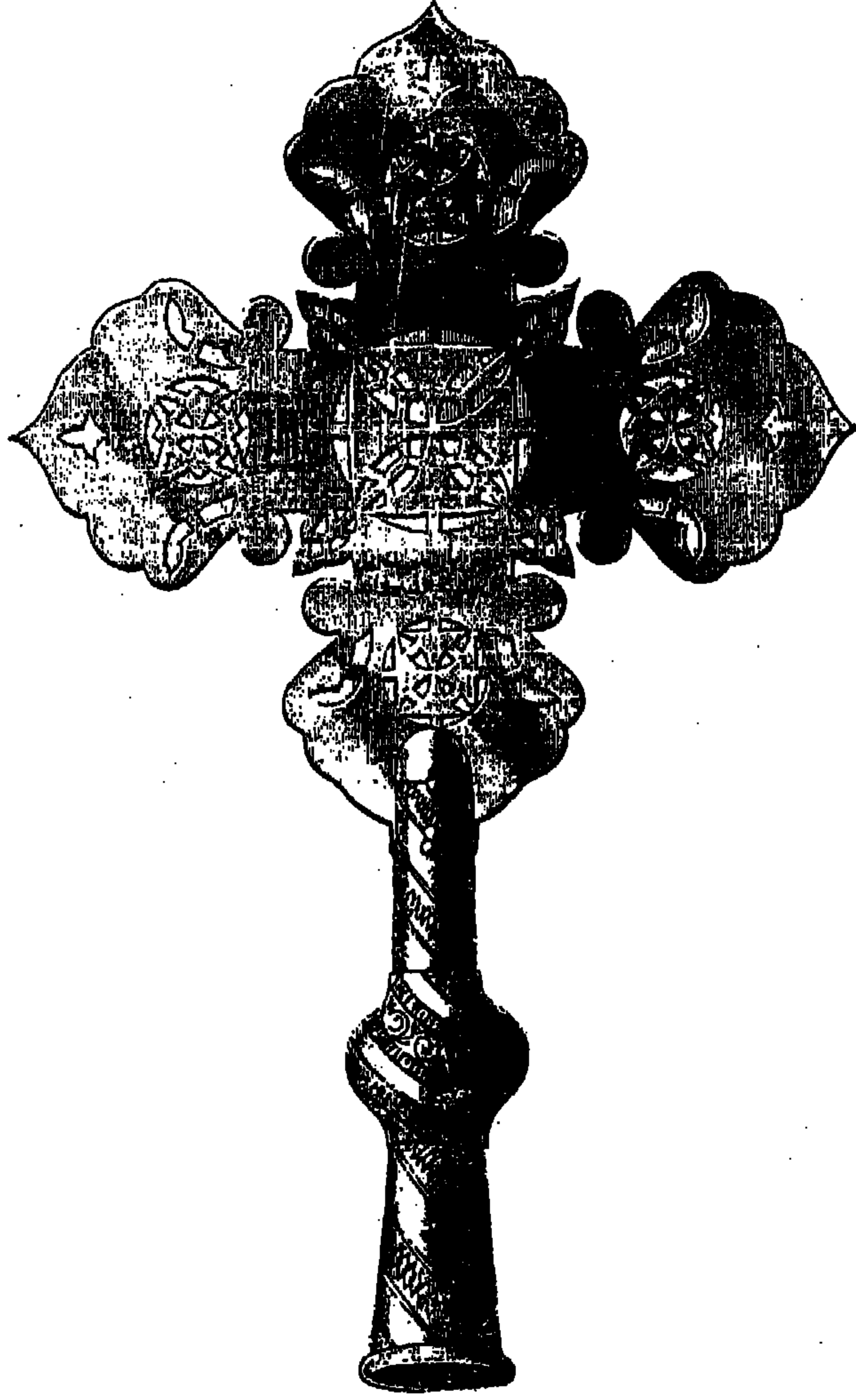
(١)

Christians under the Crescent, p. 220.

(٢)

Fortescue, Armenian Church., p. 134.

(٣)



شكل رقم ٣٢ : رأس صليب المواكب الاحتفالية المصنوع من الفضة

ابيجوناسيون - سوف يحسبها ضمن الملابس الكهنوتية القبطية . ولكنه عندما لا يجدها فيما بعد مرسومة في الصور الحديثة مثل تلك الموجودة بالكاتدرائية وانما فقط في الصور الأخرى التي يرجع عمرها الى مائة عام مضت ، وهي ليست موجودة بالقاهرة فقط بل في قرى الدلتا البعيدة مثل قرية تريس Tris ، بل أيضا في دير القديس مقاريوس في الصحراء - سيتأكد له صحة استنتاجه . الا أنني أجازف بالقول بخطأ ذلك تماما .

فقد سألت الكهنة والمسيحيين من غير الاكليروس فى الصحراء وفى الدلتا عن هذا الأمر فلم أجد قبطيا واحدا يعرف حتى مجرد اسم epigonation ايبجوناسيون بأية لغة ، فما بالك بمعرفة معناها . وعندما أشرت اليها كان الموجودون ينظرون اليها باستغراب ، ولم يستطع أحد أن يقدم تفسيراً لوجودها واتفق الجميع على انكار وضعها ضمن الملابس الكهنوتية .

وكذلك فان المدونات لم تورد شيئا عن هذا الموضوع ، كما أنه لا توجد ذرة من دليل مكتوب يبين أن القبط قد عرفوها يوما ما . أما الصورة التى سبق أن قلت انها متأخرة جدا - فقد رسمت فى فترة كان فيها الأقباط معتمدين كلية على اليونانيين لرسم صورهم المقدسة . ونظرة سريعة الى حامل الأيقونات بالكاتدرائية ستبين أنه مثله كمثل بقية المبنى - من عمل فنانيين يونانيين وليسوا أقباطا . والأقباط اليوم مثل الأقباط منذ مائة عام مضت ، لم يهتموا برسم صورهم الفنية كما أنهم قد جهلوا تماما أو تكاسلوا تماما عن مراجعة الفنانين الذين استأجروهم . وقد اتبع الفنانون اليونانيون بالطبع التقليد اليونانى وأغرقوا الكنائس القبطية بالصور التى رسمت فيها الملابس اليونانية وعلى ذلك نجد أن جميع الصور القديمة فى مباني العبادة القبطية ليست ذات قيمة كدليل على الطقس القبطى (*) .

وعلاوة على ذلك فمن السهل أن نفهم كيف كانت هذه القطعة من الملابس شائعة لدى اليونانيين فى مصر . فلم يضطروا للذهاب الى القسطنطينية لاكتشافها ولكنهم رأوها ومازالوا باستمرار فى كنائسهم الملكانية المصرية ، وبالطبع فان epigonation ايبجوناسيون فى شكلها الذى يشبه المعين يعود تاريخها الى العصور الوسطى فقط ولذلك فهى شئ لم يسمع عنه أحد حتى لو كان اليعاقبة قد استعاروها من الملكانيين بعد الانفصال بفترة طويلة . وقد رأينا أن كلا المذهبين قد تمسك بهذا الرداء بنفس أسلوب استعماله الذى كان شائعا عند الانفصال ، ولكن أيا منهما لم يستعر شيئا من الآخر . وكان من الطبيعى أن يقع الملكانيون تحت تأثير القسطنطينية بينما لم يتخل الأقباط عن استقلالهم الصلب . وعلى ذلك تسلم الملكانيون epigonation ايبجوناسيون بينما رفضها الأقباط باصرار . وحتى مع تجاهل هذه الحقب الأخيرة يبدو أنهم ظلوا ينكرونها لأنه

(*) تستلئ الكنائس القبطية اليوم فى مصر وبلاد المهجر بالصور القبطية التى رسمت حسب انطقس القبطى مع الالتزام بتقاليد الفن القبطى القديم وذلك بفضل جهود الدكتور ايزاك فانوس ومن قبله استاذة الأستاذ الكبير حبيب جورجى وتلاميذهما ومن سار على نهجهم . (المترجم) .

بالرغم من أن جميع الصور تحمل الدليل في صالحها ، الا أن عادة الكنيسة القبطية وقوانينها تبرأت منها .

ويمكن مشاهدة بعض قطع هذا الرداء الجميل الخاص بالكنيسة الملكية في خزانة كنيسة القديس نيقولاوس Nicolas بالقاهرة ، ولما كانت أجمل من أى شئ من نوعها جرى وصفه بالانجليزية ، فأننى أستسمح القارئ في تقديم بعض تفاصيلها وأفضلها يعود عمره الى ما بين مائتين وثلاثمائة سنة وجميعها على شكل المعين وأحدها له أرضية من القطيفة القرمزية ومطرز بخيوط الذهب . وتدور حافة مطرزة حول أطرافه . وفى وسط المعين دائرة توصف بأنها تفصل ما بين الأركان الأربعة التى شغلت برموز الانجيليين الأربعة . أما الدائرة نفسها أو المنطقة الدائرية التى يبلغ عرضها حوالى بوصتين فان عليها أربع عشرة ميدالية تتضمن أعلاها الثالوث بينما تتضمن أسفلها صورة أحد الأنبياء ، بينما تتضمن كل واحدة من الميداليات الباقية صورة أحد الحواريين . وفى داخل هذه الدائرة رسمت صورة القيامة على أنها هى الصورة الرئيسية . وكل ميدالية محددة بحبات اللؤلؤ الدقيقة . وهناك نموذج آخر يعود تاريخه الى سنة ١٦٧٣ للميلاد وهو مثل النموذج السابق ، به دائرة داخل المعين . وقد امتلأت الأطراف بزخارف من درج الكتابة ، ورصعت حدود الدائرة بحبات اللؤلؤ الكبيرة . ويوجد فى وسط الدائرة تصميم عظيم للمجوس يحملون هداياهم للطفل يسوع وقد طرزت جميعها بخيوط الذهب فى فخامة عظيمة . ورسمت الملائكة فى أعلاها برؤوس منحنية قصيرة الأبعاد فى المنظور . والرسم كله صادق التعبير ورشيق ، وكافة الأشكال المرسومة جميلة ، والنسيج طبيعى وفياض ، وزاوية التصوير تثير الإعجاب . أما الانطباع العام فيقدم صورة ناعمة ولكنها فاخرة . انها واحدة من أجمل الصور المصاغة بأشغال الابرّة فى كافة الاقطار (١) .

ويحمل المسيحيون من غير الاكليروس مثلهم مثل الراهبات ورجال الاكليروس - المسبحة - التى تتكون من ٤١ حبة وأحيانا ٨١ حبة ، والأقباط لا يهتمون بعدد الحبات مثل اهتمام مواطنيهم المسلمين ، لأن المسبحة لدى المسلمين تتكون من ٩٩ حبة مقسمة بعلامات التقسيم الى ثلاث مجموعات تتكون كل منها من ثلاث وثلاثين حبة . وتصحب كل

(١) يقدم لنا نيل رسما لهذا الرداء epigonation فى كتابه : Gen. Introd, p. 311 - وقد رسمها أيضا جور فى كتابه : Euchol., pp. 114 & 115. ولا تنقل أى من الصورتين الفكرة الصحيحة عن فخامة هذا الرداء لأن كافة الاوصاف تعجز عن ذلك .

مجموعة من المجموعات الثلاث عبارة « الحمد لله » أو ما يشبه ذلك من الدعاء . بينما العبارة القبطية هي : كيرى لیسون تتردد ٤١ مرة كما هو الحال أثناء خدمة القداس أما مسبحة الكاهن فهي مميزة بصليب صغير مربوط فيها . ولكن المسيحيين من غير الاكليروس يغتصبون هذا الرمز أحيانا .

أما في الغرب فان المسبحة لا يعود تاريخها الى ما قبل العصور الوسطى . بينما في مصر خاصة والشرق عامة يعود تاريخها الى أقدم العصور . ويذكر بلاديوس Palladius أن ناسكا كان يحمل معه حصوات يلقي بحصاة منها جانبا بعد كل صلاة ، وكذلك يرسم القديس أنطونيوس أحيانا في الصور القبطية مرتديا مسبحة في منطقته . وهناك سبب وجيه يدعونا للافتراض بأن المسبحة كانت تستخدم في الشرق قبل العصر المسيحي .

الفصل السادس

الكتب واللغة والأدب عند الأقباط الكتب

تم انقاذ القليل من الكنوز الأدبية التي لا تقدر بثمن والتي كانت تخص كنائس مصر ، بينما دمر الكثير ، ومن المحتمل أن بعض هذه الكنوز قد بقي لاثراء البحث العلمي . ولا بد أن كل دير وربما كل كنيسة كان بها مكتبة خاصة من المخطوطات . وحتى اليوم لا يوجد بين الكتب المطبوعة ما يبارى هذه المخطوطات في خدمة العبادة .

ولسنا في حاجة لاعادة التنويه عن المخطوطات الثمينة التي اكتشفها كيرزون Curzon بأديرة وادي النطرون لأنها معروفة جيدا (١) ويذكر نفس الكاتب كتباً أقل قيمة في كنيسة دير البكرة Pulley المحفورة في الصخر بمصر العليا - بما فيها كتاب به زخارف ملونة سخر منه كيرزون ونحن نعذره لأنه الكتاب الوحيد من هذا النوع الذي رآه طوال حياته (٢) . ويذكر أيضا الكتب التي وجدت بمدينة هابو Madinat Habu (٣) وبالدير الأبيض قريبا من سوهاج (٤) . وفي هذا الدير الأخير تحدث الكاهن عما يزيد عن مائة مخطوط مكتوب على الرق ، دمرت جميعها سنة ١٨١٢ ، عندما نهب المماليك المكان . وكذلك فان ديرى القديسين الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا اللذين يقعان بين الجبال في أقصى الصحراء الشرقية كان بهما يوما ما مكتبتان غنيتان بالكنوز القديمة لا يقل تدميرهما أهمية عن التدمير الأقدم زمنيا والذي جرى لمكتبة الاسكندرية العظمى على يد عمرو

Monasteries of the Levant, pp. 97-110.

(١)

Id., p. 116.

(٢)

Id., p. 123.

(٣)

Id., p. 132.

(٤)

ابن العاص(*) وقد مرت أربعمئة عام فقط منذ قام العبيد الذين استخدمهم بعض رهبان هذين الديرين بثورتهم في احدى الليالي ضد سادتهم وذبحوهم . وبعد فترة قصيرة تعبوا من قسوة الحياة في هذا المكان البعيد عن العالم فهجروه .

وقد بقيت المباني مهجورة لمدة ثمانين عاما ، لم يزرها خلالها سوى البدو الرحل الذين نهبوا كل ما يستحق النهب في الكنائس وأحرقوا كل ما يمكن أن يحرق . وبسبب جهلهم المطبق جعلوا الكتب ضمن التصنيف الأخير ، ودمروا كل ما يقبل التدمير . ولكن بمرور الزمن عاد رهبان آخرون الى الخرائب فأصلحوا الكنائس وأعادوا بناء الحوائط . ومنذئذ اجتاز الديران ثلاثة قرون هادئة لم تتوقف خلالها الأصوات اليومية للتساييح والصنوج . ولم تختلف حياة النزلاء الا عندما كان يبحث بعض الرحالة غير العاديين عن مأوى لقضاء الليل ، أو يندفع فرسان بعض القبائل المتوحشة في يأس ضد الأسوار الحصينة . وما زالت هناك بعض الكتب في برج دير القديس أنطونيوس وبالرغم من أن تاريخها لا يعود الى أبعد من إعادة التعمير ، الا أنها تستحق الفحص بعناية أكثر مما لقيت من قبل ، لأن الرهبان عند عودتهم لابد أنهم أحضروا معهم بعض الكتب القديمة . ويقال أيضا ان دير الأنبا بولا الذي يقع على مسيرة يومين من دير الأنبا أنطونيوس - لا يتضمن مخطوطا قديما واحدا حيث هلكت جميع المخطوطات خلال ثورة العبيد أو خلال فترة هجر الدير ، وأن انتشار هذا الخبر منع السياح من القيام برحلة الزيارة المحفوفة بالضرر والخطر . وهناك من الأسباب ما يدعونا للشك في صحة هذه الاشاعة .

والقليل من المخطوطات الباقية مكتوب على الرق ، أو يعود تاريخه الى ما قبل القرن السادس عشر . أما المخطوطات الورقية فقد صنعت من ورق القطن أو الورق المقوى الذي يطلق عليه الاسم : Carta Bombycina كارتا بومبيسينا وهو يشبه نوعا فائرا من الرق وان كان قديما جدا . ويوجد بمتحف كولييجيو رومانو Collegio Romano - في روما مخطوط مكتوب على هذا الورق يعود تاريخه الى القرن السادس (١) . ويتحدث (كيرزون) Curzon عن مخطوط قبطي في حوزته مصنوع من نفس المادة

(*) ليس هنا مجال الدخول في تفصيل الدراسات العديدة التي برأت العرب من هذه التهمة الملفقة والتي مازال العديد من الكتاب الغربيين يلصقونها بالفتح الاسلامي لتشويه صورة العرب وازهارهم بمظهر البرابرة أعداء العلم والثقافة (المترجم) .

(١) الأديرة الشرقية . Curzon, Monasteries of the Levant, p. 123.

ويعود تاريخه الى سنة ١٠١٨ للميلاد . والحقيقة أن كتابة المخطوط على الورق بدلا من الرق تجعله أكثر حداثة الا أن معظم الكتابات القديمة مكتوبة على الرق .

وجميع المخطوطات مكتوبة بالقلم البسط الذى يستعمله العرب اليوم والذى كان مستخدما فى مصر منذ ظهور الكتابة . أما الحروف فهى كبيرة متجاورة حيث لا توجد حروف متشابكة فى اللغة القبطية . ويستخدم فى كتابتها الحبر الأسود أو الأحمر حيث يستعمل الأحمر لكتابة العناوين . وتضمنت معظم كتب الخولاجى والقبطماروس الحروف الكبيرة المزخرفة مع رسم صليب كبير موشى فى بداية كل كتاب ، بينما تضمن بعضها قدرا معقولا من الزخارف الأخرى . ويقدم لنا البروفسير وستوود Westwood (١) والسيدان سلفتر Silvester وشامبليون Champollion (٢) صورا طبق الأصل من المخطوطات القبطية الموشاة ومعها تعليقات تستحق الاطلاع . وربما نقول لأول وهلة ان هذه الزخرفة بدائية فى التنفيذ بالرغم من جمال تصميماتها وبالتالى فهى لا تقارن بالمنمنمات الدقيقة فى الغرب ، ولكنها تستحق اهتماما أكثر مما حظيت به نظرا لغرابتها وأصالتها . وربما تقدم لنا القصة التالية عن أحد المخطوطات الذى يعود تاريخه الى القرن الرابع عشر والذى أحضره مؤلف هذا الكتاب من مصر وهو الآن بمكتبة بودليان Bodleian - فكرة عن رسوم المنمنمات القبطية بوجه عام بالرغم من أن المخطوط - لسوء الحظ - ليس فى حالة جيدة ، وأن الزخارف فى العديد من الأماكن قد لطخت وأتلفت بسبب مجلد الكتب الانجليزى الذى استخدم المعجون لتثبيت ورق نسيج التغليف فوقها لتقوية الصفحات ، وهو يختلف عن المخطوطات الأقدم من حيث انه لا يحتوى على رسم واحد يمثل أشخاصا من البشر وهذا مما يجعلنا نميل الى القول بوقوعها تحت التأثير الاسلامى أكثر من القول بانعدام المهارة فى هذا الفرع من الفن الذى تجرى ممارسته دائما من خلال رسم الصور والأيقونات الضرورية للكنائس . ونجد رسوم الطيور فى المجموعات غير العادية من الرسوم الشاذة . وأحيانا نجد رسما لكائن له رأس أحمر ضخم وجسم بدون أجنحة يشبه المومياء ، مرسوما بطول الصفحة ، وله ساقان رفيعتان أو بدون سيقان وقد قسم جسمه بخطوط رأسية مع تغطيته بزخارف سوداء وصفراء على شكل لفائف درج الكتابة . ويحمل هذا الكائن فى فمه شيئا قد يكون ثمرة فاكهة أو جوهرة . ومرة أخرى نجد له شكلا

Palaeographia Sacra Pictoria.

(١)

Universal Palaeographia.

(٢)

حلزونيا مثل جسم الأفعى ، يلتف حول هامش الصفحة فيما يشبه العديد من الأعشاش الملتفة التي تشتمل على أفراخ صغيرة . بينما نجد طيوراً صغيرة أخرى غريبة الشكل تنقر أجزاء مختلفة من جسم أمها . أما الأفراخ التي في الأعشاش فقد رسمت بطريقة شاذة جعلتها تظهر كما لو كانت بقايا فرائس في عش العنكبوت – مجرد كومة من الأرجل والأجنحة المتناثرة . وبعض هذه الطيور تنقر صدورهما ، وربما كان المقصود بها طيور البجع وأنها تمثل شعار المسيحية ، ولكننا نشاهد خلطاً ما بين الأفعى والطائر – مما يشكل تناقضاً في الرمز . أما صغار الطيور ذات الرؤوس المطرقة إلى أسفل فربما كان المقصود بها طيور اليمام وإن كانت أكثر شبهاً بطيور البط . وهناك طيور أخرى تظهر على وشك السقوط أو تقف على رؤوسها ، والقليل منها يظهر في حالة الطيران . ونجد في هذا المجلد شجرة نسب السيد المسيح على شكل عمود عريض أسفل الجانب الأيسر من الصفحة وقد كتب كل اسم ما بين رأس طائر من ناحية وزهرة ذهبية من الناحية الأخرى . وقد استخدم ماء الذهب في هذه الزخارف مع الألوان الرئيسية الأخرى وهي الأحمر والأصفر الفاقح والأخضر الزيتوني والأسود . أما الأزرق الفاتح والداكن فهما نادرا الاستخدام .

ولا نجد رسوم حيوانات أخرى في هذا المجلد ، وليست هناك علامة على وجود رسوم للأزهار فيما عدا تصميمي أسود لنوع من زهور التيواليب tulip – وعنقوداً أو اثنين من البراعم أو حبات العنب أو غير ذلك من ثمار الفواكه التي تنقرها الطيور . وبينما تنتشر الطيور غير المحصورة داخل الهوامش – بطريقة عشوائية ، أعلى وأسفل الصفحات ، فإن الجزء الأكبر من الزخرفة القبطية يظهر تقليدياً ونمطياً . وربما تنقسم هذه التصميمات التقليدية إلى نوعين – النوع الأول هو التصميمات الهندسية التي تتكون من شرائط ضيقة تتشابك في تشكيلة لا نهائية . والنوع الثاني هو التصميمات النباتية التي تشكل أشكالاً من زهرة الأكانثوس acanthus . وقد استخدمت الرسوم المتشابكة لزخرفة الحواف في بداية كل صلاة أو دعاء . كما استخدمت الصليبان الكبيرة في نهاية كل منها . أما الحواف فهي مكونة من مربعات أو مستطيلات متداخلة حول الصفحة (١) ، أو من شرائط متوازية بها عقد مجدولة على مسافات متساوية (٢) أو صليبان صغيرة في أشرطة مجدولة (٣) . أما الصليبان الكبيرة التي تملأ الصفحة فهي من الطراز اليوناني أكثر من الطراز

Bodleian Ms., p. 29.

(١)

Id., p. 42.

(٢)

Id., p. 107.

(٣)

اللاتيني (١) . وهناك نموذج واحد لصليب مرسوم داخل مربع (٢) . ويوجد أحسن نموذج لزخارف زهرة الاكانثوس *acanthus* عند بداية سلسلة نسب السيد المسيح ، أما في الجانب الأيمن فتوجد دوائر في داخلها مجموعات من الشرائط المتشابكة . والزخرفة التي استخدمت فيها الشرائط على الجانب الأيمن ذات أرضية زرقاء بتصميمات ذهبية . أما الفراغ المستطيل الشكل في أعلى الصفحة فانه محاط بمجموعة من تصميمات زهرة الاكانثوس *acanthus* باللونين الأزرق والذهبي . أما الأرضية فانها تنقسم الى جزئين أحدهما أحمر اللون والآخر أزرق ، وقد زخرفت برسوم ذهبية تمثل أوراق الشجر . وهذه الزخارف الرائعة لا تقل في دقتها وفخامتها عما هو موجود في أفضل نسخ القرآن . النى نراها بالمكتبة العامة في القاهرة . وقد كانت زهرة الاكانثوس *acanthus* دائما هي الموضوع المفضل لدى الفنانين الشرقيين، ونراها بكميات وفيرة في أشغال الجص وأشغال الحفر على الخشب والرخام في المساجد القديمة ، وفي أشغال العاج القديمة الفاخرة بالكنائس القبطية ، وفي الصواني والقناديل والمحابر التي ترى عمال القاهرة الذين يشتغلون بأعمال النحاس - يحفرونها في (خان الخليلي) وهي معروفة جيدا في رسوم المنمنمات بالغرب ، وعلى ذلك فهي موجودة منذ القدم في نسخ الانجيل اللاتينية بكلية الثالوث Trinity College في كمبردج Cambridge والتي يعود تاريخها الى القرن العاشر الميلادى (٣) وقد وجدت بكثرة بشكل أكثر تقليدية خلال القرن الحادى عشر على سبيل المثال في كتاب مزامير أرونديل Arundel Psalter (٤) ومن المثير أن نتابع في أساليب زخرفة كتبهم ، صلة أوثق بين كنائس مصر وأيرلندا فسرعان ما يواجه الانسان حجر عثرة يتمثل في حقيقة أن زهور الاكانثوس الشائعة في التصميمات المصرية غير موجودة في الزخرفة الايرلندية (٥) . ومرة أخرى نقول ان الخطوط الحلزونية الرفيعة في اللغات المعقدة ، والمربعات المملوءة بالخطوط المتقاطعة فيما يشبه النماذج الصينية ، والخطوط المحدودة بالنقط الحمراء ، تمثل ثلاثة من الخصائص

E. G. id., p. 145.

(١)

Id., p. 41.

(١)

We twoed, Facsimiles of Anglo-Saxon and Irish Onaments, Pl. 42

(٢)

Id. ib.

(٤)

Westwood, Palaeographia Sacra Pictoria, Chapter on Book of Kells, p. 2.

(٥)

المميزة للزخرفة الأيرلندية ولكنها غير مشتركة مع الزخارف القبطية . وكذلك فان تصميمات الطير البرى التى وصنفها عاليه ، لا تعتبر مشابهة للمجموعة العظيمة المرسومة فى المخطوطات الأيرلندية . أما بخصوص الحيوانات والطيور البرية ذات الأجسام البشعة (١) والأعناق والسيقان والذبول والألسن المسحوبة فى شكل شرائط متشابكة ، فانه يتبقى لنا من خلال هذا الأسلوب المرهق ، خاصية واحدة مميزة شائعة لدى كلا المدرستين وهى بالتحديد التعلق بالحواف المصممة فى أعمال الضفائر البارعة والمعقدة التركيب ، بالرغم من أنه حتى فى هذه الحالة لابد من مراعاة أن الأيرلنديين أكثر من الاقباط شغفا بالزوايا الدائرية . وربما كان كتاب المزامير الخاص بالقديس يوحنا فى كامبردج والذي يعود تاريخه الى القرن التاسع هو المخطوط الغربى الوحيد ذو الزخارف التى تقترب من الطراز القبطى (٢) . وعموما فان التشابه بين الفن المصرى والفن الغربى أقل من أن يوحى بمثل هذه الفكرة .

وعلى كل حال فالموضوع يتغير الى حد ما ، اذا تجاوزنا داخلية كتب الخدمة هذه الى خارجها يتضح لنا التشابه بين العلب المعدنية التى تحفظ البشائر القبطية داخلها وبين العلب الأيرلندية Cumhdachs ، وعلاوة على ذلك فان الأسلوب الأيرلندى فى حفظ الخولاجى وغيره من الكتب داخل حقائب من الجلد يطلق عليها اسم Polaires (٣) يتوازى مع العادة الحبشية ان لم تكن القبطية كما وصفها وصورها كيرزون Curzon فى قصة زيارته الى أديرة وادى النطرون ، وفى وقتنا الحالى نجد أن المخطوطات القبطية عامة تصنع من جلود صغار العجول الحمراء مع استخدام الرسوم التى على شكل أوراق الشجر المتشابكة فى ختم الغلاف والأطراف التى تحمى الحواف الأمامية . وفى حالة عدم وجود الأطراف يغلف الكتاب بسيور جلدية تربط فى مكان المشابك وتؤدى نفس الغرض . وكتب الخدمة هذه تخص الكنائس فقط ، واذا حصل عليها عامة الناس لاستخدامها فى منازلهم يستثنى منها كتب الصلوات والخولاجيات التى لا يستخدمها عامة الناس الا لمتابعة الكلمات عند خروجها من بين شفتى الكاهن بتوقيع وفهم مع المرور على النص بعيونهم .

'Id. ib.

(١)

Westwood Fascimiles, Pl. 30.

(٢)

Warren, Lit. and Rit. of Celtic Chucr.

(٣)

اللغة القبطية

لا يستطيع الأقباط أن يفاخروا بالشعراء العظام ، أو المؤرخين أو الفلاسفة أو رجال العلم الذين كتبوا بالقبطية فالأدب الوحيد لديهم ذو طابع ديني . وينبغي ألا نعتبر عدم امتلاكهم لسحر الكلام أو كنوز المعرفة سببا لمعاملة لغتهم بعدم اكتراث عجيب لا تستحقه لأنها لغة لا تباريها لغة أخرى في عراقتها وبنائها غير العادى وتاريخها القريب . ان السجلات التى تعود الى خمسة آلاف عام مضت ، المنحوتة على آثار مصر ، ما زالت واضحة بالرغم من بقائها ملفوفة بالصمت الدائم . وما زالت الكلمات التى نطق بها عظماء أثينا تدوى بالرغم من أنها لم تعد تكتب بنفس طريقة الكتابة القديمة ، الا أن هذين الاثنين وهما الكلام المصرى القديم الفاقد النطق ، والكتابة الاغريقية القديمة الفاقدة الحروف - متحدان ومحفوظان فى اللغة الحالية . ولا يستطيع الخيال اللغوى أن يمضى الى أبعد من ربط حديث الفرعون وكتابة هوميروس فى كتاب الصلوات الذى يستخدمه المسيحي المصرى . ويجرى الآن انقاذ دراسة اللغة القبطية من براثن الإهمال الذى عانت منه طويلا بسبب التركيز على دراسة اللغة الهيروغليفية التى تعود الى نفس الأصل اللغوى ، كما أن علماء اللغات قد أحسوا بالخجل واضطروا الى الخروج عن تقاعسهم بسبب حماس المؤرخين وعلماء الآثار

وبالطبع فان موضوعا له مثل هذه الطبيعة ، يحتاج فى حد ذاته الى دراسة كبيرة ، وهى دراسة لم تنضج أدواتها بعد ، وعلاوة على ذلك فانها تخرج عن نطاق هذا الكتاب . أما ملاحظتنا هذه فهى موجزة بقدر ما تسمح حالة الأدوات المتاحة والنطاق الذى يحتاجه هدف المؤلف .

ولا شك أن اللغة القبطية اليوم هى نفس اللغة التى تحدث بها بناء الأهرامات ، وما زالت تحتفظ بكلمات عديدة لم تتغير عما كانت عليه أثناء تلك الحقبة . أما المفردات فهى ليست آرية صرفة ولا سامية صرفة ، وانما هى خليط من الاثنتين . وبنفس الطريقة نقول ان البناء النحوى للغة القبطية نصف سام ونصف نسيب للغات الافريقية ومن المحتمل أن يكون الأقباط فى العصور الأولى للمسيحية قد ثبتوا لغتهم بهذا الشكل الموجود حتى اليوم بالرغم من أن المسيحية نفسها لم تصبح بالتحديد عقيدة غالبية حتى القرن السادس الميلادى ، ذلك أنه حتى ذلك التاريخ ، استمر وجود عقيدة أوزوريس خاصة فى المناطق الريفية البعيدة حيث لم يسمع أحد عن بشارة الانجيل فيما عدا أصدااء خافتة . ثم بدأ الأساقفة يقبضون على ناصية السلطة المسدنية ، كما انتزعوا مهمة توزيع القمح على الأهالى

من بين برائن الولاة كعنصر آخر من عناصر السلطة (١) وفي هذه الفترة بدأ ظهور الكتابة القبطية حسب ما أورده السيدان سلفستر Silvestre وشامبليون Champollion ولكنه من الصعب فهم الأسباب التي ينسبان إليها بداية استخدام الحروف القبطية في مثل تلك الفترة المتأخرة . لقد كانت أديرة الصحراء في القرنين الثالث والرابع مكتظة بالرهبان الذين كان معظمهم لا يتحدث سوى لغته الوطنية وهي القبطية ، ولذلك فإن القديس أنطونيوس الذي لم يكن يعرف اليونانية هو أول من أرسى أصول التفكير في الحياة الديرية بالاستماع الى قراءة الانجيل باللغة القبطية . ويتحدث بلاديوس Palladius عن القداسات والاحتفالات المنتظمة التي حضرها (٢) والتي تعنى ضمناً اقرار الأشكال التي كتبت بها اللغة القومية . وعلاوة على ذلك فإننا نعرف أن المزامير قد ترجمت الى اللغة القبطية حوالي سنة ٣٠٠ للميلاد بمعرفة القديس باخوميوس وبالرغم من أن هذا التاريخ قد يكون هو أقدم تاريخ مؤكد فإنه من الصعوبة بمكان تصور أن الحاجة لوضع صيغ مقدسة للكتابة لم تعلن عن نفسها خلال فترة سابقة على هذا التاريخ دون أن تلقى المقاومة . ومن المحتمل طبعاً أن تكون أقدم أشكال الصلاة باللغة القبطية العامة قد كتبت ليس بالحروف اليونانية بل بالحروف الديموطيقية ولكننا لا نجد دليلاً كافياً لاثبات هذه الحقيقة المثيرة للاهتمام بالرغم من وجود ما يبرر الظن بأن الكتابة الديموطيقية ظلت مستخدمة بين الأقباط بطريقة أو بأخرى على مدى ألف عام من العصر المسيحي . ويبدو لنا أنه لا توجد نقطة متفق عليها لاثبات الصلة بين الكتابتين القبطية والهيروغليفية ، فقد ظلت معرفة الكتابة الهيروغليفية قبل الفتح الفارسي بفترة طويلة - مقصورة على رجال الدين ، ربما الى ما قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث لم يستطع نسخا المخطوطات الذين زاروا قرية بنى حسن أن يفهموا النقوش التي تخص الأسرة الحادية والعشرين والتي عثروا عليها مصادفة ضمن ما وجدوه من نسخ كتاب الموتى .

ولذلك لا نستغرب أن الهيروغليفية لم تكن مهجورة تماماً على أيام القديس اكليمنض الاسكندري وأنها ظلت معروفة بعده لمدة تزيد عن قرن . ولكن طابعها الوثني أخرجها من نطاق المعرفة لدى المسيحيين . وهناك قصة معاصرة تقول انه في وقت غزو كسرى لمصر حوالي عام ٦٠٠

Monasteries of the Levant, pp. 105-1

(١)

Rosweyde, Vitae Patrum, lib. viii. p. 712.

(٢)

للميلاد كان أحد الرهبان وهو الذى احتفى فى أحد القبور ، قادرا على قراءة النقوش المدونة على الحوائط ، ولكن من المحتمل أن تكون تلك الكتابة قد كتبت بالديموطيقية .(*) وليست الهيروغليفية ويحتوى الدير الأبيض بمصر العليا والذى شيده الامبراطورة هيلانة وجعلت شكله الخارجى حسب طراز العمارة المصرية القديمة - على العديد من الأحجار التى تتضمن نقوشا هيروغليفية فى وضع مقلوب بما يفيد أن البنائين لم يكونوا على دراية بهذه اللغة . ويذكر فانسليب نقشا على حجر المذبح بكنيسة صغيرة مكرسة على اسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل فى دير القديس متى بالقرب من اسنا . ولم تكن حروف هذا النقش هيروغليفية ولكنها تمثل لغة لا نعرف عنها شيئا (١) وأشعر ببعض الشك فى كتابة هذا النص بالديموطيقية ، بالرغم من عدم وجود دليل يحدد التاريخ - وإذا صح هذا الاحتمال فان هذه الحقيقة تثير العجب لأنها تدل على استمرار الأسلوب الديموطيقى فى كتابة الطقس المسيحى .

أما بخصوص تضارب وتفاعل اللغة القبطية مع اللغتين اليونانية والعربية فلدينا الدليل على ذلك - وهو يبرهن على أن اليونانيين لم يكن لهم تأثير قوى على المصريين الأصلاء يهائل التأثير العربى . وعلى سبيل المثال يذكر أوريغانوس أنه عندما كان اليونانى يريد أن يعلم المصريين كان يضطر الى دراسة لغتهم أولا والا فان مجهوده يضيع سدى (٢) . وقد جمع الامبراطور سيفيروس Severus عددا ضخما من الكتب الخاصة بالسحر وأغلق عليها فى قبر الاسكندر . أما دقلديانوس الذى أغضبته ثورة الجماهير والذى خشى أن يصير الناس أغنياء مرة أخرى فقد جمع بعناية جميع كتب الكيمياء (خاصة ما يتعلق منها بتحويل بعض المعادن الى ذهب التى كتبها المصريون القدماء وأحرقها فى ميدان عام . وبالطبع فان هذه الكتب كانت مكتوبة بالخط الديموطيقى (الشعبى) . وفى العصور الأولى للمسيحية كان القليل من المواطنين المتعلمين يتحدثون باليونانية . وعلى

(*) الديموطيقية خط وليست لغة منفصلة عن اللغة المصرية القديمة . مثلها مثل خط الرقعة بالنسبة الى النسخ والثلث فى اللغة العربية ، وكانت تكتب بها الرسائل بينما استخدمت الهيروغليفية للكتابة على المعابد والمقابر (المترجم) .

(١) هذا الدير مكرس على اسم القديس متى المسكين وليس متى الانجلى (احد الاثنى عشر تلميذا) كما ذكر فانسليب ، ومتى المسكين قديس قبطى تحتفل الكنيسة بذكراه فى الثالث من ديسمبر الذى يوافق الرابع والعشرين من هاتور .

(٢) استعرت هذه الفقرة والفقرات التالية من كتاب :
"Etienne Quatremere, Recherches Critique et Historique sur la Langue
et la Littérature de l'Egypte, Paris, 1808.

ذلك فإنه بينما كان الأنبا بولا الناسك يتحدث اليونانية (١) لم يكن القديس أنطونيوس يعرف إلا اللغة المصرية . وكانت رسائله الى الأديرة والمكتوبة بهذه اللغة ، لا تزال باقية على أيام المؤرخ أبو البركات . ونقرأ أيضا أن رسائل القديس أنطونيوس قد ترجمت الى اللغة المصرية الدارجة . وقد ورد في السيرة السريانية للقديس افرام أنه عندما قام بزيارة مصر لرؤية القديس المشهور الأنبا بيشوى لم يستطع كلا القديسين أن يتحدث مع الآخر لأن كلا منهما لم يكن يعرف سوى لغته القومية ولكن كلاهما نال موهبة التحدث بالأسنة . ويذكر مؤلف دراسة عربية حول أحد المخطوطات القبطية ، أن الدروس قبل الفتح العربى كانت تقرأ باليونانية ثم تفسر بالقبطية . ويذكر أبو المحاسن أن عبد الله بن عبد الملك والى مصر أمر بأن تكتب سجلات الدواوين باللغة العربية بدلا من القبطية وذلك سنة ٩٦ هجرية . وحتى ذلك التاريخ كان نظام حفظ الوثائق فى مصر أحد الأسرار التقليدية التى ظلت فى يد القبط . ويقول ساويرس أسقف الأشمونين الذى صنف كتاب تاريخ بطاركة الاسكندرية ، اعتمادا على المخطوطات اليونانية والقبطية الموجودة بدير القديس مقاريوس - فى مقدمة الكتاب - انه ترجم مصادر الكتاب الى العربية لأنها كانت لغة الحديث فى كل مكان فى الوقت الذى أصبحت فيه غالبية الناس تجهل اليونانية والقبطية معا .

ولابد أن ذلك كان خلال القرن التاسع الميلادى ، وأن اللغة القبطية لم تكن معروفة فى القرن التاسع لأن الأنبا يوساب البطريك الثانى والخمسين خاطب الجمع بالقبطية أثناء محاكمته وأن الموجودين بما فيهم المسلمين قد فهموا خطابه . ولا شك أنه عند حلول القرن الحادى عشر أصبح الأقباط أقل علما بها (٢) بالرغم من استمرارها بعد ذلك لمدة حوالى أربعة قرون . وقد أمرت قوانين البطريك الأنبا غبريال الثانى حوالى سنة ١١٤٠ ميلادية ، الأساقفة بشرح قانون الايمان والصلاة الربانية باللسان العامى أى بالعربية .

وقد وجدنا أن مخطوطات الفاتيكان مزودة بحواش مكتوبة باللغة القبطية ، كما تدل كتابات المقريزى فى أوائل القرن الخامس عشر على أن اللغة القبطية كانت لغة حية حينذاك . وعندما يتحدث عن الأديرة القريبة من أسيوط - على سبيل المثال - يؤكد أن الرهبان هناك يستخدمون

Rosweyde, vitae Patrum, p. 18.

(١)

Renaudot, Hist. Pat. Alex., p. 467.

(٢)

اللهجة الصعيدية وأن نساء وأطفال مصر العليا لا يتحدثون سوى اللهجة الصعيدية . ويذكر كذلك عن (درنكة) أن سكانها مسيحيون يتحدثون عظماءهم وبسطاءهم اللغة القبطية ويشرحونها بالعربية . وهناك مؤلف عربي آخر يدعى أبو صلاح يذكر ضمن تاريخه عن أديرة مصر - عادة ما زالت موجودة في اسنا يشارك بها المسيحيون في أفراح المسلمين حيث يقودون موكب العريس خلال الشوارع وهم يرددون نصوصا وأمثالا باللهجة الصعيدية . ويذكر فانسليب Vansleb أنه خلال زيارته لمصر سنة ١٩٧٢ تحدث - حسب زعمه - مع رجل آخر كان يتحدث القبطية بوصفها لغته الأم .

وهذه باختصار هي الحقائق التي تدل على بقاء عملية الانقراض - ولكن - من الغرابة أن نكتشف في ضوء هذا الدليل مدى جسامه الأخطاء التي ارتكبتها المراجع المهمة بالشئون الكنسية - في حق اللغة القبطية . ولذلك يعلن دنزنجر :

"Uno aut altero seculo post Arabum tyrannidem vernaculus linguae Aegyptiacae usus prorsus interiit." (1)

ولذلك فإن سرعة الاضمحلال أو التدمير في تاريخ هذه اللغة منقطعة النظر . ولا يقل خطأ نيل Neale في الناحية الأخرى عن ذلك حيث يسجل عن مطرانية في جنوب مصر أن « أقباطها متعلمون أفضل من غيرهم في سائر أنحاء الكرازة وأنهم جميعا يتحدثون القبطية ، بينما لا يزيد عدد الذين يفهمونها في القاهرة عن اثنين (٢) وبالطبع فإن اللغة القبطية ما زالت هي لغة الطقوس حيث أن القداس وغالبية الصلوات يجرى ترديدها بالعربية . ويقرأ الانجيل أولا باللغة القبطية ثم يقرأ باللغة القومية أي العربية . ولكن بعض أجزاء القداس مكتوبة باللغة اليونانية بينما كتبت التعليمات المدونة وكذلك بعض الصلوات والمزامير - باللغة العربية . وعموما نستطيع القول بأن نصوص الخدمة المستخدمة الآن - مكتوبة باللغة القبطية ، ولم يدون أقدمها الا بهذه اللغة . ولكن مع اضمحلال لغة الطقوس لعدم استخدامها في الحياة العادية ، نجد أن التعليمات والحواشي ورؤوس الموضوعات مع ترجمات مقابلة - قد كتبت جميعها باللغة العربية - . والجدير بالملاحظة أننا لا نجد نموذجا واحدا لمخطوط مكتوب بالقبطية والخط العربي الكوفي فربما أظهر لنا ذلك أنه لم يشعر أحد بالحاجة الى ترجمة عربية حتى بعد

Rit. Or., tom. I. p. 1.

(١)

Eastern Church : Gen Introd., vol. i. p. 118.

(٢)

أن تخلى الخط الكوفى عن مكانته لخط الرقعة العربى . والحقيقة أن النموذج الوحيد للخط الكوفى الذى استخدم فى الكنائس القبطية حسب علمى - هو النقش الموجود على الحجاب القديم المصنوع من خشب الارز بالكنيسة المعلقة . ومازالت بعض آثار الخط الكوفى موجودة فى حروف كتابة المنشورات البابوية أو غيرها من الكتابات الاحتفالية حتى وقتنا الحالى . وعلى ذلك نرى فى خطاب مكتوب منذ أربعين عاما مضت - موجه من بطريرك الاسكندرية الى رئيس أساقفة كانتربرى ، أنه بينما كتب الاسم والعنوان بخط الثلث العربى ، فإن التحية الرسمية كتبت بالخط الكوفى . كما نجد بعض الكلمات التى وردت فى نهاية الخطاب مكتوبة أيضا بالكوفى . وعلى ذلك فإن المخطوطات القبطية تندرج تحت ثلاثة تصنيفات لكل منها معناه التاريخى . الأول سابق على الفتح العربى ويتمثل فى المخطوطات الثنائية اللغة حيث توجد بها الكتابة اليونانية بجانب اللغة الوطنية وهى القبطية . وهذه المخطوطات فى العادة مكتوبة على ورق البردى ويعود تاريخها الى القرن الثانى وربما قبله . وأحيانا نجد هاتين اللغتين قد نقشتا معا على البلاطات أو الحجر .

ويتمثل الثانى فى أن النص اليونانى قد حذف وبقي النص القبطى وحده . وقد بدأ هذا التغيير مع استقرار العرب فى مصر عندما أعطى الغزاة مساندتهم لليعاقبة فى انشقاقهم ضد الملكانيين ، وبذل اليعاقبة قصارى جهدهم لتدمير كنائس الملكانيين وطمس معالم اللغة الملكانية ، ولذلك اختفت المخطوطات اليونانية القبطية حتى القرن العاشر الميلادى . وخلال تلك الفترة كان الخط اليونانى المتشابه شائعا بينما رفض الاقباط أى شكل من أشكال الحروف المتشابهة ربما لأن اللغة القبطية كانت تتخذ لنفسها الشكل الهيراطيقى (*) ولذلك لم تنحط الى مستوى استخدامات الحياة اليومية ، بينما كانت اللغة العربية تمر من مرحلة الخط الكوفى الجميل الى شكلها الحالى المنطلق والرشيقي ولذلك أصبحت مطوعة لتلبية احتياجات العمل والمعاملات الاجتماعية .

والتصنيف الثالث للمخطوطات يمثل المرحلة التى أصبحت فيها اللغة العربية معترفا بها رسميا بوصفها اللغة الشائعة واستخدمت فى كتابة النصوص جنبا الى جنب مع اللغة القبطية التى كانت فى مرحلة الاحتضار . وتعود هذه المخطوطات الى القرن الثالث عشر أو قبل ذلك بقليل ، ومازالت

(*) المعروف أن المصريين استخدموا الخط الهيراطيقى وهو خط الكهنة قديما ، فى كتابة المنشورات والوثائق الرسمية والعقود (المترجم) .

موجودة الى وقتنا الحالى بالرغم من أن لغة الجماهير ظلت غير منطوقة مائتى عام ، وحتى الكهنة الذين التزموا بقراءتها ، كان القليلون من بينهم هم الذين يفهمونها .

وما زالت بعض العبارات والمقتطفات اليونانية متأصلة كالحفريات - فى لغة الطقس القبطى - حتى اليوم . وعلى ذلك فكلمة (كيريا ليصون) كلمة شائعة على السنة المصلين اليوم فى أجزاء كثيرة من خدمة القداس وما زالت معظم النداءات التى يعلنها الشماس على الشعب - تنطق باليونانية مثل :

(اسباساسثيه اليوس ان فيلوماتى أجيو) وتعنى : قبلوا بعضكم بعضا بقبلة مقدسة .

(اين أناتولاس فليبيساتى) وتعنى : والى الشرق انظروا .

(أو كيريوس ميتابانتون ايمون) وتعنى : الرب مع جميعكم .

(كى ميتاتو ابنفماتوس سو) وتعنى : ومع روحك .

(ذوكسا باترى كى ايوكى اجيو ابنفماتى) وتعنى : المجد للآب والابن والروح القدس .

وكلمات خاصة مثل :

(باراديسوس) أى الفردوس ، (بروفيتيس) أى نبي ، (بارثينوس)

أى العذراء ، (أناستاسيس) أى القيامة ، أو (أنجيلوس) أى الملاك و (بانتوكراتور) أى القادر على كل شئ .

وما زال قربان الافخارستيا يختم بخاتم عليه العبارة التالية : -

(أجىوس أوثنوس) أى قدوس الله ، (أجىوس اسشيروس) أى

قدوس القوى ، (أجىوس آثاناتوس) أى قدوس الذى لا يموت .

ونورد هنا كلمة فى محلها بخصوص لهجات اللغة المصرية (١) :

١ - كانت اللهجة البحرية أو القبطية على الدقة هى لغة مصر الببلى وقد اشتق اسمها من اسم (ممفيس) العاصمة القديمة التى تقع جنوب القاهرة بمسافة قليلة . والكتاب المقدس مكتوب كله تقريبا بهذه اللهجة ، وكذلك أسفار التوراة الخمسة ، وسفر أيوب ، والمزامير ، وأسفار الأنبياء ، والعهد الجديد ، قد نشرت جميعها بهذه اللهجة . ٢ - اللهجة الصعيدية وقد

See : Dr. Tatiam's Compendious Grammer of the Egyptian (١)
Language. 2nd ed., 1863.

اشتق اسمها من اسم مصر العليا أو الاقليم الذي كانت عاصمته في طيبة .
ولذلك فان هذه اللهجة تسمى أحيانا اللهجة الطيبية . ومن الغريب
ملاحظة أن اللهجة الصعيدية بالرغم من بعدها عن مركز الحياة اليونانية
الا أنها استخدمت العديد من الكلمات اليونانية أكثر من الموجودة باللهجة
الأخرى التي تعتبر أقرب منها الى هذا المركز . وغالبا ما توجد الكلمات
اليونانية التي تكتب في كلتا اللهجتين ، عندما تكون اللهجتان متعادلتي .
ومن المعتاد في اللهجة الصعيدية أكثر من القبطية - التعبير عن الحروف
المتحركة بوضع خطوط فوق الحروف الساكنة . وتوجد نسخة كاملة من
الكتاب المقدس مكتوبة باللهجة الصعيدية بما فيها العهد الجديد بالرغم
من أنها مخطوطة ، وبالنظر الى عدم الاهتمام بدراسة اللغة القبطية
بانجلترا ، فان شيئا لم يتم تجاه مقارنة النصوص منذ القرن الماضي .

٣ - يوجد تشابه واضح بين اللهجة البشمورية - نسبة الى اقليم
بشمور بالدلتا - وبين اللهجتين القبطية والصعيدية ولكنها أشد منهما
غلظة وهذا أمر طبيعي بالنسبة للعادات القبلية الغليظة التي تميز المتحدثين
بها . ولم يبق الا القليل من الشذرات المكتوبة بهذه اللهجة وتم نشرها .

أما دراسة اللغة القبطية في العصور الحديثة فتعود الى كتاب :
"Kircher's 'Prodromus Coptus'" الذي طبع سنة ١٦٣٦ . وبعد
ذلك بشمانين عاما نشر بلومبرج Blumberg كتابا عن قواعد اللغة القبطية .
وفي سنة ١٧٧٨ نشر أسقف أرسنوي Arsinoe (ارسانيوس) واسمه :
الطونخي - بحثا عنوانه "Rudimenta Linguae Copticae" (= مبادئ
اللغة القبطية) ولكن أول دراسة علمية لقواعد اللهجات الثلاث كتبها
تاتام Tattam ونشرت سنة ١٨٣٠ (١) .

(١) لا ينبغي أن كتبوا في هذا الموضوع ومعظمهم من خريجي أكسفورد أن يملوا
من الكرام على الخدمات العظيمة التي قدمتها جامعة أكسفورد لدراسة اللغة القبطية .
وتعود بداية إثارة حماس الدارسين لهذا الموضوع الى نشر مجموعة المخطوطات الشرقية
الشمينة التي أهداها الزحالة هانتنجتون Huntington الى مكتبة بودليان Bodleian
في القرن السابع عشر . وقد عمل الدكتور مارشال Marshall عميد كلية لنكولن
Lincoln College الذي يوصف بأنه أستاذ اللغات الشرقية والذي
نشر ترجمة كتاب (أبو دقن) في أكسفورد سنة ١٦٧٥ - في دراسة اللغة القبطية
بنجاح حتى وصل الى حد تقديم طبعة للعهد الجديد بهذه اللغة ومعها ترجمة لاتينية وبعض
التعليقات . ولكن عندما وصلت أول ملزمة الى المطبعة انتهت مهمة العميد بوفاته . وبعد
ذلك استدعى الدكتور فل Fell أسقف أكسفورد الذي كان قد دفع لتوّه ثمن بنط
خاص لطباعة اللغة القبطية وخصصه لهذا العمل - دارسا من جامعة كامبردج اسمه
توماس ادوارد Thomas Edward ، استطاع بعد معوقات عديدة أن يطبع ليس فقط =

وقد وصفنا الأدب القبطي بأنه أدب ديني بالضرورة . وأعتقد أنه لا يوجد مكتوبا باللغة القبطية نموذج واحد للكتاب المقدس كله ، وكذلك لم نجد أسفار العهد القديم كلها مكتوبة بهذه اللغة حتى في شكل منفصل . ولكن الى جانب النسخ التي سبق ذكرها يوجد أيضا العديد من الأناجيل المنحولة وأعمال العارفين (الغنوسيين) بأشكال مختلفة ، بينما توفرت سير وأعمال القديسين ، والميامر ، والعظات ، وسير الشهداء (١) .

ولكن بينما نجد في كل كنيسة من الكنائس القريبة من القاهرة أو في داخلها - مجموعاتنا الخاصة من الكتب ، فان المكتبة الوحيدة التي يطلق عليها اسم مكتبة والتي تحتل شقة مستقلة هي مكتبة البطريك .

= العهد الجديد بالقبطية بل انه طبع أيضا معجما قبطيا . وحوالي نفس هذه الفترة أرسل وتسن Witsen رئيس بلدية أمستردام Amsterdam بنطا خاصا لطباعة اللغة القبطية كهدية لطبعة جامعة أكسفورد . وفي سنة ١٧١٦ نشر الدكتور ولكنز Wilkins الألماني المولد رغم اسمه الانجليزي - العهد الجديد بالقبطية واللاتينية على نفقة الجامعة . وعمل جابلونسكى Jablonski لفترة ما في عمل نسخ للمخطوطات بأكسفورد . وبعد موته اشترى الدكتور رادكليف Radcliffe المعروف - العديد من كنوزه ، من ابنه .

وبنا الدكتور كبرلاند Cumberland أسقف بتروبرو Peterborough دراسة اللغة القبطية بحماس نادر وهو في سن الثمانين . أما جورج هويستون George Whiston فقد نسخ وترجم أسفار موسى الخمسة الى اللاتينية ، وهما رجلان انجليزيان يتحتم تسجيل اسميهما رغم أنهما ليسا من خريجي أكسفورد . وفي سنة ١٧٦٥ حصل مستر وويد Woide من شولتز Scholtz في برلين على مقتطفات من معجم وكتاب نحو ومقالات كلها باللغة القبطية وأحضرها الى الدكتور دوريل Durell الذي كان حينذاك وكيلًا لجامعة أكسفورد . واستطاع الدكتور دوريل والدكتور هويلر Wheeler أن يستكملا معا نشر هذه الأعمال الثلاثة على نفقة الجامعة . وعهد الى وويد Woide بعد ذلك بمهمة طبع النسخة الصعيدية وقطع شوطا طويلا في هذا الصدد ولكنه لم يعش ليرى انتهاء هذا العمل . وقد تصدى لهذه المهمة البروفيسير فورد Ford أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد فقام بمراجعة وتصحيح العمل كله اعتمادا على الوثائق الأصلية ونشر النص في مطبعة أكسفورد سنة ١٧٩٩ .

ومنذ ذلك التاريخ لم يتم سوى القليل من الجهد لدراسة اللغة القبطية في إنجلترا . كما قل الجهود المبذول في أكسفورد ، ولكن مطبعة الجامعة نشرت معجم تاتام Tattam سنة ١٨٣٥ . وفي سنة ١٨٣٦ نشرت الجزء الخاص بالأنبياء الصغار ثم الجزء الخاص بالأنبياء الكبار سنة ١٨٥٢ . ولكن القليل من الدارسين هم الذين يعرفون ما عمله علماء أكسفورد نحو اللغة القبطية في الماضي ولذلك ضاعت إنجازات القرنين السابع والثامن عشر في طوايا النسيان خلال القرن التاسع عشر .

(١) توجد قائمة بهذه الأعمال في :

Catalogus Codd. Copt. MSS. in Museo Borgiano : 4 to. Romae, 1810.

وأظن أن عالما فرنسيا فحصها وفهرسها مؤخرا ، ولكن يبدو أنه لم يجد فيها أية جوهرة نفيسة (١) أما الكتب التى فى الكنائس فهى جميعها خاصة بالخدمة بصرف النظر عن تعدد أنواعها • ونستطيع تكوين فكرة جيدة عن طبيعتها بالنظر الى قائمة المخطوطات التالية التى وجدت فى كنيسة بمدينة اسنا القريبة من الأقصر :

- ١ - قوانين الكنيسة القبطية - من القرن الثانى عشر •
- ٢ - كتاب البشائر - من القرن الثالث عشر •
- ٣ - قطماروس (كتاب فصول القراءات) - من القرن الرابع عشر •
وهذه المخطوطات مكتوبة على الرق • أما البقية التى سنوردها فيما يلى فهى مكتوبة على الورق :
- ٤ - رسامة الرهبان - سنة ١٣٥٨ •
- ٥ - رسامة بقية الرتب الكنسية •
وهى رتب الابصلتس (المرتل) والأناغنوستيس (القارئ) ومساعد الشماس (الايودياكون) ورئيس الشماسية (الأرشيدياكون) ثم القس والقمص (الايغومينوس) وأخيرا الأسقف والمطران والبطريرك وهذه الرتب الثلاث الأخيرة لها طقس رسامة واحد (٢) •
وهذا المخطوط يعود الى القرن السادس عشر •
- ٦ - كتاب السبع صلوات المرتبة مع المزامير حسب الساعات (الأجبية) - من القرن السادس عشر •
- ٧ - كتاب الخولاجى للتقديس Euchologion - من القرن السادس عشر •
- ٨ - الأنبياء الصغار - من القرن السادس عشر •
- ٩ - صلوات التجنيز - من القرن السادس عشر •

(١) يمتلك بطريرك كنيسة الاسكندرية الارثوذكسية مكتبة أخرى من المخطوطات اليونانية بكنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة وبها مخطوط يعود الى القرن التاسع وعدد آخر يعود الى القرن الثالث عشر ليس بينها ما يلفت الأنظار •

(٢) ليست هذه هى الحالة المبينة فى مخطوط رينودو • وهذه الدراسات تؤدى بنفس الطريقة لدى السريان الارثوذكس والموارنة وذلك بالنسبة للأسقف والمطران • أما رسامة البطريرك فهى مختلفة وان كانت واحدة بالنسبة لكنيسة الاسكندرية •

- ١٠- كتاب فى الطب الروحانى والمرشد فى سر التوبة والاعتراف
Mystagogia - من القرن السادس عشر .
- ١١- تكريس الميرون وزيت القنديل - من القرن السادس عشر .
- ١٢- ترتيب المعمودية وتكريس أدوات المذبح - من القرن السابع عشر .
- ١٣- تكريس المذابح وأجران المعمودية - من القرن الثامن عشر .
- ١٤- نسخ عديدة من الاناجيل والرسائل والقداسات الثلاثة وخدمات التكريس المختلفة (١) .

فيوجد فى كل كنيسة كتاب السنكسار أو سير القديسين ، ويقرا منه فصل أثناء صلاة باكر أو قداس الموعوظين حسب عادة قديمة تقررت فى مجمع قرطاجنة الثالث الذى انعقد سنة ٣٩٧ للميلاد . ويتشابه هذا الكتاب مع الكتاب المستخدم فى الكنائس الانجليزينة والذى تقرا منه دروس صلاة باكر ، أو كتاب سير الشهداء Martyrology الذى كان يقرأ عند نهاية الترنيمة الرئيسية (٢) وكتاب السنكسار موجود داخل الكنيسة ولا توجد منه نسخ لدى الأفراد ، وهو مترجم الى اللغة العربية لاستعماله فى الخدمة . ونود الإشارة الى أن القصص التى أوردناها فى نهاية هذا الكتاب مأخوذة عن النسخة العربية وتعطينا فكرة عن التقاليد المعجزية التى مازال المؤمنون يستمعون اليها بتوقير عظيم .

أما كتاب خدمة القداس فيطلق عليه بالعربية اسم : « الخولاجى » . أما دلال السنة أو القبطماروس فهو اصطلاح لسنا متأكدين من أصله . ونذكر أيضا « الأجبية » أو مزامير السبع صلوات المرتبة حسب الساعات . أما بالنسبة للأعياد فهناك ترتيب منفصل بالنسبة للاكليروس وللمؤمنين من غير الاكليروس . ويوجد كذلك كتاب التسبحة (الأبصلمودية) الخاص بالأعياد السيديّة أى المرتبطة بشخص السيد المسيح وتلك الخاصة بالعذراء . وهناك كتابان آخران أحدهما خاص بالبصخة (أسبوع الآلام) والدفنار أو مدائح القديسين والشهداء . وقيل ان الذى جمعه هو الأنبا غبريال البطريك السبعون حوالى سنة ١١٣٥ للميلاد (٣) . أما السنكسار فقد دونه الأنبا بطرس أسقف مليج .

(١) See . Academy. Dec. 28. 1882, Article by : J. H. Midrillon.

(٢) Rock, Vol. iii. Pt. II. p. 212.

(٣) See : Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 62.

وبالإضافة إلى الكتب السابق ذكرها فإن كل كنيسة لديها سجل بجميع أوانيها المقدسة وغيرها من المتعلقات التي يقوم الوكيل أو الناظر بمراجعتها مرة كل عام ، ومن بينها كافة الهبات التي تقدم إلى الكنيسة - وأحيانا إن لم يكن غالبا - يدون معها اسم المتبرع أو مقدم الهبة . وهذا السجل يسمى كتاب التقديمات . ويمثل من بعض النواحي كتاب المتبرعين الخاص ببعض الكنائس الانجليزية الكبرى في العصور القديمة ويسمى *The Book of Benefactors* . وبالرغم من أنه لا يحفظ في نفس المكان المخصص للتكريم أو ضمن المواد الثمينة . وعلى سبيل المثال. نقرأ في كاتدرائية دورهام Durham أن كتاب المتبرعين « الموضوع على المذبح الرئيسي هو كتاب فخيم ومجلد بغلاف من الذهب والفضة ، ويحتوي على أسماء جميع المتبرعين لكنيسة سانت كوثربرت Cuthbert منذ تأسيسها » . ونقرأ مرة أخرى : « هناك كتاب آخر ثمين يتضمن الرفات والجواهر والحلى والملابس التي قدمها هؤلاء المؤسسون للكنيسة » (١) .

ولنا وطيد الأمل في أن يتم فحص هذه السجلات القبطية بمعرفة دارس عربي يتحلى بالقدر الكافي من الكياسة والصبر والمهارة لاستكمالها وفك رموزها . ولا يوجد من هو أعلم من مؤلف هذا الكتاب بما ستتكلفه هذه العملية من الوقت والجهد والمال ، حتى تصبح هذه السجلات صالحة للاستعمال . ولكن إذا تشابهت كما هو متوقع ، مع سجلات كنائسنا الانجليزية ، وإذا قدر لبعضها كما هو محتمل ، أن تدلنا على شيء ثمين ، فستؤدي نتائجها إلى إثارة الاهتمام الشديد بالشئون الكنسية ، وتكافؤا مع ما ستحتاجه من تكلفة في الوقت وما ستؤدي إليه من مضايقات .

الفصل السابع

الأسرار السبعة

المعمودية - التثبيت - الشكر (التناول) - التوبة

يؤمن الأقباط منذ فجر المسيحية بسبعة أسرار قانونية وهي المعمودية ، والتثبيت (الميرون) ، والشكر (الافخارستيا) ، والتوبة ، والكنوت ، والزيجة ، ومسحة المرضى .

لقد كتب الكثير عن طبيعة هذه الأسرار كما تفسرها كنيسة الاسكندرية وذلك في عصور تسبق جيلنا الحالي - عن طريق مصادر أوربية (١) من بينها المصادر الانجليزية . ولكن يبقى شيء نرى أنه من المناسب معالجته في هذا الكتاب ، وبما أنه لا يمكن استكمال وصف مباني الكنيسة بدون الحديث عن المراسم التي أقيمت من أجلها ، فمن الطبيعي كذلك أن تكون العمارة تابعة للطقس . ولكن مؤلف هذا الكتاب لا يستطيع أن يدعى لنفسه ما يتعدى القدرة على الاقتراب الخفيف من الشئون المتعلقة بالقداس ، وذلك بتسجيل شهادة غيره من المؤرخين وإضافة الحقائق التي لاحظها .

وتعميد الأطفال مقرر ليس فقط حسب العادة المطبقة حالياً بل أيضاً حسب القوانين القديمة التي تأسست طبقاً للشرعية الموسوية فيما يختص بالتطهير ، وحددت مدة أربعين يوماً بوصفها السن المقررة لتعميد الأطفال الذكور ، وثمانين يوماً لتعميد الإناث وهي الفترة الزمنية المقررة لتطهير الأم بعد الولادة ، وبعدها يتحتم حضور الأم إلى الكنيسة (٢) .

(١) The Assemani, Vansleb, Renaudot, Denzinger, & c.

(٢) يخطئ بوكوك في تحديد سن ٢٤ يوماً لتعميد الأنثى - انظر :

Description of the East, vol. i. p. 246. Barhebraeus (Chronicon

Ecclesiasticon, ed. Abbeloo et Lamy, Louvain, 1872.

يحدد ثلاثين يوماً للطفل الذكر ، وكذلك أيضاً النص الوارد في مخطوط الفاتيكان الذي اقتبس أسيمان عنه ، بالرغم من الاتفاق على تحديد عمر الأنثى بثمانين يوماً ، ولا أشك في هذا الموضوع جدياً .

ولكن اذا ظهر خطر الموت أو عند الضرورة القصوى ، يمكن تعميد الطفل مباشرة بدون اعتبار لشرط العمر . ان القاعدة اليهودية الخاصة بالختان فى اليوم الثامن تعتبر قاعدة عامة ولكنها ليست اجبارية ولا تعتبر طقسا دينيا . ويحظر تماما اجراء عملية الختان بعد المعمودية . ويسرى نفس هذا القانون الخاص بالعمر على تعميد الأطفال عند كنائس الاثيوبيين والسريان والنساطرة ، ولكن كنيسة الأرمن والنساطرة المحدثين تثبتان العمر عند ثمانية أيام من الولادة . ونقرأ أن نفس هذه العادة مطبقة فى القاهرة . ولكن بالرغم من أن التاريخ القبطى يسجل بعض حالات الخروج على التقليد الأصلى فى بعض الفترات ، فإن القوانين لم تغير أو تلغى على أية حال . وعلى ذلك فقد أكد البطريك الأنبا خائيل الأول سنة ٧٥٠ للميلاد هذه القاعدة المتعلقة بتعميد الأطفال — وبعد ذلك بثلاثة قرون منع الأنبا خريستوذولوس تعميد الأطفال من الجنسين فى نفس ماء المعمودية وأمر بوجود أن ينال الأطفال سر التناول بمجرد خروجهم من المعمودية حسب العادة القديمة . وعلى ذلك فإن كلا من البطريك الأنبا مكاريوس الثانى والأنبا غبريال الثانى قد شجبا اجراء عملية الختان بعد المعمودية ، وكان ذلك خلال القرن الثانى عشر . والحقيقة أنه منذ تطبيق هذه القوانين الصارمة ونحن نكتشف بعض التراخى فى التنفيذ من وقت لآخر .

وقد حددت لتطبيق هذا الطقس فترات معينة من السنة ، بينما منع فى فترات أخرى ، ولكن الاستثناءات تحدث دائما أثناء الخطر أما الفترات غير المناسبة لاجراء المعمودية فهى فترة الصوم الأربعينى بكامله وأسبوع الآلام وعيد القيامة . ويذكر الأنبا مقاريوس أسقف ممفيس فى القرن الثامن أن المعمودية كانت تجرى خلال العصور المبكرة للكنيسة مرة واحدة كل عام فى يوم الجمعة العظيمة (١) ولكن هذا القول يختلط بالأساطير ويبدو أنه مدهوس . أما قوانين الأنبا خريستوذولوس فتمنع اجراء المعمودية عشية عيد القيامة وخلال فترة الخمسين . ونجد أن الموسم المناسب للعماد منذ أقدم العصور وحتى يومنا الحالى هو عيد الغطاس أو الظهور الالهى . ولكن أبو دقن (٢) يذكر — وهو مصدر غير جدير بالثقة ولكن ربما كان صادقا فى هذا الصدد — أن يومى عيد القيامة وعيد العنصرة هما اليومان اللذان كانا مخصصين للعماد فى القرن السابع وقد رأينا من قبل أنه نادرا ما يوجد فى أى كنيسة مصرية معمودية خارج المبنى الكنسى ، وأنه بينما تتضمن معظم التصميمات جرن المعمودية عند

Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 83.

(١)

p. 16.

(٢)

الطرف الغربى بالقرب من الباب الرئيسى ، فان المعمودية الآن أصبح موضعها فى أماكن مختلفة وبذلك أصبح من المحتم دخول الأطفال الى الكنيسة قبل اتمام سر المعمودية . وتتبقى نقطة واحدة تصور لنا بوضوح العادة القديمة الخاصة بتنفيذ الطقس خارج الكنيسة ولكن فى داخل مبنى مكرس خصيصا لهذا الغرض . ونظرة عاجلة الى الرسم الرابع (١) توضح لنا الترتيب القديم المعروف والخاص بتطبيق الطقس القديم . وهناك يتم استقبال الطفل المرشح للعماد أولا فى ردهة صغيرة عند المدخل ثم يقتاد الى المعمودية . وبعد تمام الطقس يقتاد الى الهيكل الجانبى المواجه مع اعتباره خارج الكنيسة ثم يتناول من سر الافخارستيا وبذلك تتم عضويته فى جماعة المؤمنين ويصبح له الحق فى دخول مكان العبادة . وتتمثل الخطوة التالية فى نقل المعمودية والهيكل الجانبى داخل الحائط الغربى للكنيسة أى فى الرواق وأقيم حائط يفصلهما عن صحن الكنيسة والجناحين أو على الأقل يفصلهما عن صحن الكنيسة . ويبدو أن هذا التقليد قد استمر بكنيسة أبى سرجة ويشهد على ذلك المحراب الغربى الذى مازال موجودا بلوحاته المرسومة بالفريسكو . وأخيرا فقد جرى التخفيف من تزمّت العادة القديمة بإزالة الفاصل الذى كان موجودا بين المعمودية والكنيسة . واختفت الحاجة الى تخصيص هيكل جانبى لحديثى العضوية . وأصبح مكان المعمودية متروكا للمصادفات وبدون تحديد (٢) ولكن الأقباط فى كل الأحوال لا يسمحون بعماد الأطفال فى منازلهم ، فمن الضرورى حضور الجميع الى مبنى الكنيسة . ويطلق على المعمودية اسم « الأردن » ولكن الاسم القبطى القديم (تى كوليمبثرا) أى جرن المعمودية يعود الى أصل يونانى . وقد نشر برنارد الذى من لوكسمبرج ، وجاك دى فيتري ، وآخرون غيرهم قصة تثير السخرية فحواها أن الأقباط يعمدون أطفالهم بالنار (٣) بعمل وشم بالنار على شكل صليب فوق الجبهة وذلك بعد التعميد . وهذه القصة محض خيال ولكنها ربما كانت مأخوذة عن العادة الأثيوبية الخاصة بتشريط ووشم الوجه (*) .

See : Vol. i. p. 352.

(١)

(٢) يخطئ دننجر فى القول بأن المعمودية القبطية يجب أن تكون :

(نحو الشرق أى خارج باب الكنيسة اليسرى وهو الباب الشمالى أى البحرى) .

(٣) انظر : (Rit. Or., tom. i. p. 14) وأنا أعتز بشدة على ما أورده

دننجر فى معالجته للطقوس القبطية مما جعلنى أقدمها بالتفصيل لازالة الارتباك المستمر الذى أوجده مثل هذا المرجع .

(*) منذ حوالى عشرين عاما شاهدت بعينى واعظا من أبناء الصعيد يرتدى

الملابس البلدية يقف على منبر إحدى الكنائس لالقاء العظة ، ثم يزيح الشال الذى كان يغطى جبهته ليظهر صليب مرسوم بالوشم يبلغ طوله عرض الجبهة (المترجم) .

ويتم سر المعمودية في جميع أنحاء العالم باستخدام الماء الطبيعي. ولكن الأقباط يطبقون العادة الكاثوليكية التي تلزم بتقديس الماء ، ويجرى هذا التقديس في كل مرة يجرى فيها التعميد باستخدام ماء جديد بينما تتم مباركة الماء في الكنيسة اللاتينية بعمل قداس مرة واحدة أو مرتين. خلال العام كله ، وبذلك فإن الماء الذي يتقدس بهذه الطريقة يحفظ لاستخدامه حسب الظروف . ويتفق أبودقن مع بقية المصادر في القول بضرورة تسريب الماء بعد التعميد عن طريق مجرى للصريف . وبالرغم من ان التعليمات تصرح بأن الكهنة في القاهرة كانوا في فترة ما يحتفظون بكمية قليلة من الماء للاستعمال في حالات الطوارئ (١) إلا أن القانون يوصى بعدم اجراء المراسم الطقسية إذا كان التأخير سيعجل بموت الطفل المتقدم للعماد . وهناك قصة بنفس المعنى تتحدث عن امرأة كانت قادمة الى الاسكندرية عن طريق البحر وتعرضت السفينة لعاصفة هوجاء . ومع ظهور خطر الموت غرقا وخشية أن يموت طفلاها دون عماد ، جرحت ثديها وأخذت من الدم الذي سال ورشت طفليها (٢) ورددت العبارة التي تستخدم في العماد . وفيما بعد ، عندما أحضرت طفليها الى الأسقف في الاسكندرية لتعميدهما ، تجدد الماء في المعمودية لمنع إعادة الطقس الذي قامت هي ذاتها بإتمامه في البحر . وأخيرا فإنه لا يبقى لدينا أى شك بخصوص حفظ الماء المقدس للمعمودية وأنه ينقضى مع الكلمات التي تقال في نهاية اتمام السر والتي تتضمن الصلاة بأن يعود الماء الى طبيعته السابقة ، وأن يعود الى الأرض مرة أخرى . وتأمّر التعليمات المدونة الكاهن بأن يصب عليه ماء جديدا ثم يسرب ماء المعمودية مع الحرص على عدم استخدامه مرة أخرى .

ولا يعرف المسيحيون الأرثوذكس سوى التغطيس كأسلوب وحيد للتعميد وهم بذلك يختلفون عن اليونانيين لأنه بالرغم من استخدام اليونانيين لأسلوب التغطيس ، فإن أسلوب الرش له نفس الأهمية عندهم ، ان لم يكن أكثر أهمية . وهناك بعض الأسئلة المتعلقة بأسلوب التغطيس لدى الأقباط سواء كانت الغطسه الأولى أم الأخيرة هي التامة ، لأنه لا جدال في أن التغطيس يتم ثلاث مرات . ومن المحتمل أصلا - اعتمادا على صمت القوانين - أن الطفل كان يغطس بكامله ثلاث مرات تحت الماء ، ولكن خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، جرت العادة بأن يغطس الكاهن الجسم حتى

(١) يؤكد نيل (Gen. Introd. vol. ii. p. 977) . أن الطقس الحالي لا يقبل هذا الترتيب .

(٢) يقول دنزنجر ان ماء البحر كان يستخدم في مثل هذه الحالة ولكن القصة كما أوردناها في نهاية هذا الكتاب تتحدث عن استخدام الدم .

الرقبة ، وفي المرة الثالثة يغطي الماء رأس الطفل . ويعلم فانسليب Vansleb أنه لكي يعمل الداهن هيئه الصليب فإنه يمسك الرسغ الأيمن للطفل مع قدمه اليسرى بإحدى يديه ، بينما يمسك رسغه الأيسر وقدمه اليمنى باليد الأخرى (١) وقد يكون ذلك صحيحا ولكنه يبدو كنوع من التعذيب . أما عند النساطرة فإن المرشح للتعيميد يقف في الماء حتى يصل الماء الى عنقه ويقوم الكاهن بتغطيس رأسه في الماء ثلاث مرات ، ولكن الأرمن وغيرهم من أتباع المذاهب الشرقية الأخرى يجمعون ما بين أسلوبى الرش والتغطيس . والقوانين القبطية صريحة جدا حول هذه النقطة فتقول انه فى حالة تعيميد الطفل الضعيف أو المريض ليس من الضروري استخدام أسلوب التغطيس ، ويمكن اتمام السر فى هذه الحالة برش الماء ثلاث دفعات . وقد ورد هذا المبدأ بوضوح فى أقدم حديث عن المعمودية المسيحية وهو كتاب « تعاليم الرسل » الذى يعود الى القرن الثانى (٢) حيث يأمر بأن يكون « التعميد بالماء الجارى أو الطازج باسم الآب والابن والروح القدس . وفى حالة تعذر الحصول على هذا الماء يستخدم ماء آخر . وإذا كان الماء شديدا البرودة بحيث يسبب الضرر فمن الجائز استخدام الماء الدافئ . وإذا تعذر الحصول على الماء الدافئ أو البارد ، يصب الماء الموجود ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس . وقبل المعمودية بيوم أو اثنين يجب أن يصوم من سيقوم بالتعميد ومن سيتقدم للتعيميد » .

وهذه الاشتراطات ضرورية بالإضافة الى تحقيق تقدم بالنسبة للطقس الذى ذكرناه أو على الأقل بالنسبة لتفسيره فى أقدم قصة عن اتمام هذا السر بكنيسة الاسكندرية . وقد وجدت هذه القصة فى القوانين الرسولية التى يعود تاريخها الى القرن الرابع أو الخامس (٣) وهنا نجد أن المرشحين للتعيميد يصومون استعدادا ليوم الأحد وفى هذا اليوم أى الأحد يحضرون الى الأسقف ويجثون أمامه . ثم يقوم الأسقف بوضع يديه عليهم وطرده أى روح شرير عنهم ، ثم ينفخ فى وجوههم ويرشم جباههم وآذانهم وأنوفهم ، ويقضون الليل سهارى فى القراءة والوعظ .

Histolre, p. 81.

(١)

(٢) دستلجن تون ابوستولون

(٣) لأجل النص القبطى والنص الانجليزى انظر :

Tattam's Apostolical constitutions, London, 1848, p. 52 seq.

ولأجل النص اليونانى انظر :

(Bunsen's Christianity and Mankind, London, 1854, vol. vi. p. 465.

وفى باكر اليوم الثانى عند صياح الديك يجرى تكريس الماء الذى يصب فى جرن المعمودية ، واذا عز الحصول على الماء الطازج فانهم يستخدمون الماء الموجود . وتعنى هذه الفقرة المبهمة أن الماء يجب أن يسحب من البئر المقدسة كما هو الحال بكنيسة أبى سرجة وغالبية الكنائس المصرية - ويتحتم وجود الوكيل (الأشبين) بالنسبة لصغار السن للإجابة عنهم وهؤلاء الوكلاء هم الوالدان أو من بين ذوى الأرحام . ويصلى الأسقف صلاة الشكر على الزيت الموجود فى زجاجة ويسمى زيت التهليل ولا يستخدم هنا الميرون وإنما هو زيت يستخدم لطرد الأرواح الشريرة ويسمى الغاليلايون . ويقف على يمين الكاهن شماس يمسك بزيت الميرون كما يقف على يساره شماس آخر يمسك بزيت الغاليلايون ويلى ذلك جحد الشيطان exorcism الذى يدهن المرشح بعده بزيت الغاليلايون ثم يقف المرشح فى الماء بعد أن يخلع ملابسه . وعند كل مرة يتم فيها الاعتراف بالآيمان يغطس فى الماء الى ثلاث مرات . ثم يخرج من الماء ويرشم بزيت الميرون ثم يلبس الملابس ويدخل الى الكنيسة . وهناك يضع الأسقف يده على رأسه ويرشم جبهته ويحييه أو يقبله وينطق الجميع عبارة السلام بأفواههم وبذلك ينتهى طقس التثبيت .

ويبدو أن الرشم هنا وفى أى مكان آخر يقصد به علامة الصليب و « بقول السلام » وبلاشك فان عملية السلام هذه مقصودة .

وبعد العماد والتثبيت مباشرة يأتى دور تناول السر المقدس - سر الشكر . يقوم الأسقف باتمام صلوات تقديس الخبز والخمر ومباركة اللبن وعسل النحل ، ثم يقسم الخبز ويعطى لكل واحد جزءا منه قائلا : « هذا هو خبز السماء ، جسد المسيح يسوع » ثم يعطيه من الكأس قائلا : « هذا هو دم المسيح يسوع مخلصنا » . وكذلك يقدم من اللبن والعسل لكل واحد .

وبعد أن تحدثنا عن القوانين الرسولية ، دعنا ندخل الآن الى صورة أخرى من المراسم التى دونها بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة القديس ساويرس (١) بطريرك الاسكندرية سنة ٦٤٦ للميلاد . يبدأ الاحتفال بعملية « خلط المياه » وهى عبارة لم نعرف معناها ، ولكنها تعنى أن الكاهن ينفض أو يحرك الماء بيده . وبعد ذلك يأتى دور حرق البخور مع صلاة لمحاربة « سلاطين قوات الهواء » وبعدها ينفخ الكاهن فى الماء ثلاث مرات . وبعد ذلك يرشم علامة الصليب ثلاث مرات على جبهة كل طفل بدون استخدام الزيت ويطرد

(١) See : Maxima Bibliotheca Veterum Patrum, Lyon, 1677, tom. xii. p. 728.

عنه الشياطين برشم صلبان أخرى كثيرة على الوجه • ثم يتجه الأطفال الى الغرب لمجد الشيطان ثم يعودون الى الشرق مرة أخرى • ويرشم الكاهن ثلاثة صلبان على جبهة كل طفل بزيت الزيتون - والواضح أن هذا هو زيت الغاليلايون أو زيت الموغوظين •

والآن وبعد رفع البخور تأتي صلوات تبريك الماء فيرشم الكاهن علامة الصليب على سطح الماء ثم يعمل باصبعه أربعة صلبان صغيرة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، مصحوبة بالدعوات العديدة • ثم يصب زيت الغاليلايون من قنينة صغيرة على الماء في شكل ثلاثة صلبان ، ثم يصب زيت الزيتون على رأس كل طفل ويضعه في جرن المعمودية واضعا يده اليمنى على رأسه ويرفع الطفل من الماء بيسراه ثلاث مرات قائلا :

« نعمه (فلانا) باسم الآب آمين ، والابن آمين ، والروح القدس آمين • » وكلمات الطقس هنا تعنى أن الطفل قد غطس تحت الماء ثلاث مرات ولا يوجد أى اختلاف فى أى من الثلاث تغطيسات عن الأخرى •

وبعد انتهاء هذا الترتيب يخرج الطفل من المعمودية ويرشم بالميرون ثلاث مرات على جبهته ثم على سائر أعضاء الجسم ثم يلبس الملابس ويقدم الى المذبح للتناول من سر الافخارستيا • وينهى الكاهن هذا الطقس عندما يتوج الأطفال الذين تعمّدوا بأكاليل من الزهور •

والتثبيت هنا يتم ضمنيا وليس بالقول ، ولم يرد شئ عن اللبن والعسل • أما الأسقف مكاريوس الذى نقلت عنه هذا الكلام والذى عاش بعد ذلك للقرن التالى ، فيذكر أن هذه العادة تعود الى العصور الأولى للكنيسة فيقول : « كانت ممارسة سر العماد بالاسكندرية فى العصور القديمة تتم فقط يوم الجمعة العظيمة فيلتقى البطريرك والعديد من الأساقفة فى كنيسة الانجيليين ويرفعون غطاء جرن المعمودية ويقرأون العظة • وفى اليوم التالى يجتمعون فى نفس المبنى حيث يقوم البطريرك بتقدّيس زيت الميرون وزيت جسد الشيطان أو الغاليلايون أى ايلايو أغالياسيوس أى زيت البهجة ويقابله الاصطلاح اللاتينى "Oleum cate chumenorum" أى زيت الموغوظين • وبعد ذلك يمضون الى جرن

(١) ينكر نيل Neale بشدة أى اثر يدل على وجود اللبن والعسل فى الطقس القبطى (Gen. Introd., vol. ii. p. 971) ولكنه يذكر أن هذه العادة موجودة بكنيسة قرطاجنة وما زالت موجودة فى الطقس الاثيوبى (Vol. iii. pt. 2. p. 102.) ويذكر أن اللبن والعسل يقدمان فى الكنيسة الانجليزية بعد سر الافخارستيا يوم خميس العهد ، وكانا يقدمان معا للمعمدين حديثا يوم سبت النور :

المعمودية حيث يقوم البطريرك بتعميده ثلاثة من الأطفال الذكور . وبعد أن يقوم الأساقفة بتعميد بقية الأطفال يقوم البطريرك برشم جميع الأطفال بكتلا النوعين من الزيت . وعند نهاية القداس يتقدم الأطفال المعمدون للتناول ثم يتناولون أيضا اللبن والعسل الذي يخلط في نفس الكأس (١) .

هذه المراسم لا تختلف اليوم عن تلك التي دونها الأنبا ساويرس . حيث تقام عند بداية الاحتفال صلاة التطهير على رأس أم الطفل وترشم على جبهتها بالزيت . وبالرغم من أن هذا الطقس لم يدون في أى وثائق سابقة على كتاب فانسلييب إلا أنه قد ظهر في العصور الحديثة ، وربما أيضا العصور الوسطى . والحقيقة أن الصمت في الأمور الطقسية يقود إلى مجادلات خطيرة ، فمن الصعب على المؤرخ خاصة المؤرخ القديم أن يغفل بعض التفاصيل كما فعل الأنبا ساويرس الذي أخطأ بحذف أى ذكر لموضوع اللبن والعسل . أما عادات جرح الشيطان وتبريك الماء والرشم بالزيت فهي ما زالت موجودة ، ولكن الزيت الذي يستخدم أولا هو زيت الزيتون الصافي الذي يباركه الكاهن . والطفل الذي يخلع ملابسه يرفع يديه على هيئة صليب لجرح الشيطان ، ثم يتجه إلى الغرب ويتلو قانون الإيمان ، وبعد ذلك تتم العودة إلى الشرق (١) ثم تدهن جميع مفاصله بالزيت الثانى أو الغاليلايون . أما العادات الأخرى وهي حرق البخور ، والنفخ على الطفل ، وسكب الميرون على الماء فى ثلاثة صلبان ثم التغطيس ثلاث مرات ووضع اليد أو التشبيت والدهن بالميرون - فإنها لا تزال موجودة فى الطقس الحالى . ويرشم الميرون على الجبهة والعينين والأنف والفم والأذنين واليدين والقدمين والركبتين والظهر والكتفين والذراعين والقلب . ثم ينفخ الكاهن فى وجه الطفل الذى يكون قد ألبس رداء أبيض وتوج بتاج وتمنطق بمنطقة (الزنار) متقاطعة حول وسطه . ويتقدم إلى الافخارستيا . وإذا كان أصغر من أن يتناول القربان المقدس فإن الكاهن يغمس أصبعه فى الكأس ويلمس به لسان الطفل وبعد ذلك يتناول من خليط اللبن والعسل . وخلال هذا الاحتفال الذى يستغرق وقتا طويلا والذى يحفل بالعديد من الصلوات والترانيم والفصول التى تقرأ من الكتاب المقدس توضع البشارة على حامل الانجيل (٢) الموجود بجرج المعمودة وتوقد حولها الشموع التى تظل مشتعلة أثناء الاحتفال . وبعد انتهاء القداس يتحرك رجال الاكليروس بملابسهم الفخمة فى موكب يطوف

(١) يذكر فانسلييب (Histoire, p. 204) أن الكاهن يكتب اسم الطفل على ورقة ويلقى بها فى الماء .

(٢) انظر الرسم الموجود بالجزء الثانى من الكتاب ص ٦٠ .

بالكنيسة ثلاث مرات • وأثناء الموكب يحمل الأسقف أو الكاهن الطفل الذى يسير أمامه القندلفت حاملا صليب البركة (١) الذى تثبت فيه ثلاث شموع مشتعلة ، ويليه بقية رجال الاكليروس والشمامسة وهم يحملون الشموع ويدقون الأجراس والصنوج •

وتحل المنطقة (الزنار) فى اليوم الثامن بعد العماد وليس قبل ذلك (٢) فى احتفال مهيب لأن ذلك يعتبر استكمالاً لطقس العماد • ويعقد هذا الاحتفال فى جرن المعمودية بالكنيسة وليس فى منزل المعمد كما يدعى فأنسليب ، فتوضع زجاجة من الماء على حامل الانجيل مع وضع صليب على الحافة • وتضاء حولها الشموع • ويرفع البخور مع ترديد الصلوات وقراءة الفصول الخاصة من الكتاب المقدس ثم يرشم الكاهن الماء ثلاث مرات على هيئة صليب ثم يحل المنطقة (الزنار) ويغسل الطفل وملابسه •

وبالرغم من استخدام الأنوار أثناء ممارسة المعمودية كما هو معروف لدى الكنيسة المصرية فإن الكاهن لا يقدم شمعة مضاءة الى المعمد كما هو الحال فى الطقس الغربى • ويلاحظ أن الطقس القبطى يختلف عن طقس الكنيسة الغربية الذى يجمع ما بين سرى التثبيت والمعمودية بالرغم من أنهما سران منفصلان ، وليساً سرا واحداً باستخدام الميرون المقدس للتثبيت ، وفى السماح بممارسة سر التثبيت بمعرفة الكاهن مثل الأسقف ، وفى جميع هذه العادات نرى تمسك الأقباط بالتعليم القديم للكنيسة الجامعة الذى هجره الغربيون (٣) •

1b. p. 232.

(١)

(٢) يذكر المؤرخ أبو دقن قن هذا الاحتفال يجرى فى اليوم الثالث ويؤكد فى نفس الفقرة أن الأقباط يخلطون الملح بالميرون - وهى عبارة مريضة - وكان بعض السريان بالقاهرة يجيزون هذا العمل الهرطقى على أيام الانبا خريستوذولوس ولكن الأقباط يتبرأون من ذلك • أما مسيحيو الملبار فانهم يخلطون الزيت والملح مع خبز القنابل كما هو وارد فى رواية جوفيا عن الارساليات البرتغالية - انظر الترجمة الفرنسية التى طبعت فى بروكسل سنة ١٦٠٩ للميلاد •

(٣) علينا أن نتذكر كلمات القديس باسيليوس عن المعمودية حيث يقول :
"Consecramus autem aquam baptismatis et oleum unctionis praeterea ipsum qui baptismum accipit, ex quibus scriptis ? Nonne a tacita secretaque traditione ? Ipsam porro olei unctionem quis sermo scripto proditus docuit ? Iam ter immergi hominem unde est traditum ? Nonne ex privata et arcana hac traditione ?"

Divi Basilli Magni opera, p. 324 B. Paris, 1566.

انظر :

ويعلق القديس أوغسطينوس على ذلك قائلاً : « اذا لم تستخدم هذه العلامة سواء على جبهة المؤمنين أو على الماء الذى يجددون به أو على الميرون الذى يرشمون به فان كل ما تم يحون تمامه على غير الوجه الصحيح •

سر التناول (١)

ان مناقشة المراسم المتعلقة بالقداس القبطى تحتاج فى حد ذاتها الى رسالة علمية متعددة الأجزاء ولكن نظرا لأن مثل تلك المناقشة تخرج عن نطاق هذا الكتاب وتحيد عن الغرض منه فلذلك يكفينا هنا أن نذكر أبرز النقاط المتعلقة بالطقس القبطى مع تجاوز كافة الأسئلة المتعلقة بأصالة النصوص وترتيب الصلوات فى القداسات المختلفة - وهى الأسئلة التى يعرفها العالم جيدا ولا تحتاج الى إعادة ذكرها ولم يدرسها مؤلف هذا الكتاب بالعناية الكافية بحيث تجعل ملاحظاته لها صفة الصلاحية .

ولا يسمح لأى رتبة أقل من رتبة القس بتقدیس سر التناول ، ولكن الكاهن البسيط لا يستطيع أن يتناول الأسقف أو أى رتبة عالية (٢) .
وإذا أقام البطريك القداس فإنه يتناول نفسه أولا ثم يتناول بقية الكليروس حسب رتبة كل واحد منهم . أما إذا كان القسيس هو خادم القداس ويريد البطريك أن يتناول من القربان فإنه يذهب الى المذبح بعد صلاة القسمة ويكرر أوشية الحل والاعتراف ثم يتناول القربان بنفسه وبعد ذلك يتناول من يريده من المتقدمين للتناول . ولكل أسقف نفس الحق فى إيبارشيته .
أما القمص أثناء التناول فإنه يتناول المعلقة بنفسه ولكنه يتسلم القربان المقدس من القس الذى يضعه على المعلقة . أما عندما يتناول القس من يد قس آخر فإنه لا يلمس بيده أيا من العناصر المقدسة أو آنية المذبح . والقائم بتقدیس السر يرتدى التونية والشملة فى الأيام العادية ولكنه فى الأعياد الكبرى يرتدى قطع الملابس السبع المخصصة للخدمة .

واليوم فإن هؤلاء الذين يتقدمون للتناول يسمح لهم بدخول الهيكل، ولكن لا يسمح بالدخول من المبخل الرئيسى لمن تقل رتبته عن رتبة الشماس . ولا يقف الشماس بجانب الكاهن ولكن فى مواجهته أى فى الجانب الشرقى من المذبح وفى مواجهة الشعب . ويقال ان هذه العادة يعود أصلها الى أيام الانشقاق بين المذهبين اليقوبى والملكانى ، عندما كان يندفع أى من رعاى الملكانيين الى داخل أى كنيسة قبطية ويدبح الكاهن امام المذبح ثم يلقى بالعناصر المقدسة ، فكان الكاهن يأمر الشماس بأن يعطى

(١) يسمى بالعربية : سر القربان أو التقديم أو الذبيحة غير الدموية ويسمى بالقبطية (تى أبروسفورا) والاسم الأول من هذه الاسماء (القربان) يتشابه مع الكلمة التى استخدمها السيد المسيح كما وردت فى الترجمة الانجليزية حيث تحمل معنى الكلمة الانجليزية oflete .

الكاس الى اى من المشتركين فى التناول • كما هو واضح من تعاليم الرسل
ومن المصادر التى جاءت بعدها •

وقد رأينا منذ قليل أن الأطفال المعمدين يسمح لهم بالتقدم للتناول
بعد اتمام سرى المعمودية والتثبيت • واليوم نستطيع أن نرى الأطفال أثناء
أى قداس عادى وقد تقدموا للتناول محمولين على الأذرع • والصوم قبل
التناول لاغنى عنه بالنسبة لكل من يتقدم للتناول ، وهذا القانون ينطبق
على الأطفال أيضا لأنه قانون فوق مستوى السؤال ولا يستثنى منه أحد •

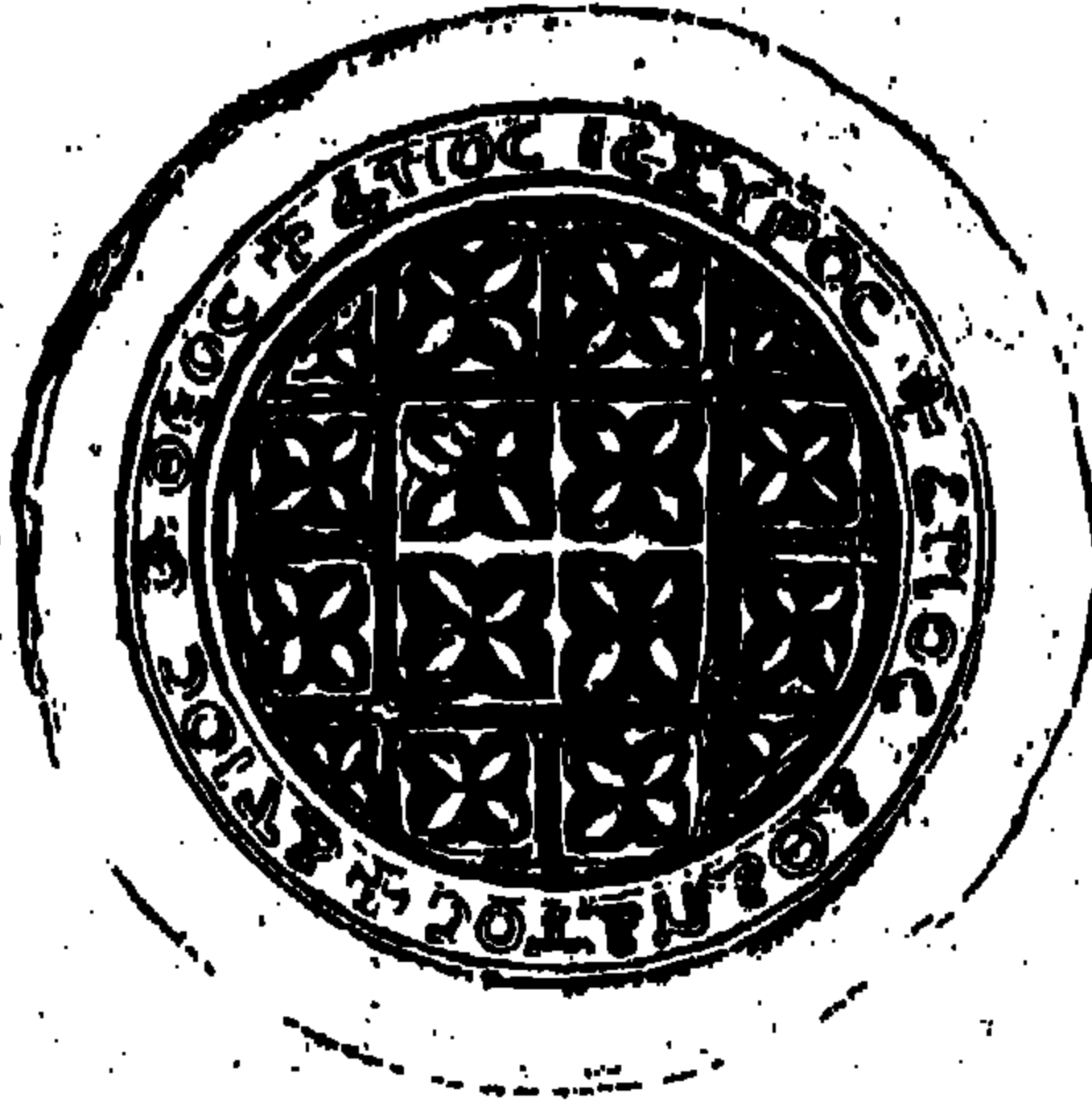
وتبدأ فترة الصيام من بعد صلاة الغروب لليوم السابق على الاحتفال
بالقداس • وتعتبر نظافة البدن ضرورية جدا للتقدم للتناول والكاهن
فيلزم الأخير منهما بأن يغسل قدميه قبل دخول الكنيسة • ولا يصح
مناولة الأشخاص غير المعروفين أى الغرباء الذين لم يفحص الكاهن إيمانهم ،
خوفا من أن يتقدم للتناول شخص بسوء استحقاق ، وتنصح قوانين الأنبا
غبريال - الكاهن بأن يحترس بالنسبة للنساء لأنهن يحضرن الى القداس
وهن يرتدين الحجاب • ومن الضروري التقدم للاعتراف وممارسة التأديب
الكنسى المقرر فى حالة ارتكاب خطايا تتطلب التكميل ، وأشك فى أن تكون
شدة هذه التأديبات هى السبب فى قلة عدد المتقدمين للتناول فى هذه
الأيام • ويتناول المتقدمون للتناول القربان المقدس وهم وقوف لا راكعين ،
والحقيقة أن الركوع مخالف للبطرس القبطي فيما عدا يوم عيد العنصرة
حيث يتحتم على المصلين السجود تعبيرا عن الخضوع • ومن يتناول من
هذا السر عليه أن يقضى بقية اليوم دون أن يتناول طعاما أو شرابا مع
يهودى أو مسلم (*) كما أنه يلتزم ألا يخرج من فمه أى شئ من طعام
أو شراب يكون قد تناوله ، ويمتنع كذلك عن التدخين • ويقول فانسليبي
أنه كان من المعتاد قديما أكل الترمس بعد التناول مباشرة كاجراء للدفاع
ضد Sabaeans الذين كانوا يترددون على الكنائس القبطية والذين كانوا
يمتنعون عن تناول أى فاكهة تنمو على ساق نحيلة •

أما الخبز المستخدم فى القربان فهو مصنوع من أفرخ أنواع الدقيق
ويتم شراؤه خصيصا لعمل القربان ، ولا بد من خبزه فى فرن مخصص لذلك
وملحق بمنبى كل كنيسة ولا بد أن يقوم بعملية الخبز قندلفت الكنيسة (١)

(*) هذا الحظر غير موجود الآن ولا يوجد دليل على أنه كان موجودا فى أى فترة
من تاريخ المسيحية بمصر أو خارجها وقد أتى به المؤلف من خياله الخاص رغم أنه
يخالف تعاليم السيد المسيح (المترجم) •

(١) يسمى القيم ، ويمتنع على النساء تجهيز أو عمل القربان •

الذى يلتزم أثناء الخبز بتلاوة أجزاء معينة من المزامير باحترام وتقوى (١) ولا بد أن يكون العجين مختمرا ، كما يلزم خبز القربان فى صباح اليوم الذى يستخدم فيه للقداس . وتصنع القربانة على شكل كعكة مستديرة يبلغ قطرها ثلاث بوصات وسمكها بوصة واحدة . ولا بد من ختم سطحها العلوى بتشكيلة من الصليبان يحيط بها اطار مكتوب داخله عبارة مقدسة ويورد دنزنجير Denzingir نص العبارة المكتوبة باللغة القبطية داخل الاطار وترجمتها « قدوس الله - قدوس القوى - قدوس الحى الذى لا يموت » (٢) .



شكل رقم ٣٣ : خبز القربان

ويورد نيل Neale نفس الرسم المأخوذ عن سوليريوس Sollerius (٣) وهو المؤلف الذى أخذت عنه كافة المعلومات المتعلقة بشكل القربانة القبطية .

(١) ربما تعود تسمية القربان فى انجلترا باسم « خبز الترتيل » الى مثل هذا السبب .

(٢) وقد ورد نفس النص فى :

Rit. Or., tom i, p. 81. The Dict. Christ. Antiq.

Patriarchate of Alexandria, vol. ii, p. 214.

(٣)

ويقدم فانسليب أيضا (١) نفس الوصف مع حذف كلمة (صايبوت) .
ومن الممكن أن تكون نصوص القصة المسجلة موجودة بالفعل ، ولكننا
لا نشك في اختلاف الأوصاف التي قدمت عنها وأن العبارة المدونة في الحفر
المذكور - مأخوذة عن صورة قربانة صنعت في الكاتدرائية ، ولم أشاهده
اختلافا عن هذا الشكل في أي كنيسة . أما الرسومات التي قدمها نيل
ودنزنجر فهي غير صحيحة ، لأنه يوجد داخل الإطار المكتوب والذي يبتعد
عن حافة القربانة ، اثنا عشر صليبا متساويا وقد وضع كل منها داخل
مربع خاص به ، وجميع الصلبان تشكل صليبا كبيرا . والحقيقة أن نيل
يتحدث عن اثني عشر صليبا ولكن الرسم الذي قدمه به ثمانية صلبان
داخل مربعات منفصلة ، وثمانية صلبان أخرى في مربع مركزي أكبر
حجما ، ورسم دنزنجر مثل رسم نيل ولكنه يقدم قطاعا آخر حيث يبين
ظهر القربانة وأظن أن هذا خطأ لأن القربانة لا تختتم على ظهرها .

أما المربع الذي يمثل قلب القربانة فيتكون من أربعة مربعات صغيرة
تسمى في القبطية ايسبوديكون أو سبوديكون أو ديسبوديكون وهو اسم
فسره رينودو تفسيرا صحيحا من اللفظ اليوناني الذي يعنى (جسد الرب) .

والاسبوديقون يحفظ لكى يغمس في الكأس . ولا يختلف الطقس
اليوناني عن القبطي في هذا الصدد لأن اليونانيين يستخدمون قربانة
صغيرة مختومة بختم مربع يسمى أمنوس ينقسم الى أربعة مربعات من
حجم أصغر يكتب بها الحروف اليونانية التي تعنى : يسوع المسيح ،
وتبرز كلمة أمنوس عن سطح القربانة وتفصل أثناء التناول . وعند
التقليد تقسم الى أربعة أجزاء يوضع منها الجزء الأول في الكأس .
أما الجزء الثانى فيتناوله رجال الاكليروس والجزءان الباقيان يتناولهما
المؤمنون من غير الاكليروس .

ويقوم الأرمن كذلك بختم القربانة ولكن بصورة للسيد المسيح .
والقربانة لا تحتوى على خميرة ، ويخبز في فرن ملحق بالكنيسة صباح
اليوم الذي سيقام فيه القداس . وتوضع الأجزاء الأربعة التي تقسم اليها
القربانة في الكأس أما عند النساطرة فإن القربانة تصنع من دقيق القمح
الفاخر الذي تلتقطه العذارى ويطحن في مطحنة يدوية ويخلط بالخميرة
ويقوم رجال الاكليروس باعداد هذه الخميرة ، ثم يخبز القربان داخل حدود
مبنى الكنيسة . وتختتم القربانة النسطورية كذلك بختم ، وهي تشبه
القربانة القبطية من حيث الحجم ولكنها أقل سمكا .

أما عندنا في انجلترا فقد كانت القربانة تختتم أحيانا • وينقل روك (١) عن الدفونسو العبارة القائلة بأن النقش عليها هو (ايسوس أى يسوع) و (خريستوس أى المسيح) والاختلاف هو (خريستو ألفا أوميغا) أى المسيح الألف والياء) وهناك اختلافات أخرى (٢) • وقد حفظ قالب من الخشب لختم هذا القربان بمتحف دبلن • ولكن الختم كان يصنع أحيانا من الحديد وكان يسمى « حديد الترتيل » لنفس السبب الذى ذكرناه من قبل - وعلى ذلك فأننا نجد فى مدينة يورك وصية تعود الى سنة ١٢٤٩ للميلاد تقول :

“tria instrumenta ferri, vocata syngyngirons ij alia instrumenta ferri propane ad eucharistiam ordinadi.” (٣)

وتؤكد شهادة الآثار الفنية - انتشار عادة ختم القربان منذ عصر بعيد • وإذا نظرنا الى رسوم القربان فى لوحات الموزاييك التى تعود الى القرن السادس الميلادى بكنيستى سانت فيتال S. Vitale وبسانت أبوللينار Apollinare فى رافنا Ravenna - فسنجد أنها مرسومة داخل صليب مركزى • أما اذا نظرنا الى المذبح الذهبى فى ميلانو Milan ويعود تاريخه الى القرن السادس - فسنرى صورة سانت أمبروز القديس أمبروسىوس Ambrose واقفا خلف مذبح وضعت عليه أربعة قرابين على شكل صليب • ونرى قربانة مرسومة فى خولاجى سانت دنيس St. Denys (٤) الذى يعود الى القرن الحادى عشر • وحيثما وجدنا رسم القربانة فى الصور القبطية نجدها مزينة بصليب واحد مرسوم بنفس الأسلوب • وهذه الحقيقة التى تبدو معارضة لأصالة التصميم القبطى الحالى ، تعود الى ضالة مقياس الرسم الذى ترسم به القربانة (٥) •

(١) Vol. i. p. 149, note 24.

(٢) أرسل لى مستر دى فليرى رسما لبعض القرايين مأخوذا عن خولاجى كاثوليكي يعود الى القرن التاسع بالمكتبة الوطنية فى باريس ، ونجد أن اثنين من هذه القرايين تغطيهما نقوش مختلفة يتضمن أحدهما عبارة :

REX DS IHS XPS VERITAS LUX PAX GLORIA VIA.

ومعناها : الملك - الله - يسوع - المسيح - النور الحقيقى - السلام - المجد - الحياة :

وقد وزعت الرموز الخاصة بالانجيليين الاربعة حول صليب مركزى كبير •

(٣) Raine, York fabric Rolls, Glossary, p. 353.

(٤) La Messe, vol. i. Pls. viii, xiii.

(٥) بالعودة الى المخطوط القبطى الذى يرجع تاريخه الى القرن الرابع والذى نوهنا عنه منذ قليل - نجد أن صلاة التكريس المدونة به تختلف عن تلك المدونة بسائر =

ويستخدم لاتمام سر التناول نبيذ غير مختمر ولكنه مصنوع من عصير العنب المجفف أو الزبيب الذى يترك منقوعا فى الماء لفترة معقولة ، وبعد ذلك يعصر فى معصرة النبيذ ، وهى معصرة من النوع المستخدم فى كنيسة أبى سيفين والتى وصفناها من قبل . ولكن النبيذ يصنع فى العادة بالقاهرة فى الكنيسة التابعة التى تحمل نفس الاسم بحارة زويلة ومن كل منها ثلاثة أو أربعة جالونات. وقد رأيت بعضها مخزونا فى خزانة عميقة . ويصنع هذا النبيذ بكميات تكفى استهلاك السنة . ويحظر تناول النبيذ المصنوع من الزبيب بموجب القوانين الكنسية . ولا شك أن استخدامه هناك يعود الى ضغط الحاجة أثناء عصور الاضطهاد من جانب، ومن الجانب الآخر بسبب اضمحلال زراعة العنب فى مصر . وتحت ضغط الحاجة يسمح أحيانا باستخدام النبيذ المصنوع من البلح . وبصرف النظر عن نوع النبيذ المستخدم فلا بد أن يكون نقيا وغير معصور دهسا بالقدمين ولا يحتوى على مذاق حمضى . وكانت عطايا النبيذ لاستخدامه فى القداس ، شائعة فى العصور القديمة (١) وهناك قانون خاص يمنع الكاهن من قبوله داخل الأوعية التى يحضرها المؤمنون من غير الاكليروس . ولذلك فإن معظم الكنائس الآن لديها جرة صغيرة أو قنينة بها نبيذ غير مكرس موضوعة على حامل صغير ملحق بحاجز الهيكل . وقد وجدنا نبيذا من هذا النوع مصنوعا بنفس هذه الطريقة مستخدما لدى المسيحيين فى ملابار حوالى سنة ١٦٠٠ للميلاد ولكن أتباع هذا المذهب يخلطون الزيت والملح من عجينة القربان وهو ترتيب تنكره كافة المراجع القبطية .

ويبدو أن القداسات الثلاثة كانت مستخدمة بكنيسة الاسكندرية منذ العصور الأولى - وهى قداسات القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النزينزى والقديس كيرلس . والآخر يسمى باسم قداس القديس مرقس الرسول .

وفى الظروف العادية يستخدم قداس القديس باسيليوس . أما قداس القديس غريغوريوس فهو مخصص لثلاثة أعياد هى أعياد

= المخطوطات المعروفة من حيث انها تتضمن بين كلمتى « شكر » و « كسر » كلمة السفراجيهيه ومعناها « وختم » وبالرغم من شيوع هذا الاصطلاح فى اللغة القبطية للتعبير عن رسم علامة الصليب ولكن يبدو انه استخدم فى هذا السياق للدلالة على أن القربانة التى كانت تستخدم فى تلك الفترة كانت مختومة .

(١) عندما كانت تفتح الدنان (البراميل الخشبية) الجديدة ، كانت تعطى المقادير الأولى منها للكنيسة . ولهذا السبب فإن النبيذ يسمى فى القداسات القبطية : (دى اباركا) أى البواكير أو البشائر .

الغطاس والقيامة والميلاد . أما قداس القديس كيرلس فيستخدم أثناء
موسم الصوم الكبير وصوم الميلاد . وقد خصصت لخدمة القداس يوم
الأحد الساعة الثالثة (التاسعة بالتوقيت الحالى) ولا يسمح باقامة قداس
آخر على نفس المذبح خلال نفس اليوم ، كما أن أواني وملابس الخدمة
المستخدمة فى هذا القداس لا تستخدم فى نفس اليوم مرة أخرى .

وعند بدء الخدمة فإن كل من يدخل الكنيسة يحيى المذبح ثم يقبل طرف
الستارة المعلقة أمام باب الهيكل أو يسجد أمام عتبة الهيكل . وهذه
العادة لا تطبق على النساء اللائى يتعبدن منفصلات فى الشرفات أو غيرها.
من الأماكن المخصصة لهن . ومن المعتاد الآن بالنسبة للجوقة ترديد
« تسبحة موسى » أثناء قيام الشمامسة بإعداد المذبح ولا بد من تغطية
المذبح بالإضافة الى الغطاء العادى الملون ، بغطاء ثان يغطى المذبح والغطاء
الأول . ويجب إعداد جميع الأواني مثل الكأس والصينية والقبعة والصندوق
والمعلقة فوق المذبح الذى يوضع فوقه أيضا اثنان من الشمعدانات التى
تحمل الشموع .

ويجب على الكاهن قبل صلاة الاستعداد أن يفحص جميع هذه
الأواني . وأن يتأكد من أن اللوح المقدس مثبت فى مكانه تحت المفارش .
ثم يضع فوقه الصندوق (الكزى) ويضع الكأس فى موضعها بالصندوق .
وبعد أداة صلاة الاستعداد وصلاة الشكر يذهب الكاهن الى باب الهيكل
ليأخذ القرايين من يد الشماس حيث تحضر ثلاثة قرايين على صينية
ويتحسسها الكاهن للتأكد من أنها طازجة ويمسح فوقها بيده ويلوح
فوقها بيده ثم يختار واحدة من الثلاثة ويحملها الى المذبح مع قنينة
النبىذ . ويبدو أن هذا الترتيب مماثل المدخل الكبير للقداس اليونانى ،
ولكنه الآن لا يطبق بنفس البروعة فى الكنيسة القبطية كما هو الحال فى
طقس كنيسة القسطنطينية أو الملكانية المصرية . وبعد ذلك توقد الشموع
ويمسك بها الشمامسة بجانب المذبح ، ويمسك أحدهم كذلك بقنينة النبىذ
كما يمسك شماس آخر إبريقا من الماء ثم يتحرك هذا الموكب حول المذبح
بالشموع ومجامر البخور بينما يحمل الكاهن القربانة فى لفافة من الحرير،
أو كما هو شائع أكثر - فوق أحد المفارش الصغيرة التى وصفناها من
قبل .

وبعد انتهاء الدورة حول المذبح يقف الكاهن فى مكانه أمام المذبح
فى مواجهة الشرق وظهره نحو الشعب . ثم يخلط الخمر بقليل من الماء
فى الكأس ولا يكون الماء دافئا . كما هو الحال لدى اليونانيين . وأثناء
صلاة التقديم التى تلى ذلك يرشم الكاهن الخبز والخمر بعلامة الصليب .
وعند انتهاء الصلاة يضع فوق الكأس المفرش الصغير الذى يقوم مقام

الغطاء ويمثل حجاباً صغيراً حسب ما تبليبه التعليمات . وفي إجراء مماثل يضع فوق القربانة لفافة مستديرة صغيرة عليها ثلاثة صلبان ثم يضع انقبة أو النجم . وبعد ذلك يضع الصبينية فوق الصندوق وبذلك ترتكز أيضاً على الكأس (١) . ثم يغطي الجميع بالستر الأكبر حجماً المصنوع من الحرير والمطرز فوقه صليب كبير . وبعد انتهاء هذه العملية يركع الكاهن ويقبل المذبح .

وأثناء صلاة التحليل يركع الكاهن وشمامسة الهيكل في شكل دائرة أمام باب الهيكل مع الانحناء من وقت لآخر ثم يتناول الكاهن المجرمة ويقف أمام المذبح لرفع البخور ويبلوح بالمجرمة فوق العناصر المقدسة ويدور حول المذبح وهو يحرك المجرمة بينما يرتل الشمامسة الألبان الثلاثة الخاصة برفع البخور ، ثم ينزل الكاهن ويقف أمام باب الهيكل مواجهاً الشرق ويبخر حول المدخل ثم يدور وينشر البخور في كافة أرجاء الكنيسة ومع استمرار الألبان وقيام الكاهن بنشر البخور يقف المصلون ويحنون رؤوسهم .

وبعد ذلك تقرأ الرسائل باللغة القبطية من فوق المنجنية التي تنصب في الخوروس على بعد عدة أقدام من باب الهيكل ويواجه القارئ اتجاه الشرق وظهره في مواجهة الجمهور . وأثناء القراءة تنتشر سحب البخور في الهيكل . وبعد انتهاء القراءة يشبه الشمامسة بإلحان ثم يقرأ نفس الفصل باللغة العربية ولكن القارئ هذه المرة يقف على الدرجات التي أمام الهيكل في مواجهة الجمهور .

ويقرأ فصل من أعمال الرسل بنفس الطريقة . ثم يقرأ فصل من تاريخ الكنيسة أو حياة القديسين (السنكسار) وبعد انتهاء القراءة يركع القارئ ويلمس الأرض برأسه أمام باب الهيكل ويقرأ الكاهن فصل الانجيل الأول وهو يقف في مواجهة الشعب ممسكاً الكتاب يسراه بينما يمسك شمعاً مضاءة في يمينه .

وعند هذه النقطة يستمر الموكب في الدوران حول المذبح من إطلاق البخور حتى الوصول إلى لحن الثلاث تقديسات الذي يردده الشمامسة ثم يأتي دور قراءة الكاهن للانجيل فيتجه نحو الشرق ويخرج الشماس لدى باب الهيكل ويقول بصوت مرتفع : « قفوا بمخافة الله لسماع

(١) ارتفاع الصندوق يكفي لاحتواء الكأس بحيث تكون حافة الكأس بنفس مستوى

سطح الصندوق .

الانجيل المقدس . وهنا يبخر الكاهن كتاب البشارة المختوم داخل الغلاف الفضي وينسله الى كاهن آخر يقبله ثم يضعه فوق المنجولية ، ويبدأ في قراءة فصل الانجيل باللحن القبطي وهو يتجه ناحية الشرق . وأثناء القراءة يقف الكاهن القائم بخدمة القديس أمامه في مواجهة الغرب ويبخر الانجيل باستمرار وقد وقف على كل من جانبيه شماس يمسك بشمعة مضاءة بينما تتوهج شمعة أخرى على الشمعدان الكبير الذي يوجد دائما بجانب المنجولية لهذا الغرض (١) وبعد ذلك يقرأ الانجيل بالعربية على مدخل باب الهيكل بينما يقف الشماسية حاملين الشموع بجانب القارئ الذي يواجه المصلين في تلك الأثناء ، ويظل الكاهن يلوح بالمجمرة . أما الشماسية وشماسية الهيكل الذي يرتدون الطرايش مثلهم مثل جمهور الحاضرين فانهم يخلعونها أثناء قراءة الانجيل .

وعند انتهاء قراءة الانجيل يقبل الكاهن وكافة رجال الأكليروس الحاضرين البشارة الفضية . وكانت البشارة قديما تلف في مفرش من الحرير وتحمل بهذه الطريقة أثناء الدورة داخل الكنيسة ، كما تقدم لمن يريد أن يقبلها من بين جمهور المصلين (٢) ثم تطفأ الشموع وتعاد البشارة الى الهيكل . ويقف جميع الكهنة حول الباب عندما تبدأ الصلاة بعد قراءة

(١) انظر الرسم الموجود في شكل رقم ١٣ :

(٢) ربما كانت هذه العبارة تحدث بسبب حفظ البشارة داخل غلاف كامل من المعدن . وهذا التقليد والعودة الى الهيكل يتشابه مع مدخل التقليد اليوناني . أما في الغرب فان عادة اشعال شمعة عند قراءة الانجيل كانت عامة لأنها :

“Per totas orientic ecclesias” (Hieron. adv. Vigilant, iii. 13.)

ويذكر روك انه جرت العادة في انجلترا بعد القراءة ، بأن يأخذ الشماس المساعد الكتاب الى الأسقف لكي يقبله وبعد ذلك الكاهن ثم باقي الشماس ، وبعد ذلك تطفأ الشموع ويقول كتاب Ordo Romanus أن الشماس يتسلم البشارة من مساعد الشماس ويحملها لكي يقبلها رجال الأكليروس وسائر الشعب وفي القرن الثالث عشر منع البابا هونوريوس الثالث تقبيل البشارة بواسطة أفراد الشعب فيما عدا الأمير ولي العهد ، متناسيا المعنى الحقيقي لهذا العمل . أما في الكنيستين الروسية واليونانية فيسمح للعلمانيين بتقبيل الانجيل كما هو الحال عند الاقباط . وفي مصر عنوما يبدو أن الكهنة يقبلون الكتاب وهو مفتوح ، ثم يغلق ويقدم للشعب من غير الأكليروس لكي يقبلوه ، وهذه القبلة تختلف بالطبع عن قبلة السلام التي يبدو انها عرفت في انجلترا لأول مرة في القرن الثالث عشر . وقد ورد ذكر السلام لأول مرة في قوانين جرائ رئيس أساقفة يورك . ثم أهمل تدريجيا بعد الاصلاح الديني بسبب النزاع حول الأسبقية . الا أن الانجيل كان يتم تقبيله أحيانا في انجلترا بدلا من السلام ، بينما أصبح التقبيل في ألمانيا بدلا من السلام . انظر :

(Lay Folk's Mass Book, ed. Canon Simmons, pp. 221, 296).

الانجيل ، وهنا تعطى التعليمات الخاصة بالخدمة وغيرها من الأمور .
وفى حالة عدم القاء العظة ينصرف الموعوظون عند هذا الحد .

وفى هذه الأثناء يشدو الشماسية بأحد الألحان ، وبعد يسجد
الكاهن أمام الهيكل ويقبل العتبة ، وهو يردد صلاة الحجاب بصوت
منخفض . ثم يقف الكاهن ويذهب الى المذبح ويقبله بينما يقف الشماسية
خارج الباب وهم يرتلون الألحان . وبعد الصلاة من أجل الكنيسة الجامعة
ومن أجل جمهور المصلين يردد الجميع فى صوت واحد - قانون الايمان ،
بينما يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات ثم يجففهما فى مواجهة الجمهور .
وبعد أن ينحنى لباقي رجال الاكليروس ويرسم علامة الصليب على جمهور
المصلين ، يتمم بعبارة « السلام لجميعكم » ويردد صلاة أوشية السلام .
وفى نفس الوقت يرفع المفرش الكبير (الايروسفارين) عن قربانة الحمل ،
كما يرفع الصينية عن الكأس . ونستطيع الآن أن نشاهد الحجاب
أو المفرش الأصغر حجما موضوعا (١) بينما يرفع الكاهن لفافة أخرى
مشابهة فوق رأسه . على شكل حجاب أو طبق أخضر اللون وبه صليب
ذهبي لكى يراه جميع الحاضرين . وعند عبارة « قبلوا بعضكم بعضا
بقبلة مقدسة » يتجه الكاهن ناحية الغرب وينحنى لجميع الحاضرين ببطء
بينما يحيى الحاضرون بعضهم البعض بأن يتجه كل شخص الى من بجواره
ويلمس يديه . ويلى ذلك تسبحة الغلبة والخلاص بينما يصيح الناس
بكلمة « آجيوس » (قدوس) ثلاث مرات . ومازالوا حتى اليوم يرددون
هذه الكلمات القديمة . والآن ترفع اللفافة الأصغر أو الطبق الأحمر عن
الكأس ، ويمسكها الكاهن باليد اليمنى بينما يمسك بالطبق الأخضر فى يده
اليسرى ويرفع يديه . وبنفس الطريقة يأخذ العديد من اللفافات التى
على المذبح ويرفعها وذراعا مبسوطتان (٢) أثناء احياء ذكرى الخلاص
وقد تكون اللفافات مخصصة لأغراض أخرى أثناء القداس .

(١) الحجاب الأصغر الذى يعرض بهذه الطريقة هو فى العادة لفافة حمراء صغيرة
مستديرة مطرز فى وسطها صليب ذهبي .

(٢) لا أستطيع أن أجد تفسيراً لهذه العادة فى التعليمات المدونة ولكننى سادون
هنا ما وجدته وارداً فى كتاب :

Lord Bute's "Coptic Morning service." p. 80.

أن التعليمات المدونة تنصح الكاهن بأن يرفع لفافة الكأس ويعرضها لنفسه وللشماس
والشعب ثم يعيدها ثانية ، وهذا العمل الذى ذكره ليس دليلاً كافياً لتوضيح طقس أصحاب
مذهب الطينعة الواحدة ولكن هناك إجماع عليه لأن التحول الى كنيسة روما بين الأقباط
ممنوع حتى لا يقلدوا اللاتين وإنما هم يتمسكون بقرائهم القومى .

وعند صلاة القسمة يرفع الكاهن يديه خلال دخان المجرمة التي يحملها الشماس ثم يرشم القربانة ثلاث مرات ويقسمها الى ثلاثة أجزاء مع بقائها ملتصقة .

ويرشم الكأس بنفس الطريقة ويحركها أمامه على هيئة صليب . وخلال هذا الاجراء يقف اثنان من الشماسية كل منهما الى أحد جانبي الكاهن وهو يحمل شمعة مضاءة ويرفع جميع الشماسية على مختلف مراتبهم الطرابيش عن رؤوسهم ثم ينحنون مرة أخرى .

وبعد جملة أو اثنتين ينطق بهما الكاهن يصيح المصلون « كيريا ليصون » وهنا تكون صلاة التقديم قد تمت ، ويتحرك اثنان من الشماسية بين صفوف المصلين وكل منهما يحمل طبق العطاء وشمعة مضاءة لهذا الغرض لا شك أنها ترمز لتذكّر النص المعتاد . ويستمر الشماسية في ترتيل الألحان أثناء صلاة الشفاعة وتخليد الأحياء وأوشية الراقيدين (١) وفي هذه الأثناء يرفع الكاهن يديه عاليًا وقد أمسك بكل منهما لفافة من اللفافات العديدة التي فوق المذبح . ويتم تغيير غطاء العناصر المقدسة . ويرفع اللفافة التي بلون الزعفران الموضوع عليها ، ثم يضع بدلا منها لفافة أخرى بيضاء الحواف بلون قرمزي داكن ، ويرشم الجمهور بعلامة الصليب . والآن نأتي الى مقدمة القسمة . عندما يقول الكاهن : « الجسد المقدس » يأخذ قربانة الحمل ويضعها على يده اليسرى ثم يضع اصبعه على القلب الذي تقسم منه ومع قوله : « والدم الكريم » يرفع اصبعه عن الخبز ويغمسه في النبيذ ويرشم فوقه علامة الصليب . وبنفس الأصبع يرشم الاسبياديون وجزء آخر من القربانة وبذلك يبلغ عند الصليبان التي رُشمت على العناصر ثلاثة صليبان - وبعد السلام تبدأ صلاة القسمة التي يقوم الكاهن خلالها بتقسيم القربانة الى خمسة أجزاء ثم يقسم الأجزاء الأربعة الى قطع صغيرة تسمى « الجواهر » كما في القداس اليوناني .

(١) اعتاد الأقباط مرة واحدة في السنة خلال موسم الصوم الأربعيني أن يكتبوا أسماء أقاربهم الأحياء والأموات الذين يريدون ذكرهم في القداس . وأنا أعرف بعض المسيحيين من غير الكليروس الذين يجولون بكافة كنائس القاهرة طوال اليوم ويتركون بكل منها ورقة ملفوفة فيها قدر من المال حسب طاقة المتوسل . أما العبارة الشائعة للذكرى فهي « اذكر يا رب هبيدك الذين كتبت أسماءهم هنا في ملكوت السموات الأحياء فلان وفلانة والأموات فلان وفلانة » . وأحيانا تضاف توسلات أخرى حسب الحاجة منها على سبيل المثال أن ابنا طرد من وظيفته فنجد أباء يتوسل من أجله بهذه الكلمات : « يا رب لك ضيقة يوسف » .

وبعد ذلك يصلي الجميع الصلاة الربانية وهم وقوف وليسوا راكعين مع نشر الذراعين والنظر الى أعلى حسب العادة القديمة . وأثناء التقديس Sancta-sanctis يرفع الكاهن الاسباديون فوق رأسه ثم يخفضه في الكأس ويرشم به علامة الصليب على الكأس ، ثم يخرج ويرشم به بقية القربانة وبذلك يرشم ثلاثة صلبان من الخبز على الخمر ومن الخمر على الخبز وبعد ذلك يضع الاسباديون على الكأس . وبعد ترديده الاعتراف توضع اللقافة على القربانة ويقبل الكاهن المذبح مرددا التمجيد . وعند رفع اللقافة التي تلى ذلك تظهر القبة أو النجم معتدلة فوق الصينية وتحتها لقافة صغيرة مطرزة بالصلبان التي تغطي القربانة ، وفجأة يرفع الكاهن الصينية بيده ويرفعها على رأسه ثم يستدير نحو الشعب ويقف في مدخل الهيكل وهو يرفعها الى أعلى وهنا يصيح الجمهور « مبارك الآتى باسم الرب » . وأثناء التكريس يقف على كل من جانبي الكاهن شماس يحمل شمعة موقدة .

ويبدأ الكاهن فيتناول أولا ثم يقدم الرجال الاكليروس ثم الشعب بالترتيب . وأثناء تناول يحمل كل من المتقدمين لقافة في يده ، وبعد أن يأخذ الجوهرة في فمه يحيط فمه باللقافة جيدا حتى لا يسقط أى فتات على الأرض . ثم يناول الدم بالملقعة . أما الاسباديون فانه يحفظ لكى يتناول الكاهن خادم المذبح . وإذا كان الأسقف حاضرا فانه يتناول بنفسه بوضع الملقعة في الكأس . وحتى الأطفال الصغار يتناولون ويسمح لهم بدخول الهيكل (١) ولكن الكاهن يخرج من الهيكل ويناولهن في مكانهن في الشرفة أو في الطرف الغربى من الكنيسة . والمتقدمون للتناول الآن قليلو العدد ومعظمهم من الأطفال . ويدورون حول المذبح ويستمررون في تناول حتى تنتهى القربانة ثم يشرب الكاهن كل ما يتبقى في الكأس حتى الثمالة . ويمسح داخله بأصبعه ويلعقه - ثم يغسل الكأس بالماء ويشرب الماء المختلط بالبقايا . ويغسل الصينية بنفس الطريقة ثم يشرب الشماس الماء المختلط بالبقايا . وقد رأيت شماسا بعد انتهاء تناول يضع الملقعة على شفثيه وعينييه وجبهته - وهى عادة تعود الى خمسة عشر قرنا مضت منذ عصر القديس كيرلس الأورشليمي ، الذى كتب في منتصف

(١) فى الطقس الكلتى لا يسمح للنساء بالتناول الا اذا كن يرتدين ايشارب أو لقافة وهى عادة شرقية مخصوص على مراعاتها فى القوانين الرسولية وما زالت باقية لدى القبط . ويذكر مستر وارين كذلك كنيسة ايرلندية فى شمال مونستر Munster كان لا يسمح للنساء بدخولها - مثل العادة التى كانت موجودة بكنيسة الانبا شنودة ، كما يذكر كنيسة أخرى لم يكن يسمح فيها للنساء بالاقتراب من المذبح - انظر : Lit. & Rit of Celtic Church, pp. 136-138.

القرن الرابع تعليمات للمتقدمين الى التناول يقول فيها : « ثم تلمس بيدك بقايا الماء التي على شفتيك وتقدس بها عينيك وجبهتك وسائر الحواس (١) وليست هناك كنيسة أخرى تحفظ التفاصيل الدقيقة للتقليد القديم يمثل هذا الأسلوب الرائع »

وأخيرا فانه بعد غسيل الأواني ومنح البركة يقوم الأسقف - في حالة حضوره - برش الماء على المذبح وفي الهواء حول الهيكل وعلى رجال الاكليروس . ثم يخرج الأسقف من الهيكل وخلفه شماس يحمل حوضا فضيا وابريقا . ويصب الشماس الماء على يد الأسقف الذي يرشه في كافة الأرجاء على أفراد الشعب الذين يحتشدون حوله وقد اشرأبوا بأعناقهم والآن توزع لقمة البركة من القرايين التي لم تتقدس ثم ينصرف الجمهور . وهذه القرايين لها نفس حجم وشكل القربانة التي تقدست وليست أقل حجما كما أنها لم تخلط بالملح وليست كما يزعم فانسليبي المشكوك في صدق روايته (٢) شائعة منذ القرنين الماضيين فالأقباط لا يستخدمون الملح في أي جزء من طقسهم مهما كان الأمر .

وبالطبع فأننى لم أذكر شيئا عن استخدام المروحة أولا لأنه لم يرد ذكرها في التعليمات المدونة وثانيا لأنه أثناء احتفالات القداس المزدحمة في هذه الأيام ، لا يمكن رؤية الكاهن القائم بالخدمة خلال فتحة باب الهيكل الضيقة ، الا بصعوبة ، كما أن تحركات الكاهن غير ظاهرة بسبب وقوفه في الجهة الشرقية وأحيانا بسبب سحب البخور ، ولذلك فمن الصعب متابعة خطوات الطقس والتأكد مما يحدث أثناء التحرك في لحظة معينة (٣) . وعلاوة على ذلك فانه وقد أصبحت المروحة المستخدمة الآن مجرد لفافة أو حجاب وأن عدد استخدام اللقافات كثير ومعقد ، فانه من

(١) كُتبت مذكراتى عن هذه العادة بنفس الكلمات التي أوردتها منذ أكثر من ثلاث سنوات قبل أن أعرف بوضوح القطعة التي تعود الى القديس كيرلس "Catech Mystag. 22" أي رسالة : (التعليم) .

(٢) (Histoire P. 100) وهذه العبارة محل تساؤل . أما الاصطلاح الذي يستخدم للدلالة على هذه القربانة في الطقس اليوناني فهو لنتيدورون وباللاتينية بانيس بينيدكتس (خبز البركة) أو الخبز المقدس "Panis benedictus" أما في الكنيسة الانجليزية فان الخبز المقدس وقبلة السلام كانا ممنوعين بالنسبة للخطاة المشهورين بسوء السمعة - انظر : (Rock, vol. iii. Part 2. p. 185)

(٣) توجد التعليمات المدونة التي تتفق في الكثير أو القليل مع بعض أجزاء الوصف الذي قدمناه - في :

"Dammoné's Liturgies, pp. 195-233; and Renaudot, Lit. or toe. i. pp. 153-302.

حيث يمكن لحصيل الكثير من المعلومات القيمة .

المثير للازتيابك تحديد الموقف الذي تستخدم فيه اللفافة للتهوية بدلاً من المروحة . . وأعتقد أنه تجرى التهوية على العناصر المقدسة قبل وبعد التقديس (١) . ولكنني أكرر أنه من المستحيل ملاحظة التفاصيل الكاملة لخدمة القداس .

ولا تلتزم الكنيسة القبطية بعبادة حفظ الذخيرة المقدسة وهي تختلف في ذلك عن كنيسة القسطنطينية لأن اليونانيين يعلقون عليها في صندوق من الفضة أو الخشب ويلفونه بلفافة من الحرير ، ثم يعلق على الجائط الشرقي للهيكل مع اشعال قنديل أمامه : أما بين الأقباط فالتعليمات تنص على أنه إذا وجد بعض فتات من الذخيرة بعد أن يشرب الكاهن البقايا فيجب أن يتناول هذا الفتات أحد الشمامسة أو العلمانيين الذي لم يشرب الماء بعد . ولكن إذا لم يكن ذلك متاحاً فإن الفتات يلف في لفافة ويحفظ بين شمعتين مشتعلتين مع القنديل الموجود في حالة اشتعال دائم بالشرقية . وعلى الكاهن أن يمسك بجوار هذه الذخيرة حتى احتفال القديس في اليوم التالي حتى يستطيع أن يتناول هذا الفتات بعد فترة الصيام المقررة وممارسة تأديب قاس لقاء ما وقع فيه من إهمال . وكان رهبان دير أبو مقار بالصحراء الغربية في خلال القرن الحادي عشر قد اعتادوا حفظ الذخيرة المقدسة اعتباراً من يوم أحد السبعين حتى خميس العهد . وعندما اكتشف البطريك الأنبا خرستوذولوس هذا الترتيب منعه لأنه ضد تعاليم الكنيسة ووضع له عقوبة الجرم . وقاوم الرهبان هذا المنع وتساءلوا عما إذا كان البطريك المذكور أفضل من أسلافه الذين سمحوا بهذه العادة ؟

وبناء على ذلك انسحب الأنبا خرستوذولوس إلى المكتبة التي فوق برج الدير ووضع رسالة قرأها أحد الأساقفة على الجميع واستطاع بها إسكات أصوات المعارضة . ومنذئذ هجرت هذه العادة . ويعلق رينودو Renaudot وهو يورد هذه القصة قائلاً أن الخفظ المنوع عنه هنا لا يقصد به حفظ الذخيرة لمناولة المريض فهذه عادة مسموح بها دائماً . ويحفظ الأسباديون بعد غمسه في الكأس أثناء التقديس . ولا مجال للسؤال عن أن هذه التفرقة خاطئة . ولكن الأسباديون أو أي جزء آخر من القربان المقدس يحفظ لمناولة المريض (٢) أو لوضعه في الكأس أثناء

(١) قوانين القديس اثناسيوس تقرير ذلك . انظر .

Vansleb, Histoire, p. 228 fin.

وهي تتفق أيضاً مع التعليمات المدونة في قداس القديس يوحنا فم الذهب .

(٢) يذكر أيضاً فانسليب (Histoire, p. 130) وبوكوك (Vol. I, p. 248)

أنه لا أحد من الأقباط حتى هؤلاء الذين اعتنقوا المذهب الروماني - يمارس عادة حفظ الذخيرة المقدسة . وهذا هو نفسه المعمول به حالياً .

القداس التالى مثلما كانت العادة فى الطقس اليونانى أو الرومانى .
أما أسطورة التهام احدى الأفاعى للقربان المقدس وما ترتب عليها من
التوقف عن عادة حفظ الذخيرة المقدسة فقد ذكرناها من قبل .

ويجب أن يتم التقديس دائما داخل مبنى الكنيسة فيما عدا حالات
الضرورة القصوى فى المناطق التى لا توجد بها كنائس . أما بخصوص
مناولة المرضى فلاشك أنه جرت العادة فى التاريخ القبطى فى فترات معينة
بحفظ الذخيرة المقدسة لما بعد يوم القداس لأجلهم أو لأجل الكهنة الذين
وفروا مشقة التقديس فى اللحظات الطارئة . وعلى كل حال فقد اعتبرت
هذه العادة خاطئة حيثما وجدت ، لأن القوانين تأمر بأنه فى حالة الضرورة
عندما لا يستطيع المريض أن يحضر الى الكنيسة فإن التكريس على الرغم
من هذا لابد أن يتم داخل جدران المبنى الكنسى فقط ، ويلتزم الكاهن
بالذهاب بعد ذلك فى موكب حاملا القربان المقدس وبصحبه الشماس
الذين يحملون المجامر والشموع . وبالرغم من أن هذا الاحتفال قد تجرد
الآن من كل أبهته الا أن العادة التى تلزم الكاهن بأن يحمل جزءا من
الذخيرة المقدسة الى الشخص المريض - مازالت مرعية . وهناك اذا وجد
الكاهن من الأسباب سواء البدنية أو الروحية ما يجعل المريض غير مستعد
للتناول فإن الكاهن لا يعيد القربان الى الكنيسة ولكنه يتناوله بنفسه ،
وحتى يكون مستعدا لمثل هذا الموقف فانه ملزم بأن يذهب الى منزل
المريض صائما . ويعطى القربان المقدس للمريض بعد الاعتراف وبشرط
ألا يكون المريض فاقدا للاحساس أو الوعى . ولا بد لمن يتناولون أو ينقلون
العناصر المقدسة مراعاة أن يتم ذلك بكل توقير وعناية . وتوصى قوانين
الأنبا غبريال بأنه لا يسمح للشماس الصغير السن وغير المدرب بأن يمسك
الكأس أو المعلقة خوفا من أن يسقط قطرة من النبيذ أو ذرة من القربان
المقدس على الأرض . وإذا سقطت المعلقة فى الكأس فيجب على الشماس
أن يتركها ويستخدم معلقة أخرى . وهناك احتياطات مشابهة موجودة
فى القوانين التى تعود الى أقدم العصور . أما اهمال الكاهن الذى يترتب
عليه سقوط ذرة من الذخيرة المقدسة فانه يعاقب عليه بالابعاد لمدة أربعين
يوما عن خدمة المذبح وعن المشاركة فى سر الافخارستيا ويلزم بأن يقضى
فترة العقوبة صائما وأن يؤدي خمسين ميطنانية كل ليلة .

ويؤمن الأقباط بأن الخبز والخمر يتحولان الى جسد ودم المسيح
ذاته حسب كل ما يعنيه هذا الاعتقاد حرفيا . وعندما ذهب الأنبا غبريال
البطريرك السبعون الى أديرة وادى النطرون لكى تتم رسامته هناك -
أدار حوارا مع الرهبان حول الاعتراف بالايمان الذى يسبق التقدم للتناول،
وهو يمضى هكذا : « أؤمن وأعترف بأن هذا هو جسد سيدنا ومخلصنا

يسوع المسيح الذى أخذه من والدة الاله العذراء القديسة مريم وجعله
متحدًا مع لاهوته ، فقد رفض بعض الرهبان العبارة الأخيرة بحجة أنها
إضافة حديثة ولكنهم قبلوا أن يتسلموها بعد تحديد مفهومها بعبارة
« بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » . وهذه هي الصيغة التى ما زالت
مستخدمة حتى اليوم . ويسبقها عبارة « الجسد المقدس والدم الكريم
الذى ليسوع المسيح ابن الهنا . جسد ودم عمانوئيل الهنا . هذا الذى
يتحد بالمادة » . أما فى الدعاء فإنه يصلى طالبًا حضور الروح القدس وأن
« يجعل هذا الخبز جسدًا للمسيح وأن يصير هذا الخمر دمه » .
وتظهر حقيقة هذا الاعتقاد من خلال قصة تعود الى القرن الحادى عشر
فيقال ان ناسكا يدعى بطرس كان اصبعه السبابة مربوطا لمدة خمسة
عشر عاما ، وعندما حضره الموت زاره اثنان من الكهنة والحواء عليه أن
يكشف عن اصبعه . وعندما فك الرباط ظهر اصبعه أحمر اللون كما
لو كان قد غمس فى دم طازج . وعندما قال لهم بطرس انه كان يتلو
القداس فى الكنيسة (يبدو أن ذلك حدث فى الدير الأحمر) ووصل
الى تقديس الكأس ، لمس سطح الخمر بأصبعه ثم قال فى نفسه « هل
يصير ذلك حقا دم المسيح ؟ » وعندئذ ارتفعت الخمر فى الكأس فغطت
اصبعه وصبغته بالدم الذى بقى عالقا به دون أن ينمحي . ومن ذلك اليوم
فصاعدا لم يحاول تكريس الافخارستيا مرة أخرى .

أما قداسات الترحيم من أجل أرواح المنتقلين حسب المفهوم الرومانى
فإنها غير معروفة بالمرّة فى الكنيسة المصرية لسبب بسيط هو أن الأقباط
لا يعتقدون فى وجود المطهر . ولكنهم يؤمنون بأن الروح بعد الموت تدخل
فى الحالة الوسطى فى انتظار الدينونة . وخلال فترة أربعين يوما بعد
الموت أو على الأصح بعد انتهاء هذه الفترة تشجع الكنيسة القبطية الصلاة
من أجل الموتى أو ذكرهم فى القداس ، ولكنها لا تؤمن بالتكفير عن الخطايا
بعد الموت بمعاناة الآلام أو عبور أهوال الأبدية .

سر التوبة أو الاعتراف

رتبت الكنيسة القبطية سر الاعتراف منذ العصور الأولى . كما أنه
مازال يعقد حتى اليوم انطلاقا من ثبات المبدأ ولسنا فى حاجة للقول بأن
المبدأ والممارسة قد اختلطا فى مسائل عديدة على مدى التاريخ القبطى .
وقد قيل ان الأنبا يوحنا البطريك الثانى والسبعون الذى عاش خلال
القرن الثانى عشر قد ألفى هذا السر . وحوالى سنة ١١٧٤ قام مرقس
ابن القنبرى بعمل جولة عظيمة فى ربوع مصر معلما بأنه لا غفران للخطايا

بدون الاعتراف . وقبل ذلك بحوالي قرنين تحدث الأنبا ساويرس البطريرك الخامس والخمسون في هذه النقطة بوضوح لأنه كتب في خطاب حل لشماس معين - ما يلي :

« حلت أريطة هذا الشماس بكلمتي ، ولذلك لا يوجد سبب يستدعي أن يعوقه أحد من المؤمنين عن التقدم للتناول » . وبعد ذلك أعلن رأيه بأن من يتقدم للتناول بدون اعتراف بخطيئته فإنه يجعل خطيئته أعظم .

ويتم الاعتراف أمام الكاهن فقط وقد تحدد في أيامنا هذه بأن يكون القمص أو كبير الكهنة هو الذي يمنح الحل . وبعد سماع الاعتراف يأمر بالتأديبات الكنسية التي يراها مناسبة ، ويجب اتمام هذه التأديبات قبل منح الحل . ولا يعتبر الاقرار العام بالخطيئة كافيا ، كما أن الكاهن لا يستطيع تحديد التأديب المناسب للخطيئة المختفية خلف التعبيرات العمومية وقيل أنه عندما ألقى الأنبا يوحنا هذا الطقوس اعتبر أن الاعتراف الضامت أثناء انطلاق سحب البخور بمثابة دليل للاعتراف الصريح بالذنب . وقد انتشرت نفس هذه العادة بين الأنباش . ولكن هذا الخروج على القانون الكنسي كان مؤقتا ، رغم أن تجاهل الاعتراف الصحيح استمر فترة طويلة . ويبدو أن نص الحل هو نصه الوارد ضمن صلاة تحليل الابن وربما أقل منها قليلا .

ويقف المترف أمام الكاهن جاثيا على ركبتيه ومطاطئا رأسه الى الأرض . ويتلو الاثنان معا الصلاة الربانية وبعد تلاوة بعض الصلوات الأخرى يمنح الكاهن الحل للمترف ويباركه . وأثناء الصلوات يؤدي المترف ثلاث ميطنيات أمام المذبح وميطنية واحدة أمام أب الاعتراف الذي يقبل المترف قدامه ملتصقا صلواته ، ويلى ذلك فرض التأديب ولا بد من تنفيذه بدقة . ويحكمى التائب كافة أفكاره وأفعاله للكاهن . وبعد أن ينفذ التائب كافة التزاماته ، يصلى عليه الكاهن صلاة تحليل ثانية ، وبعد ذلك يسمح له بالاشتراك في تناول . أما في كنيسة الحبشة فقد كان المعتاد لمس التائب برذاذ الزيتون ، وهذا الترتيب الذي كان شائعا في المسيحية الغربية ما زال معمولا به في الكنائس الكبرى برؤما .

وعند عودة المرتد أو الشخص السيئ السمعة الذي عاش في الشر ، الى جماعة المؤمنين بالكنيسة ، يعلن الكاهن البركة باسم الثالوث المقدوس على اناء مملوء بالماء ويصب فيه الزيت المقدس ثلاث مرات على شكل صليب . وبعد ذلك تقرأ بعض الفصول من الكتاب المقدس ويصلى الكاهن صلاة

التحليل على رأس التائب • وبيبارك الماء مر أخرى ويرشه بعلامة الصليب
ويرشه ثلاث مرات وهو يقول :

« أغسبك باسم الآب والابن والروح القدس » وبعد أن يستعيد
التائب ملابسه • يتلو الكاهن صلوات أخرى ثم التحليل ، وبعد ذلك
يصرفه قائلا : « هأنت قد برئت فاذهب في طريقك ولا تعد تخطيء
أيضا (١) » • ومن الضروري عند لحظة الموت أداء الاعتراف ونيل الحل •

(١) انظر : Vansleb, Histoire, p. 119. — ويبدو أن القصة التي أوردها بها
بعض التكرار غير الضروري •

الفصل الثامن

الأسرار السبعة (بقية)

الكهنوت - الزيجة - مسحة المرضى

تعترف الكنيسة القبطية حالياً بالرتب الكهنوتية التالية فى تدرج مراتب النظام الكنسى : البطريرك ، المطران ، والأسقف ، ورئيس الكهنة أو القمص ، والقس ، والأرشيدياكون ، والشماس ، والقارئ . ومن الرتب الواضحة كذلك رتبة مساعد الشماس الايبودياكون ، وموقعه على الشماس مباشرة ولكن رتبته ليس لها اسم محدد فى الحديث الشائع . ويضاف الى هذه الرتب رتبة الراهب . وتذكر التعليمات المدونة كذلك رتبة المرتل ، والبواب - ضمن رتب الكنيسة بالرغم من أن هذين الأخيرين لا يكرسان بيد الأسقف (١) .

البطريرك

اللقب الكامل للبطريرك هو : « صاحب الغبطة والقداسة بابا وبطريرك المدينة العظمى الاسكندرية وكل أرض مصر وأورشليم المدينة المقدسة ، والنوبة ، والحبشة ، وخمس المدن الغربية ، وسائر أقاليم

(١) اورد أحد المخطوطات التى تعود الى القرن الرابع ، الرتب الكنسية كما يلى :
البطريرك ، والأسقف ، والقس ، والشماس ، ومساعد الشماس ، والقارئ ، والراهب -
ومؤلاء هم الذين يذكرون فى القداس - انظر كتاب :

Fragmentum Evangelii, S. Johannis by A. Georgius, pp. 308-9
(Rome, 1789, 4 to.)

وباختصار نقول ان هذه القائمة قد أوردها يوسف شماس أبو مقار فى أوائل القرن
الحادى عشر - انظر : -

Quatremère, Recherches Critiques et Historiques sur la Langue et la
Littérature de l'Egypte, p. 248.

الكراسة المرقسية . ويذكر رينودو Renaudot هذا اللقب بصورة مختلفة .
 اذ يضيف اليه « وبابليون القسطنط » التي يتضح لنا أنها أضيفت بعد
 الفتح الاسلامي . وكلمة « بابا » تثير الكثير من الجدل ، ولكنها مشتقة من
 الكلمة القبطية بى أبا (أى السابا) أو الأب . وبالطبع فان رينودو
 يفترض أن هذه الكلمة انتقلت من روما الى الاسكندرية (١) ولكن المقرريزى
 يقول ان الأسقف كان يدعى الأب ، بينما كان البطريك يدعى «أبو الآباء»
 أو البابا (٢) وأن هذا اللقب الذى استعارته روما كان مستخدما بكنيسة
 الاسكندرية منذ عصر البطريك الأول . ويورد أوطاخى نفس الرواية .
 ويعترف الأقباط بثلاثة بطاركة مسكونيين آخرين هم أحبار روما ،
 واقسس الذى تغير مقر كرسيه الآن فأصبح القسطنطينية ، وانطاكية .
 وقد يتصدر بابا روما المجمع المسكونى ، بينما يحمل بابا الاسكندرية
 لقب : قاضي المسكونة ، وهو مفوض فى تحديد مواعيد القيامة ،
 أما بطريك انطاكية فهو « القاضى بين البطاركة » وله سلطان تكريس
 الميرون المقدس اذا اجتمع جميع البطاركة لاقامة قداس خميس العهد .
 وبالإضافة الى ما ذكرناه ، فان القبط يعترفون بثلاثة بطاركة آخرين هم
 بطاركة اورشليم ، وبغداد ، وأثيوبيا . وعند اجتماع البطاركة فان بطريك
 اورشليم يحمل الصليب ، بينما يحفظ بطريك بغداد الايمان ، ويقوم
 بالتحكيم فى أية خلافات تنشعب بين المذاهب الشرقية (٣) .

وفى الماضى كان مقر الكرازة القبطية بالاسكندرية ، ولكن بعد الفتح
 الاسلامى عندما أصبحت القاهرة هى العاصمة ، انتقل الكرسي اليها
 للملازمة العملية . ويجرى الحديث عن الكنيسة المعلقة بوصفها الكائدرائية
 الرئيسية لمصر القديمة والقاهرة ، وقد أقيم الكرسي البابوى فيها بعد
 انتقاله من الاسكندرية . ولكن يبدو أن كنيسة أبى سرجة وأبى سيفين
 قد تمتعتا بمركز الصدارة فى فترات مختلفة مما يبين أن مقر البطريك
 قد تنقل مرارا . وفى القرن الأخير أصبح المقر ثابتا فى حارة الروم .
 ولكن بعد الغزو الفرنسى أقام البطريك المعاصر للغزو ، الكائدرائية الحالية
 بحى الألبانيكية والمقر الملحق بها الذى مازال مستخدما بوصفه القصر
 البابوى .

أما بخصوص انتخاب البطريك فى العصور الأولى للكنيسة ، فان

Lit. Or., vol. 1, p. 349.

(١)

See : Malan's History of the copts, pp. 27 n. and 28 n.

(٢)

Vansleb, Histoire, pp. 9-10.

(٣)

هناك جدلا (١) بين القسوس الاثنى عشر الذين كرسهم القديس مرقس الرسول والعبارة الملكية التي أوردها أوطاخي ، ويكفيها هنا الإشارة الى أن كافة الأدلة التاريخية تدل على إجراء عملية الانتخاب بمعرفة مجلس مكون من كبار رجال الدين وأراخنة الشعب: ويتم اختيار البطريرك بمعرفة سنودس من الأساقفة ، ويقر جمهور الشعب الاختيار الذي يتوصلون اليه . أو أن الشعب يقدم مرشحا ويقر الأساقفة انتخابه . وقبل سنة ٧٠٠ للميلاد ، كان الانتخاب يجري دائما في الاسكندرية وعندما انتقل كرسى البطريرك الى القاهرة أصبح الانتخاب يعقد بالقاهرة حتى حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد . وتلت ذلك فترة نالت هذا الشرف أثناءها المدن المتنافسة كل فى دورها . وفى النهاية أصبح للقاهرة الحق المطلق فى التفوق على بقية المدن . ولكن حتى بعد أن أصبحت القاهرة معروفة بوصفها مكان الانتخاب ، فإن عملية التتويج كانت تعقد دائما بالاسكندرية ويليها الاعلان الرسمى بدير القديس مقاريوس فى الصحراء . والحقيقة أن انتخاب البطريرك جرى بالدير فى ظروف نادرة .

وبمجرد وفاة البابا ، كانت خطابات اعلان وفاته ترسل من الاسكندرية الى جميع الأساقفة والأديرة وأراخنة الشعب تدعوهم الى اللقاء . معا . وكان اهتمام المجلس الأول ينحصر فى تعيين أكبر الأساقفة رئيسا ، للحصول على اذن من السلطة الزمنية بأجراء الانتخاب ، ولاعداد أنفسهم بالصلوات والأصوام والأسهار . وعندما يعقد الاجتماع بالاسكندرية يصبح لرئيس كهنة كنيسة القديس مرقس الحق فى اعلان المرشحين . وبالرغم مما قيل عن أن حق الترشيح كان فى يد القاهريين : فإن الكثير أو القليل من الحق الخاص كان متوافرا لممثلى الاسكندرية . وفى الغالب كان المرشح ينال التزكية من كافة الأطراف خاصة اذا كان متمتعا بوصية البطريرك المتوفى . أما فى حالة عدم الموافقة فإن اتخاذ القرار كان صعبا . فى بعض الأحيان حتى وصل الأمر كما ورد فى القصة ، الى حد أن الوزير المسلم فى القرن الحادى عشر - قد أوصى القبط باتباع العادة النسطورية (٢) وكان النسطاطرة ابتداء من سنة ٨٨٤ للميلاد قد اعتادوا عند اختبار البطريرك الجديد - أن يختاروا أولا مائة من المرشحين الذين كان عددهم يهبط بالتصويت الى خمسين ثم خمسة وعشرين ثم عشرة ثم ثلاثة وتكتب

(١) See : Renaudot, Lit. Or., tom. i. p. 360 seq : Neale, Alexanéria, vol. i. p. 9. seq.

(٢) هذه القصة موضع سؤال حيث ورد أن الأنبا يوحنا الثامن والأربعين قد التخبى بهذه الطريقة .

أسماء الثلاثة على ثلاثة شرائح منفصلة من الورق وتوضع مع شريحة رابعة كتب عليها اسم السيد المسيح ، فوق المذبح . وبعد القداس يسحب طفل برى واحدة من بينها . فاذا سحب الطفل اسم السيد المسيح يصبح المرشحون الثلاثة مرفوضين وغير مستحقين ، وتكرر عملية الانتخاب من جديد حتى يتم اقرار الأمر . وهذه الطريقة اتبعت في مصر لأول مرة في انتخاب الأنبا شنودة البطريرك الخامس والستين ، واستخدمت بعد ذلك في الحالات المشكوك فيها . وقد استخدمت مثل هذه الطريقة في انتخاب أحد الأساقفة عندما رفض الأنبا مكاريوس البطريرك التاسع والستون - الترشيح لكرسى مصر الخالي . وعلى كل حال فإن الأسماء في الطقس القبطي كانت توضع تحت المذبح وليس فوقه . وعلى ذلك فإنه عند اختيار المرشح سواء بالتزكية أو الاقتراع فإن أكبر الأساقفة كان يعلن اسمه في الكنيسة رسميا ، ويصبح الحاضرون (مستحق - مستحق) .

ويشترط في البطريرك أن يكون حر المولد وابنا لام متوجة أى أنها لم تتزوج الا مرة واحدة لأن الأرملة لا تتزوج اذا تزوجت مرة ثانية . وعلاوة على ذلك فإنه يجب أن يكون صحيح البدن وغير متزوج والا يقل عمره عن خمسين عاما والا يكون قد تلطخ باراقة الدماء ، ويجب أن يكون عالما وحياته بلا لوم ، مستقيم الراى ، ومن ساكنى الصحراء والا يكون اسقفا . وقد جرى التشديد على الشرط الأخير بكل صرامة لأنه منذ أيام القديس مرقس حتى أيام الأنبا كيرلس البطريرك الخامس والسبعين فى عام ١٢٣٥ للميلاد ، لم يحدث اختيار أى بابا كان فى رتبة الاسقفية . اما شرط الحياة الرهبانية فلم تؤيده أقدم قوانين أو تقاليد الكنيسة . وفى سنة ٦٠٩ للميلاد انتخب (أندرو نيكوس) الذى كان شماسا بالاسكندرية . ومن بين هؤلاء الذين لم يكونوا رهبانا نذكر حوالى سنة ٦٦٣ للميلاد (الأنبا) اغاثون وخليفته يوحنا ثم اسحاق . وفى سنة ٧٧٩ نذكر (الأنبا) يوحنا البطريرك الثامن والأربعين ، وفى سنة ٩٧٧ (الأنبا) ابرام بن ذرعة الثانى والستين . وفى سنة ١٠٠٢ (الأنبا) ذخارياس ، وفى سنة ١١٣١ (الأنبا) غبريال شماس كنيسة أبى سيفين . وفى سنة ١١٦٣ (الأنبا) مرقس . وهما كانتا ضرورة فبالواضح الآن هو أن هذا الأمر ضد مصلحة الشعب لأنه كيف يستطيع مجرد متوحد ، عاش بعيدا عن فكر وحركات عصره ، وليست لديه أية تجارب فى التعامل مع الناس ، ثم انه غالباً ما يكون جاهلا بالقراءة وشئون الحياة - كيف يستطيع مثل هذا الشخص أن يعرف ويوجه روح الكنيسة أو يقود بيده العاجزة - السفينة فى هذه الأزمات المشوبة بالأعاصير والأخطار ؟

وإذا حضر البابا الجديد الاجتماع فإنه يجلس فى الوسط ويتثبت اختياره . أما إذا كان فى الصحراء مثلما كان يحدث غالباً ، فيرسل وفد من الأساقفة والأراخنة لاحتضاره من الدير مربوطاً بالسلاسل طبقاً لاحتى العادات الغريبة التى تعود الى أواخر القرن الثانى . فتقول القصة انه عند احتضار البابا يوليانوس الحادى عشر حضرته رؤيا رجل يحضر اليه عنقوداً من العنب . وفى الصباح حضر فلاح جاهل يقول انه وجد عنقوداً كبيراً من العنب قد ظهر فى كرمه قبل الأوان (١) وأنه أحضره الى البطريرك بوصفه باكورة الأثمار . وعندما رآه البابا صرخ قائلاً : « هذا هو الرجل الذى أرانى اياه ملاك الرب » ولذلك قبضوا على الفلاح الذى كان يعترض بشدة على صلاحيته للمنصب ، وكيّله بالأغلال وتم تنصيبه بهذه الصورة . ونقرأ فى القرن التاسع أن الأنبا يوساب البطريرك الثانى والخمسين رافض بعد انتخابه أن يترك الدير وأنهم سحبوه مقيداً بالسلاسل . كما أن الأنبا شنودة البابا الخامس والخمسين الذى اختير ضد رغبته قد نقل مقيداً بالسلاسل الى الاسكندرية لتجليسه على كرسيه . وقد ورد نفس الكلام بالنسبة للأنبا ابرام بن زرة البابا الثانى والستين . وقد ورد أن تقليد الهروب الى الصحراء والعودة بالقيود الحديدية كان يشكل جانباً منتظماً من جوانب الاحتفال بالتجليس . ويفسر فانسليب Vansleb (٢) هذا الأمر بطريقة مختلفة فيقول انه عند اقتراب موعد الانتخاب كان كل من يشعر بجدارته للمنصب يختفى ، وكان المجلس يطلب جنوداً من رجال الحاكم المسلم للقبض على الهاربين واحتضارهم الى القاهرة مقيدين ! ولاشك أنه مرت أزمنة كانت فيها أحوال وأخطار هذا المنصب جديدة باثارة الرعب فى أشد النفوس صلابة ، بالرغم من أن هذا المنصب خلال أزمنة أخرى منها على سبيل المثال القرن الحادى عشر - كان هدفاً للتنافس الشديد الذى لم تخل بعض طرائق الوصول اليه من انعدام الضمير . ولاشك أيضاً بأن الخوف من الانتخاب انبعث فى حالات عديدة من احساس حقيقى بعدم الاستحقاق أو من نفس الشكل المزيف لنفس هذه الفضيلة التى امتاز بها المصريون ألا وهى - رهبة المسئولية .

وبعد اتخاذ القرار بانتخاب البطريرك الجديد ، كان يجرى تحقيق فى حياته وسلوكه للتأكد من أنه يوفى بشروط القوانين الكنسية . وفى أحيان أخرى كان يلزم بالتوقيع على عهد وميثاق بأن يؤدي أعمالاً معينة

(١) تعود أهمية هذه القصة الى أنها تشهد على زراعة العنب بمصر خلال هذه

الحقبة .

Histoire, pp. 12, 13.

(٢)

بعد اعتلائه السدة المرقسية . وبناء على ذلك فإن الأنبا ميخائيل البابا الثامن والستين قد وعد ضمن أشياء أخرى - بأن يدفع الحصة المالية السنوية للاسكندرية ، وأن يتجنب ويلعن ممارسة السيمونية (*) وأن يعيد كنيسة المعلقة والعبداء بجارة الروم الى أسقفيهما لأن الأنبا خريستوذولوس كان قد اغتصب هاتين الكنيستين ، ولكن بمجرد أن جلس الأنبا ميخائيل على الكرسي المرقسي مزق المستند ضاحكا في وجه الأنبا شنودة أسقف مصر الذي طالب بكنيسته ، منكرًا التعهد الذي أخذه على نفسه ومهددا بحرمان أي شاهد يجرؤ على التقدم ضده ، وأخيرا حرم الأنبا شنودة لأنه أقام القداس في نفس اليوم بكنيسة أبي سرجة والمعلقة .

وإذا لم يكن المرشح قد جاز أية رتبة كنسية خلاف رتب الرهبنة ، فإنه يمر ببقية الرتب الضرورية في عدة أيام متتالية قبل يوم الرسامة الذي لابد أن يكون يوم الأحد ، فيمنح رتبة الشماس يوم الخميس ، والقس يوم الجمعة ، والقمص أو رئيس الكهنة يوم السبت ، ولكنه لا يمر برتبة مساعد الشماس ولا تجري رسامته أسقفا . ومن جهة أخرى فإنه إذا كان قد حصل على رتبة الشماس أو القس قبل الرسامة ولكنه لم يكن قد صار راهبا فمن الضروري أن يرسم راهبا قبل الحصول على الرتب الأعلى . ولهذا الغرض فإنه يرتدى كل الملابس اللائكية ألا وهي : الرداء ، والقلمسوة ، والمنطقة الجلدية ، وعباءة النساك . وكما أن البتولية الدائمة وحياة القداسة ضروريتان للبطيريك ، فلاشك في أن ضرورات الرتب الرهبانية التي تعنى الموت عن العالم ، تتطابق مع أقدم التقاليد . ولكن من الضروري أن يرتدى البابا الجديد ملابس حسب المثال اللائكي كنقل رمزي للطقس ، ولكي يجعل الرهبانية السابقة ضرورة للانتخاب . ويمثل هذا الاجراء الأخير ممارسة سبوقية للواقعية وتشويها للعادة القديمة .

وفي اليوم المحدد للرسامة يحضر البطيريك المنتخب الى الكنيسة مقيدا بالسلاسل - وهي كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية ، وقد قضى الليلة السابقة ساهرا بجوار قبر القديس مرقس الانجيلي . ولكن في العصور الأخيرة عندما سرق جسد القديس مرقس ودمرت الكنيسة ، يبدو أن البطيريك كان يسهر الى جوار البطيريك السابق ويأخذ الصدرة البطيركية من رقبته . وتجرى تسبحة صلاة باكر ويلبها القداس الالهى

(*) السيمونية هي قبول الرشاوى للتعيين في المناصب الدينية ، نسبة الى سيمون الساحر الذي بعد أن صار مسيحيا ، قدم للتلاميذ دراهم حتى يصبح مثلهم متمتعاً بموهبة حلول الروح القدس على كل من يضع عليه يده ، فانتهره بطرس قائلا : لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت ان تقننى موهبة الله بدراهم ٠٠٠ - ع ٨ : ٩ - ٢٤ . (المترجم)

الذى يقيمه كبير الاساقفة . وبعد تلاوة القراءات الكنسية تحل السلاسل . وبعد انتهاء قراءة الابركسيس (فصل أعمال الرسل) يعقد الاحتفال حول المذبح . فى البداية يحضر الشمامسة حاملين صلبانهم المرتفعة ، وشموعهم المشتعلة ، ومراوحهم . ثم يأتى كاهن يلوح بالمجمره وخلفه كاهن آخر يحمل البشارة الفضية أو الذهبية - ويليهما رئيس الشمامسة ثم كبير الاساقفة يتبعه بقية الاساقفة يسرون اثنين اثنين ، ثم البطريرك المنتخب مرتديا التونية والشملة وهو يسير بين اثنين من الكهنة مطأطئ الرأس . وبعد ذلك يأتى دور بقية الكهنة حسب رتبهم . ويتقدمون الى الهيكل مع الموسيقى والتهليل حيث يسجد الجميع أمام المذبح . وبعد قراءة الانجيل الاول يجلس كبير الاساقفة على الكرسي بينما يجلس بقية الاساقفة على دكة المنصة بجواره مواجهين للغرب بينما البطريرك فى أسفل بين المذبح وكرسي العرش مواجهها للمشرق ، ويمسك به أحد الكهنة من كلا الجانبين ، ويجلس جميع الكهنة والشمامسة على الدرجات الأسفل تحت منصة الاساقفة . ثم يسلم كبير الاساقفة المرسوم أو وثيقة الانتخاب الى أحد الشمامسة الذى يأخذها الى المنبر ويقرأها بصوت مرتفع ، ويوقع جميع الاساقفة بالموافقة ويوقع بعدهم ثلاثة من الكهنة وثلاثة من الشمامسة الذين من الاسكندرية، ثم رئيس دير القديس مقاريوس أو حاكم الاسكندرية أو بابيلون أى القاهرة .

والآن ينزل الاساقفة ويقفون بجوار المذبح ، وبعد أن يؤدوا العديد من التراتيل والصلوات مع اطلاق البخور يضع كبير الاساقفة يده اليمنى فى صمت على رأس البطريرك ، بينما يعلن رئيس الشمامسة اعلان التنصيب . ومرة أخرى يضع كبير الاساقفة يده ويقرأ الدعاء بينما يمد جميع الاساقفة أياديهم ، كل واحد كلتا يديه الى فوق ، ثم يرشم كبير الاساقفة البطريرك بصليب على رأسه (١) ويعلنه رئيسا للأساقفة فى كنيسة الله المقدسة للمدينة العظمى الاسكندرية ويلبسه البطرشيل وبذلة القداس . ويعود الجميع الى أماكنهم على المنصة ، بينما يقرأ أحد الشمامسة وثيقة التنصيب من فوق المنبر . ويلى ذلك صلوات طويلة حتى يعلن كبير الاساقفة اسم البطريرك ويصيح جميع الحاضرين : مستحق مستحق . ثم توضع البشارة أربع مرات متتابة فوق رأس البطريرك . ويضع كبير الاساقفة وجميع الاساقفة أياديهم فوقها . وبعد أن يرتدى

(١) نتحدث التعليمات المدونة هنا عن استخدام الميرون ولكنها غير واضحة فى هذا العدد ، والحقيقة أنه لا يوجد دليل واضح على استخدام الزيت فى الرسامة بالكنيسة المصرية .

البطريرك الصدرية والعباءة والتاج والعكاز يقتادونه الى العرش ويجلس عليه ثلاث مرات . ثم يعلن كبير الاساقفة بعد ذلك باليونانية اسمه ولقبه بينما يخلع جميع الاساقفة تيجانهم ، ويجلس البطريرك على العرش ممسكا بكتاب البشارة ثم يحييه جميع الاساقفة ورجال الاكليروس والشعب ، ثم يتقدم البطريرك للاحتفال بالقربان . ويقرأ الانجيل بنفسه ، وعندما يصل الى عبارة « أنا هو الراعى الصالح » يصيح جميع الحاضرين مرة أخرى : مستحق مستحق . وعند نهاية القداس يعطى السلام وينسحب في موكب الى غرفة حفظ الآواني والأثاث حيث يخلع ملابس الخدمة ويلبس العباءة السوداء . ويعود الى العرش ويعطى البركة ويمر من الكنيسة الى القصر البطريركى أو « القلاية » كما تدعى (١) ويركب بغلته في موكب عظيم ويسير أمام جميع رجال الاكليروس وتتبعه جماهير الشعب بينما تحمل في مقدمة الموكب ثلاثة صلبان مع صورة القديس مرقس الرسول ورايته . وفى العصور القديمة كان يتوقف الموكب فى وسط مدينة الاسكندرية حيث تتلى الصلوات ، ثم يتحركون الى المقر البابوى بين أصوات التهليل . وهناك يأتى جميع رجال الاكليروس ووجهاء الناس للمبايعة . ويقام عيد لمدة ثلاثة أيام . اليوم الأول فى كنيسة الانجيليين ، والثانى فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل ، والأخير فى الكنيسة المرقسية . وفى القداس الأخير وبعد انتهاء الخدمة ، كان من المعتاد أن يجلس البطريرك على العرش ويمسك برأس القديس مرقس بدلا من الانجيل ويضعها فى كساء جديده .

أما عن اختفاء هذا الرفات الموقر منذ فترة طويلة فتقول القصة ان بعض البحارة العرب قد اندفعوا الى الكنيسة فى أوائل القرن السابع وحملوا الصندوق المحفوظ به الرأس ، ظانين أنه يحتوى على كنز عظيم ، ولكن السفينة لم تستطع أن تبرح الميناء . وأرسل عمرو ليعرف السبب فاكشف أنهم أخذوا الرأس . وعندما أعيدت مرة أخرى ، أبحرت السفينة من الميناء ، فكتب عمرو الى البطريرك بنيامين الذى كان هاربا فى مصر العليا - قصة ما حدث ودعاه للعودة وأعطاه عشرة آلاف دينار لبناء كنيسة احياء لهذه الذكرى وسميت هذه الكنيسة بالمعلقة (٢) .

(١) أورد فانسليب (Histoire, pp. 162-9) احتفالات التنصيب بطريقة مختلفة حيث ذكر وضع صليب كبير من الحديد على المذبح تحت الصينية ، ويأخذه البطريرك عند ارتداء ملابسه بدلا من العكاز ولم أجد دليلا يؤكد هذه الحكاية رغم غرابتها .

(٢) يذكر فانسليب (Histoire, u. 196) هذه القصة ولكنه أخطأ فى التسمية . الجزء الكبير من المادة التى أوردناها عليه مأخوذ من كتاب ريتودو :
De Patriarcha Alexandrino.

وفى الوقت الحالى يعيش البطريرك حياة البساطة ويحصل على ايراد يماثل ما يحصل عليه من يحيى حياة متوسطة بالريف الانجليزى .
وتم وضع قانون علمانى لمساعدته فى ادارة موارد الكنيسة . والحقيقة أن هناك بعض الشبه بين كافة الأوقاف الكنسية والديرية التى وضعت تحت التفويض . ويلقى منصب البطريرك عظيم التوقير بصرف النظر عن استحقاق الشخص الجالس على الكرسي ، ومازالت العادة تجرى على الخضوع أمامه بمعنى عمل ميطانية تلامس الأرض ، وذلك بتعفير الجبهة فى التراب ثم تقبيل يده البابا .

المطران والأسقف

يوجد تحت ولاية البطريرك القبطى أربعة مطارنة أو رؤساء أساقفة هم مطارنة الاسكندرية والمنوفية أو ممفيس وأورشليم والحبشة (٢) ويتم رسامة هؤلاء المطارنة بيد البطريرك ، ولكن الطقس لا يختلف عن ذلك المستخدم فى رسامة الأسقف فيما عدا أن القديس فى حالة المطران ينتهى بدعاء خاص به .

وقد يوصى بانتخاب الأسقف بالاختيار أو ينتخب بمعرفة مجلس من الاكليروس واراخنة الشعب ، ولكن رسامته يجب أن تتم بمعرفة البطريرك . وربما كان من المستحسن ألا يكون متزوجا ولكن الشرط الأساسى يتركز فى ألا يكون قد تزوج للمرة الثانية . وعندما يقدم المرشح أمام البطريرك يسأل البطريرك ستة أو سبعة من الشهود الذين يجيبون بتقوى وعلم الأسقف المختار . وفى بعض الأحيان يتم اختيار شماس وتجرى رسامته الى الرتبين الوسيطتين وهما رتبنا القس والقمص فى يومين متتالين . وعلاوة على ذلك فانه اذا كان الأسقف المختار من بين المدنيين ، فلا بد أن يتسلم الملابس الملائكية ورتبة الراهب كما فى حالة البابا . ولا بد من أداء صلاة الغروب يوم السبت السابق على يوم أحد الرسامة وقضاء الليل فى السهر الذى يردد خلاله الأسقف المرشح المزامير وانجيل القديس يوحنا ويدعى الأساقفة المجارون ورجال الاكليروس والشعب لحضور حفل الرسامة .

(٢) يذكر فانسليب ثلاثة فقط هم مطارنة دمياط وأورشليم واثيوبيا . ولا شك أن كرسي دمياط كان يشغله مطران فى يوم ما . ولكنه ليس كذلك فى الوقت الحالى بسبب اضمحلال أهمية هذه المدينة ، وكذلك فان كاتدرائية هذه المدينة قد آلت الى المسلمين حوال سنة ١٦٧٠ للميلاد .

وعند انتهاء صلاة باكر يدخل البطريرك والأساقفة الكنيسة فى موكب مهيب الى الخوروس وينتظرون هناك حتى يبدأ القداس ، ثم يدخلون جميعا الى الهيكل ويتخذون أماكنهم على المنصة . وفى نفس الوقت يقف المرشح فى الجانب الجنوبى من الخوروس وأمامه شمعة مضيئة ، بينما توضع على المذبح الملابس الأسقفية بما فيها ابتراشيليون حريرى مطرز بصور التلاميذ الاثنى عشر . وبعد قراءة الابركسيس من سفر أعمال الرسل ، ينزل البطريرك من كرسيه ويقف فى مدخل الهيكل وحوله الأساقفة . وبعد أن يقدم لهم الصليب لكى يقبلوه ، يرسل ثلاثة منهم الى الأسقف المختار الذى يؤدى أمامهم ميثاقية . ويتم تشكيل موكب احتفالى من الأساقفة الثلاثة الذين يحملون بطرشيلى المرشح ويطوفون بالكنيسة ثم يعودون الى الخوروس مرة أخرى . وتقدم وثيقة الانتخاب الى البطريرك الذى يسلمها الى أحد الشماسة لكى يقرأها من فوق المنبر . ويتجه البطريرك الآن فى اتجاه الشرق الى المذبح ويأخذ من فوقه البلين ذا اللون الغامق ويضعه على الأسقف الجديد بدلا من الشملة (١) بعد أن يرشمه ثلاث مرات بعلامة الصليب . ويقدم اليه الابتراشيليون بنفس الطريقة ثم يرشم المرشح ثلاث مرات على جبهته . ويتحرك الآن موكب آخر عبر الكنيسة . وفى الطرف الغربى يجلس الأسقف الجديد أو يركع على الأرض أثناء ترتيل أحد الألحان . ومع استمرار الترتيل يمشون الى باب الهيكل ويخر الأسقف ساجدا أمام المذبح ويقبل الصليب الذى فى يد البطريرك ، الذى يرشم جبهته ثلاث مرات على هيئة صليب ، وهنا يرتلون كيريا ليصون ، وتدق الأجراس .

وبعد الصلوات والسلام ، يصيح الشماس الأكبر « ضعوا أيديكم ايها الأساقفة » وهنا يرفع جميع الأساقفة أيديهم ويضعونها على كتفى أخيه الجديد بينما يضع البطريرك يديه على رأسه . وأثناء الصلوات التالية يتجه البطريرك نحو الشرق ، لكنه يواجه الغرب مرة أخرى ليرشم الصليب ثلاث مرات على جبهة الأسقف الجديد ولكى يلبسه الملابس الأسقفية الكاملة . وبعد أن يرتدى الأسقف جميع ملابسه ، يسلمه البطريرك الصليب الصغير الذى يمنح به البركة . وبعد تأدية الصلاة يضع يده على الأسقف قائلا (مستحق) التى يرد عليها جميع الحاضرين فائلين (مستحق) (*) .

(١) يبدو أن هذا هو معنى التعليمات المدونة التى أوردها رينودو ولكن من الصعب التأكد منه . وعلينا أن نتذكر أن القلنسوة السوداء المرسومة فى صورة الأنبا شنودة قد رسمت فوقها ثلاثة صلبان بيضاء .

(*) يصيح الشعب بكلمة (مستحق) باللغة القبطية وهى (اكسيوس) ثلاث مرات . (المترجم) .

ويدور الجزء التالى من الاحتفال فى الخوروس حيث يفف هناك جميع الاكليروس ، بينما يقرأ الوصية الخاصة بالأسقف الجديد الذى يقبل عتبة الهيكل بعد سماعها . ثم ينتقل الى الهيكل حيث يقبل المذبح ثم يصعد درجات المنصة ويتخذ مجلسه على يمين البطريرك ممسكا بالانجيل . ويبدأ القداس ويستمر بالطريقة المعتادة فيما عدا بعض الألحان الخاصة التى تستخدم أثناء قبلة السلام . ويقوم البطريرك بالتناول بنفسه ويتلقى اعتراف الأسقف الجديد ويباشر التناول بتسليم القربان المقدس والكأس فى يد الأسقف الجديد . ثم يوضع الابروسفارين على العناصر المقدسة ، ويتراجع الأسقف الى باب الهيكل بينما يتجه البطريرك نحو الغرب واضعا البشارة فوق رأسه وهو يعطى السلام . ويعلن الشماس قراءة الانجيل من فوق المنبر . ويقرأ البطريرك فصلا من انجيل القديس يوحنا وبعد قراءة عبارة : « وقف يسوع فى الوسط ، وقال لهم : السلام لكم » يفتح البطريرك الانجيل على رأس الأسقف ، ومرة أخرى عند قراءة عبارة : « كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا » يفعل نفس الشئ وهو يقول : (مستحق) ثم يستمر فى القراءة ، وعند عبارة : « اقبلوا روح القدس » ينفخ فى وجه الأسقف على شكل صليب وهو يقول ثانية : « مستحق » ويصيح رجال الاكليروس والشعب نفس الصيحة ، ثم يرتل الخوروس الألحان وتلحق الأجراس . وأخيرا فانه عند عبارة : « ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم » يصيح الجمهور : « الى مائة عام » . ويعود البطريرك والأسقف الى المذبح ويرفع البطريرك الستر ، ويناول بقية رجال الاكليروس والشعب بينما ينشد الخوروس لحن البركة . وفى نهاية الخدمة عندما تعطى البركة لصرف الجمهور ، يقوم البطريرك بالباس الأسقف عباءة الاحتفالات ذات اللون الغامق ، ويدعوه لاعطاء بركة مستقلة . وبعد ذلك يتحرك الجميع الى المقر البطريركى ، ويدوم الاحتفال لمدة ثلاثة أيام . وهنا أيضا يهدى البطريرك للأسقف الجديد صليبا لليد وعكازا . وهذا الاجراء ليس جزءا من احتفالات التنصيب . ومن الضرورى للأسقف أن يصوم الأسبوع الذى يلى رسامته (١) وأثناء ذلك يدرس واجبات وظيفته بعناية وفى نفس الوقت يرسل البابا رسائل توصية وتبريك الى ايبارشيتته .

ويتم تنصيب الأسقف فى كنيسته فى أحد أيام الأسبوع ولا بد أن يصحبه ثلاثة أساقفة آخرين على الأقل . وعندما يصل الى الدير أو القرية القريبة من مدينته يخرج أفراد الشعب لاستقباله فى موكب ويؤدون أمامه

(١) Vansleb, Histoire, p. 172. الا أن نفس الكاتب فى فقرة أخرى يجعل

الفترة ثلاثة أسابيع من الصوم - ص ٢٢ .

ميطانية ثم يقرأ رجال الاكليروس فصلا من انجيل متى ويقودونه خلال شوارع المدينة الى الكنيسة مصحوبا بالألحان والموسيقى. ويقول كبير الأساقفة الصلوات المرتبة أمام الباب ، ويقرأ المزمور المائة والسابع عشر وجزءا من فصل آخر من انجيل متى (مت ١٦ : ١٣ - ١٩) . ويلى ذلك صلوات أخرى وترديد عبارة : كيرى لىسون (يارب ارحم) ٤١ مرة ، ثم يدخلون الى الكنيسة . وعلى الباب يقرأ كبير الأساقفة صلاة التخليل على الأسقف الجديد ، ثم تقرأ فصول أخرى من الكتاب المقدس ويتحرك الموكب الى الهيكل حيث يسجد الجميع أمام المذبح ويتخذ الأسقف الجديد أكثر المقاعد انخفاضا على المنصة . وبعد صلاة باكر يرتدى الأساقفة ملابس الخدمة ويبدءون الصلاة . ويقرأ الأسقف الجديد بعض الصلوات ويبخر المذبح . ويطلبون انحدار مواهب الروح القدس عليه ويطوفون به الكنيسة فى موكب . وعند العودة الى الهيكل يضعون ايادهم على كتفيه ، يأخذونه الى العرش حيث يجلسه كبير الأساقفة فيقوم باجلاسه ثلاث مرات وهو يحاول القيام فى كل مرة ، ويصيح الخوروس أو جوقة المرتلين (مستحق) اكسيوس . وبعد أن يجلس الأسقف على العرش يمسك بالانجيل فى يده ويقوم الأساقفة والقسوس بتقبيله بالترتيب بينما يرتل الشمامسة الألحان مع الموسيقى . ثم ينزل الأسقف ويقرأ الانجيل وأثناء ذلك يضع كبير الأساقفة البشارة الفضية على رأسه ثلاث مرات ثم يعود الى المذبح لمباشرة الخدمة . والتجليس مثل التكريس يتبعه ثلاثة أيام من الاحتفالات فيما عدا أن صوم الأسقف يتبدل هذه المرة الى أعياد .

ويبلغ عدد الكراسى الأسقفية التى تحت سلطة بطريرك الاسكندرية فى الوقت الحالى أربعة عشر كرسيًا ، ولكنها كانت فى الماضى أكثر من ذلك بكثير . وقد نسخ فانسليب Vansleb فى سنة ١٦٧٣ قائمة بهذه الكراسى عن مخطوط قديم أراه اياه حينذاك أسقف أسيوط . وقد بلغ عدد الأسقفيات المدونة بها حوالى مائة أسقفية ، وهذا العدد يقل عن المجموع المسجل فى وثائق الكنيسة .

ويذكر فانسليب أن عدد الأسقفيات بلغ فى وقته خمس عشرة أسقفية ما زالت موجودة حتى الآن وهى : ١ - نقادة ٢ - جرجا ٣ - أبو تيج ٤ - أسيوط ٥ - منفوط ٦ - قسقام ٧ - ملوى والمنيا ٨ - البهنسا ٩ - أطفيح ١٠ - طهطا والأشمونين ١١ - الفيوم ١٢ - بلبيس ١٣ - المنصورة ١٤ - دمياط ١٥ - منوف والبحيرة وميناء الاسكندرية .

وبقيت الآن الأسقفيات التالية : ١ - الجيزة ٢ - الفيوم والبهنسا ٣ - المنيا والأشمونين ٤ - صنبو وقسقام ٥ - منفوط .

٦ - أسيوط ٧ - جرجا واخميم ٨ - أبو تيج ٩ - قنا وقوص
ونقادة ١٠ - اسنا ١١ - الخرطوم ١٢ : ١٤ - ثلاث ايبارشيات
فى الحبشة تحت رئاسة المطران .

القمص (الايغومينوس)

هناك معنيان تستخدم للدلالة عليهما كلمة : قمص أو مقابلها القبطي
(الايغومينوس) وهو اشتقاق محرف للكلمة اليونانية هييجومينوس أى
المدير . ان كلمة قمص أو رئيس الكهنة فى مفهومها المدنى معنى قريب
الى حد ما من كلمة Rector الانجليزية وتعنى القسيس الأول المسئول
عن كنيسة قد يكون بها قساوسة آخرون وشمامسة . ويطلق هذا اللقب
على كبير قساوسة الكاثدرائية . أما فى معناها الآخر فهى تعنى رأس
أو رئيس الدير . ومن الصعب تحديده ما اذا كان قمص كنيسة ما يقصد
به المعنى المدنى أو الدينى ولذلك فأننا لا نستغرب أن المسئول فى كلتا
الحالتين يحمل نفس الاسم ، بالرغم من أن الاصطلاح قمص Hegumenus
كان فى زمن ما قاصرا على الأديرة .

وعندما يرقى القسيس الى رتبة القمص يحضر الى الكنيسة ويقف
فى الخوروس مرتديا ملابسه الكهنوتية ويقوده اثنان من رؤساء الكهنة
بينهما فى دورة حول الكنيسة ، ثم يحضرونه الى باب الهيكل حيث يقف
الأسقف . وينحنى الجميع أمام المذبح ويتلو الأسقف صلاة البخور ،
وبعد عدة صلوات أخرى يضع يده على رأس القس . وعلاوة على ذلك فان
الأسقف يرشم رأسه بعلامة الصليب . ويقبل القس المذبح ويقدم
القربان . وبعد اتمام سر الافخارستيا يقرأ عليه نوع من الوصية معرفا
ومنبها القمص الجديد الى واجباته الروحية .

القس

يحدد القانون الكنسى العمر المخصص لرسامة القس بثلاثة وثلاثين
عاما . ومن الضروري شهادة رجال الاكليروس بأنه على خلق قويم وفهم
عميق ، ومتزوج شرعيا ، وحاصل على درجة الدياكون أى الشماس . واذا
لم يكن قد رسم شماسا فلا بد من رسامته فى درجة القارىء ثم الشماس
على يومين متتاليين قبل يوم الرسامة . وعندما يحل اليوم المعين فلا بد أن
يرتدى ملابس الشماس فيلبس التونية والبطرشيلى على كتفه اليسرى ثم
يحضرونه الى مكان الخوروس . ويكون الأسقف داخل الهيكل ومعه أحد

القسوس ويتم اقتياد المرشح فى دورة حول الكنيسة ثم ينحنى أمام المذبح بينما يمضى الأسقف وهو متجه ناحية الشرق فى صلاة رفع بخور باكر . وعند اللحظة المحددة يتجه الأسقف الى الغرب ويضع يده على رأس المرشح ويكرر الصلاة ، ثم يتجه الى ناحية الشرق ويستمر فى الصلوات ، ثم يتحول الى الغرب مرة أخرى ليرشم جبهة المرشح بالصليب . ويلى ذلك اعلان المرشح قسا ويرشم الأسقف بعد ذلك ثلاثة صلبان أخرى على جبهته ثم يلبسه ملابس الخدمة . وبعد صلاة الشكر يقرأ عليه أحد القسوس الوصية . وهناك أيضا وصية خاصة تتعلق بواجباته فى سماع اعترافات الناس وممارسة الحق التام فى معاملة التائبين . ويقبل القس الجديد الكتاب الذى يتضمن النصيحة وعتبة الهيكل ويد الأسقف . ثم يتناول من الافخارستيا ويضع الأسقف يده على رأسه ثلاث مرات . ويصيح جميع الناس (مستحق) مع اسم القس ورتبته . وحسب ما أورده فانسليبي Vansleb فان الأسقف ينفخ فى وجهه قائلا : «اقبلوا روح القدس» (لكن يبدو أن التعليمات المدونة لا تذكر هذا الموقف) .

ويلى التكريس صوم لمدة أربعين يوما ويبدأ الصوم بالانقطاع عن الطعام من الغروب حتى الثالثة بعد ظهر اليوم التالى .

الشماس (الدياتكون)

ان طقس رسامة الشماس هو نفس طقس رسامة القس فيما عدا أن الشماس لا يرتدى البطرشيل عند تقديمه الى الأسقف وأن عملية ارتداء ملابس الخدمة مع شارة الرتبة تتكون من وضع البطرشيل فوق الكتف اليسرى . ويذكر فانسليبي أن ملعقة الافخارستيا (المستير) تسلم الى الشماس رمزا لعمله ، ويحضر القداس بكامله . وفى نهاية الخدمة ينفخ الأسقف فى وجهه ، ويصيح رجال الاكليروس بكلمة (مستحق) ثلاث مرات .

وعند تكريس رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) تستخدم صلاة اضافية وترتيب خاص لوضع البطرشيل كما جرى وصفه فى السرد الذى رويناها سابقا عن الملابس الكهنوتية ولكن الخدمة والطقس لا يختلفان عما يحدث بالنسبة لرتبة الشماس .

يقف مساعد الشماس (الايودياكون) عند باب الهيكل بدون الثنوية أو غيرها من الملابس الكهنوتية ، ولا يرشمه الأسقف بوضع اليد

عليه، ولكنه بعد صلاة رفع بخور باكر يضع يدا على كل صندغ وبذلك يتقابل الابهامان على الجبهة ، وهنا يتلو الأسقف احدى الصلوات ، ثم يرشم علامة الصليب على جبهة مساعد الشماس (الايبودياكون) مرة واحدة وبعد ذلك ثلاث مرات كما هو الحال فى الرتب الأعلى . ويضع البطرشيل على كتفه اليسرى . وبعد أن يقبل المذبح يتقدم للتناول ولكن الأسقف لا يضع يده على رأسه . وكما يمسك الشماس المعلقة (المستير) فان مساعد الشماس يمسك شمعة موقدة فى يده طوال القداس .

القارئ (الأناغنوستيس)

يقف المرشح لرتبة القارئ أمام الهيكل بدون التونية ورأسه مكشوفة ومنحنية الى أسفل . ويحضر كما هى العادة فى موكب ثم يقدم الى الأسقف الذى يقف فى المدخل . ويسأل الأسقف : « هل تشهدون بأن هذا الشخص جدير بهذه الرتبة ؟ » والاجابة هى : « بالحقيقة يا أبانا ، انه يستحق » . ثم يقص الأسقف بالمقص صليباً كبيراً خلال شعر المرشح وصلباناً صغيرة بين فروع الصليب الكبير . وبعد أداء صلاة فى اتجاه الغرب وأخرى فى اتجاه المذبح يواجه الأسقف اتجاه الغرب مرة أخرى ممسكاً بصندغى المرشح أثناء أداء صلاة أخرى ، ثم يسلمه الانجيل ويناوله من الافخارستيا ولكن هذا التكريس يتم بدون وضع اليد .

ولا توجد فى القوانين الكنسية القبطية أية أشكال أخرى لقص شعر الرأس بالنسبة لآى رتبة أخرى بخلاف ما ذكرناه وهناك شئ مشابه يجرى عنده تكريس مساعد الشماس الايبودياكون فى الحبشة (١) حسب ما أورده ألفاريز Alvarez فان مساعد الشماس الايبودياكون يلمس مفاتيح الكنيسة ، وتوضع لفافة على رأسه ويسلم وعاء من الماء رمزا لوظيفته .

ولا يسمح للقارئ أو مساعد الشماس الايبودياكون أو المرتل الابصلتس بدخول الهيكل ولكنهم يتناولون من القربان المقدس قبل الشعب . أما المرتل الابصلتس فيرشمه الأسقف بعلامة الصليب ويباركه وذلك بدون وضع اليد .

Denzinger, Rit. Or., tom. ii. p. 6 note.

(١)

الراهب

لا بد من مرور ثلاث سنوات من الاعداد قبل منح رتبة الرهبنة . ويقف رئيس الدير على باب الهيكل ويأمر المرشح بأن يرقله منبطحا على الأرض ويقرأ عليه صلاة التجنيز علامة على موته عن حياة العالم . ويقص شعر رأسه على شكل صليب ثم يلبسه التونية والقلنسوة والمنطقة ويصحب كل قطعة الصلاة الخاصة بها . واذا لم يطلب الراهب الاسكيم أو الرداء الملائكى فان رئيس الدير ينطق بالحل ويمنحه البركة . أما بخصوص الرداء الملائكى فانه تقام له صلاة خاصة ويتسلم الراهب حلة تشبه العباءة ويضع الصليب على رأسه وتقرأ عليه نصيحة خاصة توضح الواجبات المتعلقة بقبول هذا الرداء النسكى .

الزيجة

لا يسمح بعقد الزواج خلال الصوم الكبير ، ولكن أكثر فترات عقد الزواج شيوعا تقع قبل بدء الصوم . ويحاط سر الزيجة في الكنيسة القبطية بالاحترام العظيم وتتخلله بعض آثار العادات القديمة بل أيضا العادات السابقة على المسيحية التي اختفت من الطقس الغربى .

ومن واجب الكاهن أن يتأكد من أن كلا الطرفين المتقدمين للزواج يقبلان الارتباط طبقا لرغبتهما الحرة بدون اضطرار . وفى اليوم المحدد يطوف كل من العريس والعروس فى موكب منفصل خلال الشوارع ثم يصل الى الكنيسة . وعندما يصل العريس الى الباب يستقبله الشماس حاملين الشموع والأجراس مع الكهنة وهم يرتلون : « مبارك الآتى باسم الرب » . ويلي ذلك ترتيل الألحان ثم يقتادون العريس الى الخوروس الامامى . ويتم الترحيب بالعروس عند الباب مع ترديد لحن « السلام لك يا مريم » ثم تقتاد الى مكانها فى الشرفة المخصصة للسيدات . ويلبس جميع الاكليروس الملابس البيضاء . واذا كان البطريرك سيحضر لمنح البركة فان رجال الاكليروس يحيطون به فى موكب الى داخل الكنيسة . وتوضع مستلزمات العرس المكونة من صليب ذهبى ودبلة ذهبية ومنطقة وبخور على صينية فى الخوروس الامامى . وأحيانا توضع أيضا عباءة حريرية كان من المعتاد أن يقدمها العريس للبطريرك الذى يلبس هذه الهدية أثناء الصلاة . وتبدأ الخدمة بعد صلاة باكر مباشرة .

وفى البداية تقرأ مزامير التوبة ويحرق البخور ثم يقوم أحد الكهنة باطلاق البخور أمام البطريرك . ويشدو الموجودون بالبحان كيرى ليسون

وهليليلويا والمزامير ثم يقرأ فصل من رسائل القديس بولس الرسول ثم يطلق البخور. فى الخوروس الأمامى ويقرأ الانجيل بالبعثين القبطية ثم العربية حسب الترتيبات المعتادة . وبعد ذلك يقال العديد من أجزاء القداس وفى نهايتها صلاة تحليل الابن . وبعد ذلك يرفع الستر عن صينية مستلزمات العرس ويقوم البطريك بمباركتها واحدة فواحدة . وأثناء ذلك يلبس العريس تونية حريرية بيضاء تصل الى قدميه ثم يلبس المنطقة حول وسطه وغطاء أبيض للرأس وبعد ذلك يضع البطريك الدبلة فى اصبع البنصر باليد اليمنى للعريس وينطق بالبركة .

ويتحرك الكاهن القائم بالخدمة من الخوروس الأمامى وهو يقود العريس الى المكان الذى تنتظر فيه العروس ويطلب اليه أن يلبسها الدبلة المربوط بها التاج . وعندما تمت الفتاة يدها لتناولهما فان ذلك يعنى موافقتها على أن تصبح زوجة له . حينئذ يحنى الكاهن رأسيهما بحيث تتلامسان معا ثم يذهب العريس والعروس الى مدخل الخوروس وتقف العروس على يمين العريس ، وهنا يغطيهما الكاهن بعباءة منفصلة من الحرير الأبيض أو الكتان الفاخر رمزا للاتحاد النقي المقدس ، وتقرأ الصلوات المناسبة وتنشد الألحان مع اطلاق البخور ، ويتخللها قراءة فصل من الانجيل . وبعد انتهائها يبدأ البطريك أو الكاهن مباركة العروس والعريس . وعندما يذكر اسميهما يرشمهما بعلامة الصليب (١) ، وتستمر الصلوات مع الموسيقى . وبعد السلام يبارك الكاهن قنينة من الزيت ويمسح جبهة العروس والعريس ورسغيهما ويبارك أيضا التاجين ويضعهما على رأسيهما ويصيح بصوت مرتفع : « بمجده وكرامة توجهما أيها الأب ، باركهما أيها الابن ، وتوجهما أيها الروح القدس ، وحل عليهما وكملهما » . ويلى ذلك العديد من البركات التى تختلف مع اختلاف عوائل كل كنيسة .

ثم يقف الرجل والمرأة وذراعاهما متقاطعتان أمامهما، ويوضع الصليب الذهبى على رأسيهما بينما يقرأ الكاهن عليهما الحل . ويلى ذلك الوصية التى يسلم الكاهن بعدها العروس للعريس رابطا أيديهما ببعضهما ، ثم يباركهما مرة أخرى . ومن خلال بعض الألحان ، يتشكل موكب يتحرك حول الكنيسة فى ضوء الشموع وعزف الموسيقى . وعند عودتهما يبدأ القداس . ويتناول العريس والعروس من القربان المقدس ، ثم يتجه بهما الموكب الى أبواب الكنيسة. ويمر خلال الشوارع الى منزل العروسين .

(١) اثناء مباركة العريس التى سبق أن ذكرناها حسب ما أورده فانسليب ، يقف الكاهن خلفه مواجهاً الشرق ويلبس رأسه بالصليب الفضى أو الذهبى - انظر فى ذلك .

Denzinger, Rit. or., tom. ii. p. 364 seq.

وفى اليوم الثامن لعقد الزواج تعقد خدمة دينية لرفع التاج • وتبلى الصلوات العديدة وفصول من الكتاب المقدس حسب الترتيب المقرر • وبعد الانتهاء من التلاوة يخلع الكاهن التاجين عن رأسى العريس والعروس ويصرفهما مع البركة •

وهكذا نرى أن الزواج القبطى يتشابه فى معالمة الأساسية خاصة التتويج ثم رفع التاج مع الطقس اليونانى حسبما أورده جور Goar (١) ويتشابه أيضا مع الطقس اللاتينى ، كما دونه فى القرن التاسع ، البابا نيقولاوس الذى يشير الى أربع نقاط أساسية هى : العطايا التى تقدم للكنيسة ، والبركة ، والستر الأبيض على رأسى العروسين بالأكاليل (٢) •

مسحة المرضى

ليس هناك ما يدل على أن سر مسحة المرضى الذى يعنى دهن المريض بزيت القنديل ، تمارسه الكنيسة فقط للمشرقيين على الموت كما هو الحال فى الطقس الرومانى ، وفى هذا الأمر يختلف الطقس القبطى عن الطقس الرومانى • وفى الترتيب الطبسى الذى أورده البابا غبريال نجده يصف طقس هذا السر كما يلى : يملأ قنديل ذو سبعة أفرع (٣) بأنقى أنواع زيت الزيتون المستورد من فلسطين ، ويوضع على حامل أمام أيقونة القديسة العذراء مريم ويوضع بالقرب منه صليب وكتاب البشارة الفضية • ويجمع سبعة من الكهنة أو عدد مناسب منهم فى الكنيسة • وتبدأ الخدمة بصلاة الشكر ويلبها اشعال البخور ، ويقرأ جزء من الرسائل ويلى ذلك بعض الصلوات المناسبة • ثم يشعل رئيس الكهنة احدى الفتائل مع رسم علامة الصليب على الزيت بينما يرتل رفقاؤه المزامير • ويلى ذلك صلوات أخرى • وفى وقت معين يقوم الكاهن الثانى برشم علامة الصليب على الزيت ثم يشعل الفتيلة الثانية ، ويستمر ذلك مع الصلوات والتراتيل

(١) Euchol., pp. 396, 400.

(٢) لمعرفة بقية المظاهر المتعلقة بالزواج القبطى انظر كتاب :

Lane, Modern Egyptians, vol. ii. p. 290 esq.

وقصة الأقباط التى أوردها لين صحيحة فى جملتها ، بالرغم من تغليفها بذلك التحامل السقيم الذى يغلف معظم الكتابات الانجليزية عن الأقباط - انظر على سبيل المثال الفقرة المتحاملة ضد الأقباط تماما فى دائرة المعارف البريطانية الجديدة •

(٣) انظر صورة هذا القنديل فى شكل رقم ١٨ بهذا الجزء من الكتاب •

حتى يتم اشعال الفتائل السبع بالترتيب ، وبعد اتمام كافة الصلوات واشعال الفتائل فان الشخص المريض اذا كان قادرا على المشاركة في الخدمة - يتقدم الى باب الهيكل نحو الشرق . وهناك يرفع رئيس الكهنة البشارة الفضية والصليب على رأسه ثم يضع يديه على صدغى المريض . وبينما يزدد رئيس الكهنة وحده بعض الصلوات يقدم جميع الكهنة بركاتهم ، ثم تتلى الصلاة الربانية ويفتح الانجيل ويقرأ الفصل الذى يفتح الكتاب عليه بالمصادفة ، ثم يتلى قانون الايمان وبعض الصلوات الأخرى ، ويرفع الصليب مرة أخرى على الشخص المريض ثم يتشكل موكب يطوف بالكنيسة حاملا القنديل ذا السبع فتحات والشموع المضيئة ، بينما هم يرتلون طالبين من الرب شفاء المريض بشفاة القديسين والشهداء . وفى نهاية الدورة يعود الشخص المريض الى الخوروس الأول . وبينما يقف أمام الهيكل كما كان من قبل ، يدهن بالزيت . ولكن اذا كان المريض يعانى من المرض الشديد الذى يحول بينه وبين تحمل هذا الاحتفال الطويل والمرهق بالكنيسة ، فانه يحل محله شخص بديل ولكن لا يتم تقديس السر خارج المبنى الكنسى ، ويتم رفعه طلبا لشفاء المريض وليس بوصفه البركة الأخيرة التى تقدمها الكنيسة للنفس التى تعبر الى الأبدية .

ويشبه الطقس الأرمنى الخاص بمسحة المرضى ، الطقس القبطى من حيث استخدام القنديل ذى السبع فتحات ولكنه يختلف من حيث السماح باجراء الصلوات بجانب سرير المريض فى الحالات التى لا يستطيع فيها المريض الحضور الى الكنيسة .

وهذا الطقس الخاص بمسح المريض بالزيت من القنديل الكنسى - قديم جدا ، حيث يتحدث القديس يوحنا ذهبى الفم بوضوح عن الأشخاص المؤمنين الذين دهنوا بالزيت من مثل هذا القنديل وتم شفاؤهم من أمراض عديدة . وقد ورد ذكر زيت القنديل واستخدامه لمسحة المرضى فى حياة نيلوس Nilus الأصغر (١) وقيل ان بعض الرهبان وغيرهم من الأشخاص يتم شفاؤهم من الأرواح الشريرة بهذه الطريقة ، وأن المسيح بالزيت لا يبد أن يتم بيد الكاهن ، ونجد أن نفس العادة ونفس التعبير قد ورد ذكرهما فى الطقس اليونانى الذى يتضمن صلاة لمسح المريض بزيت

Vita, viii. 58, 59 : Boll. sept. 26, quoled in Dict. Christ.
Antiq. 9 v.

(١)

القنديل (١) ، ويتطلب الأمر كذلك وجود سبعة من الكهنة كما هو الحال في الطقس القبطي ، كما أن الزيت يتم اشعاله في المصباح ذي السبع فتحات أمام الأيقونة الرئيسية للسيد المسيح بالكنيسة ، ولكن هنا يستخدم الخمر بدلا من الماء في المصباح (٢) .

Euchol., p. 842.

(١)

Id., p. 436.

(٢)

الفصل التاسع

طقوس وشعائر كنسية متنوعة

الزيت المقدس - تكريس الكنيسة والمذبح - تكريس جرن المعمودية - عيد الغطاس - أحد الشعانين وأسبوع الآلام - مواسم الصوم

الزيوت المقدسة

يُميز الطقوس المتبع والقانون الكنسى فى الغرب بين ثلاثة أنواع من الزيت المستخدم فى الكنيسة وهى : زيت الميرون ، وزيت الموعوظين ، وزيت مسحة المرضى . وهناك العديد من المحفوظات فى الكتابات المدونة القبطية تنص على استخدام ثلاثة أنواع من الزيت ، مستخدمة منذ القديم فى الطقوس الكنسى بمصر . ومازال موجودا بكنيسة الأنبا شنودة بمصر القديمة حامل لأوانى الميرون به ثلاث فتحات خصصت كل منها لنوع من الأنواع الثلاثة ولكن الارتباط هنا فى الممارسة وليس فى الفكرة لأننا نشك فيما إذا كانت كنيسة الاسكندرية قد عرفت رسميا أكثر من نوعين من الزيت ، وكل منهما له اسم طقسى مستقل وغرض منفصل . وقد ورد فى فصيحة من مخطوط قبطى يرجع الى أوائل القرن الرابع ونشره جورجىوس ، ذكر نوعين من الزيت هما (آجيون ميرون) أى الميرون المقدس ثم (آجيون ايلايون) أى زيت الزيتون المقدس . وهكذا نجد دائما الميرون وزيت الزيتون متميزين . ويسمى الأخير منهما فى اليونانية (أجاليا سيثوس ايلايون) حيث حرف الى الاسم (غاليلاون) (*) فى اللغة القبطية وهو الاصطلاح المستخدم للدلالة على الزيت الثانى فى التعليمات المدونة والصلوات . ولا توجد صعوبة فى فهم استخدام ثلاثة أنواع من الزيت بينما هما نوعان من حيث الفكرة التى لدى المصريين ، ذلك أن زيت الغاليلايون يماثل زيت الموعوظين لدى اللاتين *Oleum Catechumenorum* بينما يماثل *oleum infirmorum* زيت القنديل ؛ إلا أن مادة هذين الزيتين وهما الغاليلايون وزيت الفنديا ليست الا مادة واحدة هى عبارة عن زيت الزيتون النقى الوارد من فلسطين ، ولذلك فهما نفس الزيت الواحد . وهما بخلاف الميرون الذى يتكون من خلط مواد عديدة .

(*) ووجد ايضا لفظ أجاليلايون ومعناه . زيت البهجة (انراجع الأنبا

ثريغوريوس) .

وأهم المواد المستخدمة في عمل زيت الميرون هي البلسم الذي ينمو في حديقة بئر العذراء مريم بالمطرية مكان مدينة هليوبوليس القديمة . وهنا كما تقول الرواية ، استراحَت العائلة المقدسة أثناء هروبها الى مصر . وقيل ان العائلة قد اختفت داخل تجويف في ساق شجرة ، ونسج العنكبوت خيوط شبكته حول مدخل التجويف ، وانطابت هذه الحيلة على المطاردين وقد أورد أحد المؤرخين العرب في العصور الوسطى ذكر البلسم الموجود بالمطرية كما يلي :

“in vicinia fostatae sunt ab austro vicus Men eta Septentrione urbs nominata Ainschemes ... dicunturque ambae horti fuisse pharaunis, cui Deus maledicat. In Ainschemes provenit balsami arbor, quod nullibi terrarum nisi hic nascitur. (١)

والحقيقة أن شجرة البلسم توجد أيضا في شبه الجزيرة العربية ، وقيل ان آخر شجرة كانت موجودة في مصر قد أطيح بها خلال الفيضان المدمر الذي حدث سنة ١٦١٥ ، ولا بد أنه تمت استعادتها . ويؤكد التقليد على أن البلسم لا ينمو الا في حديقة المطرية فقط ولا بد من ريه بماء البئر الذي اغتسل فيه الطفل يسوع المسيح وهناك رواية تقول ان يهوديا كان وزيرا للسلطان العزيز بن صلاح الدين أنكر هذه الحقيقة انكارا تاما . ولكي يبرهن على صحة زعمه حفر بئرا أخرى الى جانب بئر العذراء ، واستمر رى الأشجار من هذه البئر الجديدة لمدة عام كامل وكانت النتيجة أنها لم تثمر ولا نقطة واحدة من البلسم . وفي العام التالي أمر الوزير بأن تروى الأشجار بمقدارين متساويين من ماء البئرين وكان الناتج يساوى نصف المحصول المعتاد . وفي العام الثالث وبعد استخدام ماء بئر العذراء وحده عاد محصول البلسم الى معدله المعتاد (٢) .

وتجرى عمليات غلي عديدة للميرون وكل منها عملية مستقلة لها طقس محدد ، والكميات المأخوذة من كل مادة محددة بالدقة سواء عن طريق الميزان أو القياس . وفي العملية الأولى يتم غلي الأطياب والأفاوى المختلفة التي تتضمن أزهار الزنبق والكاسيا حيث توضع في قدر وتنقع في الماء النقي لمدة يوم . وفي صباح اليوم التالي يصب فيها ثمانية أرطال من الزيت النقي الذي لم يوضع في أية أوعية من الجلد ، وتترك لمدة يوم وهي تغلي

(١) انظر كتاب : Descriptio Aegypti الذي ترجمه عن العربية J. D. Michaelis و صدر في Göttingen سنة ١٧٧٦ - ص ١٢٧ .

(٢) See also : evanglia Apocrypha, ed. Tischendorff, and edit. p. 193. (Evang. Infant Arab. c. xxiv).

على نار متوسطة . أما مواد الوقود فهي حطب الزيتون أو أخشاب الأيقونات القديمة (١) . وأثناء غليان الخليط يقرأ سفر المزامير كله ، ويقلب الخليط من وقت لآخر بقضيب من فروع شجر الزيتون ، وكلما أوشك الماء على النفاد أعيد تزويده . وفي المساء ترفع القدر عن النار ويترك الزيت طوال الليل وحتى صباح اليوم التالي حتى يبرد ، ثم يصفى خلال منخل من نسيج الكتان .

وبعد ذلك توضع الأزهار الفارسية الحمراء مع خشب الصندل الأبيض وغير ذلك من المواد العطرية في غلاية كبيرة مملوءة بالماء النقي وتترك لمدة ست ساعات ، ثم يضاف إليها الزيت الذي صنع بالأمس . ويتم غلي الجميع لمدة أربع ساعات على نار هادئة ، ويصفى الخليط مرة أخرى .

أما في الطبخة الثالثة فيتم اختيار أفواى أخرى وتنقع ثم تغلى مع ماء الزيت الناتج عن اليوم السابق وتصفى كالمرتين السابقتين - وفي اليوم التالي يتم خلط مواد أخرى منها البلسم والزعفران وخشب الصبار وكمية أخرى من الورود الحمراء وتغلى كما حدث من قبل حتى يتبخر الماء كله . ثم ينقى الخليط بالتصفية . وفي اليوم الخامس يضاف هذا الخليط إلى العنبر الأصفر المغلى والبلسم ويغلى على نار هادئة . أما مواد الوقود فهي الفحم النباتي المصنوع من خشب البلوط حتى يتم تحلل العنبر والبلسم ، ثم يصفى الميرون من خلال منخل من الكتان ويجمع في وعاء نظيف ويقلب يوميا لمدة سبعة أيام وبذلك يصبح جاهزا للتكريس والتقدیس (٢) .

وحسب العادة القديمة فإن تكريس الميرون يجب أن يتم بقدر الاستطاعة بكنيسة دير القديس مقاريوس بالصحراء الغربية . وكانت تتم من قبل بكنيسة القديس مرقس بالإسكندرية . ومن المستحيل القول متى تم هذا التغيير ولكن من المحتمل أن يكون هذا التغيير قد حدث ليس بعد القرن السابع . ويبدو أنه يوجد كذلك بعض الالتباس فيما يتعلق باليوم المحدد للتكريس وهل هو يوم خميس العهد كما هو الحال في الطقس الغربي ، أم يوم الجمعة العظيمة ، ولكن الرواية القبطية تذكر أن اليوم

(١) مازالت هذه العادة التي سجلها فانسليب (Histoire, p. 91) موجودة ، وهي مذكورة ، بالقول لعدم وجود صور في الكنائس تسجل هذا الطقس .

(٢) وردت طريقة عمل الميرون كما وصفها أسقف قبطى تلبية لطلب بطريرك الموحل - في مخطوط محفوظ بالمكتبة القومية في باريس (XIV No. 100) .

التي صنع فيها الميرون خلال القرن الثالث عشر تبين أنه كان يعمل على فترات غير منتظمة تتراوح ما بين ست إلى خمس عشرة سنة (١) ويستخدم الميرون الآن للتثبيت فقط ولتدشين الجديد من الكنائس أو المذابح أو الأيقونات أو الأواني وذلك حسب شهادة البطريك الحالي .

وهناك شبه تام بين الاستخدام القبطي واليوناني للميرون . لأن نفس الاصطلاح مستخدم في اللغتين . وكذلك أيضا الأعداد متشابهة من حيث التركيب لأن اليونانيين يستخدمون الزيت والخمر والبلسم والمر والقاسيا والقرفة والزعفران وهذه المواد يبلغ عددها ثلاثة وثلاثين صنفا من المواد العطرية . وعلاوة على ذلك فإن التقديس يتم بنفس الترتيب الاحتفالي .

ويوضع الزيت في صندوق من المرمر مغطى بستر ويحمل في مركب ، فيتحرك أمامه الشمامسة بالشموع المضيئة ، وعلى كلا الجانبين سبعة من الشمامسة يحملون المراوح التي يروحون بها على الوعاء . إلا أن البابا بدلا من أن يحمل الزيت المقدس ، يتسلمه من كبير الكهنة أو الأسقف على باب الهيكل ويضعه على المذبح .

أما في الغرب فقد كان الميرون يصنع من الزيت والبلسم فقط . وكانت الزيوت الثلاثة تقديس معا حيث يحمل زيت الميرون في آنية ذهبية ، بينما يحمل الزيتان الآخران الأول *oleum Sanctum* أوليوم سانكتوم : الزيت المقدس والزيت الثاني *oleum infirmorum* أوليوم اينفيرموروم : زيت القنديل . في اناءين فضيين ، أما مركب السورة حول الكنيسة فيشبه ذلك الذي يجرى في الطقس الشرقي . ويستخدم الميرون للمسحة الأخيرة عند العماد ، وللتثبيت ولتدشين الكنائس والمذابح والأجراس ولتكريس الأساقفة والكهنة والملوك ويوضع على يدي الشماس وعلى صليب الصلبوت عند مباركته . أما في الطقس اللاتيني فإن كلا من الميرون والبلسم يوضع على المذبح منفصلا . وخلال الخدمة يقوم الأسقف بخلط جزء من الزيت مع البلسم فوق الصينية ثم يضعه في الاناء الذهبي . ونفس هذه الطريقة لخلط الميرون متبعة في طقس السريان اليعاقبة الذي يطابق الطقس القبطي خصوصا في تفاصيل السورة الكبرى وفي وضوح استخدام المراوح . ويعرف السريان نوعين فقط من الزيت ويطلقون على الثاني منهما اسم : زيت المسحة ، وهو يستخدم لرشم المعمدين وشفاء المرضى .

(١) يحدد المخطوط المحفوظ في المكتبة القومية ببائيس سنوات ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣٢٠ ، ١٣٣٠ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤٦ كتواريخ لعمل الميرون .

تدشين الكنيسة والمذبح

ان الطقس الخاص بتدشين الكنيسة لم يدون . ومن المحال تقديم وصف الاحتفالات المعتادة ولكننا نستطيع تقديم بعض الجوانب المؤكدة لهذا الاستخدام . أما بقية الجوانب وهي الأقل ضرورة فسنمر عليها في صحت لانعدام المعلومات .

وتبدأ الخدمة بصلاة عشية الأحد وتستغرق معظم الليل . ويتم عمل التدشين في صباح الأحد ، حيث يجتمع في المبنى عدد كبير من رجال الاكليروس والاساقفة مع البطريرك . ولا يبدو أن هناك أى احتفال يجرى عند الباب الغربى كما هي العادة في انجلترا . وتصف أمام الهيكل سبعة أوان من الخزف مملوءة بالماء . وقد تكللت فوهة كل اناء باكليل من اوراق نبات البنجر الأبيض (١) وتشعل سبعة مصابيح أمام الهيكل كما توضع سبع مجامر ينبعث منها البخور بين أوعية الماء والحجاب . وعند ذلك يتم ترتيل عدد كبير من المزامير ويلى ذلك قراءة عدة فصول طويلة من الكتاب المقدس . ويرتل لحن بعد كل فصل . وبعد ذلك يبخر البطريرك المبنى بينما يرتل رجال الاكليروس لحنا آخر . وتستمر الصلوات واحدة تلو الأخرى ، ولا يفصل بينها سوى عبارات ، كيرى ليسون - من الشعب ، وبعض القراءات من الأناجيل الأربعة . وعندما تحل لحظة مباركة الماء ، يركع الجميع حتى انتهاء الصلاة .

وبعد أن يقف الجميع ، يشكل رجال الاكليروس موكبا طويلا يتصدره البطريرك، وتحمل أوعية الماء بطول الموكب ويحمل رجال الاكليروس وهم يرتدون أفخر ملابسهم ، الشموع ، والمجامر ، والمراوح ، ونسخة فخمة من الانجيل - ويدخلون أولا الى الهيكل حيث يرش البطريرك أو الأسقف الحوائط وقبة المذبح بالماء ، الذى يأخذه من أنية مصنوعة من المرمر وموضوعة في ثمرة اليقطين المجففة . ثم يرش بنفس الطريقة حوائط الهيكل خاصة حائط الشرقية ، وكذلك الأعمدة وقبة مظلة المذبح - ويمر الموكب ويدور حول الكنيسة كلها . وبنفس الطريقة يرش البابا البطريرك الحوائط والأركان والسقف اذا أمكن ، وهو يقول فى كل موضع : « التدشين المقدس لبيت الرب » .

وبعد الدورة الأولى تجرى دورة أخرى ترشم فيها الأماكن التى سبق رشها بأوراق نبات البنجر الأبيض على شكل صليب . وأخيرا تجرى دورة

Vansleb, Hist., p. 215.

(١) انظر :

واننا نتساءل عما اذا كان ذكر هذا النبات قد ورد كوسيلة للطعن أم لا ؟

المقدس والذي يتكون من الشمع والصمغ وتراب الرخام . وبعد اتمام ذلك يبدأ القداس .

واليونانيون أيضا مثل الأقباط ، يستخدمون الميرون لمسح الأواني المقدسة والأيقونات عند تكريسها .

وفي الطقس القبطي يأتي تكريس المذبح بعد تكريس الكنيسة ، وهو يتفق في ذلك مع الطقس الغربي أكثر من الطقس اليوناني . ففي مصر نجد أنه بعد أن يكرس البطريك الكنيسة يعود فيقف أمام المذبح ويبخره أثناء تلاوة المزامير والصلوات . ثم يرشم فوقه ثلاثة صلبان بالميرون وهو يقول : « نمسح بالميرون هذا المذبح الذي بنى لتكريم القديس » باسم الآب والابن والروح القدس . وبعد أداء العديد من الصلوات الأخرى يسجد أمام المذبح ، وكذلك يفعل بقية الكليروس ، ثم يغطي المذبح بغطائه ، ويوضع فوقه الصليب والبشارة بينما يستمر رجال الكليروس وأفراد الشعب في الترتيل . ويتكون موكب يدور حول المذبح ثلاث مرات مع الموسيقى . وتبدأ اقامة القداس . وبعد ذلك يكسر البطريك اليقطينة وأواني الماء ، ثم يأخذ الناس الشظايا لكي يحتفظوا بها .

تدشين وتكريس جرن المعمودية

ان التعليمات المدونة تنص على أن يكون موقع المعمودية في الركن الجنوبي الشرقي من الكنيسة . وهذه التعليمات التي يعود تاريخها الى العصور الوسطى ، لا تبين فقط هجر العادة الأصلية التي تجعل موقع المعمودية في الركن الجنوبي الغربي من الرواق ، ولكنها ليست بالتعليمات ذات الأهمية في حد ذاتها . ونظرا لأنني ذكرتها الآن أقول انه مادام انتقال المعمودية قد حدث في حدود مبنى الكنيسة فليست هناك قاعدة ثابتة معروفة تتبع بخصوص موقع المعمودية . ومن الضروري أن توضع صورة عماد السيد المسيح على الحائط أو في داخل مقصورة بالقرب من جرن المعمودية .

أما تدشين جرن المعمودية فلا بد أن يتم في يوم أحد بقدر الامكان . وعند صلاة غروب اليوم السابق يجب أن تغسل المعمودية جيدا ويوضع في الاتجاه الشرقي من المعمودية ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الزيتون النقي الوارد من فلسطين . ويجب اشعالها عند شروق الشمس . كما يجب احضار ثلاثة قنور مملوءة بالماء النقي مع منشفة لرش الماء مصنوعة من الخوص وتربط فيها أوراق البلسم وبعض الريحان ، واسفنجة جديدة ،

والشموع المشتعلة على الشمعدانات المتشعبة . وتبدأ خدمة القديس بالكنيسة بعد تلاوة العديد من المزامير وفصول الكتاب المقدس مع الصلوات . ويبخر البطريرك المذبح وهو يتلو صلاة البخور . ثم يجلس البطريرك على عرشه أثناء قراءة فصل الكاثوليكون . وبعد الانتهاء من القراءة يدور موكب البخور حول الكنيسة ثم يدخل الى المعمودية الجديدة حيث يرشم الأسقف جرن المعمودية وكلا من أواني الماء الثلاثة بعلامة الصليب ويبارك الماء . وعند صلاة تحليل الابن يرتدى الأسقف التاج أو البلين . وعند الانتهاء يصب الماء المقدس في الجرن ويكسر الأواني . ثم يأخذ المنشئة المصنوعة من الخوص وبعد غمسها في الماء يرش المعمودية كلها على شكل صلبان وهو يقول : « هليلويا » ويرد عليه رجال الاكليروس قائلين أيضا « هليلويا » وبنفس الطريقة يرش كل حوائط المعمودية ، ثم يغسل الجزء الداخلي من المعمودية بالريحان أثناء تلاوة المزامير والألحان . وبعد ذلك يصرف الماء من الجرن الذي يمسح بالاسفنجة ويجفف . وبعد ذلك يتناول الأسقف قارورة من الميرون مغطاة بحجاب ، ويفتحها ، ويرشم بالزيت المقدس خمسة صلبان في الجسم الداخلي للمعمودية منها صلبان على الجانبين وصليب في الوسط ، وعند الشرق يقول : « أكرس هذا الجرن لمعمودية الروح القدس » . وعند الغرب يقول : « أكرس هذا الجرن باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس » ، وعند الشمال يقول : « أكرس هذا الجرن على مثال معمودية آبائنا الرسل القديسين » . وعند الجنوب يقول : « أكرس هذا الجرن على مثال معمودية القديس يوحنا المعمدان » . وأخيرا عندما يرشم الصليب في الوسط يقول : « مبارك الرب الاله الآن وكل أوان » (١) . وحسب ماورد في بعض التعليمات المدونة فان الأسقف بعد أن يرشم الصلبان الخمسة يرشم أيضا دائرتين بالميرون احدهما حول الطرف السفلي والاخرى حول الطرف العلوي لجرن المعمودية من الداخل . وتنتهى خدمة القديس بتوزيع البركة .

عيد الغطاس

نحتاج الى مجلدات عديدة حتى يمكننا تقديم تفاصيل كافة العادات الدينية لشعب مثل الشعب القبطي يهتم كثيرا بهذه الاحتفالات . أما هنا فيكفينا تقديم رسم توضيحي لبعض الشعائر الموقرة لدى هذا الشعب . من أكثر الأعياد السيديّة تميزا في أسلوب الاحتفال ، عيد الغطاس - الذي يسميه الاقباط عيد الظهور الالهى Theophany ، وان كان اسمه

Denzinger, Rit. Or., tom. II., pp 236-248.

(١)

وما زال الاحتفال بهذا العيد قائما في أرمينيا ، حيث يوضع في الخوروس وعاء معدني ضخيم مملوء بالماء ، وذلك بعد قداس عيد الغطاس ، ويدور موكب حول الكنيسة . وفي هذا الموكب يحمل كل من القساوسة شمعة وانجيلا ، بينما يحمل كل شماس شمعة ومجمرة ، ويحمل كل مساعد شماس شمعة فقط . وبعد ذلك يأتي القائم بخدمة الاحتفال حاملا صليبا كبيرا . وعند العودة الى الخوروس يقدر القائم بالخدمة الماء ويشقه بالصليب على شكل صليب ، ويصب عليه الميرون بنفس الطريقة . وبعد القداس يحمل الناس الماء الى منازلهم لرش البيوت والآبار والقنوات . وتكرر هذه البركة في نفس هذا اليوم في الهواء الطلق على ضفاف الأنهار والآبار الموجودة بالمنطقة .

أحد الشعانين وأسبوع الآلام

أحد الشعانين هو الاسم الذي يطلقه الأقباط على عيد السعف الذي تعودوا أن يحتفلوا به قبل احتفال الغربيين بزم من طويل . وفي ليلة العيد تعقد بالكنيسة خدمة عظيمة يقوم الأسقف خلالها بمباركة سعف النخيل ، ثم يتشكل موكب عظيم من رجال الكليروس الذين يحملون الصليبان والشموع وسعف النخيل ، وهم ينشدون الألحان ويتوقفون أمام كل عمود وأمام الأيقونات الرئيسية والرفات . وبعد طوافهم حول الكنيسة يعودون الى الهيكل حيث يبدأ القداس ، وتقرأ فصول الجناز لأن كافة مراسم الدفن ممنوعة خلال أسبوع الآلام . وقديما أيام الاضطهاد ، وأحيانا حتى بعد الفتح العربي ، كان يتحرك موكب عظيم من الكنيسة الرئيسية بالاسكندرية خلال شوارع المدينة ، حاملا سعف النخيل . وحتى اليوم مازال الناس يحملون السعف الى منازلهم ويصنعون منه السلال والأشياء المشابهة التي يرسلونها الى أصدقائهم . ونفس هذا الاحتفال الخاص بمباركة السعف يجريه النساطرة والأرمن وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليلة التي تلي يوم أحد السعف في مصر ، تبدأ صلوات البصخة Eastertide وتستمر بدون انقطاع حتى صباح عيد القيامة . ولا يعقد القداس أيام الاثنين أو الثلاثاء أو الأربعاء ، ويتم ترديده جميع الصلوات في الخوروس مع اغلاق باب الهيكل .

وفي يوم خميس العهد تقرأ صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة ، وبعد ذلك - اذا لم يتم تكريس الزيت المقدس ، يتشكل موكب الى حوض صغير في الصحن حيث يبارك البطريك الماء بطقوس تشبه تلك المخصصة لعيد الغطاس ، ولكن الأناجيل والألحان الخاصة بهذه المناسبة:

تتركز حول موضوع غسيل السيد المسيح لأرجل التلاميذ ، وفي نهاية الصلوات يعطى البطريرك بركته للكهنة وأفراد الشعب المجتمعين برشهم بالماء من الحوض . ثم يغسل أرجل بعض الأفراد من الشعب والاكليروس ويحفظها بمنشفة . وفي هذا اليوم وبعد غسيل الأرجل مباشرة ، يفتح باب الهيكل لإقامة القداس والاحتفال بسر الافخارستيا ، ثم يخلق بعد ذلك مرة ثانية . ولكن في هذا القداس تمتنع قبله السلام وأوشية الراقدين .

أما بالنسبة للطقس الأرمني الخاص بخميس العهد ، فيوضع وعاء من الماء في الحوروس ، ويصب فوقه الميرون على شكل صليب عند البركة . وبعد أن يغسل الأسقف أرجل رجال الاكليروس والشعب ، يدهنهم بالزيت . ثم يرتدى العباءة التي كان قد خلعها أثناء غسل الأرجل ، ويجلس في مكان مرتفع ويعفى أفراد الشعب من الصوم الانقطاعي خلال البصخة ، وفي صباح يوم الجمعة العظيمة ينصب صليب صغير في الصحن ، ولكن عند الساعة الحادية عشرة توضع أيقونة الصلبوت بدلا من الصليب . وفي نفس الوقت يضاء صحن الكنيسة بعدد كبير من الشموع والمصابيح . ثم يرتدى الكهنة ملابسهم ويرفعون البخور أمام الأيقونة وهم يرددون تسبحة البصخة . وتؤدي جميع الألحان والتراتيل في هذا اليوم باللحن الحزين كما تدور كافة فصول الأناجيل التي تقرأ ، حول ذكرى صلب السيد المسيح . وفي نهاية الساعات السادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ، تقرأ صلوات من أجل جميع المؤمنين ، ويقوم الجمهور الحاضر بعمل عدد من السجادات في الاتجاهات المختلفة التي يتردد فيها اسم السيد المسيح . وبعد انتهاء الساعة الثانية عشرة يرفع الأسقف أو القمص - الصليب الذي يحمل ثلاث شموع مضيئة ، بينما يصيح الجمهور : « كيرى ليسون » مائة مرة في كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة الأصلية . ثم يتشكل موكب يدور حول الكنيسة ثلاث مرات حاملا أيقونة الصلبوت التي يأخذونها إلى المذبح . وقد فرش المذبح بحجاب حريري ووضع عليه الصليب الذي كان مقاما في صحن الكنيسة ، ثم توضع الأيقونة ، ويغطي الجميع بأوراق الورد والمر والريحان . ثم يفرش فوقها الستر وبذلك يدفنون تحت المذبح . وبالطبع فإن هذا الاحتفال يمثل دفن السيد المسيح ، كما أنه يشبه عملية دفن صليب الصلبوت في قبر السيد المسيح كما كانت تمارسها الكنائس الانجيلية القديمة . وأثناء التمثيل يصلى أفراد الشعب . وفي النهاية يذهبون إلى منازلهم وينتهي الصوم الانقطاعي عن هذا اليوم .

الى القدس يوم أحد السعف ، ويقضون الأسبوع فى زيارة الأماكن المقدسة .
وفى صباح عيد القيامة يحضرون القداس فى كنيسة القبر المقدس .
ويمثل الحج الى بيت المقدس احدى الكفارات القانونية .

يستغرق الصوم الصغير مدة أربعين يوما تسبق عيد الميلاد ، وهو
أقل تشددا فى شروطه من الصوم الكبير ، فهو على سبيل المثال لا يحظر
فيه أكل السمك . ولكن فى عشية عيد الميلاد ، كما هو الحال فى عشية
عيد الغطاس لابد من الصوم الانقطاعى حتى الغروب .

وهناك صوم آخر يدعى صوم هرقل . وتقول القصة ان الامبراطور
هرقل أثناء مروره بفلسطين أعطى الوعد بالسلام لليهود على طول طريقه ،
ولكنه عندما وصل الى بيت المقدس توسل اليه المسيحيون هناك أن يقوم
بمذبحة ضد اليهود انتقاما لصنوف القسوة التى اقترفوها ضد المسيحيين
وخاصة سلب المدينة المقدسة الذى تحالف فيه اليهود مع الفرس . ولما
تردد هرقل فى كسر وعده ، وإلغاء العهد الذى قطعه مكتوبا على نفسه ،
اشتد المسيحيون فى اقناعه وتعهدوا جميعا أن يصوموا هم وأجيالهم المقبلة
أسبوعا حتى نهاية العالم . وعلى ذلك أمر هرقل بالمذبحة واستمر الصوم .
وصوم هذا الأسبوع يسبق الصوم الأربعينى ، وقد أضيف اليه الآن
وأصبح الأسبوع الأول من الصوم الكبير يدعى صوم هرقل .

أما ثالث أكبر أصوام الكنيسة القبطية فهو صوم الرسل ويبدأ بعد
عيد العنصرة (حلول الروح القدس) ويستمر حوالى أربعين يوما .
وهناك صوم آخر مدته ثلاثة أيام يسمى : صوم نينوى - ويأتى قبل
الصوم الكبير بحوالى أسبوعين . وهناك أيضا صوم مدته خمسة عشر يوما
تذكارا لصعود جسد العذراء مريم ويبدأ فى اليوم الأول من شهر
أغسطس (*) .

(*) يبدأ صوم العذراء حاليا فى ٧ أغسطس ويستمر لمدة ١٥ يوما ، وينتهى بعيد
صعود جسد العذراء (المترجم) .

الفصل العاشر

سير القديسين

سيرة أبى سيفين أو القديس مرقوريوس

فى هذا اليوم (*) استشهد القديس مرقوريوس الذى من مدينة رومية . وكان جده وأبوه صيادين للوحوش وأثناء خروجهما فى أحد الأيام كعادتهما تقابلا مع رجلين مقنعين بوجهين أشبه بوجوه الكلاب فقتلا الجند . وعندما أرادا قتل الأب أيضا منعهما ملاك الرب قائلا : « لا تلمساها فإن منه ستخرج ثمرة طيبة » . وبعد ذلك إحاط الملاك الرجلين بسيلاج من النار ، ولما شعرا بقسوة الحصار تضرعا الى والد مرقوريوس Mercurius وسجدا أمامه . وغير الرب قلبيهما الى حالة التواضع فأصبحا مثل حملين ودخلا معه الى المدينة ، وبعد ذلك أعطاه الرب مرقوريوس وأسماء فيلوباتير Philopater . أما الرجلان المقنعان بشبه وجهى الكلاب فقد أقاما فى هذا المنزل فترة طويلة وتحولا واستقرا حتى بلغ (فيلوباتير) دور الرجال وأصبح جنديا . وتعوزا أن يتحبا معه الى الحروب ولم يستطع أحد أن يقاومهما لأن وجهيهما عادا كما كانا من قبل ثم ماتا بعد ذلك (**).

أما عن القديس فقد أصبح واحدا من هؤلاء الذين أعطاهم الرب القوة والشجاعة ودعاه أهل المدينة باسم مرقوريوس . وكان ملك رومية فى هذا الوقت هو داكوس Dacius الذى كان عاجدا للأوثان . ولما هاجم البربر مدينته جمع جيشه وخرج للملاقاة ، ولكنه عندما رأى كثرتهم فزع وخاف ، الا أن مرقوريوس جاء اليه قائلا : « لا تخف ان الله سيدمر أعدائنا » ، وسيسلمهم الى أيدينا » . وبعد أن ترك الملك ظهر له رجل ملتحف بثوب طويل أبيض وكان فى يده سيف أعطاه لمرقوريوس قائلا : « اذا غلبت

(*) الخامس والعشرون من شهر هاتور .

(**) لا نعرف من أين جاء بتلو بقصة الرجلين المقنعين بوجهى الكلاب لأنها لم ترد فى السنكسار ولا فى أى مكان آخر (المترجم) ؟

أعداءك فاذكر الرب الهك » • فلما انتصر مرقوريوس عليهم وعاد ظافرا ، ظهر له الملاك وجعله يتذكر اسم الرب ، ولذلك فانه عندما انتهت الحرب وأراد الملك أن يتعبد لأوثانه ومعه جنوده ، تخلف القديس عن مشاركتهم • ولما سمع الملك (داكوس) Dacius بذلك استدعاه وتعجب عندما وجد أن محبة (مرقوريوس) له قد تبدلت • وألقى (مرقوريوس) في وجه الملك بعباءته ومنطقته قائلا : « لن أنكر سيدي يسوع » • فتزايد غضب الملك وأمر بضربه بالجريد والسياط ، ولكنه لما خشي أن يثور الناس ضده لأجل (مرقوريوس) اقتاده مقيدا بالسلاسل الى قيصرية وأمر بقطع رأسه هناك •

وأكمل جهاده المقدس ونال اكليل الحياة في ملكوت السموات • شفاعته فلتكن معنا آمين •

وبعد استشهاديه وفي أيام الملك يوليانوس Julianus المرتد الذي اضطهد المؤمنين ، طلب القديس باسيلئوس من القديس مرقوريوس متوسلا اليه أن ينتقم من الملك الكافر • وحينذاك أرسل الرب القديس مرقوريوس الذي قذف الملك برمحه وقتله • وقبل أن تخرج روحه ملاً كفه بالدم ورش الدم نحو السماء قائلا : « أيها السيد الرب اقبل النفس التي أعطيتني إياها » • وصورته تحت صورة القديس (١) • صلواته فلتكن معنا وتحفظنا • آمين •

سيرة أبي سيفين (٢)

في هذا اليوم نعيد بتذكار تكريس كنيسة الشهيد العظيم المحب لأبويه ، مرقوريوس أبي سيفين ، جندي يسوع المسيح ، وكان أبوه من رومية صيادا للوحوش ، وقد أنعم الله عليه بهذا القديس حسب كلمة ملاك الرب • وكان اسمه أولا (أبادير) Abadir • وتربى بين ذوى الوجوه المقنعة بما يشبه وجوه الكلاب •

وعندما بلغ دور الرجال صار جنديا • وفي عصر الملك داكوس Dacius الوثني وعابد الأصنام ، ذهب اليه أبو سيفين وألقى بمنطقته في وجهه ، ثم شمر عن ساعديه قائلا : « أنا لا أنكر سيدي والهي يسوع المسيح » • وأمر الملك أن يضرب بجريد النخيل والسياط ، ثم أرسله الى

(١) ترسم صورة يوليانوس الكافر تحت صورة القديس مرقوريوس • ونظرا لكثرة المارك التي خاضها سمي أبا سيفين أي سيف الجندية وسيف القوة الالهية الذي أعطاه له الملاك الذي ظهر له •

(٢) نص آخر يحكى نفس السيرة •

قيصرية حيث قطعت رأسه • واكتمل جهاده ونال اكليل الحياة • وبعد
استشهاده بنوا الكنائس على اسمه •

وفي أيام القديس باسيليوس كان هناك ملك منافق يدعى يوليانوس
Julianus • وقد سجن هذا الملك القديس (باسيليوس) وذهب خارج
البلاد • وقد رأى باسيليوس في سجنه مساجين آخرين من المسيحيين ،
فضلى من أجلهم • وأثناء صلاته نظر الى الحائط فرأى رسما يمثل القديس
مرقوريوس راكبا حصانا وممسكا برمح فى يده ، فتوشل اليه القديس
باسيليوس أن يقتل الملك ، وأن يخلص شعب المسيح من الطغيان الملكى •
واختفت الصورة من الحائط ، ثم عادت سريعا وقد ظهر فيها القديس
مرقوريوس ورمحه يتصبب دما • وهنا سأل باسيليوس « هل قتلته ؟ »
قهز رأسه بالايجاب • وهذا هو السبب فى أن الرسامين يرسمون القديس
مرقوريوس مطاطنا رأسه وأمانه القديس باسيليوس •
صلواته تكون معنا وتحفظنا من العدو الى النفس الأخير • آمين •

سيرة الأنبا شنودة

فى هذا اليوم (*) تنيح الأب المبارك الراهب العابد الأنبا شنودة رئيس
المتوحدين الذى من شندويل باخيم • وكان أبوه فلاحا وراعيا لقطيع من
الخراف • وترك هذه الخراف لابنه لكى يرعاها • وقد اعتاد شنودة أن
يعطى طعامه للرعاة الآخرين • وكان يذهب فى عز برد الشتاء الى بحيرة من
الماء حيث يقف ويصلى • وقد ذكر شيخ قديس أنه رأى أصابع الأنبا شنودة
العشر تضىء مثل عشرة مصابيح •

وأخذ أبوه الى خاله « الأنبا بيجول » لكى يباركه • فأمسك بيجول
بيد الصبى ووضعها على رأسه وقال : « باركنى أنت ، لأنك ستكون قديسا
عظيما لجمهور عظيم » • ثم تركه أبوه عند خاله • وفى يوم معين سمع صوتا
آتيا من السماء قائلا : « الأنبا شنودة رئيس المتوحدين فى كل المسكونة » •
ومن هذا الوقت بدأ الأنبا شنودة فى عمل العديده من أعمال البر والعبادة •
ولما مات خاله وضعوه فى مكانه فأصبح كوكبا للبرية ووضع العديده من
المحاورات والقوانين المنظمة لحياة الرهبان ورؤساء الأديرة والمؤمنين المدنيين
والنساء • وذهب الى مجمع المائتين فى افسس مع البابا كيرلس • ولم يرغب
تلاميذه فى أن يأخذوه معهم فى السفينة ، فحملته سحابة وحضر أمام
البطريك الذى كان فى السفينة ، وجياه ، فتعجب الجميع •

(*) السابع من شهر أبيب : ١٠٠٠ (المزمع)

وقد حضر السيد المسيح مرات عديدة ليحدثه ، وغسل قدمي السيد المسيح وشرب الماء (*) وقد كشف له السيد المسيح عن العديد من الأمور الخفية فتنبأ بالعديد من النبوءات ، وعاش مثل موسى النبي مائة وعشرين سنة : وعندما حضرته الوفاة رأى حشداً من القديسين الذين جاءوا خلفه ، ورأى أيضاً مخلصنا يسوع المسيح وقال : « احمبلوني حتى أسجد للرب » فرفعوه فسجد ، ثم قال لهم : « الى اللقاء في الرب » .

وترك العديد من الوصايا للأحداث ورقده في سلام . بركة صلواته . قلتكن معنا . آمين .

سيرة مار مينا

في هذا اليوم (**) نعيد للأب المبارك مار مينا . وقد ولد في مريوط بالقرب من الاسكندرية . ووجد جسيده في هذا المكان بعد دفنه . ولم يكن أحد يعرف مكان دفنه ، ولكن الرب أراد أن يبين المكان الذي يرقد فيه الجسد الطاهر ، فتصادف أن أحد الرعاة كان يرعى قطيعه بالقرب من تل قرأى حملاً يعاني من قرحة جلدية يستحم في النهر ثم يتمرغ في التراب فوق البقعة التي دفن فيها القديس ، وتم شفاء الحمل . وتعجب الراعي وأخذ كل الحملان التي كانت تعاني من نفس المرض الى هذا المكان وغسلها في الماء ثم جعلها تتمرغ في التراب . وشفيت جميعها على الفور . وفعل نفس الشيء مع المرضى من الرجال ، فشفي جميع المرضى الذين وضعوا من التراب على أجسادهم ولم يكن أحد يعرف سبب ذلك .

وسمع الملك عن الراعي فأرسل اليه ابنته المصابة بالبرص فعالجها بنفس الطريقة . وعندما أرادت أن تعرف السبب ، ظهر لها القديس مار مينا في رؤيا وقال لها : « ان جسدك يرقد في هذا المكان والرب يأمرك بأن تحفرى وتخرجيه » . وعندما استيقظت نفذت هذه الكلمة وأخرجت الجسد المبجل وبنت كنيسة فوق المكان .

وأمر الملك جميع الرؤساء والأعيان ببناء منازل حول المكان وسميت المدينة باسم « مريوط » وقد ظهرت من هذا الجسد عجائب كثيرة . وحضر البطريك والأساقفة و دشنوا الكنيسة . وانتشرت أخبار عجائبه في كافة الأنحاء وقد حدث كل ذلك بقوة الشهيد مار مينا .

بركته وشفاعته قلتكن معنا . آمين .

(*) يخلط بتلر هنا بين سيرة الانبا شنودة والانبا بيشوى فالمعروف أن الأخير هو الذي كان يحضر اليه السيد المسيح وغسل قدميه في إحدى مرات حضوره اليه . (المترجم) .

(**) الخامس عشر من شهر هاتور . (المترجم) .

سيرة الأمير تادرس

كان أبوه يدعى يوحنا الذي جاء من بلدة شطب بمصر العليا . وكان قد أخذ أسيرا الى انطاكية ، حيث سكن وتزوج ابنة أمير المكان ، الذي كان يعبد الأوثان ورزق منها بهذا القديس الذي دعى تادرس ، ولكنها عندما أرادت أن تقلعه لبيت الأصنام وتعليمه ديانتها ، غضب الأب ومنعها ، فطرده من المنزل واحتفظت بالصبي معها ، وصلى الأب بلا انقطاع الى الله ليقود ابنه في طريق الخلاص .

وعندما كبر القديس درس العلم والحكمة وأضاء الرب قلبه فذهب الى أسقف قام بتعميده . ولما سمعت أمه بذلك غضبت غضبا شديدا . وسأل الابن عما اذا كان أبوه حيا أو ميتا ، فأبلغه أحد خدام المنزل أن أمه طردته لأنه كان مسيحيا . وأصبح تادرس جنديا للملك ثم أصبح قائدا لأحد الجيوش . وعندما ذهب الملك لمحاربة الفرس أخذ معه هذا القديس لمصاحبة ابنه . وكان في مدينة أوكييطوس ثعبان هائل كان أهل المدينة يعبدونه ، وكانوا يقدمون له عاما بعد عام ضحية بشرية ليأكلها . وكانت في المدينة أرملة مسيحية لها ابنان ، فحدث أن أخذ الناس ولديها وقدموها للثعبان في الوقت الذي كان فيه الأمير تادرس هناك ، فوقفت المرأة أمامه باكيا وقصت عليه قصتها . وعندما عرف أنها مسيحية فكر في نفسه قائلا : « هذه المرأة مظلومة والرب سينتقم لها » . ثم ترجل عن حصانه واتجه ناحية الشرق وصلى : ثم تقدم نحو الثعبان ، وكان جميع أهل المدينة يشاهدونه من فوق الأسوار . وكان طول الثعبان اثني عشر ذراعا ، ولكن الرب أعطى تادرس القوة ضد الثعبان . فقفذه برمحه وقتله وبذلك خلاص ولدى الأرملة . وبعد ذلك ذهب الى مصر العليا بحثا عن والده . ووجده هناك وعرفه عن طريق التذكارات التي أظهرها والده له . وظل في هذا الموضع حتى وفاة والده فعاد الى انطاكية فوجد أن الملك قد صار وثنيا وأخذ يضطهد المؤمنين بالمسيح ، فذهب اليه واعترف أمامه بالسيده المستبح . وقبل ذلك كان كهنة الأوثان قد افتروا عليه لدى الملك فقال أهل أوكييطوس للملك : « هذا هو الرجل الذي قتل الثعبان هنا » . فأمر الملك بتعليقه ، وعوقب بكافة آلات التعذيب ولكن الرب شدده ، فأمر الملك بحرقه ، فآلقوا به في النار . ثم قطعوا رقبته ، فنال اكليل الشهادة .

وأخذت جسده امرأة مؤمنة لقاء مبلغ كبير من المال ، وأخفته في المنزل حتى انتهت الاضطهاد ، وأقامت الكنائس على اسمه . ويقال أن هذه المرأة كانت هي أمه . شفاعته فليكن معنا آمين .

سيرة مار جرجس

ولد هذا القديس سنة ٢٨٠ ميلادية من أبوين نبيلين ، ونال قسطا عظيما من التعليم . وعندما بلغ عمره أربعة عشر عاما مات والده فأصبح قائدا في الجيش وحارب ، وقتل اثنين العظيم وخلص ابنة الملك التي كانت قد وقعت القرعة عليها لتقديمها الى اثنين . وبعد ذلك جعله الملك وزيرا بسبب شجاعته ، ولم يكن يعلم أنه من المؤمنين بالمسيح . ويقال انه أعظم شهداء عصر دقلديانوس . ففي يوم معين رأى مار جرجس منشورا ضد الديانة المسيحية ، فمزقه أمام الناس في غضب شديد . ومن ذلك الحين ترك المنصب وكافة الأشياء الدنيوية واستعمل للدفاع عن العقيدة ، فوزع ثروته وأعتق عبيده وذهب الى البلاط الملكي ، وتحلت الى الملك والرؤساء قائلا : « كيف تجرؤون على اصدار مثل هذا المنشور ضد ديانة المسيح ، الديانة الحقيقية ؟ » وغضب الملك ولكنه كظم غيظته وأشار الى القنصل ماجنتيوس *Magnētius* للرد عليه . فقال القنصل : « من شجعتك على فعل ما فعلته ؟ » فرد عليه مار جرجس قائلا : « اننى مسيحي وجئت لأشهد للحق » . فطلب منه الملك أن يعبد أوثانه وهدده بالتعذيب . ولما رفض مار جرجس ، أمر الملك بطرده وقتله بالرمح ، ولكن الرماح لم تؤذ ، فآلقوه فى السجن حيث ربطوا قدميه ووضعوا حجر الرصف على صدره ، ولكنه ظل لليوم التالي حيا شاكرا الرب . وفى الغد أجبروه على الخضوع أمام الملك فأصر على عقيدته ، فأمر الملك بربطه بالحبال الرقيقة على لوح مزجه بمسامير حديدية مذبذبة فتمزق لحمه . ثم وضع داخل دولا ببه سكاكين دوارة (*) ولكن مار جرجس احتمل هذا العذاب شاكرا الرب .

ولما خشى الملك موته أطلقه وطلب إليه مرة أخرى أن يؤمن بالآلهة الوثنية ولكنه رفض . وظهرت سحابة داكنة صحبها الرعد والبرق ، وجاء صوت من السحابة قائلا : « لا تخف يا جرجس ، لأننى معك » فوقع رعب عظيم على الواقفين . وبعد ذلك وضع فى خزان مملوء بالجير على فبقي فيه ثلاثة أيام تؤن أن يمتسه اذى . وبعد أن ذكرنا عذابات القديس جاء الآن دور معجزاته :

(*) هذه الآلة من آلات التعذيب تسمى الهمبازين - وتوجد فى حجرة خاصة بكنيسة دير مار جرجس للروم الأرثوذكس بمصر القديمة ، معظم الآلات التى استخدمت فى تعذيب الشهيد مار جرجس الذى أطلق عليه اسم أمير الشهداء لأنه صمد أمام العذابات لمدة سبع سنوات مات خلالها ثلاث مرات وكان الرب يقيمه فى كل مرة (المترجم)

في احدى المرات قديم له سناخير كاسيا من السم فرشم عليها مار جرجس،
علامة الصليب المحيي الذي لمخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد . وعندما
شرب الكأس لم يمسه اذى . ولما رأى الساحر ذلك آمن بالسيد المسيح .
واستطاع بقوة صلاته التي قبلت أمام مخلصنا ، أن يجعل العروش
التي يجلس عليها الملوك الوثنيون تفرخ أوراقا وأزهارا .
ومرة أخرى استطاع بقوة الصلاة أن يشفى ابن احدى الأرامل .
صلواته وشفاعاته فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديسين أباكير ويوحنا

كان القديس أباكير من مدينة دمنهور بالقرب من مدينة أبو صير غرب
النيل . وكان له أخ يدعى فيلبا Philepa . وكانا كلاهما غنيين ، وقد
اتلفا مع كاهنين هما يوحنا وأبتولماز Abtulmaz ومضى الأربعة الى
كرداسة مقر الحاكم ، واعترفوا أمامه بالسيد المسيح ، فأمر بإطلاق الأسهم
عليهم ولكن الأسهم لم تقترب منهم . فأمر بالقائهم في أتون النار ولكن
الرب أرسل ملاكه وأنقذهم من النار . وبعد ذلك أمر الملك بربطهم في ذيول
الجياد وسحبهم من كرداسة الى دمنهور . وقد حدث لهم كل ذلك ولكن لم
يمسهم أى اذى . وأخيرا أمر الملك بقطع رؤوسهم بحده السيف خارج مدينة
دمنهور ، فنالوا اكليفل الشهادة . وجاء بعض الرجال من صا الحجر ،
وأخذوا جسد القديس أباكير وبنوا عليه كنيسة . ولكن أجساد القديسين
الثلاثة الآخرين أخذها أهل دمنهور ولقوها في أقمشة فاخرة وحفظوها في
دمنهور .

صلواتهم جميعاً فلتكن معنا وتحفظنا من العدو الشرير الى النفس
الأخير . آمين .

وفيما بعد ظهر ملاك للبطريك الأنبا كيزليس الاسكندري وأمره بأن
يأخذ جسد أباكير ويوحنا ، فحفر الناس وأخرجوا جسديهما وحملوهما
بكل تكريم الى كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية عند النهر . وهناك
بنوا عليهما كنيسة .

وكان يقع بالقرب من هذه الكنيسة قبو للأوثان كان يجتمع فيه
الوثنيون كل عام لعمل عيد للأوثان . وعندما شاهدوا العجايب التي ظهرت
من جسد هذين القديسين تركوا أوثانهم وقبورهم وصاروا مسيحيين .

سيرة القديس يعقوب المقطع

• فى هذا اليوم (*) استشهد القديس يعقوب المقطع ، وكان من جنود سكراد Sacratus بن صافور Safur ملك الفرس • وكان محبوبا لدى الملك الذى كان يستشيريه فى أمور كثيرة • ولهذا السبب أمال قلبه عن عبادة المسيح • ولما سمعت أمه وزوجته وأخته بذلك كتبن اليه خطابا قائلات : « لماذا تركت الايمان بالمسيح وتبعت العناصر المخلوقة وهى النار والشمس ؟ ألا فاعلم أنك اذا تمسكت بما صرت اليه ، صرنا غرباء عنك من تلك الساعة » •

• وعندئذ بدأ فى قراءة الكتب المسيحية وبكى ، وترك خدمة الملك • عنى فكيف يكون حال غربتى عن السيد المسيح ؟ •

• • • وعندئذ بدأ فى قراءة الكتب المسيحية وبكى ، وترك خدمة الملك • ولكن عندما أبلغ بعض الناس خبره الى الملك أمره بالحضور • ولما تأكد من صحة ما أبلغوه به عن القديس أمر بجلده جلدات موحجة • ولكن ذلك لم يغير من عقيدته • فأمر الملك بتقطيعه بالسكاكين ، فقطعوا أصابع يديه ثم أصابع قدميه ثم ساقيه ويديه وذراعيه حتى بلغ علبه القطع اثنتين وثلاثين قطعة • وكلما قطعوا منه عضوا كان ينشد التراتيل • ثم قال : « يا اله المسيحيين اقبل اليك فرعا من الشجرة كعظيم رحمتك ، لأنه اذا قلم البستانى الكرمة فانها تعود فتزهر فى شهر نيسان (١) وتنتشر فروعها فى الأرجاء • وبقي منه صدره ورأسه ووسطه ، فعرف أن الوقت قد أوف لتسليم روحه ، فطلب من الرب أن يرحمهم ويتحنن عليهم قائلا : « لم تبق لى يدان أرفعهما إليك ، كما قطعت أعضائى فلا أستطيع الوقوف أمامك • فاقبل روحى إليك يا ربى » •

• وللوقت ظهر له السيد المسيح وعزاه وقواه ، فابتهج بذلك • وقبل أن يسلم الروح أسرع أحد الجند فقطع رأسه فمضى الى مواضع النور الى السيد المسيح الذى أحبه • وحمل بعض الرجال الذين يخافون الله جسده ، وكفنوه جيذا ، ووضعوه فى مكان أمين • ولما سمعت أمه وزوجته وأخته بخبر استشهاده ، فرحن فرحا عظيما وأتين الى المكان الذى به جسيده وبكين عليه ، ووضعن عليه كسوة ثمينة وأطيارا غالية الثمن •

وقد بنيت فوق جسده كنيسة ودير فى أيام الملكين الصالحين أركاديوس Arcadius وهونوريوس Honorius •

• (*) اليوم السابع والعشرون من شهر هاتور (المترجم) •

(١) أى فى الربيع لأن شهر نيسان هو شهر ابريل •

ولما سمع ملك الفرس عن هذا البدير وعن الشهداء وأجسادهم ،
والعجائب التي كانت تظهر من هذه الأجساد ، أمر بحرق أجساد القديسين
في كافة أنحاء مملكته . فأخذ بعض المؤمنين جسد القديس يعقوب وأتوا
به الى اورشليم وتركوه مع القديس بطرس أسقف الرها ، فظل معه حتى
أصبح مارقيان Marcian ملكا . وفي ذلك الوقت أخذ القديس بطرس
وجاء به الى مصر الى مدينة تدعى البهنسا . وهناك قضى عدة أيام ومعه بعض
الرهبان . وعندما كانوا يرددون الألحان بجوار الجسد في الساعة
السادسة ، ظهر لهم القديس يعقوب مع جسد من الشهداء الفارسيين الذين
ارتبوا الثياب الفارسية ، وشاركوهم في ترديد الألحان وباركوهم . وبعد
ذلك قال لهم القديس : « سيرقد جسدي هنا كما أمر الرب » . ولما رغب
الأسقف بطرس في العودة لبلده ، حمل الجسد معه وأخذه في البحر مخالفا
بذلك قول القديس ، ولكن الجسد اختطف من بين يديه الى المكان الذي
كان به .

شفاعته فلتكن معنا دائما . آمين . وقد قيل ان جسده عندنا كان
في فارس ، وكان هناك احتفال بأخذه الأعياد وتجميع الناس حوله ظل يتحرك
في تابوته حتى نهاية الاحتفال . ولا يعرف أحد مكان جسده هذا . القديس
الآن . صلواته فلتكن معنا . آمين .

سيرة الشهداء الخمسة وأهمهم

في هذا اليوم (*) نعيد للقديس قزمان Kosman وديميان Dimian
واخوتهما انثيموس Anthimus ولاديوس Laudius وايرابيوس Irabius
وأهمهم . كانوا من مدينة دابرم Daperma في بلاد العرب . وكانت أمهم
تدعى ثيودورا Theodora . وكانت امرأة تتقى الله وأرملة رحومة .
وعلمت أولادها الطب ، فكانوا يعالجون المرضى خاصة الفقراء بدون أجر .
وعندما ارتد الملك دقلديانوس الى الوثنية علم أن هؤلاء الأبطال يحضون
على عدم عبادة الأوثان . فأمر باحضرهم وعذبهم بجميع طرائق العذابات
مثل الضرب والحرق بالنار والقائهم في أفران الحمامات لمدة ثلاثة أيام
وثلاث ليال . . . وقد أنقذهم الرب من كل ذلك بغير فساد ، وكانت أمهم
تعزيهم دائما وتقويهم على احتمال العذاب .

وقد وبخت الملك في وجهه وكافة آلهته الشريرة . فأمر الملك بقطع
رأسها ونالت الكليل الحياة . وبقي جسدها بعد موتها مطروحا ولم يجرؤ
أحد على دفنه . فصرخ ابنها قزمان قائلا : « يا أهل المدينة ، أليس فيكم
أحد في قلبه رغبة ليحمل جسد هذه الأرملة العجوز ويدفنها ؟ » .

(*) اليوم الثاني والعشرون من شهر مائود (الترجم) .

ولما سمع ذلك بقطر Buktör بن رومانوس Romanus تقدم فأخذ
الجسد ولفه في كفن ودفنه ، فأمر الملك بنفيه الى مصر حيث مات . أما عن
أولادها فقد قطعت رؤوسهم في اليوم التالي ونالوا الحياة الأبدية . ولما انتهى
عصر الاضطهاد بنى الناس الكنائس باسمائهم وكرست في مثل هذا اليوم .
وقد ظهرت منهم عجائب كثيرة . صلواتهم فلتكن معنا . آمين .

سيرة أبانوفر

في هذا اليوم (*) تنيج الأب الفاضل صاحب الذكر الطيب والشيخوخة
الصالحة القديس أبانوفر Nopher السائح بيرية الصعيد وذلك حسب
ما ذكره القديس بفنوتيوس Bifnutius . الذي رغب في مشاهدة
عبيد الله السياح . وقد رأى بعضهم وكتب سيرهم وكان من بينهم هذا
القديس .

قال انه عندما دخل البرية رأى عين ماء ونخلة ، والقديس أبانوفر قادما
فحواه . وكان عريانا وقد غطى جسده بشعر رأسه وشعر لحيته . فلما رآه
بفنوتيوس خاف وطنه روحا . فمر أبانوفر أمامه وصلى الصلاة الربانية
الأوهى : « أبانا الذي في السموات » . ثم قال له : « مرحبا يا بفنوتيوس »
وعندما سمعه يناديه باسمه وكذلك الصلاة ، هدأ روعه ، ثم بدأ الاثنان
يصليان معا . وبعد ذلك جلسا وأخذا يتحدثان معا بعظائم الله . وسأل
بفنوتيوس أبانوفر أن يخله عن سبب مجيئه الى هذا المكان ، وأين كان
قبل ذلك ؟ » .

فأجاب وقال : « اننى كنت في دير به رهبان أتقياء قديسون . وفي
أحد الأيام سمعت الرهبان يتحدثون عن سكان البرية وبالذات السياح
ويشتمونهم بأفضل الأوصاف . فسألتهم : « لماذا هم أفضل منكم ؟ »
فقالوا : « لأنهم يسكنون البرية ، أما نحن فقريبون من العالم . وإذا
مضينا يوما فأننا نجد من يغرينا . وإذا مرضنا وجدنا من يزورنا ، وإذا
تعرينا وجدنا من يكسوننا ، وهكذا فأننا نستطيع أن نحصل على ما نريد ،
وليس السكان البرية مثل هذه الامتيازات » . فلما سمعتهم يتحدثون بذلك
احترق قلبي في داخلي . وفي الليل أخذت القليل من الخبز وخرجت من
الدير . وطلبت من الرب تدبير مكان أقيم فيه . ثم مضيت فأرشدني
الرب الى مكان وجعت فيه رجلا قديسا فأقمت عنده حتى علمنى كيف تكون

(*) السادس عشر من شهر البؤنة . (المرجع) .

السياحة ، وبعد ذلك أتيت الى هنا فوجدت هذه النخلة التي تطرح اثني عشر عرجونا في كل سنة ، وكل عرجون يكفى لمدة شهر . وهذا هو طعامي . أما شرابي فمن ماء هذه العين . وقد قضيت هنا ستين عاما لم أر خلالها وجه انسان سواك » .

وعندما كانا يتحدثان أتى ملاك الرب أمامهما وقدم لهما جسد الرب ودمه للتناول . وبعد ذلك تناولا طعاما قليلا ، ثم تغير لون أبا نوفر وصار شبه نار فأحنى ركبتيه وسجد أمام الرب . ثم قال لبفنوتيوس : وداعا ، وأسلم الروح . ولفه القديس بفنوتيوس في قطعة من الكتان ودفنه في مغارة . ورغب أن يسكن في موضعه ، ولكن بمجرد أن دفنه ، تنقظت النخلة وجفت عين الماء . وكان ذلك بتدبير من الله ليعود القديس بفنوتيوس الى العالم ويبشر بذكر السواح القديسين الذين رأهم ، خاصة القديس أبا نوفر . والحقيقة أنه عاد الى العالم وذكر قصة هذا القديس في يوم نياحته ، صلاتهما فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديس برسوم العريان

في هذا اليوم (*) تنيح الأب القديس والعظيم الأنبا برسوم العريان الذي تعرى من كل رذيلة والتحف بالفضيلة ، وهو الكامل بين القديسين في محبة الله . وكان هذا القديس من مصر واسم أبيه وجيه كاتب شجرة الدر (١) . وكانت أمه ابنة التبان . وكان والداه غنيين جدا ، وعند نياحتهما استولى خاله على كل ممتلكاتهما . ورغم ذلك لم ينازعه القديس برسوم بل ترك كل ثروة العالم وعاش عيشة الأبرار والسواح . ولم يمتلك شيئا من متاع هذا العالم ، وكان يبتز دائما عزيانا . وحبس نفسه في كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس بمصر القديمة (٢) داخل مغارة مظلمة ورطبة تبحث الأرض . وحبس نفسه هناك وأقام نحو الى عشرين سنة ملازما الضلوات ليل نهار بلا فتور . وكان طعامه الفول المبلل بماء البحر الرديء الطعم . وكان شرابه أيضا من ماء البحر . وكان رجلا تقيا جدا . ولم تكن هناك أية وسيلة للعبادة الا ومارسها . وقد أعطاه الرب سلطانا على الشياطين ، وكان الله معه في السر والعلانية لأن هذا القديس قدم ذاته في نهاية الزمان عندما عجز الانسان عن اكتساب الفضيلة بشكل منطقي بسبب الضعف

(*) الخامس من أيام النسيء (المترجم) .

(١) أخت آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١٠١٠ للميلاد .

(٢) وقد رسم تخطيطا لهذه الكنيسة في الجزء الأول من هذا الكتاب .

البديهي - وخماسة العقل ، ولذلك قدم الرب هذا القديس الذي فاق قديسين.
عديدين في تقواه وطعامه وشرابه وصبره واتضاعه واحسانه. الى جميع
الناس وحسن معاملته للجميع وشفقته عليهم وعلى كافة المخلوقات
ومساواته بين جميع الناس فيما كانوا يطلبونه . ولم يتذمر من أحد بل كان
طويل الأناة ، وصبوراً . وكان الكبير والصغير يتساويان أمامه ، وكذلك
الفقير والغني ، العبد والحر - كانوا جميعاً متساوين أمامه في الاحسان .
وكل ما كان يسعى الى أدائه واستكمالها ، وكل ما كتب عن القديسين الذين
سبقوه ، يتلخص في ضرورة أن يعرف الناس أن الضمان يتمثل في الرؤية
وليس في السمع .

وعندما خرج من المغارة مضى الى سطح الكنيسة وأقام هناك صابراً
على البرد والبرد في الصيف والشتاء ، وكان يعذب نفسه دائماً ، بالبقاء
في الشمس كل أيام الصيف حتى صار جلده أسود اللون . وقد اجتمل
ذلك تقشفاً وتعبدًا وتعذيباً للطبيعة التي كان يعاني منها دائماً . وقد
لبث على سطح الكنيسة نحو خمس عشرة سنة . وفي ذلك الوقت نشب
اضطهاد عظيم أغلقت خلاله كافة كنائس القبط ، وألزم المسيحيون بلبس
العمائم الزرقاء التي يبلغ طول الواحدة منها عشر أذرع ، كما تغيرت
ملابسهم الأخرى أيضاً . وطردهوا من وظائفهم وأجبروا على ركوب الدواب
بالموضع المعكوس ، وابتداء حذاء أطلق عليه اسم « تاسوما - Thasuma »
وكلما دخلوا الحمام كانوا يلزمون بتعليق أجراس صغيرة حول أعناقهم .
وبذلك كانوا معتازين في كل شيء . وقد اضطهدهم واحتقرهم السوقة
الذين كانوا يحترمونهم من قبل . وقد صمم خليفة تلك الفترة على قتلهم
جميعاً ، ولكن الرب لم يسمح له بذلك ، وكانت خطاياهم هي السبب في
كل ذلك لأن الرسول يقول : « لأن أجره الخطية هي موت » .

ولكن القديس برسوم كان يصلي ويتضرع الى الله دائماً بقلبه
متحمس من أجل الاخوة . وقد صام أربعين يوماً متصلة حتى رفع الله
غضبه عن شعبه . ثم أخرجه حاكم مصر من الكنيسة واضطهده وسجنه ،
ولكن برسوم كان قد تنبأ بذلك قبل حدوثه . وعندما كان في السجن
لم يأكل أو يشرب وأعطى كل ما أحضره اليه مريدوه لزملائه المساجين .
ولما سأله أحدهم : « متى سننتخلص من السجن ؟ » أجاب قائلاً : « اليوم » .
وكان كذلك . فأخرجوه من السجن ونفوه الى دير شهران . فصعد على
السطح كما كان في مصر . ولم يستطع أحد أن يبرزه في تقواه وتعبد
وزهده ومعاناة قسوة الطبيعة الا بمعونة الله . وكان طعامه من الزواحف ،
فكان يواجه الزواحف السامة ويأكلها متلذذاً بنعمة الله . وذلك حسب
ما قاله القديس الكهل المجتلي بالطهارة في كتابه : « بدل الرب مرارة .

عند إياتهم الى حلاوة » • وكذلك حسب قول مار اسحاق السرياني ومار سمعان العمودي أن : « الرب يلبس قديسيه زينة من النور ، ولذلك فهم لا يشعرون بالحر أو البرد » •

ولم ينم هذا القديس طيلة حياته على الأرض الا وهو عارى الجسد • وكان يعزى من يلجأ اليه سواء كان مؤمنا أو غير مؤمن ، ولم يغير عمامته الى اللون الأزرق : ، ولكن الرب حفظه من كافة خصومه • وكان معظم احكام ذلك الوقت والأمراء والقضاة يزورونه ويرون عمامته البيضاء ، ولكن الرب حفظه من عدائهم ، فلم يجرؤ أحد منهم على الزامه بلبس العمامة الزرقاء • وقد استطاع أن يجتذب العديد من النفوس الى الخلاص خاصة اليائسين ، وكان يقول دائما ان جميع الخطايا تغفر بالتوبة • كما كان يتحدث دائما بالأمثال المقدسة التي لم يكن يفهمها سوى الذين استناروا من الله • وكان معزيا عظيما للشعب لأن الله رفع غضبه بسبب صلواته ، وفتحت الكنائس وعاد الناس الى ركوب السواب بالطريقة الصحيحة ، وعملوا في الوظائف ، وارتدوا الملابس العادية ، وألغيت كافة التغييرات السابق ذكرها فيما عدا ارتداء العمامة الزرقاء •

وسمح للاخوة بركوب الخيل في الأسفار ، وأباد الرب كل من رغب في قتلهم ، فمجدد الناس اسم الله القدير ، ورضى الله عن شعبه وتحسن عليه • وكل ذلك بسبب صلوات القديس برسوم • وقد أعطاه الرب نعمة التنبؤ ، وشفاء الأبدان والنفوس ، ومعرفة الأمور الآتية ، ونال كل قداسة • وكانت نظرته تقود جميع الناس الى الأعمال الصالحة حتى ان كل من رآه كان لا يرغب في أن يتركه وذلك بسبب ما طبع عليه من الفضل والشفقة والمحبة • وقد أعرض عن مجد هذا العالم وجنونه الظاهر ، فقد أظهر الرب للجميع أنه كان أحكم الناس لأن هديفه الوحيد هو محبة الله والعمل بوصاياه •

وكان القديس برسوم يجد العزاء دائما بالروح القدس الذي سكن فيه • وكان ينظر دائما الى الله والملائكة النورانيين الأطهار ، والى الأنبياء ، والرسل والشهداء والقديسين • ومضى بالروح الى مساكنهم النورانية كما كان قد قال لهؤلاء الذين كان يثق بهم • وقد سكن هذا القديس في الدير خمسة عشر عاما ، وبلغ عمره ستين عاما • وكانت شيخوخته صالحة ومقبولة أمام الله • وبعد أن أكمل أعماله الصالحة مات في الرب الذي أحبه وورث مواضع النور العالية مع القديسين الأبرار ودفن جسده بدير شهران المعروف أيضا باسم أبو مرقوتة ، وكان ذلك في سنة ١٠٣٣ للشهداء (١) صلواته فلتكن معنا حتى النفس الأخير : آمين •

(١) لو صح هذا التاريخ يكون اسم شجرة الدن قد وردت خطأ في بداية هذه السيرة •

قصة صعود جسد العذراء

فى هذا اليوم (*) نعيد بتذكار صعود جسد السيدة الطاهرة العذراء القديسة مريم • أم المسيح ابن الله الكلمة الذى اتخذ منها جسدا • وبعد نياحتها جزئ آباؤنا الرسل جدا لفقدها ، ووعدهم الرب أن يريها لهم فى الجسد مرة أخرى • وفى يوم معين رأوها جالسة فى مجد عظيم عن يمين البنيدين المسيح الذى اتخذ منها جسدا ؛ فمدت يدها وباركت التلاميذ . وقد أحاطت بها صحبة من الملائكة والقديسين حسب المديح الذى مدحها به داود النبى قائلا :

« جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » (**) ففرحت نفوس التلاميذ وسقطوا على وجوههم ، ثم عادوا وهم مبتلثون بالسعادة • • وقد رسمت الكنيسة هذا العيد تذكارا دائما لوالدة الاله • شفاعتها فلتكن معنا • آمين •

سيرة سمعان الحبس أو العمودى

فى هذا اليوم (***) تنيح القديس سمعان حبس العمود • وكان من سوريا • وفى طفولته كان يرعى غنم أبيه ويلعب يوميا الى الكنيسة • وبعد ذلك تحركت فيه محبة الرب ، فقام وأتى الى أحد الأديرة حيث استمر فى عبادة الله باخلاص وجهاد عظيم •

وقد تعود أن يحمل التراب والرماد على رأسه كل يوم ؛ وقد اشتد على نفسه بالأصوام والعطش الشديد • ثم ربط جنبه بحبل غليظ حتى تاكل موضعه وتعفن اللحم حتى انبعثت منه رائحة كريهة • ولم يستطع الرهبان احتمال هذه الرائحة ولم يسمحوا له بالاقتراب منهم • ولما رأى أن الرهبان لا يحبونه ، خرج من الدير وجاء الى بئر جافة ووقف فيها •

ورأى رئيس الدير رؤيا كما لو أن شخصا يسأله : « اسأل عن خادمي سمعان » • ورأى فى هذه الرؤيا ذلك الذى ظهر له قد عاتب الرهبان على رحيل القديس من الدير • وقص الرئيس رؤياه على الرهبان الذين تعجبوا جدا ثم خرجوا للبحث عنه • وبعد ذلك وجده فى البئر بدون طعام أو شراب فيظلموه ويسألوه الصفح عنهم وأرجعوه معهم الى الدير • ولما رأى

(*) السادس عشر من شهر مسرى (المترجم) •

(**) مزبور ٤٤ آية ٩ (المترجم)

(***) الثامن والعشرين من شهر بشنس (المترجم) .

فى الدير أنهم يعظمونه ، لم يحتمل ذلك فخرج وجاء الى صخرة وقف فوقها لمدة ستين يوما دون أن ينام . وبعد ذلك ظهر له ملاك الرب وقال له ان الرب قبل صلواته لخلص نفسه وآخرين كثيرين . ثم وقف على عمود ارتفاعه ثلاثون ذراعا لمدة خمسة عشر عاما ، وقد صنع الرب على يديه عجائب عظيمة . واعتاد أن يعظ كل الذين يأتون اليه . وقد بحث عنه أبوه فلم يجده ، ومات دون أن يراه . أما عن أمه فقد عرفت مكانه بعد عدة سنوات وجاءت اليه عندما كان فوق العمود . وبكت بشدة ثم قامت تحت العمود ، فسأل القديس الله أن يحسن اليها فماتت أثناء نومها ودفنوها تحت العمود .

وقد جحد الشيطان على القديس وضربه بقروح جلدية فى ساقه فمضى معظم وقته واقفا على قدم واحدة لمدة سنوات حتى امتلأت ساقه بالديدان التى تساقطت تحت العمود . وفى إحدى المرات جاء اليه زعيم النصوص وقضى الليل تحت العمود بجواره . وقد سأل سبعان الرب أن يعاقبه ، فمات اللص بعد ذلك بعدة أيام . ثم سأل الرب ففجر عيناه من الماء تحت العمود . وبعد ذلك مضى الى عمود أكثر ارتفاعا ووقف قريبا منه لمدة ثلاثين عاما . وبعد أن قضى ثمانية وأربعين عاما فى الصلاة ، أراد الرب أن يريحه من ارهاق الجسد فوعظ الناس وجذب العديد من الوثنيين الى السيد المسيح ثم تنيح وذهب الى الرب . ولما سمع بطريرك انطاكية بنياحته جاء وحمله الى انطاكية باحترام عظيم . صلواته فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديسة ماريينا

فى هذا اليوم (*) استشهدت القديسة المختارة ماريينا، عروس يسوع المسيح . وكانت ابنة لأب وأم وثنيين ، وكان أبوها كاهنا للأوثان فى انطاكية وقد أحباها جدا . وكانت حسنة الطلعة جدا . وعندما بلغت سن الخامسة عشرة توفيت والدتها ، فأخذها أبوها الى مربية مسيحية بقيت فى منزلها حتى وفاة والديها .

وفى أحد الأيام سمعت مربيتهما تتحدث عن آثاب القديسين واستشهادهم ، وكيف أنهم شفقوا ذماتهم على اسم السيد المسيح ، فاشتاقت أن تكون شهيدة وطلبت من الرب أن يمنحها القوة والمعونة حتى

(*) (أولاً) : الثالث والعشرون من شهر الصيف . (المترجم)

تستطيع أن تهزم الوثنيين . وفى ذلك الوقت نجاء الى العرش ملك وثنى عرف باسم الأمير فاليريوس Valerius الذى جاء من آسيا الى انطاكية بغرض القبض على المسيحيين ، وحدث أن خرجت القديسة مارينا مع جواريتها فرأى الأمير الوثنى جمالها فطار قلبه اعجابا ، وأمر جنوده بالقبض عليها لكي يأخذها لنفسه زوجة . وعندما أراد الجنود أن يأخذوها رشمت نفسها بعلامة الصليب وقالت : « ارحمنى يارب ولا تتخل عني » . وعاد الجنود الى الحاكم وقالوا له : « لم نستطع أن نأخذ الفتاة لأنها مسيحية ودعت باسم يسوع المسيح » . فلما سمع ذلك أمرهم باحضارها وسألها عن عقيدتها فأجابت قائلة :

« اننى مسيحية ، أو من يسوع الناصرى الذى سيخلصنى من كفرى ، ومن شر قلبك » . ولما أحس الأمير بالاهانة فى نفسه ، قسم ذبيحة لآلهته البغيضة ، واستدعاهن أمامه وقال لهما : « اعلمى يامارينى اننى أشفق عليك ، فاتبعنى تصبحين وقسمى القرايين الى الآلهة وحينذاك ستنالين الشرف العظيم » . فأجابت قائلة : « اننى لا أتردد فى عبادة الله . الهى ، وأقدم ذبيحة الشكر لمخلصى يسوع المسيح » . فقال لها : « لهذا الجليلى الذى صلبه اليهود ؟ » . وتوعدنها بعقوبات كثيرة ، فلم تدعن له ، ولكنها قالت انها على استعداد لأن تتعذب ثم تستريح مع العذارى الحكيمات . فاستشاط غضبا ، وأمر بضربها بالعصى حتى سال دمها على الأرض . ثم منسلطوا لحمها بسكاكين حادة وألقوا بها فى سجن تحت الأرض . وكان الرب يشفيها دائما من كل هذه المعاناة .

وبينما كانت تصلى داخل السجن خرج عليها ثعبان عظيم وفتح فكيه وابتلعها ، فكدت روحها تفارق جسدها ولكنها بسطت يديها على مثال علامة الصليب وهى فى جوف الثعبان وسرعان ما انشق فم الثعبان ، فخرجت القديسة سالمة تماما . ثم استدارت فرأت ما يشبه رجلا أسود واضعا يديه على ركبتيه وهو يقول لها : « كفى عن الصلاة ، وأطيعى أمر الملك » . فلما سمعت ذلك أمسكته من شعر رأسه وأخذت قضيبا من حديد وجلدته فى ركن من السجن وضربت به رأس الشيطان بعنف . فشعر الشيطان بوطأة الألم ورجاها أن تخفف من ألمه . فأجابته قائلة : « أغلق فمك » . ثم صلبت فوقه بعلامة الصليب فانشقت الأرض وابتلعتة .

وفى اليوم التالى أمر الملك باحضارها أمامه ورجاها أن تعبد الأصنام ، فردت عليه بجفاء فأمر جنوده بأن تعلق وتشعل تحتها النار لتحرقها . وبعد ذلك ألقوا بها فى الماء لاغراقها . ولكنها طلبت من الرب أن يكون هذا الماء معمودية لها . فنزلت عليها حمامة وقد حملت فى منقارها تاجا من النور ، فغطت فى الماء ثلاث مرات . وفى تلك الأثناء

امن بالكثير من الناس فأخذت رقابهم بالسيف . ويئس الأمير من مواصلة تعذيبها وقال : « اذا تركتها حية فان جميع أهل انطاكية سيدخلون في الايمان » . فأمر بقطع رأسها . وقادها الجلاذ الى خارج المدينة ، وهناك شاهدت الرب له المجد والملائكة النورانيين فقالت للجلاذ : « انتظر حتى أصلي » . ولما انتهت صلاتها قالت : « افعل ما أمرت به » . ولما حاول أن يمتنع قالت له : « اذا لم تفعل ذلك لن يكون لك نصيب معي » . فقام اليها وهو في أشد الأسف ورسم علامة الصليب على السيف وضرب عنق القديسة . وبذلك نالت اكليل الشهادة . وعاد السيف سريعا الى الأمير ثم ضرب رقبة نفسه بالسيف معترفا بالسيد المسيح رب هذه القديسة ونال النعيم الأبدى . صلاتها فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديسة تكلا

في هذا اليوم (*) تنيحت القديسة تكلا التي تنتمي الى العصر الرسولي . عاشت هذه القديسة في أيام بولس الرسول واتفق أنه لما خرج بولس الرسول من انطاكية وأتى الى أيقونية ، أخذه رجل مؤمن اسمه سيفاروس Sifarus الى منزله ، فاجتمعت اليه جموع كثيرة لسماع تعاليمه .

وتطلعت هذه العذراء تكلا من الطاقة لتستمع الى حديث الرسول . واستمرت على هذه الحال ثلاثة أيام وثلاث ليال بلا طعام أو شراب ، فنفذت كلماته الى أعماق قلبها وروحها . ولكن والديها وخدمها حزنوا جميعا وطلبوا اليها أن تغير هذا الأسلوب في التفكير . وتصادف أن التقى واليها بديماس Dimas وأرهوخانيس Armukhanis واشتكى اليهما من ابنته ، فأوعزا اليه بأن يطلب معونة الأمير ضد بولس فأمر بحضور بولس الرسول وفحص تعاليمه وأحواله فلم يجد علة ضده ، ولكنه أمر باعتقاله .

ولما علمت القديسة تكلا بذلك خلعت مجوهراتها وذهبت الى الرسول في السجن ، وخرت عند قدميه . وعندما افتقدها أهلها عرفوا أنها عند أقدام الرسول ، فأمر الوالي بحرقها ، وصرخت أمها أيضا قائلة : « احرقوها لتكون عبرة لغيرها » لأن نسوة كثيرات من بنات العائلات النبيلة نلن الايمان بتعاليم بولس الرسول . وأمر الأمير بأن يحرق بولس أيضا معها ، فأخرجوهما من السجن . أما عن تكلا فقد كان عقلها وعيناها جميعا مع

(*) الخامس والعشرون من شهر ابيب . (المترجم)

بولس الرسول ، وطلبت صلاة بولس فصعد بجسده الى السماء ورشمت نفسها بعلامة الصليب وألقت بنفسها فى النار ، فبكت عليها النسوة اللاتى كى موجودات ولكن الله أرسل أمطارا غزيرة وبروفا ، فصار الأتون مثل الندى البارد . وأنقذت من النار وخرجت كخروج شخص من الحديقة . ومضت سريعا الى الموضع الذى كان القديس بولس مختبئا فيه وطلبت اليه أن يقص شعرها وأن يقبلها خادمة له . ففعل ذلك ليطيب خاطرها . ولما ذهبت الى انطاكية رآها أحد القواد فأعجب بجمالها وأراد أن يتزوجها ولكنها صمدته بعنف ، فأثار حاكم المدينة ضدها ، فأمر بالقائها الى الأسود . وبقيت مع الأسود لمدة يومين . وكانت الأسود تلحق قدميها . ثم ربطوها بين ثورين وسحلوها خلال شوارع المدينة ، ولما لم تتأثر بذلك أطلقوا سراحها ، فذهبت الى بولس الرسول فعزاها وزاد من ايمانها ، وطلب اليها أن تمضى وتبشر بالمسيح . فذهبت الى ايقونية Iconia حيث بشرت بالمسيح ثم ذهبت الى بلدها ، وهناك استطاعت أن تجعل أباه وأمه يؤمنان بالمسيح . وبعد أن أكملت سعيها الرسولى وجهادها المقبول شاء الرب أن يريحها من متاعب هذا العالم ، فماتت ونالت اكليل المعترفين والمبشرين . ويقال ان جسدها موجود حاليا فى سنجار Singar كما هو مكتوب فى تاريخ البطارقة . بركة صلواتها فلتكن معنا آمين .

سيرة القديس أبسخيرون

فى مثل هذا اليوم (*) استشهد القديس الجليل الذى من قلين بمحافظة الغربية . وكان جنديا لأريانا Ariana حاكم أنصنا . وعندما صدر أمر دقلديانوس الملك الوثنى بعبادة الأوثان ، وقف هذا القديس فى وسط الجمع الذى حضر ، وتحدث باستهزاء عن الملك وآلهته ، ولم يجرؤ أحد على تعذيبه بسبب قوته القتالية ، ولكنهم حبسوه فى سجن الحاكم . وعندما تصادف مجيء حاكم أنصنا الى مدينة أسيوط أحضروا اليه أبسخيرون ومعه خمسة جنود هم الفانوس Alphanus وأرماسيوس Armasius وأيكياس Aikias وپطرس وقيرانيوس Kiranius . واتفق هؤلاء مع أبسخيرون على أن يسفكوا دمهم على اسم المسيح ، فلما مثلوا أمام الوالى أمر بتقطيع مناطقهم وتعذيبهم فصلب بعضهم وقطع رؤوس الآخرين ، وصدرت الأوامر بأن يضرب القديس أبسخيرون بوحشية . ثم أمر بتمزيق فروة رأسه حتى العنق ، وربطوه فى ذيل بغل وجروه خلال شوارع المدينة ، ثم ألغوه فى خزان الرصاص وغطوه ، ثم عصروا جسده

(*) اليوم السابع من شهر بؤونة . (المترجم)

وألقيوا به فى مستوقفه أحد الحمامات ، ولكن ملاك الرب كان معه فى كل هذه العذابات فشجعه وقواه وعزاه ووهبه الصبر الكثير . وعندما تحيروا فى تعذيبه ، استدعوا ساحرا عظيما يدعى اسكندر Iskandaru تظاهر بأنه يسحر الشمس والقمر وأنه يصعد الى السماء ويتعامل مع النجوم ، فأمر باغلاق باب الحمام وأحضر حية ، وبينما كان يتمتم بكلمات معينة انشطرت الحية نصفين ، ثم أخذ شحمها وكبدها ووضعهما فى رجل من البرونز وأحضرهما الى القديس وجعله يدخل فى الحمام وأمر بأن يأكل من هذا السم المطبوخ ، ولكن القديس صاح عاليا : « يارئيس الشياطين ، استخدم كل قوتك ضد ابن المسيح هذا » . ولم يصبه أذى فتعجب الساحر جدا ، فقال القديس : « ان الشيطان الذى ترجو معونته سيعذبك بقوة سيدى المسيح » .

فحضر الشيطان وبدأ فى صفع الساحر حتى آمن بالسيد المسيح . ولما سمع الحاكم بذلك ، قطع رأس الساحر . واشتد حنقه على القديس ، فعذبه بعذابات كثيرة ، وكان القديس يشكر الرب يسوع دائما ، وأخيرا أمر بقطع رأسه بحد السيف ، فقال اكليل السعادة الأبدية . شفاعات هذا القديس فلتكن معنا ، ولتحفظنا ، ولتنجنا . آمين .

سيرة القديسة صوفيا Sophia (حكمت)

فى هذا اليوم (*) تنيحت القديسة صوفيا . وكانت هذه القديسة تتردد على الكنيسة مع جارات لها مسيحيات ، فأمنت بالسيد المسيح . وذهبت الى أسقف منوف الذى عمدها على رسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد ، ولازمت الكنيسة ، فوشى بها رجل معين الى الولى كلوديوس Claudius وأبلغه أنها تعمدت . فطلب حضورها اليه وسألها عن الموضوع فاعترفت ولم تنكر ، فعاقبها بعقوبات كثيرة . فى البداية جلدتها بأعصاب البقر ثم كوى مفاصلها وعلقها ، وكانت أثناء كل ذلك تصيح بصوت مرتفع : « أنا مسيحية » . فأمر الولى بقطع لسانها واعادتها الى السجن ، وأرسل اليها زوجته التى بدأت تحدثها برقة ووعدتها بوعود كثيرة ، ولكن القديسة لم تمل الى كلامها ، وأخيرا أمر بقطع رأسها ، فصلت القديسة صلاة طويلة طلبت فيها من الرب أن يغفر للحاكم وجنوده بسببها ، ثم أحنى رأسها للسياف الذى قطع رأسها بحد السيف ، ونالت اكليل الشهادة والحياة الأبدية فى ملكوت السموات .

(*) الخامس من شهر توت (المترجم) .

وأخذت امرأة مسيحية جسدها الطاهر بعد أن قدمت للجند أموالا كثيرة ، ولفته بلفائف ثمينة ، ووضعت في منزلها ، فظهرت منه عجائب كثيرة . ورأى الناس في يوم عيدها نورا عظيما يشع فوق جسدها ، وبخورا ذكيا ينبعث منه . وعندما صار قسطنطين ملكا على الامبراطورية وسمع عن الجسد ، أرسل ونقله الى مدينة القسطنطينية وبني على اسمها كنيسة عظيمة ووضع الجسد فيها ، فظهرت منه عجائب كثيرة . بركة صاواتها فلتكن معنا وتحفظنا من العدو الشرير . آمين .

سيرة القديسة هيلانة

في هذا اليوم (*) نعيد بتكريس هياكل كنيسة القيامة (١) . ذلك أنه في السنة العشرين من حكم قسطنطين ، وبعد انعقاد مجمع نيقية المقدس أخذت الملكة الطاهرة هيلانة أموالا كثيرة وقالت لابنها : « لقد نذرت الذهاب الى القبر المقدس والبحث عن عود الصليب المحيي » . فرح الملك بذلك وأرسل معها عددا كبيرا من الجند وأعطاهم أموالا كثيرة . وعندما وصلت الى هناك وتباركت من هذه الأماكن المقدسة ، بدأت البحث عن الصليب فوجدته بعد تعب شديد ، فمجدته تمجيدها عظيما وأكرمته اكراما جزيلا . ثم بدأت في بناء هياكل القيامة والجلجثة وبيت لحم والمغارة والعلية وبستان جثسيماني وسائر الهياكل . وأخذت ترصعها جميعا بالجواهر والذهب والفضة وكان في اورشليم أسقف قديس أشار عليها ألا تعمل هذا وقال لها : « بعد قليل يأتي الوثنيون ويخربون هذه الأماكن ويهدمونها ويأخذون كل هذه الجواهر ، والأفضل أن تشيد المباني جيدا كما هي العادة ، أما ما يتبقى من الأموال فيوزع على المساكين . فقبلت النصيحة وأعطته مالا كثيرا وكلفته بالعمل . وعندما عادت الى ابنها وأبلغته بما فعلت ، فرح فرحا عظيما وأرسل أموالا طائلة ، وطلب اليهم الاستمرار في البناء ، وأمر بأن يعطى الصناع أجرهم بالكامل في نهاية كل يوم حتى لا يتذمروا ويتعرضوا لغضب الله . ولما كمل البناء في السنة الثلاثين من ملكه أرسل أواني وملابس ثمينة وكلف بطريك القسطنطينية واثناسيوس بطريك الاسكندرية ليصحب كل منهما أساقفته ، وأن يجتمعا مع بطريك انطاكية وأورشليم ، ويقوموا جميعا بتكريس الهياكل التي تم بناؤها . ومكث الجميع . ثم كرسوا الهياكل التي بنيت . وفي اليوم التالي طافوا بتلك المواضع وهم يحملون الصليب ويمجدون الله ، وقربوا القديسين وأكرموا الصليب ، ثم عادوا الى بلادهم . شفاعتهم فلتكن معنا الى النفس الأخير . آمين .

(*) السادس عشر من شهر توت (المترجم) .

(١) أي كنيسة القبر المقدس .

العشور على الصليب المجيد

فى هذا اليوم (*) نعيد بتذكار ظهور الصليب المجيد الذى لربنا يسوع المسيح . هذا الذى أظهرته الملكة المحبة للاله القديسة هيلانة أم قسطنطين ، عندما أزالَت الركام من فوق موضع الجلجثة . أما سبب وجود هذا الكوم فإنه لما أخذت العجائب تظهر من القبر المقدس مثل إقامة الموتى وشفاء المقعدين ، غضب اليهود ونادوا فى جميع اليهودية وأورشليم أن كل من كنس داره أو عنده تراب ، عليه أن يلقيه على مقبرة يسوع الناصرى . واستمروا على ذلك أكثر من مائتى سنة حتى صار الكوم جبلا ، الى أن جاءت القديسة هيلانة وأحضرت اليهود وسجنت واحدا منهم يسمى يهوذا حتى أعلمها بالمكان ، فأخرجت الصليب المقدس وبنيت فوقه كنيسة وكرستها . ويعيدون للصليب فى السابع عشر من شهر توت ، وصار جميع المسيحيين يحجون اليه فى عيد القيامة .

وتصادف ان كان اسحاق السامرى مارا مع بعض الرجال فى الطريق ، فأحسوا بالعطش ، ولم يجدوا ماء فجازوا بالقرب من بئر فوجدوا ماءها نتنا من الطعم ، فضاق الشعب جدا ، وبدأ اسحاق السامرى يسخر منهم فغار القس غيرة للرب وتنازع مع اسحاق . فقال له اسحاق : « اذا رأيت معجزة باسم الصليب آمنت بالمسيح » . فصلى القس على الماء المر ، فصار حلوا فشرب منه جميع الرجال وماشيئهم . ولكن اسحاق عندما أراد أن يشرب وجد أن الماء الذى أخذه فى قارورته ممتلئ بالديدان . وبكى وانحنى أمام القس أوجيدوس Ogidios ، وآمن بالمسيح ، ثم شرب من الماء الذى صار حلوا للمؤمنين ومرا لغير المؤمنين . وعلاوة على ذلك ظهر فى الماء صليب من نور . وبنوا كنيسة فوق البئر . وعندما أتى اسحاق الى أورشليم ذهب الى الأسقف وتعهد منه هو وكل أسرته . وقد عثر على الصليب فى العاشر من شهر برمهات . ولما كان هذا اليوم يقع ضمن أيام الصيام فإن الاحتفال يجرى فى ذكرى تكريس الكنيسة وهو اليوم السابع عشر من شهر توت . والمجد والسجود لربنا يسوع المسيح الى أبد الأبد . آمين .

سيرة القديس مار جرجس الاسكندرى

فى هذا اليوم (**) استشهد القديس مار جرجس الاسكندرى . وكان أبوه تاجرا بالاسكندرية ولم يكن له ولد ، فذهب الى كنيسة مار جرجس .

(*) السابع عشر من شهر توت (المترجم) .

(**) السابع من شهر هاتور (المترجم) .

فى يوم عيده (الذى يقع فى السابع من شهر هاتور) (*) وطلب من هذا القديس أن يتشفع فيه أمام الله لكى يرزقه ولدا . وسمع الرب صلاته ورزقه طفلا أسماه جرجس . وكانت أم هذا القديس أختا لأرمانىوس Armenius والى الاسكندرية .

ومات أبواه فمكث عند خاله . وكان عمره حينذاك خمسا وعشرين سنة . وكان محبا للمفقراء وصالحا ورحوما وكان لأرمانىوس ابنة وحيدة فخرجت فى أحد الأيام لتتنزه مع صديقاتها . فتصادف أن شاهدت ديرا خارج المدينة وسمعت الرهبان المختبئين فى داخله وهم يسبحون الله بأصوات جميلة ، فتأثر قلبها بهذه التسابيح وبدأت تسأل الشاب جرجس ابن عمها عن معنى هذه التسابيح . فأوضحها له وعرفها نصيب الخطاة من العذاب ، ونصيب الأبرار من الثواب . فلما عادت الى البيت أبلغت أباهما أنها آمنت بالسيد المسيح .

وفى البداية تحدث إليها أبوها برقة ناصحا إياها بالابتعاد عن هذا الطريق ، ولكنها لم تنصت له فأمر بقطع رأسها ونالت اكليل الشهادة . وبعد ذلك أبلغ بعض الرجال الوالى أن جرجس كان هو سبب كل ذلك ، فأخذه وعذبه بشدة ثم أرسله الى قرية أنصبا حيث عذبه بجميع أنواع العذابات وأخيرا قطعوا رأسه ونال اكليل الشهادة . وأخذ جسده الطاهر شماس يدعى صموئيل وأتى به الى ممفيس . ولما علمت زوجة خاله بذلك أرسلت وأحضرت جسده ووضعت مع جسده ابنتها صلواتهما وشفاعتهما فلتكن مغنا . آمين .

سيرة الأنبا محاروه

فى هذا اليوم استشهد الأنبا محاروه Maharuah الذى كان من الفيوم وهو رجل يخاف الله جدا ، فعندما استمع الى أخبار الشهداء جاء الى الاسكندرية راغبا فى الموت على اسم السيد المسيح . وقد قيل له فى رؤيا : « من المحتم عليك أن تذهب الى انطاكية » . وبينما كان يفكر فى كيفية وصوله الى انطاكية ، أرسل الرب ملاكه فحمله على أجنحته من الاسكندرية الى انطاكية ، وأوقفه أمام الملك دقلديانوس واعترف أمامه بالسيد المسيح ، فسأله الملك عن اسمه وبلده ، وتعجب لحضوره ، وأغراه

(*) عيد استشهاد مار جرجس الكبادوكى المعروف بالرومانى يقع فى الثالث والعشرين من شهر برمودة . أما مار جرجس الاسكندرى الذى تسمى باسمه فقد استشهد فى اليوم السابع من هاتور ، وقد القيس الأمر على المؤلف (المترجم) .

بالعديد من المكافآت والعطايا التي رفضها . ثم توعدده الملك ولكن القديس لم يداخله الخوف فأمر بتعذيبه . فعذبوه مرة بأن أطلقوا عليه الأسود ، ومرة أخرى بحرقه في النار ، ومرة بوضعه في مرجل كبير من النحاس . وبعد ذلك قطعوا رأسه بحد السيف ونال اكليل الشهادة وكان بذلك بديلا لجميع شهداء انطاكية الذين نالوا الشهادة في مصر . شفاعته فلتكن معنا . آمين .

عيد رئيس الملائكة ميخائيل

في هذا اليوم (*) نعيد لرئيس الملائكة ميخائيل الملاك الرحوم الذي يتشفع في كل الجنس البشري .

وكان يشوع بن نون قد رآه في مجد عظيم على هيئة جندي الملك . فخاف وخر ساجدا قائلا : « هل لنا أنت أم لأعدائنا ؟ » فأجاب وقال : « كلا ، بل أنا رئيس جند الرب . الآن أتيت . واليوم سأسلم شعب عماليق ليديك ، وأدفع بيدك مدينة أريحا » .

وهو الملاك الذي يعزي القديسين ويعاونهم على الاحتمال حتى نهاية جهادهم . وتوزع باسمه الصدقات وتقام الولائم باسمه في اليوم الثاني عشر من كل شهر لأن هذا الملاك يسأل الرب من أجل ثمار الأرض وفيضان النيل حتى يكملها الرب كمقدارها .

وكان انسان يسمى دوروثاؤس Dorotheos وزوجته ثاؤبستا قد اعتادا عمل تذكارات الملاك ميخائيل في اليوم الثاني عشر من كل شهر ولذلك فان الرب بشفاعته رئيس الملائكة ميخائيل أنعم عليهما بالغنى بعد الفقر ، لأنه عندما لم يجد هذان الزوجان شيئا لعمل التذكارات ، أخذوا ملابسهما ليبيعاها حتى يتمكنوا من عمل التذكارات ، فظهر الملاك ميخائيل لدوروثاؤس وأمره أن يذهب الى بائع الخراف ويشترى منه حملا بثلاث دينار . والى صياد السمك فيشترى منه سمكة بثلاث دينار بشرط ألا يشق السمكة . ثم يذهب الى بائع القمح ويأخذ منه كل ما يحتاجه ولا يبيع ملابسهم . وعندما أقام الرجل التذكارات كما أمر ، ودعا الناس كمادته ، دخل الى الخزانة لعله يجد فيها خمرا لتقديم القرابين فتعجب لأنه وجد خمرا كثيرا تفيض عن حاجته . وبعد رحيل الضيوف ظهر الملاك ميخائيل بنفس الهيئة التي ظهر له بها أولا وأمر بأن يفتح السمكة فشققها ووجد في بطنها جرابا به ثلاثمائة دينار وثلاثة أثلاث ذهب . فقال له الملاك :

(*) الثاني عشر من كل شهر قبطي (المترجم) .

« هذه الأثلاث هي ثمن الخروف والسمنة والقمح ، أما الدنانير فلكما ولأولادكما ، لأن الرب قد ذكركما وذكر صدقاتكما ولذلك عوضكما عنها . في هذه الدنيا ، وفي الآخرة بملكوت السموات . وفيما هما متحيران مما جرى ، قال لهما : « أنا هو ميخائيل رئيس الملائكة الذي خلصتكما من جميع شدائدكما وقدمت قرابينكما وصدقاتكما أمام الرب » . فسجدا له وغاب عن أنظارهما وصعد إلى السماء . وقد أتى هذا الرئيس الجليل بالكثير من العجايب . شفاعته فلتكن معنا إلى الأبد . آمين .

سيرة الأنبا زخارياس

في هذا اليوم (*) تنيح الأب البطريك الأنبا زخارياس . وكان هذا القديس من الاسكندرية ورسم قسا بها ، وكان حسن السيرة ، طاهر البدن ، متواضع السلوك ، جليل المقام . ولما تنيح البطريك الأنبا فيلوثاؤس ، اجتمع الأساقفة بارشاد الروح القدس ليختاروا الشخص المناسب بالهام من الله . وبينما كانوا في كنيسة القديس مرقس الرسول يبحثون عن يصلح سمعوا أن أحد الأعيان استطاع بمعونة السلطة والرشوة ، الحصول على مرسوم من السلطان وقد جاء ومعه الخدام لكي يصير بطريركا . فحزنوا وصلوا إلى الله وهم في أشد الحزن لأن هذا الرجل أراد أن يصير بطريركا بقوة الرشوة والنفوذ - وطلبوا من الله أن يختار لهم بطريركا . وفي هذا الوقت نزل الأب زخارياس من سلم الكنيسة حاملا قارورة من الخل ، فزلت قدمه وسقط متدحرجا إلى الأرض ورغم ذلك بقيت قارورة الخل في يده سليمة دون أن تنكسر . فتعجب الأساقفة والكهنة من ذلك ، وسألوا عنه أهل الاسكندرية ، فأنشئ عليه الجميع وأقروا بفضله ، واتفق الأراخنة (١) مع الأساقفة وتم اختياره بطريركا .

وقد قاسى الأب زخارياس شتائم كثيرة منها أن راهبا رفع دعوى ضده أمام المحاكم ، فقبض عليه وربطه وألقاه إلى السباع ولكن السباع لم تؤذه ، فنقم المحاكم على حارس السباع . ثم منع الطعام عن السباع ، وذبح خروفا ولطح بدمه ثياب البطريك وألقاه إليها مرة أخرى ، ولكنها لم تؤذه . ثم ألقاه في السجن ثلاثة أشهر ، وهدده أحيانا بالقتل وأحيانا أخرى بالقاء للسباع واحرقه بالنار ان لم يترك دينه ، ولكنه لم يخف .

(*) اليوم الثالث عشر من شهر هاتور .

(١) الأراخنة هم وجهاء الشعب وكان لهم دائما صوت مع الاسقف عند التشاور في الانتخاب . وكان للخديوي حق الاعتراض .

فوعده بمكافأة عظيمة وأقسم بأن يجعله قاضى قضاة المسلمين ولكن هدم
الوعود كلها لم تشنه • وعندما أخرجه الحاكم من السجن ، وضايقه بأشياء
عديدة من بينها هدم كنائس عديدة • واستمر الاضطهاد مدة تسع سنوات •
ثم أزال سيدنا يسوع المسيح هذه الضيقات وأمر الحاكم البطريك بإصلاح
الكنائس وأن يعاد إليها جميع ما سلب منها ، فأعيد بناء الكنائس كما
قام زخارياس ببناء كنائس أخرى وصدر الأمر بقرع الناقوس ثانية فى
الكنائس •

واستقامت شئون الكنائس وشئون المؤمنين ، وعاش هذا الأب بعد
ذلك اثنتى عشرة سنة وقضى من عمره ثمانية وعشرين سنة بطريركا •
وانتقل الى الرب بسلام • صلواته فلتكن معنا وتحفظنا جميعا • آمين •

سيرة البابا بطرس خاتم الشهداء

فى هذا اليوم (*) استشهد الأنبا بطرس بطريرك الاسكندرية خاتم
الشهداء • وكان أبوه كبير قسوس بالاسكندرية اسمه ثاؤدوسيوس
Theodosius واسم أمه صوفيا •

وكانا يخافان الله جدا ، ولم يكن لهما ولد • وفى اليوم الخامس
من شهر أبيب وهو عيد القديسين بطرس ويولس رأت المرأة جماعة من
المسيحيات يمشين ومعهن أولادهن أمامهن ، وقد ارتدوا جميعا كساوى
جديدة ، فحزنت جدا وبكت ، وطلبت من الرب يسوع بسموع أمام المذبح
المقدس أن يرزقها بطفل • وفى هذه الليلة ظهر لها بطرس ويولس وأبلغاها
أن الرب قد استمع الى صلواتها ، وسيعطيهما ابنا وتسميه بطرس •
وأمرها أن تمشى الى البطريك ليصلى عليها فلما استيقظت اخبرت زوجها
ففرح فرحا عظيما ثم ذهبت الى البطريك ، وطلبت اليه ان يصلى عليها
بعد أن قصت عليه الرؤيا • فباركها • وبعد فترة قصيرة رزقت بولد هو
القديس بطرس • وعندما بلغ السابعة من عمره سلموه الى البطريك مثل
صموئيل النبى ، فصار له كابن خاص • وكرسه فى رتبة قارئ ثم
شماس (دياكون) ثم قس • وقد عاونه كثيرا فى شئون الكنيسة • وعند
نياحة البطريك الذى كان يدعى الأنبا ثاؤنا أوصى أن يكون الأب بطرس
خلفا له • وعندما اعتلى الكرسي استضاءت الكنيسة بتهاليمه • وقد حدث
ذلك على أيام دقلديانوس •

(*) اليوم التاسع والعشرون من شهر هاتور • (المترجم) •

وكان فى انطاكية رئيس كبير اتبع مشورة الملك الوثنى ، وكان له ابنان. ولذلك عجزت أمهما عن تعميدهما فى بلدها ، فأخذتهما معها الى الاسكندرية . وأثناء سفرهما هاجت الأمواج ونظرا لخوفها من أن يموت ولداها غرقا بدون عماد ، جرحت ثديها ورشمت بدمها علامة الصليب على جبهتي ولديها ، ثم عمدتهما فى الماء باسم الثالوث القدوس ، ولكنهما نجوا من الأمواج ووصلت بهما الى الاسكندرية حيث قدمتهما للعماد مع الأطفال الآخرين ، فكان كلما هم البطريك بتعميدهما يتجمد الماء كالحجر . حدث ذلك ثلاث مرات . فسألها البطريك عن الموضوع ، فأخبرته بكل ما حدث فى البحر ، فتعجب ومجد الله قائلا : « هكذا قالت الكنيسة : انها معمودية واحدة » .

وفى أيام هذا البابا بطرس حرم آريوس المخالف لأنه خالف العقيدة وكان عنيدا . وعندما سمع الملك ماكسميانوس الوثنى أن البابا كان يعلم الناس دائما فى كل مكان بالألا يسجدوا للآلهة الوثنية ، أرسل رسلا لقطع رأسه ، فقبضوا على الأنبا بطرس وقيده . ولما سمع المواطنون بهذا الأمر حملوا السلاح لانقذاه بالقوة . وجاءوا الى السجن لقتال رسل الملك . ولما رأى الأنبا بطرس أن كثيرين سيقتلون بسببه ، أراد أن يموت فداء عن شعبه وأن يكون مع المسيح فأرسل واستحضر الشعب وعزاهم وأوصاهم أن يثبتوا على الايمان المستقيم . ولما علم آريوس أن الأنبا بطرس سيمضى الى الرب ويتركه تحت الحرم ، توسل الى كبير الكهنة أن يتوسل الى البطريك ليحله ، ولكنه رفض وأعلمهم أنه رأى رؤيا أثناء الليل ظهر له فيها السيد المسيح وعليه ثوب ممزق وقد أمسك رداءه بيده لكى يغطى جسمه ، فسأله بطرس : « من شق ثوبك يارب ؟ » فأجابه قائلا : « ان آريوس هو الذى شق ثوبى لأنه فصلنى من أبى ، فحذار أن تقبله » .

وبعد ذلك طلب البطريك من رسل الملك سرا أن ينقبوا حائط السجن من الداخل والخارج ، وأن يمضوا به لتنفيذ أمر الملك . ففعلوا كما أمر ، وأخذوه خارج المدينة الى المكان الذى فيه قبر القديس مرقس الانجيلي . وهناك صلى . وبعد أن حيا جميع الناس ، سلم نفسه للسياف وصلى قائلا : « ايها الرب يسوع المسيح ، ليكن بدمى انقضاء عبادة الأوثان » . وجاء صوت من السماء سمعته عذراء قديسة - قائلا : « آمين . ليكن لك ما أردت » . وقطع السياف رأسه الطاهر وبقي جسده واقفا فى البقعة مدة ساعتين حتى وصل الناس الذين جاءوا مسرعين لأنهم كانوا بالقرب من السجن ، ولكنهم لا يعرفون ماذا حدث له ، حتى أبلغهم بعض الناس . فأخذوا جسد القديس بطرس ولفوه وأجلسوه على كرسيه الذى لم يكن قد رآه أحد جالسا عليه أثناء حياته ، لأنه قال فى ذلك : « اننى

لا أجسر على الجلوس عليه لأننى أرى قوة الرب جالسة عليه . ثم وضعوه حيث أجساد القديسين . وكانت مدة جلوسه على الكرسي احدى عشرة سنة . صلواته وشفاعاته فلتكن معنا . آمين .

سيرة البطريرك الأنبا مرقس

(حوالى سنة ١٨٠٠ للميلاد)

فى هذا اليوم تنيح البطريرك الأنبا مرقس المائة والثامن من بطارقة الاسكندرية . وكان هذا اليايا من قرية طموه ، وأحب أن يتجول وحيدا منذ طفولته . ومع تزايد حبه للوحدة رغب أن يصير راهبا فذهب الى دير أنطونيوس أبى الرهبان ، وهناك صار راهبا ومارس الكثير من الجهاد الروحى . وعندما تنيح الأنبا يوانس البطريرك المائة والسابع ، اجتمع كافة الأساقفة والكهنة بالقاهرة ، وأجروا العديد من الاقتراعات لاختيار الشخص المناسب للمنصب . ولما كانوا قد صلوا للرب سائلين أن يرشدهم فى اختيار الرجل الأكثر استحقاقا ، وقعت القرعة على مرقس ، فأرسلوا فى طلبه رئيس الدير الذى صحبتته جماعة من البدو ، وأحضروه الى القاهرة رغما عن ارادته مقيدا بالسلاسل الحديدية . وحضر الآباء والأساقفة والكهنة جميعا ورسموه بطريركا لكرسى مارمرقس بالاسكندرية . وكان اسمه يوحنا قبل أن يصير بطريركا ، وأعطوه اسم (مرقس) . وخلال حبريته حدثت العديد من المصائب والنكبات أهمها أنه بعد جلوسه على الكرسي بعامين احتلت مصر حملة من بلاد الفرنجة دعيت باسم الفرنسيين . وثار سكان القاهرة ضدهم ودارت الحرب بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام وقام البطريرك بنقل مقره من حارة الروم الى الأقبكية . ثم جاء وزير من تركيا ومعه بعض الرعايا الانجليز فطردوا الفرنسيين من مصر . وكان أفراد الشعب قد عانوا الكثير تحت الاحتلال الفرنسى فضاعت الكثير من الأماكن، وهجرت الكثير من الكنائس . وقد عانى البطريرك نفسه العديد من المتاعب التى بسببها ترك حارة الروم وأتى الى الأقبكية حيث بنى ضاحية كبيرة وكنيسة عظيمة باسم القديس مرقس الانجيلي ، وهو أول البابوات الذين أقاموا بالأقبكية . وكان دائم الاصلاح للكنائس والأديرة التى كانت خربة . وكان متنبها لتعليم الشعب والوعظ طوال الليل والنهار . وعلاوة على ذلك فقد رسم العديد من الأساقفة . وعند نياحة مطران الحبشة ، حضر بعض الرهبان والقسوس ، ومعهم خطاب من ملك الحبشة طالبين تعيين مطران . وقد رسم لهم البابا مرقس مطرانا مضى مع الكهنة الأحباش ، وأرسل لهم أيضا عددا من كتب العظات والتعاليم لأنه سمع أن بعضا منهم صاروا هراطقة . وقد حدثت احدى العجائب على يد هذا البابا ، ففى

احدى السنوات لم يبلغ فيضان النيل المدى المقرر ، فطلب نائب الملك من بطريك الأقباط وسائر البطارقة أن يصلوا من أجل زيادة مياه النيل . وعلى ذلك حضر الأنبا مرقس وكافة الكهنة وأفراد الشعب المسيحى - وصلوا الى الله الذى استجاب لصلواتهم وزاد من ارتفاع ماء النهر حتى تجاوز الحد المقرر .

وعندما أصابه مرض الموت استدعى اليه كبير الأساقفة وقال له : « لقد حل موعد مفارقتى لهذا العالم ، فيجب أن تجتمع أنت وسائر الاخوة لرسامة البطريرك الجديد ولا تهملوا هذا الموضوع » . وبعد ثلاثة أيام رحلت روحه الى الله ، ودفن فى كنيسة الأقباطية التى بناها . وأقيمت له جنازة فخمة . وقد جلس على الكرسي لمدة ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر . بركته فلتكن معنا الى النفس الأخير ، ولربنا المجد الدائم الى الأبد . آمين .

ملحق الكتاب(*)

ثبت بأهم الاصطلاحات الكنسية القبطية
مرتبة حسب الحروف الهجائية

(١)

اباركة : عصير عنب مختمر يوضع فى الكأس على المذبح ممزوجا بالماء
ويتحول أثناء الصلاة الى دم السيد المسيح الذى انبثق من جنبه
المطعون بالحربة مع الماء اشارة الى أن المسيح هو الميت الحى الذى
ليس للموت سلطان عليه . والكلمة قبطية تعنى البواكير
أو البشائر .

الابوكسيس : فصل من سفر أعمال الرسل يقرأ ضمن القراءات الكنسية .
ابوسفارين : غطاء يوضع فوق الصينية والكأس على المذبح ويشير الى
الحجر الذى كان موضوعا على قبر السيد المسيح .

ابصالتس : المرتل وهو الذى يقود الألحان فى الكنيسة .

ابصلمودية : كتاب التسبحة اليومية .

الأجبية : كتاب السبع صلوات اليومية مرتبة حسب الساعات .

ارثوذكسى : مستقيم العقيدة . والأرثوذكسية هى ايمان الكنيسة الواحدة
قبل أن تنفصل الكنيسة الكاثوليكية فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥٠
ميلادية ومازال الت الأرثوذكسية تعنى ايمان الكنائس الشرقية .

ارشيدياكون : رئيس الشماسة .

الآريوسية : فكر منحرف ظهر فى القرن الرابع الميلادى وينسب الى القس
أريوس الضال . وقد تصدى له القديس اثناسيوس الرسولى . وتم
القضاء على هذا الفكر نهائيا .

اسخاطولوجى : علم دراسة مقار الآخرة وحياة ما بعد الموت .

اسكيم : حزام من الجلد يلبسه الراهب المتوحد وهو يلزمه بأداء صلوات
وأصوام وعبادات تفوق ما يقوم به الراهب العادى .

(*) هذا الملحق مضاف الى الكتاب الاصلى ومكتوب بقلم المترجم .

الأسقف : هو راعى الايبارشية ويرسم القسوس والشمامسة وتطلق كلمة : أسقفية على مقر الأسقف وهو فى الكاتدرائية التى يشرف منها على أنشطة وخدمات الكنائس التابعة له .

اشمين : الشخص المسئول أمام الله عن استلام المعمد حديثا وتنشئته على أصول الايمان القويم .

اكليروس : هم رجال الدين المسيحى من أساقفة (أكبرهم البابا) وقمامسة وقسوس وشمامسة .

الاعتراف : أحد أسرار الكنيسة السبعة وفيه يعترف المؤمن بخطاياہ على يدى الكاهن لينال الحل أى الغفران .

أغابى : وليمة محبة تقام فى إحدى قاعات الكنيسة بعد الصلاة ويشترك فيها الحاضرون .

أفخارستيا : سر الشكر أو التناول من جسد المسيح ودمه .

أقنوم : لفظ يطلق على كل من الآب والابن والروح القدس الاله الواحد ويعنى نفس الجوهر أو الذات حتى لا تنصرف الأذهان الى تعدد الآلهة ولتثبيت عقيدة الوجدانية وهى أساس المسيحية .

اكليل : لها معنيان : ١ - التاج الذى يلبسه البطريرك أو الأسقف والذى هو نصيب الأبرار فى ملكوت السموات .

٢ - القران أو الزواج .

الليلويا : كلمة تعنى : سبحوا الله . وتكتب أحيانا : هليلويا .

الأنبل : هو المنبر الذى يقف عليه الأسقف أو الكاهن لالقاء المعظة .

أوشية : دعاء أثناء الصلاة وجمعها أواش .

ايبارشية : منطقة تخضع لكرسى الأسقف وهى فى العادة مدينة بها عدد من الكنائس .

أيقونة : صورة مقدسة ومكرسة بالميرون والغرض منها تذكير المؤمنين بسيرة صاحب الأيقونة أى القسيس الذى يظهر فيها وتكريم الأيقونات لا يعنى عبادتها .

(ب)

البابا : هو البطريرك أى رئيس كافة الرتب الكنسية ورئيس الأساقفة .

البتولية : التفرغ للخدمة التعبدية دون الزواج وهى اختيارية لمن يرغب الرهبان بتوليون . وهناك بعض المؤمنين يختارون حياة البتولية

دون أن يكونوا رهبانا مقيمين فى الأديرة ويتفرغون لأداء بعض الخدمات الكنسية تحت اشراف الأسقف فى البيوت التى ترعى اليتامى أو المسنين . الخ .

البخور : هو المادة العطرية التى تحترق فى النجمره وارترفاعه الى السماء يشير الى ارتفاع صلاة المؤمنين .

البرص : هو مرض الجذام وكان منتشرا أيام السيد المسيح وقد شفى السيد المسيح كل من قابله من المصابين بهذا المرض .

البركة الختامية : فى نهاية القداس حيث يصرف الكاهن الشعب وعلامتها رش الماء اشارة الى الامتلاء من الروح القدس .

البشارة : علبه من الفضة تحتوى الكتاب المقدس .

البرنس : رداء مستدير واسع مفتوح من الأمام بدون أكمام يرتديه الكهنة فى قداسات الأعياد ويرتديه الأساقفة ورئيس الأساقفة عند الاشتراك فى القداسات .

البصخة : معناها العبور ويطلق على أسبوع الآلام اسم : أسبوع البصخة ويذكرنا بعبور بنى اسرائيل البحر الأحمر وذبح خروف الفصح الذى يرمز الى ذبيحة المسيح على الصليب .

البطرشيل : وشاح عريض خاص بالشمامسة يلبسه كبارهم على الجهة اليسرى ومن تحت الابط الى الكتف اليسرى بينما يلبسه صغارهم على شكل صليب .

البيلين : يلبسه رئيس الكهنة (الأسقف أو البابا) على صدره أثناء القداس .

بيت لحم : اسم الغرفة الخاصة بصنع القربان وهو اسم القرية الصغيرة التى ولد بها السيد المسيح .

بيض النعام : يعلق أمام الهيكل فى مواجهة المصلين لكى يجذب أنظارهم نحو الهيكل كما تنجذب عين النعامة نحو بيضها طول الوقت حتى يفقس .

(ت)

قابوت : صندوق يحتوى جسد المتوفى .

تاج : يلبسه الأسقف أثناء الصلاة لكى يذكر المؤمنين باكليل الشوك الذى وضع على رأس المسيح وأنه فى الحياة الأخرى يتحول الى الاكليل السماوى الذى يوضع على رؤوس الأبرار والقديسين .

تجديف : مساس بالعقائد الأساسية ويعنى الكفر أو انكار الايمان .

قدشين أو تكريس : تقديس الشيء حتى يصير صالحا للاستخدام فى الأغراض الدينية ويتم ذلك بتلاوة صلوات معينة ومسح بزيت الميرون على شكل صلبان .

التقليد الكنسى : مجموعة الأقوال والأحداث والقوانين غير المدونة والتي تسلم شفاهة من جيل الى جيل .

التطويب : المديح أو التمجيد .

التوراة : اسفار موسى الخمسة وتطلق مجازا على جميع كتب العهد القديم الموجودة ضمن الكتاب المقدس .

التونية : جلباب أبيض عليه صليبان أمامى وخلفى فى منطقة الصدر ويلبسه جميع الكليروس اثناء الخدمة .

(ث)

ثمار : هناك ثمار لها وضع مميز فى حياة المسيحيين مثل : الثين والجميز وقد وردا فى أمثال السيد المسيح التعليمية والزيتون الذى يستخدم فى انتاج الزبيب والعنب لانتاج الخمر المستخدمة فى التناول والبلع الذى يرمز الى استشهاد القديسين لأن لونه الأحمر يرمز الى سفك دمائهم ونواته ترمز الى صلابة ايمانهم .

(ج)

جاثليق : بطريرك للحبشة يرسمه بابا الاسكندرية باشتراك عدد من المطارنة أو الاساقفة .

جحد الشيطان : يتم بواسطة الاشبين الذى يحمل الطفل قبل العماد ويعنى طرد الشيطان والتخلص منه .

جرن المعمودية : وعاء ضخم من الحجر يملأ بالماء ويغطس فيه المعمد ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس ويوجد فى غرفة المعمودية التى تقام شمال غرب صحن الكنيسة .

الجمعة العظيمة : اليوم السادس من أسبوع الآلام وتسمى أيضا الجمعة الحزينة لان فيها تم صلب السيد المسيح .

(ح)

حامل الأيقونات : كان يوجد حجاب يمنع المصلين من رؤية ما يجرى داخل الهيكل فى العهد القديم وعند موت المسيح على الصليب انشق هذا الحجاب الى نصفين من أعلى الى أسفل رمزا لزوال الحاجز بين الله

والناس ولذلك حل محله فى العهد الجديد حامل الأيقونات المصنوع
من أشغال الخشب الشبكية ويسمح للمصلين برؤية كل ما يجرى
داخل الهيكل .

الحرمان : قرار كنسى يمنع المخالف للإيمان الصحيح من دخول الكنيسة
والتقدم للأسرار المقدسة وإذا كانت المخالفة لا تمس الإيمان فإن هذا
المنع يكون لمدة محدودة كمعقوبة وتأديب للمخالف .

حق القربان المقدس أو اثناء الذخيرة : علبة صغيرة يحمل فيها الكاهن بعض
الخبز والخمر اللذين تحولا أثناء القداس الى جسد ودم المسيح
وذلك لمناولة مريض أقعده المرض عن الحضور الى الكنيسة .

الحصل : له معنيان : ١ - الغاء قرار صدر سابقا بالحرمان .
٢ - عفو عن خطايا الشخص المخطئ حتى يصير مستحقا للتقدم
إلى سر الشكر .

الحمل : هو المسيح الذى صلب عن البشرية على مثال خروف الفصح
ويطلق هذا الاسم كذلك على القربانة المختارة لصلاة القداس وهى
الخبز الذى ينحول أثناء الصلاة الى جسد المسيح .

الحية النحاسية : توضع فى الهيكل أثناء حضور الأسقف وتشير الى
رفع السيد المسيح على الصليب .

الخوروس : مكان وقوف الشماسة أمام حامل الأيقونات .
خورى أبسكوبوس : أسقف مساعد للابيارشيات الواسعة .
الخولاجى المقدس : الكتاب الذى يحوى صلوات القداس .

خميس العهد : اليوم الخامس من أسبوع الآلام وفيه غسل السيد المسيح
أرجل تلاميذه وصنع معهم العشاء الربانى وسلمهم سر التناول
ووضع أساس صلوات القداس .

(د)

أندرجات السبع : سبع درجات نصف دائرية فى الشرقية للأسقف وحوله
الكهنة وتسمى أيضا : الدرج .

الأسقولية : كتاب يتضمن تعاليم الرسل .
الذئف : قطعتان دائريتان من النحاس تعطيان عند طرقيهما نفما لضبط
الألحان ويسمى أيضا : الصنوج .

دياكون : شماس .
دير : مكان معيشة الرهبان الذين اعتزلوا حياة العالم . وهناك أديرة
مخصصة للراهبات .

(ذ)

«ذو كصولوجية : قطعة ملحنة لتمجيد اسم الله »

(ر)

الراعى : لقب الراعى يعطى للبابا أو الأسقف لأنه يرعى شعب الله •
راهب أو راهبة : انسان اختار بمحض ارادته أن يخرج من حياة العالم
ليخصص حياته كلها للعبادة •

رسامة : طقس صلاة لتعيين الشخص المرشح لاحدى الرتب الكهنوتية
ويرأسه البابا أو الأسقف •

رواق : جناح خارجى للكنيسة أو الذراع الذى يعطى شكل الصليب •

(ز)

زيت الغاليلاون : زيت يغلى فيه بقايا زيت الميرون بعد تصفيته ويستخدم
فى العماد •

زيت الميرون : يصنع من زيوت معينة تخلط بالأطياب التى قدمت عند تكفين
السيد المسيح ووضعه فى القبر •

(س)

سمائح : راهب وصل الى أعلى درجات النسك ويحمله الروح القدس الى
مقامات البرية ولا يظهر الا للقديسين عندما يحضر للاشتراك فى سر
التناول وعدد السياح المعروفين فى تاريخ الكنيسة كله لا يتجاوز
عدد أصابع اليدين •

سبط : قبيلة •

سفر : أى من الكتب التى يتضمنها العهد القديم فى الكتاب المقدس •

سمكة : ترمز للسيد المسيح والحروف التى تتكون منها باليونانية تحوى
الحروف الأولى لعبارة : (يسوع المسيح ابن الله المخلص) وهى
تدخل ضمن وحدات الزخرفة القبطية الى جانب الصليب والعنبر •

السلكسار : كتاب يحوى سير القديسين حسب كل يوم من أيام السنة
القبطية •

سيامة : تعنى رسامة أو تعيين الشخص المرشح لاحدى الرتب الكهنوتية •
السيرافيم : ملائكة تخدم عرش الله وتقوم بالتسبيح المستمر قائلا : قدوس
• • • قدوس • • • قدوس •

الشاروبيم : ملائكة تحمل عرش الله وهى ذوات ستة أجنحة باثنين يغطون
وجوههم وبأثنين يغطون أرجلهم ويطيرون بأثنين •

الشرقية : تجويف أو حنية فى الحائط الشرقى للهيكل فى مواجهة المذبح
بها أيقونة السيد المسيح على العرش وأمامها قنديل منير .
الشماس : درجة كهنوتية لحاملها واجبات معينة أهمها قراءة فصول
الكتاب المقدس ، وخدمة المذبح .
شمعدان : يوضع اثنان على المذبح اشارة الى الملاكين اللذين كانا فى
قبر المسيح .
الشملة : غطاء رأس الكاهن اثناء خدمة القداس .
شورية : الجمرة أو المبخرة التى يحرق فيها البخور .
الشیطان : هو العدو الحقيقى للانسان وهو المقصود بكافة الاصطلاحات
التي تتضمنها الحرب الروحية .

(ص)

صحن الكنيسة : مكان اجتماع الشعب فى الكنيسة للصلاة ويسمى خوروس
المؤمنين .
الصدرة : تلبس فى عنق من الامام تمتد الى القدمين ويرتديها الكهنة
والأساقفة وينقش عليها اسماء تلاميذ المسيح الاثنى عشر .
الصلاة : هناك العديد من الصلوات الجماعية والفردية والأسرية علاوة
على صلوات المناسبات والرسومات ، ولكن أهمها صلوات القداس
التي يشترك فيها جميع المؤمنين .
صليب الصليوت : هو الصليب الذى يحمل السيد المسيح مصلوبا ويرتفع
أمام جميع المؤمنين الذين ينظرون الى الهيكل .
صندوق المذبح : ويسمى أيضا الكرسي ويصنع من الخشب ويرسم عليه
صورة العشاء الربانى والسيد المسيح ويوضع فى فتحته الكأس
التي تحمل دم المسيح .
الصوم : تمارس الكنيسة القبطية اصواما عديدة يصل مجموع ايامها الى
حوالى ثلث العام .
الصينية : توضع امام صندوق المذبح (الكرسي) وتحمل قربانة الحمل
التي تتحول الى جسد المسيح اثناء صلوات القداس .

(ط)

الطائوس : مقبرة الرهبان فى الدير .
الطقوس : الشعائر أو الترتيبات التى تنظم الأنشطة الروحية فى الصلوات
والاصوام ... الخ .

طيلسان : هو الشملة أى غطاء رأس الكاهن أثناء خدمة القديس .

(ع)

عمسا الرعاية : يحملها البابا أو الأسقف وتشير الى مسئوليته عن خدمة الشعب .

علمانى : تطلق على المسيحى المؤمن من غير رجال الاكليروس .
العنصرة : عيد حلول الروح القدس على التلاميذ فى اليوم الخمسين
لقيامه السيد المسيح من الأموات .

(غ)

الغطاس : عيد عماد السيد المسيح فى نهر الأردن .

(ف)

الفصح : تذكار ذبح خروف الفصح قبل خروج بنى اسرائيل من مصر
وكان يشير الى ذبيحة المسيح الكفارية على الصليب وقد حل محله
فى العهد الجديد عيد القيامة الذى يسمى عيد الفصح .

(ق)

القبة : لها معنيان : ١ - فى بناء الكنيسة .

٢ - فوق المذبح وهى تمثل السماء ومحمولة على أربعة أعمدة
رخامية تمثل البشيرين أى الانجيليين الذين دونوا الأناجيل
الأربعة بوحى وارشاد الروح القدس .

القديس : الصلاة الجماعية التى يمارس فيها المؤمنون سر الشكر أى
التناول من جسد الرب ودمه وهو الذى وضع أساسه السيد المسيح
بنفسه وسلمه الى التلاميذ يوم خميس العهد ورتب الرسل بعد ذلك
خدمة القديس طبقا لما تعلموه من سيدهم .

القديس : الله وحده الذى هو كلى القداسة والطهارة والبر .

قديس : شخص عاش حياته طاهرا مع الله ورفعته الكنيسة الى مصاف
القديسين أى الأطهار .

القربان : خبز مصنوع من الدقيق النقى المختمر ولا يضاف اليه ملح لأن
منه يختار الكاهن قربانة الحمل التى تتحول أثناء صلاة القديس الى
جسد المسيح الذى لا يرى فسادا .

القس : يسمى ابرسفيتيروس أى شفيح لأنه يصلى عن شعب الله ويرعى المؤمنين ويخدمهم .

قطماروس : كتاب يتضمن القراءات الكنسية لكل يوم من أيام السنة .

قلابة : حجرة صغيرة خاصة بالراهب فى الدير .

القمص : يسمى ايغومينوس أى مدير لأنه يدبر شئون الكنيسة مع اخوانه القسوس .

(ك)

كاتدرائية : الكنيسة التى يوجد بها كرسى الأسقفية .

كاتوليكون : هى الرسائل الجامعية وتطلق على رسالة يعقوب ورسالتى بطرس ورسائل يوحنا الثلاثة ورسالة يهوذا الرسول أخى يعقوب وهى من الأسفار المقدسة ضمن كتب العهد الجديد

الكاس : تصنع من الفضة وتوضع فيها الأباركة ممتزجة بالماء وتحول الى دم المسيح أثناء صلاة القداس .

الكراسة : لها معنيان : ١ - الحديث عن العقائد المسيحية وشرح تعاليم المسيح

٢ - كرسى رسولى أى مؤسس جمعية أحد رسل المسيح .
الكراسة المرقسية التى أسسها مرقس البشير وهى الكنيسة القبطية .

كبرى ليسون : عبارة باللغة القبطية معناها : يا رب ارحم .

(ل)

لحن : تسبيح منغم يلقى فى الكنيسة ضمن صلوات القداس ويردده الشماسة والشعب .

لحافة : منديل يستخدم فى خدمة المذبح ويخضع به الشخص المتقدم للتناول حتى لا يسقط شيء من الجسد المقدس على الأرض .

لقمان : صلاة على الماء فى عيد الغطاس وخميس العهد وعيد الرسل .

اللوح المقدس : مستطيل من الخشب أو الزخام فى وسطه صليب كبير مكتوب عليه الحرفان الأول والآخر من الأبجدية اليونانية (ألفا وإوميغا) ويسمى بالميزون ويوضع فوقه الكرسي والصبيبية ولا يلثم القداس بدونه وهو موضوع على المذبح .

مار (بكسر الراء) : كلمة آرامية (سريانية) تعنى السيد وتطلق على كبار القديسين الشهداء أمثال مار جرجس ومار مينا .

المجمرة : هى الشورية أى المبخرة التى يحرق فيها البخور .

المنذبح : مائدة مكعبة وسط الهيكل توضع عليها الذبيحة المقدسة من الخبز والخمر ويرمز لقبر المسيح .

المراوح : تستخدم بأيدي الشماسية أثناء القداس فى تسبحة الشاروبيم أى الملائكة ذوى الستة أجنحة .

مزار : غرفة بالكنيسة يحفظ بها بعض من رفات القديس شفيع الكنيسة أى الذى تسمى باسمه الكنيسة مع أيقونات عديدة منها أيقونة لشفيع الكنيسة . وقد يكون المزار فى أحد جوانب صحن الكنيسة .

مستير : المعلقة التى يتناول بها المتقدمون للتناول الخمر الممزوجة بالماء والتى تحولت الى دم المسيح أثناء صلوات القداس .

مطران : رئيس مجموعة من الأساقفة أو أسقف مدينة كبيرة مترو بوليس ويسمى متروبوليتان .

المطعمة : قاعة الطعام فى الدير .

المضيفية : توجد فى الأديرة وأيضاً فى الكنائس لاستقبال الضيوف .

المعمودية : غرفة كانت قديماً فى الجهة البحرية الغربية من الكنيسة وهى الآن فى الجهة الشرقية القبلية بجوار الهيكل وفيها جرن المعمودية وأيقونة السيد المسيح .

المقطس : فى الكنائس القديمة وكان ينزل فيه الرجال ليلة عيد الغطاس تذكاراً لعماد السيد المسيح .

المقصورة : حجرة أو دولا ب بها أيقونة لقديس أو ملاك ويوقد المؤمنون الشموع أمام الأيقونة .

المنارة : برج يحمل جرس الكنيسة ومكانه عند المدخل أو جهة الهيكل ويدق الجرس للتنبيه الى مواعيد القداس أو فى المناسبات المفرحة ويعطوها صليب رمزاً لمكان العبادة المسيحية .

المذبح : المكان الذى تلقى منه العظة وهو مرتفع وكان يقام على أعمدة رخامية فى الكنائس القديمة .

المنطقة : حزام يلبسه البابا أو الأسقف ويشير الى الاستقامة واليقظة فى الخدمة .

المنجلىة : حامل للانجيل أو القطماروس أو غيرها من الكتب التى تقرأ فى الكنيسة .

الميرون : انظر كلمة : زيت الميرون فى حرف (ز) .

ميطانية : انحناءة مع رسم الشخص ذاته بالصليب وهى من طقوس العبادة فى الكنيسة كما أنها تقدم تعبيراً عن التوقير والاحترام للرتب الكنسية الرفيعة مثل البابا أو الأسقف .

ميمر : عظة لأحد القديسين تقرأ فى الكنيسة على المؤمنين فى مناسبة دينية .

(ن)

الناموس : شريعة أو قانون وتطلق على شريعة موسى .
النجم : القنديل الذى يعلق فى الشرقية ويرمز الى النجم الذى قاد المجوس الى بيت لحم .

نياحة : كلمة تعنى الوفاة وإذا استخدمت بدون الهاء (نياح) فهى تعنى الراحة الأبدية التى يلقاها القديسون والأبرار .

(هـ)

هرطقة : كفر أو انكار للعقائد المسيحية الأساسية أو خروج على التعاليم المسلمة من الآباء .

الهيكل : مكان تقديم الذبيحة ويبنى فى الجهة الشرقية من الكنيسة ليكون امام المؤمنين الذين ينتظرون المجرى الثانى للمسيح من الشرق ولا يجوز دخوله لغير ذوى الرتب الكهنوتية كما أنه لا يجوز دخوله بالأحذية .

(و)

وضع الأيدى : يضع البابا أو الأسقف يديه على الشخص المرشح لحدى الرتب الكهنوتية ليتقبل موهبة الروح القدس للخدمة . كما توضع الأيدى أيضاً على الشخص العادى للبركة .

(ى)

يمين القوة : يقصد بها عرش الله فى السموات .

اقرأ فى هذه السلسلة

- | | |
|-----------------------|--------------------------------------|
| برتراند رسل | احلام الاعلام وقصص اخرى |
| ى • رادونسكايا • | الالكترونيات والحياة الحديثة |
| الدس هكسلى • | نقطة مقابل نقطة |
| ت • و • فريمان | الجغرافيا فى مائة عام |
| رايموند وليامز | الثقافة والمجتمع |
| ر • ج • فوريس | تاريخ العلم والتكنولوجيا • ج ٢ |
| ليستر ديل راى | القرن الثامن عشر والتاسع عشر |
| والتر آلن | الأرض الغامضة |
| لويس فارجاس • | الرواية الانجليزية |
| فرانسوا دوماس | المشهد الى فن المسرح |
| د • قدرى حفى وأخرون | آلهة مصر |
| أولج فولكف | الانسان المصرى على الشاشة |
| هاشم النحاس | القاهرة مدينة الف ليلة وليلة |
| | الهوية القومية فى السينما العربية |
| | مجموعات النقود |
| ديفيد وليام ماكدونالد | صياستها • • تصنيفها • • عرضها |
| عزيز الشوان | الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق |
| د • محسن جاسم الموسوى | عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى |
| اشرف س • بى كوكس | ديلان توماس |
| جون لويس | الانسان ذلك الانسان الفريد |
| | الرواية الحديثة • الانجليزية |
| بول ويست | والفرنسية ج ١ |
| د • عبد المعطى شعراوى | المسرح المصرى المعاصر • اصله وبدايته |
| أنور المعداوى | على محمود طه • الشاعر والانسان |
| بيل شول • واينبيت | القوة النفسية للآهرام |
| د • صفاء خلوصى | فن الترجمة |
| رالف تى ماتلو | تولستوى |
| فيكتور برومبير | سنتندال |
| فيكتور هوجو | رسائل واحاديث من المنفى |
| فيزنر هيزنبرج | الجزء والكل (محاورات فى مضمار |
| | الفيزياء الذرية) |
| سيدنى هوك | التراث الغامض ماركس والماكسيون |

فن الأدب الروائي عند تولستوى
أدب الأطفال • (فلسفته - فنونه -
وسائطه)

أحمد حسن الزيات • كاتباً وناقداً
أعلام العرب فى الكيمياء
فكرة المسرح
الجحيم

صنع القرار السياسى فى منظمات
الإدارة العامة

التطور الحضارى للإنسان (ارتقاء
الإنسان)

هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟

تربية الدواجن

الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

النحل والطب

سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء

مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤

كيف تعيش ٣٦٥ يوماً فى السنة

الصحافة

أثر الكوميديا الإلهية لدانتى فى الفن

التشكيلى

الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية

وبعدها

حركة عدم الانحياز فى عالم متغير

الفكر الأوروبى الحديث ج ١

الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى

١٨٨٥ - ١٩٨٥

التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

نظريات الفيلم الكبرى

مختارات من الأدب القصصى

الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد؟

حرب الفضاء

ف • ع أدنيكوف

هادى نعمان الهيتى

د • نعمة رحيم العزاوى

د • فاضل أحمد الطائى

فرنسيس فرجون

هنرى باربوسى

السيد عليوة

جاكوب برونوفسكى

د • روجر ستروجان

كاتى ثير

أ • سبنسر

د • ناعوم بيتروفيتش

جوزيف داهموس

د • لينوار تشامبرز رايت

د • جون شندلر

بيير البيير

الدكتور غبريال وهبه

د • رمسيس عوض

د • محمد نعمان جلال

فرانكلين ل • باومر

شوكت الربيعى

د • محيى الدين أحمد حسين

تأليف : ج • دادلى اندرو

جوزيف كونراد

طائفة من العلماء الأمريكيين

د • محمد أسعد عبد الرؤوف

ادارة الصراعات الدولية

الميكروكمبيوتر

مختارات من الأدب الياباني (الشعر -

الدراما - الحكاية - القصة القصيرة)

الفكر الأوروبي الحديث ج ٢

تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

الفكر الأوروبي الحديث ج ٣

كتابة السيناريو للسينما

الزمن وقياسه

أجهزة تكييف الهواء

الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

التجربة اليونانية

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

العلم والطلاب والمدارس

الشارع المصري والفكر

حوار حول التنمية الاقتصادية

تبسيط الكيمياء

العادات والتقاليد المصرية

التذوق السينمائي

التخطيط السيلحي

البذور الكونية

دراما الشاشة ج ١

الهويين والاييز

صور افريقية

نجيب محفوظ على الشاشة

الفكر الأوروبي الحديث ج ٤

د ٠ السيد عليوة

د ٠ مصطفى عناني

صبري أبو الفضل

فرانكلين ل ٠ باومر

جابريل باير

أنطوني دي كرسبني

وكينيث هينوج

فرانكلين ل ٠ باومر

دوايث سوين

زاقيلسكي ف ٠ س

ابراهيم القرضاوي

بيتر رداي

جوزيف داهموسي

س ٠ م بورا

د ٠ عاصم محمد رزق

رونالد د ٠ سمبسون

و نورمان د ٠ اندرسون

د ٠ أنور عبد الملك

والث روستو

فرد ٠ س ٠ هيسي

جون بوركهارت

الان كاسبيار

سامي عبد المعطي

فريد هويل

شاندرا ويكراما ماسينج

حسين حلمي المهندس

روي روبرتسون

دوركاس ماكلينتوك

هاشم النحاس

فرانكلين ل ٠ باومر

الكمبيوتر في مجالات الحياة

دراما الشاشة ج ٢

المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية

وظائف الأعضاء من الألف الى الياء

الهندسة الوراثية

تربية اسماك الزينة

كتب غيرت الفكر الانساني

الفلسفة وقضايا العصر ج ١

الفكر التاريخي عند الاغريق

قضايا وملامح الفن التشكيلي

التغذية في البلدان النامية

الفلسفة وقضايا العصر ج ٢

بداية بلا نهاية

الحرف والصناعات في مصر الاسلامية

حوار حول النظامين الرئيسيين

للكون ج ١

حوار حول النظامين الرئيسيين

للكون ج ٢

حوار حول النظامين الرئيسيين

للكون ج ٣

الارهاب

اخطاتون

القبيلة الثالثة عشرة

الفلسفة وقضايا العصر ج ٣

العلم والتكنولوجيا

الثورة الاصلاحية في اليابان

التوافق النفسي

الدليل الببليوجرافي

لغة الصورة

الثورة الاصلاحية في اليابان

د . محمود سرى طه

حسين حلمى المهندس

بيتر لورى

بوريس فيدروفيتش سيرجيف

ويليام بينز

ديفيد الدرتون

جمعها : جون . ر . بورر

وميلتون جولد ينجر

أرنولد توينبى

د . صالح رضا

م . ه . كنج وآخرون

جمعها : جون . ر . بورر

وميلتون جولد ينجر

جورج جاموف

د . السيد طه أبو سديره

جاليليو جاليليه

جاليليو جاليليه

جاليليو جاليليه

أريك موريس ، آلان هو

سـيريلـ الدريد

آرثر كيسـتـلر

جمعها : جون . ر . بورر

وميلتون جولدوينجر

ر . ج . فويس

أ . ج . فويس

كوفلان

توماس أ . هــريس

مجموعة من الباحثين

آوى أرمـنـ

ناجى متشيو

العالم الثالث غدا

بول هاريسون

ميكائيل اليبى

جيمس لفلوك

فيكتور مورجان

اعداد محمد كمال اسماعيل

الفردوسى الطوسى

الفردوسى الطوسى

بيرتون بورتر

بيرتون بورتر

جاك كرابس جونيون

محمد فؤاد كوبريلى

بول كونر

اختيار واعداد صبرى الفضل

توني بار

نادين جورديمر وآخرون

اعداد احمد الشنوائى

موريس بيربراير

آدامز فيليب

الانقراض الكبير

تاريخ النقود

التحليل والتوزيع الأوركستراالى

الشاهنامه ج ١

الشاهنامه ج ٢

الحياة الكريمة ج ١

الحياة الكريمة ج ٢

كتابة التاريخ فى مصر ق ١٩٠

قيام الدولة العثمانية

العثمانيون فى اوربا

مختارات من الآداب الآسيوية

التمثيل للسينما والتلفزيون

سقوط المطر

كتب غيرت الفكر الانسانى

صناع الخلود

دليل تنظيم المتاحف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٣٤٧ / ١٩٩٣

ISBN — 977 — 01 — 3478 — 3

هذا هو الجزء الثاني من كتاب الرحالة
البريطاني الفريد جوشوا بنار الذي يستكمل فيه
ما بدأه في الجزء الأول من تسجيل تاريخ دقيق
لتراث الكنيسة القبطية. ويقدم في هذا الجزء
تفاصيل مسهبة عن الفكر الديني لدى الأقباط
مع عرض للملابس الكهنوتية وشرح لأسرار
الكنيسة السبعة كما يقدم صورة جميلة
لأحتفالاتهم الدينية في الأعياد والمواسم
الرئيسية واختيار رجال الأكليروس وتنصيب البابا
وغير ذلك من الطقوس التي تمارسها الكنيسة
القبطية